الكتاب: جواهر التاريخ
المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي
الجزء: ٢
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٦
المطبعة: ظهور
الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر
ردمك: ٨-٠٢٦-٤٩٧-٩٦٤
ملاحظات: x-٠٢٥-٤٩٧-٩٦٤ : الدورة

جواهر التاريخ
بقلم
علي الكوراني العاملي
المجلد الثاني
دراسة لشخصية أبي سفيان ومعاوية المؤسسين للإمبراطورية الأموية
الطبعة الأولى ١٤٢٦

جواهر التاريخ - المجلد الثاني
المؤلف: علي الكوراني العاملي
الناشر: دار الهدى
الطبعة: الأولى ١٤٢٦
المطبعة: ظهور
العدد: ٢٠٠٠ نسخة
ISBN: ٩٦٤ - ٤٩٧ - ٠٢٥ - X
ISBN: ٩٦٤ - ٤٩٧ - ٠٢٦ - ٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بدأت بكتابة هذا المجلد، وأنا أرجو أن أكمل فيه عرض العصر الأموي وقسم من العصر العباسي، فأقدم صورة موجزة موثقة لخطط معاوية وفعالياته لإسقاط حكم أهل البيت النبوي عليهم السلام وتشويه صورتهم، ثم إبادتهم!

ثم لعمل المنصور العباسي وتطويره لخطط معاوية، وتأسيسه المذاهب، واضطهاده الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبقية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

لكني رأيت أثناء العمل أن إظهار ما عتمت عليه الحكومات ورواتها، يوجب التفصيل أحيانا لكشف الخطط الأموية وعمل الإمام الحسن وبقية الأئمة عليهم السلام في مواجهتها، وتوثيق ذلك بالمصادر.

أهمية دراسة الشخصيات التي صنعت التاريخ

من المفاتيح الأساسية لفهم التاريخ، دراسة الشخصيات المخططة لصناعة أحداثه وهندسة مساره، وهي شخصيات معدودة، أما الباقون فهم عادة منفذون لخططها وأفكارها، حرفيا، أو بتعديل غير كبير عادة.

وإذا أردنا ذكر الشخصيات التي صنعت تاريخنا كله، فلا بد أن نبدأ بنبينا صلى الله عليه وآله فهو أعظم شخصية أثرت وما تزال في تاريخ العالم، فقد استطاع صلى الله عليه وآله أن يرسي

رسالة وينشئ أمة ودولة، ويوجد مدا حضاريا متحفزا، في سنين قليلة وكلفة قليلة، حيث لم يتجاوز قتلى كل حروبه من الطرفين ست مئة شخص!
وإذا كان مقياسنا بعده صلى الله عليه وآله سعة التأثير بقطع النظر عن صحته وعمقه، فإن الشخصية الأكثر تأثيرا بعده هو عمر بن الخطاب، الذي سلمته قريش الطلقاء قيادتها، فأبعد عترة النبي صلى الله عليه وآله عن الحكم، وهندس لمسار الخلافة، وجعلها دولة بين قبائل قريش، بقانون الغلبة والسيطرة!
ثم يأتي بعده دور أبي سفيان ومعاوية، اللذين أخذا الخلافة من القبائل الصغيرة الضعيفة، قبيلة أبي بكر وعمر، وأعاداها إلى (معدنها) بزعمهما بني أمية!
فقد كان أبو سفيان يرى بمنطقه القبلي أن خلافة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته حق شرعي لبني هاشم، بقطع النظر عن نزاعهم مع أبناء عمومتهم بني أمية، الذين يشتركون معهم في جدهم عبد مناف، فلا يجوز برأيه أن تخرج خلافة محمد صلى الله عليه وآله عن بني عبد مناف إلى أرذل حيين في قريش: (بني تيم وعدي)!
لذلك وقف ضد بيعة أبي بكر وعمر، غاضبا مناديا: (ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا... والله إني لأرى عجاجة لا يطفؤها إلا دم! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟! أين المستضعفان، أين الأذلان علي والعباس؟! وقال: يا أبا حسن، أبسط يدك حتى أبايعك، فأبى علي عليه، فجعل يتمثل بشعر المتلمس:

ولن يقيم على خسف يراد به * إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته * وذا يشج فلا يبكي له أحد

قال فزجره علي وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك). (تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩، وغيره).

وسبب موقف علي عليه السلام: أن إعلانه الحرب على خلافة أبي بكر وعمر يعني المواجهة العسكرية مع قريش الطلقاء الذين ملؤوا المدينة، ويعني دفعهم إلى إعلان الردة عن الإسلام، وقولهم إن محمدا صلى الله عليه وآله لم يكن نبيا، بل كان يؤسس ملكا لأسرته بني هاشم، فجعل خلافته لابن عمه وصهره، ثم لأولاد بنته!

فعلي عليه السلام لا يؤمن بمنطق أبي سفيان من أن معدن الحق والحكم هم بنو عبد مناف لأجل نسبهم، بل معدنه أمر الله تعالى ونص رسوله صلى الله عليه وآله بأمره على عترته!

لذلك كان رأيه أن حكم أبي بكر وعمر الذي يعترف بنبوة النبي صلى الله عليه وآله مهما كان، لا يقاس بالمواجهة التي يدعو إليها أبو سفيان وتؤدي حتما إلى ردة قريش عن الإسلام، وقتل كل بني هاشم، ومن يثبت معهم على الإسلام!

وسرعان ما ظهرت صحة رؤية علي عليه السلام، فقد غير أبو سفيان موقفه وأخذ ثمن بيعته مكاسب لأولاده! ثم استطاع أن يرتب الخلافة بعد عمر لشخص من بني أمية هو عثمان بن عفان، وهو مقبول فعلا عنده، وإن كان من فرع بني العاص وليس من فرعه بني حرب، الذين هم بزعمه (أصحاب الحق) في بني عبد مناف!

دراسة العصرين الأموي والعباسي وشخصية معاوية وأبيه!

نعم، يتوقف فهم هذين العصرين على فهم شخصية معاوية وأبي سفيان، فقد أسس أبو سفيان، ثم أسس معاوية وخطط، واستطاع في أربعين عاما أن يبني إمبراطورية أموية واسعة، وأن يتعادل في الحرب مع الخليفة الشرعي وبطل الإسلام وفارس العرب، علي بن أبي طالب عليه السلام! ثم استطاع أن يجبر خليفته الشرعي سبط النبي صلى الله عليه وآله ومحبوب المسلمين الإمام الحسن عليه السلام على الصلح معه،

والتنازل له عن الخلافة!
ولا ينفي سعة تأثير معاوية أنه ورث امبراطوريته إلى ابنه يزيد، وأن يزيدا كان شابا أهوج، اصطدم بمقدسات المسلمين، بقتله آل الرسول صلى الله عليه وآله في كربلاء، واستباحته المدينة النبوية، ثم استباحته الكعبة المشرفة، فأنهى نفسه وآل أبي سفيان، وقدم كل جهود أبيه وجده لقمة سائغة إلى بني مروان!
فإن المروانيين كانوا مجرد منفذين لخطط أبي سفيان ومعاوية، ونظريتهما في تفوق بني أمية، وحقهم المزعوم في حكم العرب والمسلمين.
بل نجد المخططين من العباسيين كالمنصور والرشيد والمتوكل، كانوا متأثرين بأفكار معاوية كثيرا، فتبنوا خططه وحاولوا تطويرها، خاصة في مواجهة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم، كما سترى إن شاء الله.
جواهر أهل البيت عليهم السلام تعرف أكثر بمعرفة ظلمات الحكومات
كما تعرف نعمة النور بالظلمة، تعرف الأفكار المنيرة بما يقابلها من أفكار سوداوية!
والشخصيات المضيئة بما يحيط بها من شخصيات ظلامية!
من هنا كان ضروريا لفهم عترة النبي الطاهرين عليهم السلام ومعالم مذهبهم، وجواهر فكرهم ونبل سلوكهم، أن نكشف ما واجههم من حكومات وخطط وفعاليات!
وقد اهتم فقهاؤنا بفقه الحكومات، لأن مذهب أهل البيت عليهم السلام فقه تصحيحي لفقه الخلافة، على حد تعبير المرجع الراحل السيد البروجردي قدس سره.
من هنا، رأينا لزوم تسليط الضوء على شخصية أبي سفيان ومعاوية ومشروعهما لأنها تساعد في كشف موجة الاضطهاد الأموية ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم!

وقد بسطنا الكلام في بعض النقاط، وأوجزنا بعضها، لأن استيفاءها يحتاج إلى مجلدات، وكثير من مفرداتها تشكل بحثا مستقلا، بل إن قصص الذين قتلهم معاوية من الصحابة وزعماء الأمة وشخصياتها وأبناء الخلفاء، لا يكفيها مجلد!

* *

في الختام، نذكر القارئ المحترم بأن مصادر هذا البحث من كتب برنامج المعجم الذي توفقنا لإعداده، وبرامج إسلامية ومصادر أخرى، ذكرناها في محالها، وذكرنا أحيانا المجلد والصفحة لأكثر من طبعة. والله ولي التوفيق والمثوبة.

كتبه: علي الكوراني العاملي

قم المشرفة، غرة محرم الحرام ١٤٢٦

* *

الفصل الأول
جذور الأمبراطورية الأموية

جذور الفتنة من قابيل وهابيل.. إلى أمية وهاشم

يظهر أن الصراع بين الخير والشر، يعبر عن نفسه بقانون انقسام في الأسر إلى أولاد خيرين وشريرين، وأنه قانون ثابت من عهد آدم عليه السلام إلى آخر هذه الدنيا!

وعندما تأكدت من وجود هذا القانون، وأنه شبيه بقانون (مندل) الوراثي، حاولت أن أدرسه في عوائل قريتنا بحكم معرفتي بجذور أكثرهم وفروعهم وسلوكهم، فوصلت إلى نتائج ظنية غير قطعية، لكن ظنية قواعد القانون لا تنافي قطعية وجوده، فقد ازددت يقينا بأنه موجود وفاعل في كل الأسر، وهو أمر ينفعنا في فهم الناس والمجتمع.

لذا عندما أجد شخصا شريرا لا دين له ولا ضمير، ولا رادع له عن ظلم أحد يتمكن من ظلمه، ولا عن حرام تصل اليه يده.. أبحث عن نقيضه الذي يقابله في الخير، فقد يكون أخاه، أو أبناء عمومته، القريبين، أو البعيدين!

فكأن (جينات) الخير تسير في حركة تجمع وانقسام، في الأبوين والأولاد، فتظهر موزعة أو متمركزة في شخص أو أسرة! و (جينات) الشر كذلك.

وهذا لا يعني الإجبار، ولا يتنافى مع حرية اختيار الإنسان والشعوب.

وبنو هاشم وأمية حالة لتراكم الخير والشر بعد انقسامهما في أبناء إسماعيل عليه السلام وهي فرع من حالة الانقسام الكبير للخير والشر في ذرية إبراهيم عليه السلام.

وهذا هو السر في أن تاريخ العالم من يوم دخل فيه أبناء إبراهيم عليه السلام لم يهدأ من الصراع بين هذين الفرعين الخير والشرير من ذريتهم.

وحتى في عصرنا الحاضر فإن الوضع السياسي والفكري في العالم، إنما هو

صراع بين هذين الفرعين! فعندما ترى رئيس أكبر دولة في العالم يخاف رئيس وزراء دولة إسرائيل الصغيرة، ويتقرب بإرضائه إلى (اللوبي) اليهودي في أمريكا! تعرف أن الحاكم الحقيقي لأمريكا هم أبناء يعقوب وليس الشعب الأمريكي!

ثم تجد أبرز من يقابلهم في العالم أتباع محمد صلى الله عليه وآله من أبناء إسماعيل عليه السلام وإن كانت قوتهم ضعيفة، ولم تتجمع إلى الآن في (لوبي).

سنة الانقسام في أبناء إبراهيم وأبناء إسماعيل صلى الله عليه وآله واحدة!

كان اليهود عند بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أقلية مشتتة، ولكن القرآن حذر منهم بحجم تحذيره من دولة كبرى أو أمة كبرى! وسببه أنه عز وجل يعلم أنهم يشكلون خطرا على المسلمين في الحاضر والمستقبل! وأن صراع المسلمين سيكون معهم ومع نفيرهم، فمعادلة الصراع مستمرة داخل أبناء إبراهيم عليه السلام بين الرسالة الإلهية والضلال البشري!

وكذلك الأمر في أبناء إسماعيل عليه السلام، فقانون الانقسام نفسه جار بين أسرة النبي المبعوث صلى الله عليه وآله وبين اليهود الجدد من أبناء إسماعيل عليه السلام!

فقد كانت قبائل قريش عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله نحو عشرين قبيلة وعددها جميعا نحو ثلاثين ألف نسمة، لكنها تحكم مكة، وتمد نفوذها على قبائل العرب في الحجاز ونجد، وتتمتع باحترام في كل قبائل العرب في العالم، لأنها عندهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام وسادة الكعبة المقدسة.

وكانت القبائل ذات النفوذ من قريش خمسة، وهم الذين اتفقوا أن تأخذ بأطراف الثوب الذي وضعوا فيه الحجر الأسود وتضعه في مكانه عند بناء الكعبة قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وآله: (فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن

عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعه النبي الهاشمي صلى الله عليه وآله). (الكافي: ٤ / ٢١٨).
وفي كانت قيادة قريش محصورة بين بني هاشم ونقيضهم بني أمية، أما بقية البطون فتدور في فلكهما وتتأثر بهما!
والدليل على ذلك أن أبا سفيان قاد قريشا لأكثر من عشرين سنة في مواجهة النبي صلى الله عليه وآله، ثم اتهمته بموقفه اللين من النبي صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة فجربت استبداله بسهيل بن عمرو، لكن زعامة سهيل، ثم خلافة أبي بكر وعمر، لم تكن إلا فترة قصيرة لتجربة زعامة بطون قريش، وصلت بعدها إلى نتيجة أنه لا يمكن لبطن قرشي أن يواجه بني هاشم إلا بنو أمية، فسلموا إليهم قيادة قريش والأمة مجددا ليواصلوا المواجهة إلى يومنا هذا!
لهذا السبب نلاحظ العجب في وضع قريش بعد النبي صلى الله عليه وآله!
فقد غاب بنو سهم أو جمح عن المسرح السياسي بعد أمية بن خلف وسهيل بن عمرو نهائيا!
وانتهى بنو تيم بعد أبي بكر، فقد برزت فيهم عائشة وطلحة وهزما، فالتحق النشطون منهم بمعاوية، عدا محمد بن أبي بكر الذي كان شيعيا متعصبا! ثم ادعى بنو تيم لموسى بن طلحة أنه المهدي الموعود! لكنه لم يستطع تحقيق شئ.
(لما خرج المختار بالكوفة قدم علينا موسى بن طلحة وكانوا يرونه في زمانهم المهدي فغشيه الناس) (تاريخ دمشق: ٦٠ / ٤٣١، وتهذيب الكمال: ٢٩ / ٨٥، وسير الذهبي: ٤ / ٣٦٥، وفتن ابن حماد: ١ / ١٥٨، وسنن الداني: ١ / ١٥٨).
كما أن بني عدي انتهوا أيضا بعد عمر، والتحق أولاده بمعاوية، وبقي ولده عبد الله قانعا بما يعطيه إياه من غلب، بل هو المنظر لقاعدة: الخلافة لمن غلب (الأحكام السلطانية للفراء / ٢٠، ومآثر الإنافة: ١ / ٧١)!

أما أبناء الزبير من بني أسد عبد العزى، فقد سكتوا في عصر معاوية، وثاروا على يزيد بعد شهادة الحسين عليه السلام، وسيطروا على الحجاز واليمن لبضع سنوات، ثم هزمهم الأمويون في العراق، فانتهوا سياسيا ولم يعد لهم ذكر.
وهكذا، لم يبق في الساحة السياسية إلا طرفان فقط هما: بنو هاشم، ممثلين بعلي عليه السلام، وبنو أمية ممثلين بمعاوية.
* *

قبل الإسلام كانت بطون قريش تعترف لبني هاشم بمكانة السيادة عليها لكن بشرط المحافظة على حصة بني عبد شمس، وبني مخزوم، وبني سهم، وبني أسد بن عبد العزى، وبقية البطون، وقد رأينا ذلك في تاريخ عبد المطلب، وفي حادثة الحجر الأسود، حيث ارتضوا أن يضعه في مكانه حفيده محمد صلى الله عليه وآله.
وهذا هو نظام الحصص القبلية، وهو نظام تجذر في نفوس بطون قريش، لأنه يعني مكانة القبيلة ومصيرها، والخط الأحمر الذي يستنفرون ضد من يتجاوزه!
وبهذا نفهم سبب مسارعة زعماء قريش إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله بمجرد إعلان نبوته، لأنه برأيهم يصادر حصص بطون قريش كلها، ويجعلها لبني هاشم!
فالمسألة عند هؤلاء الزعماء ليست أن محمدا صلى الله عليه وآله صادق أم لا؟ ولا إيمانهم بأصنام اللات والعزى وهبل في مقابل الله الواحد الأحد عز وجل! بل المسألة أن مشروع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، يلغي حصص بطون قريش ويدعوها إلى طاعة بني هاشم!
وهذا هو النبأ العظيم الذي يستحق صاحبه القتل حتى لو كان صادقا! وتستحق عشيرته الحرب حتى لو كانت صادقة في إيمانها بنبوة ابنها! وقد عبر أبو جهل المخزومي عن ذلك بصراحة فقال: (كنا وبني هاشم كفرسي رهان، نحمل إذا حملوا، ونظعن إذا ظعنوا، ونوقد إذا أوقدوا، فلما استوى بنا وبهم الركب قال

قائل منهم: منا نبي! لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم ولا يكون في بني مخزوم). (الدر المنثور: ٤ / ١٨٧، وتفسير القمي: ١ / ٢٧٦)
ومنطق أبي جهل هذا نفس منطق بني أمية وبقية البطون، بل قد تعلمت قبائل العرب هذا المنطق من قريش فأعلنه المتنبؤن منها، وقال طليحة الأسدي: (والله لنبي من بني أسد أحب إلى من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك). (النهاية: ٦ / ٣٥٠، وإمتاع الأسماع: ١٤ / ٢٣٧).
بل أمعن زعماء قريش في عناد الحق إلى غير المعقول فقالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! وقائل ذلك أبو جهل (البخاري: ٥ / ٢٠٠). و روى الحاكم: ٢ / ٥٠٢، هذا القول عن النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار، وصححه على شرط الشيخين، ولكنه لم يذكر أنه كان على أثر خطبة النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم وإعلانه عليا عليه السلام خليفة من بعده، كما أثبتناه في (آيات الغدير) في تفسير قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع)، وهذا يدل على تجذر نظام الحصص القرشية في نفوس بطونها!
وفي المستطرف: ١ / ٩٥، أن معاوية قال لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه)!
إن معادلة حصص البطون هي المحرك الحقيقي لصراع قريش مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم لصراعها مع عترته عليهم السلام من بعده، فهي أصل كل المعادلات الأخرى! وهي نفس المعادلة اليهودية القائلة إن النبي الخاتم لا يجوز أن يكون من بني إسماعيل، وإن اليهود لن يؤمنوا به حتى يكون من بني يعقوب!

وقد روى الطبري في تاريخه: ٣ / ٢٨٩ نقاشا بين عمر بن الخطاب وابن عباس جاء فيه: (يا ابن عباس: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني. فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت! فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في كلام وتميط عني الغضب تكلمت! فقال: تكلم يا ابن عباس، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود! وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهية فقال: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم! فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء.. الخ.). انتهى.

فالمعادلة القرشية التي واجهت النبي صلى الله عليه وآله نفسها التي واجهت عترته، ومع أنها متحدة في جوهرها مع معادلة أبناء يعقوب، وهو الحسد لا غير، لكن موقف الإسلام منهما جاء مختلفا! والسبب أن التجربة اليهودية قد أتمت دورتها، وانتهت، بينما التجربة القرشية (أو الأموية) ما زالت في طور الإثمار والنضج!

لذلك نجد القرآن اتخذ موقفا حاسما من اليهود وكشف كل أوراقهم، بينما اكتفى في بني أمية بآية الشجرة الملعونة في القرآن، فذكرهم بالأسرة والوصف وترك تسميتهم للنبي صلى الله عليه وآله وأراه زعماءهم على صور قرود تقفز على منبر خلافته فتضل الناس وترجعهم القهقرى من بعده!

وهذه الكناية والدبلوماسية القرآنية، تعني أن وقت كشف بني أمية بشكل كامل لم يحن بعد، وأنه يجب أن يعطوا دورا للعمل داخل الأمة، وأن يدخر

وصي النبي صلى الله عليه وآله ليقاتلهم على التأويل بعد أن قاتلهم النبي صلى الله عليه وآله على التنزيل، ليوضح معالم الخط النبوي، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة!

وهذا معنى عدم نضج التجربة الأموية بالمفهوم القرآني والسنن الإلهية لصراع الخير والشر، فهو يعني أن الأمة الإسلامية يجب أن تمتحن ببني أمية ليظهر خيرها من شرها، وليس معناه أن الحالة اليهودية الأموية أفضل من حالة اليهود اليعقوبية! ويدل عليه موقف القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام من بني أمية!

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا صدق الله وقالوا كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام). (معاني الأخبار / ٣٤٦).

أبو سفيان صاحب المشروع الأموي لمواجهة الإسلام!

الفرق بيننا وبين المغشوشين بالأمويين، أنا نعتقد أن أبا سفيان ومعاوية وبقية زعماء قريش، ما أسلموا ولكن استسلموا تحت السيف! وظلوا معادين للإسلام يكيدون له باسمه، حتى وجدوا أعوانا فأظهروا ما استطاعوا إظهاره، وغرسوا في ثقافة الأمة باسم الإسلام كثيرا من مفاهيم المادية والكفر والجاهلية!

فإشهارهم للإسلام لا يترتب عليه أكثر من حفظ دمائهم وإجراء أحكام الإسلام العامة عليهم! مع التأكيد على أنهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله ليسوا من صلب أمته، فأمته هم المهاجرون والأنصار وأبناؤهم ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، أما طلقاء قريش وعتقاء ثقيف وذرياتهم فهم دائرة مستقلة ملحقة بالأمة الإسلامية إلحاقا!

فقد قال صلى الله عليه وآله: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض في

الدنيا والآخرة). وقد روته مصادر السنيين بأسانيد عديدة صحيحة وفيها على شرط الشيخين! كما في مسند أحمد: ٤ / ٣٦٣ بروايتين، ومجمع الزوائد: ١٠ / ١٥، كما سيأتي إن شاء الله.

والمسلم الغالب لهواه لا يحتاج إلى دراسات طويلة، بل يكفيه أن يرى بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أو يتأمل مكونات شخصية أبي سفيان وابنه معاوية. أو ينظر في تاريخهم وأعمالهم العدائية للإسلام والقرآن والنبي صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام. وقد ألف علماء الشيعة ومنصفون من علماء السنة كتبا في ذلك!

كان أبو سفيان قصيرا دميما ملحدا!

كان أبو سفيان رجلا ربعة دحداحا عظيم الهامة، عمي في آخر عمره، ويكنى أيضا أبا حنظلة، بابنه الذي قتله علي عليه السلام في بدر. (الآحاد والمثاني: ١ / ٣٦٣).

(وكان دميما قصيرا أخفش العينين). (سمط اللآلي / ٣٣٢)

(قالوا: كان أبو سفيان دميما قصيرا وكان الصباح عسيفا (أجيرا) لأبي سفيان شابا وسيما، فدعته هند إلى نفسها...). (ربيع الأبرار للزمخشري: ١ / ٧٥٢).

واشتكت عليه زوجته هند بأنه بخيل لا ينفق على أولاده، فأجاز لها النبي صلى الله عليه وآله أن تأخذ نفقتهم من ماله، ولو بدون علمه! (بخاري: ٣ / ١٠١).

وكان أبو سفيان من زنادقة قريش، أي ملحدا! (المحبر / ٧٩ و ١٦١)

أبو سفيان قائد أئمة الكفر بنص القرآن

سارع أبو سفيان مع زعماء قريش إلى تكذيب دعوة النبي صلى الله عليه وآله، وقاد أعمال العداء ضده في مكة مع عتاة قريش وأئمة الكفر، وقاد قريشا في كل حروبها مع النبي صلى الله عليه وآله، فهو إمام أئمة الكفر الذين أنزل الله فيهم: فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا

أيمان لهم لعلهم ينتهون. (التوبة: ١٢). (عن مجاهد عن ابن عمر في قوله: فقاتلوا أئمة الكفر، قال: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا بإخراج الرسول من مكة.). (تفسير الطبري: ١٠ / ١١٤، والحاكم: ٢ / ٣٣٢ وصححه على شرط الشيخين. ولم يخرجاه كما هي عادتهما في أمثاله)!

وقد استطاع أبو سفيان أن ينجي قافلة قريش من قبضة المسلمين وكانت تضم ألفي بعير، وأن يستنفر قبائل قريش إلى معركة بدر، أول معركة مع النبي صلى الله عليه وآله وقد تلقت قريش فيها ضربة قوية حيث خسرت سبعين من فرسانها، وسبعين أسيرا من شخصياتها، فيهم ثمانية من بني عبد شمس منهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة خال معاوية وستة من حلفائهم وفي الأسرى سبعة من بني عبد شمس منهم عمرو بن أبي سفيان). (ابن هشام ٢ / ٥٣١).

* *

لكن أبا سفيان استطاع أن يحشد في السنة التالية جيشا أكبر لمعركة أحد، وقد انهزم في الجولة الأولى في أحد، لكنه تمكن أن يباغت المسلمين في الجولة الثانية، ويقتل منهم سبعين شهيدا، كان منهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله!

وقد أظهر أبو سفيان وزوجته هند مدى حقدهما على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم والمسلمين، فوقف على جثمان حمزة وأخذ يدق فمه بالرمح ويقول: ذق عقق، أي ذق يا عاق قومه القرشيين! (سيرة ابن هشام: ٣ / ٦٠٨، تاريخ الطبري: ٢ / ٢٠٦)

(وجاءت زوجته هند فشقت بطن حمزة رحمه الله وقطعت قطعة من كبده ولاكتها في فمها فلم تستطع أن تمضغها، فسميت آكلة الأكباد! وقطعت آرابه ومذاكيره فجعلتها حليا لها)! (النزاع والتخاصم، لمعمر بن عقيل / ٢٢٧).

* *

علاقة أبي سفيان الوطيدة باليهود
كان أبو سفيان على صلة قوية باليهود حتى تحالف معهم للقضاء على الإسلام فعملوا معا ضد النبي صلى الله عليه وآله ونشطوا على مدى سنتين يستنفرون قبائل العرب ويعقدون معهم التحالفات، حتى حشدوا جيشا كبيرا بلغ أكثر من أربعة آلاف مقاتل (الصحيح من السيرة: ٩ / ١٨٤) وغزوا به المدينة ليستأصلوا النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه بزعمهم، فكانت معركة الخندق التي تلقوا فيها هزيمة قوية غير منتظرة!
وقد تحدثت مصادر التاريخ والسيرة عن الزيارات المتبادلة بين أبي سفيان واليهود، ونشاطهم المشترك في تحريك قبائل العرب! فقد جاء قادة اليهود في وفد رسمي إلى مكة في أربعين راكبا أو أكثر برئاسة كعب بن الأشرف، وعقدوا جلساتهم مع عدم من رؤساء بطون قريش، وكان صاحب عقدهم وعهدهم الحاخام كعب بن أسد الذي كان وقع عهدا مع النبي صلى الله عليه وآله على قومه! وكان حيي بن أخطب سيد بني النضير يقول لقريش: إن قومي بني قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة، وهم سبع مئة مقاتل وخمسون مقاتلا). (الصحيح من السيرة: ٨ / ٤١).
(فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي... فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا... قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونازعكم؟ قالوا: نعم جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله. قال أبو سفيان: مرحبا وأهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد. زاد في نص آخر قوله: ولكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم! ففعلوا! قال النفر: فأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها أنت فيهم، وندخل نحن وأنت بين أستار الكعبة حتى نلصق أكبادنا بها، ثم نحلف بالله جميعا: لا يخذل بعضنا بعضا، ولتكونن

كلمتنا واحدة على هذا الرجل ما بقي منا رجل ففعلوا فتحالفوا على ذلك، وتعاقدوا، فاتعدوا لوقت وقتوه... فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد، ديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عمار البيت، وننحر الكوم (الناقة السمينة) ونسقي الحجيج، ونعبد الأصنام؟ قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل الله في ذلك: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا). (النساء: ٥٠) فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله.... فخرجت اليهود حتى أتت غطفان، وقيس عيلان، وأخذت قريش في الجهاز، وسيرت في العرب تدعوهم إلى نصرها، وألبوا أحابيشهم ومن تبعهم، ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا في غطفان فجعلوا لهم تمر خيبر سنة وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا، فأنعمت بذلك غطفان، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن! قال ابن خلدون: وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع (قبيلة)، وذكر البعض أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان في كل عام! (الصحيح من السيرة: ٩ / ٢٥)

وفي أسباب النزول للواحدي: ١٠٣: (خرج كعب بن الأشرف (رئيس بني النضير وحاخامهم) في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد، ليحالفوا قريشا على غدر رسول الله (ص) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله (ص)، فنزل كعب على أبي سفيان ونزلت اليهود في دور قريش.... ثم قال كعب لأهل

مكة: ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون، فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك)! انتهى.
وعندما زحف أبو سفيان بجيش الأحزاب إلى المدينة وحاصرها، تحرك معهم اليهود وكانت حصونهم قرب المدينة، فقام كعب بنقض عهده مع النبي صلى الله عليه وآله ومزق الصحيفة التي كان فيها العقد، وجمع رؤساء قومه وهم: الزبير بن باطا، وشاس بن قيس، وعزال بن ميمون، وعقبة بن زيد، وأعلمهم بما صنع من نقض العهد!
(الصحيح من السيرة: ٨ / ٤١) لكن اليهود جبنوا عن الخروج إلى ساحة المعركة فتصور أبو سفيان أنهم غدروا به، وبرز بطلهم عمرو بن ود ورفقاؤه فعبر الخندق وطلب المبارزة فبرز له علي عليه السلام فقتله ثم برز له ابنه فقتله! ففت ذلك في عضد أبي سفيان والأحزاب فارتبك معسكرهم وسارعوا بالانسحاب والهزيمة!
وبعد هزيمة الأحزاب غزا النبي صلى الله عليه وآله بني قريظة، وأراح العاصمة من جوارهم!
دور الحاخامات في التخطيط لأبي سفيان!
وينبغي الإشارة إلى دور حاخامات اليهود في التخطيط لأبي سفيان وتوجيهه لسوق الأمر إلى بني أمية، فقد كانت تربطه معهم في الجاهلية والإسلام علاقات صداقة وتحالف حميمة، وعمل مخططوهم في المدينة وخيبر والجزيرة واليمن بفعالية ودهاء يهودي لكي يرث بنو أمية خلافة النبي صلى الله عليه وآله! ودفعوا بالأحداث في هذا الاتجاه، ومنها قتل أبي بكر بالسم، ثم التخلي عن عثمان، وبعضهم يرى أن قتل عمر من خططهم! وكان عدد هؤلاء الحاخامات المخططين نحو خمسين شخصا، وهم جديرون بدراسة خاصة! وقد تواصلت علاقتهم مع القرشيين عامة ومع بني عبد الدار وبني أمية خاصة.
* *

وروى المؤرخون والمحدثون أن كعب الأحبار كان يبشر في خلافة عثمان بخلافة معاوية، وهذا يدل على علاقة اليهود الخاصة بآل أبي سفيان! فعندما تفاقمت شكوى الأمصار من ظلم الولاة دعا عثمان ولاته إلى اجتماع في موسم الحج لمعالجة ذلك، فكان كعب الأحبار يقول مبشرا بخلافة معاوية: (وهو يسير خلف عثمان: الأمير والله بعده صاحب البغلة! وأشار إلى معاوية! فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال يا أبا إسحاق تقول هذا وهاهنا علي والزبير وأصحاب محمد (ص)؟! قال: أنت صاحبها)! (الطبري في تاريخه: ٣ / ٣٧٩، وتاريخ دمشق: ٣٩ / ١٢٣ و ١٧٦ و ٣٠٥، وجواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢ / ١٨٣، وسنن الداني: ١ / ١١٧ و ١٢٧، وابن أبي شيبة: ٨ / ٥٨٦، ونسخة وكيع / ٩١، وأنساب الأشراف للبلاذري / ١٤٢٢، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ١٣٦، ونهاية ابن كثير: ٨ / ١٣٦، والسنة للخلال: ١ / ٢٨١ و: ٢ / ٤٥٧، وصححه، والتدوين في أخبار قزوين: ٣ / ٤٨، والخصائص للسيوطي: ١ / ٥٥، وتاريخ الخلفاء ١٥٣، والنزاع والتخاصم للمقريزي / ٨٢، وسبل الهدى للصالحي: ١٠ / ٢٨١، و: ١١ / ٢٨٣، والغدير: ٩ / ٢٢٢، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٤٨، والصواعق لابن حجر: ٢ / ٦٢٩).

ونص عدد من هذه المصادر على صحته، وذكر بعضها أن الحادي كان يقول:

إن الأمير بعده علي * وفي الزبير خلف رضي

فقال له كعب: كذبت! بل هو صاحب البغلة الشهباء، يعني معاوية).

وفي تاريخ دمشق: ٥٠ / ١٦٩ عن روح بن زنباع قال: شهدت كعبا جاء إلى معاوية فقام على باب الفسطاط فناداه: يا معاوية يا معاوية يا معاوية! فخرج إليه فأخذ بيده فانطلقا جميعا! فقلت لأمر ما جاء كعب يدعو معاوية! فاتبعت آثارهما فلما كنت قريبا منهما حيث أسمع كلامهما ولا أحب أن يرياني، سمعت كعبا يقول: يا معاوية والذي نفسي بيده إن في كتاب الله المنزل: محمد أحمد، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان الأمين! فالله الله يا معاوية في أمر هذه الأمة. ثم ناداه الثانية إن في كتاب الله المنزل، ثم أعاد الثالثة!!). انتهى.

وقد عقد الشيخ الأزهري محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية / ١٥٧، فصلا بعنوان: (من مكر وكيد كعب) أورد فيه عددا من فعالياته.
وروى نعيم ابن حماد المتوفى سنة ٢٢٧ وهو من الأئمة عندهم في كتابه (الفتن) / ٦٤ وبعدها، عدة روايات عن كعب بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية! منها ما تقدم من الطبري، ومنها: (عن كعب قال: سألت يشوع عن ملوك هذه الأمة بعد نبيها، وذلك قبل أن يستخلف عمر، فقال: بعد عمر الأمين، يعني عثمان، ثم رأس الملوك يعني معاوية.... وعن العقيلي مؤذن عمر عن عمر أنه سأل أسقفا من الأساقفة وأنا حاضر: من بعده؟ فقال: رجل ليس به بأس يؤثر أقرباءه! فقال عمر: رحم الله عثمان رحم الله عثمان)!! انتهى.

* *

كما رووا أن معاوية طلب من عثمان أن ينقل عاصمة الخلافة إلى الشام! ومعناه أن يكون ضيفا لمعاوية ويرتب له الأمر بعده، كما فعل أبو بكر لعمر!
وقد أشاع كعب أن عاصمة هذا النبي صلى الله عليه وآله في الشام لا في المدينة أو العراق! ففي سنن الدارمي: ١ / ٤: (عن أبي صالح قال قال كعب: نجده مكتوبا: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر.... ومولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام). انتهى.
وقوله: (وملكه بالشام) زيادة منه، لم تروها مصادر الشيعة، ولا بعض مصادر السنة كالبخاري (٣ / ٢١). قال في فتح الباري: ٨ / ٤٥٠: (زاد في رواية كعب: مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام). انتهى. فهي زيادة يهودية غرضها أن تكون الخلافة لأحبائهم بني أمية! ويكون مركزها في منطقة يكثر فيه اليهود! بعيدا عن الحجاز والعراق، لأن أهلها لا يحبونهم كأهل الشام!
وذكر ابن قيم سبب هذه الزيادة متبجحا بالشام فقال في هداية الحيارى / ٩٤:

(وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد، الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل وهي الشام)! وروت مصادرهم التي تثق بكعب هذه الزيادة وصححتها مع الأسف! كما في: طبقات ابن سعد: ١ / ٣٦٠، وحلية الأولياء: ٥ / ٣٨٧، وتفسير البغوي: ٢ / ٢٠٥، وخصائص السيوطي: ١ / ١٩، وفيض القدير: ٣ / ٧٦٨، ودلائل النبوة للأصبهاني: ٤ / ١٣٣٢، ونظم درر السمطين / ٥٤ وتفسير الرازي: ٣ / ٣٨، وتفسير ابن كثير: ٤ / ٣٨٣، والدر المنثور: ٣ / ١٣٢، وتاريخ دمشق: ١ / ١٨٦، و: ٤٧ / ٣٩٠، وتاريخ المدينة: ٢ / ٦٣٤، والنهاية: ٢ / ٩٦، و: ٦ / ٦١، وهداية الحيارى / ٩٠، والسيرة الحلبية: ١ / ٣٥١، وسبل الهدى: ١ / ١٠١، وغيرها وغيرها). كما وجد رواة الخلافة يهوديا آخر اسمه جريجرة! رووا عنه تأكيده لقول كعب بأن عاصمة ملك نبينا صلى الله عليه وآله في الشام! (المستدرك: ٢ / ٦٢٢، وتاريخ دمشق: ١ / ١٨٤، وخصائص السيوطي: ١ / ٢٣، وكنز العمال: ١٢ / ٤٠٧).

وبذلك يتضح أن اليهود كانوا هم المخططين لحرب الأحزاب، ولخلافة ابن أبي سفيان، ونقل عاصمة الإسلام إلى الشام بدل الحجاز أو العراق!

أبو سفيان ينقض العهد مع النبي صلى الله عليه وآله ويأتي إلى المدينة لتجديده!

بعد معركة الأحزاب أو الخندق أخذ ميزان القوة يتغير لمصلحة المسلمين، الأمر الذي مكن النبي صلى الله عليه وآله أن يباغت قريشا في الحديبية قرب مكة قاصدا العمرة بألف وأربع مئة مسلم، فهرعت قريش مستنفرة لتمنعه من دخول المسجد الحرام فرضي النبي صلى الله عليه وآله أن يوقع معهم صلحا وهدنة عرف بصلح الحديبية، وكان النبي صلى الله عليه وآله فيه لينا فقبل كل شروط قريش!

لكن أبا سفيان سرعان ما نقض العهد! فقد استعان بنو بكر حلفاء قريش المشركة على بني خزاعة وهم حلفاء بني هاشم والنبي صلى الله عليه وآله فأمدهم أبو سفيان بالسلاح والرجال الملثمين فأغاروا على خزاعة ليلا وقتلوا منهم عشرين شخصا! فشكت خزاعة للنبي صلى الله عليه وآله، وعندها أحست قريش بخطر ما ارتكبته فجاء أبو سفيان إلى المدينة وكلم النبي صلى الله عليه وآله أن يعفو عن نقضهم لعهد الصلح ويمدد مدته

فلم يرد عليه جوابا، فذهب إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام وكلمهما أن يجيرا بين المسلمين وقريش فلم يقبلا، فرجع خائبا وقد احتفظ النبي صلى الله عليه وآله بحقه في الرد على قريش، وأخذ يتجهز لفتح مكة. قال ابن هشام السيرة النبوية: ٤ / ٨٥٥: (ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله (ص) ورضي عنها، وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله! قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني! قال: والله ما أعلم لك شيئا يغني عنك شيئا، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال: لا والله ما أظنه ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق).

وفي الإرشاد للمفيد رحمه الله: ١ / ١٣٢: (قال لها: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر. فقالت: ما بلغ ابناي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله). انتهى.

ويفهم من مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٦٩٤، أن أبا سفيان كلم الحسن والحسين عليهما السلام ليأخذ من أحدهما مجرد كلمة: (أجرنا بين العرب)!

وفي شرح النهج: ١٧ / ٢٦٣: (قال: أجيري بين الناس، فقالت: إنما أنا امرأة، قال:

إن جوارك جائز، وقد أجارت أختك أبا العاص بن الربيع، فأجاز محمد ذلك. فقالت فاطمة: ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبت عليه، فقال: مري أحد هذين ابنيك يجير بين الناس، قالت: إنهما صبيان، وليس يجير الصبي. فلما أبت عليه أتى عليا فقال: يا أبا حسن، أجر بين الناس وكلم محمدا ليزيد في المدة، فقال علي: ويحك يا أبا سفيان! إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عزم ألا يفعل، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شئ يكرهه)! (وسيرة ابن هشام: في طبعة أخرى: ٥ / ٥٠، وأخبار مكة للفاكهي: ٥ / ٢٠٨ وعيون الأثر: ٢ / ١٨٤، وسيرة ابن كثير: ٣ / ٥٣١، وسبل الهدى: ٥ / ٢٠٧، والروض الأنف: ٤ / ١٤٨، ونهاية الإرب / ٣٦٨٥، وغيرها).
قال ابن عبد البر في الدرر / ٢١٣: (ثم ركب وانطلق راجعا إلى مكة، فلما قدمها أخبر قريشا بما لقي وبما فعل، فقالوا له: ما جئت بشئ! وما زاد علي بن أبي طالب على أن لعب بك! ثم أعلن رسول الله (ص) المسير إلى مكة، وأمر الناس بالجهاز لذلك، ودعا الله تعالى في أن يأخذ عن قريش الأخبار، ويستر عنهم خروجه). انتهى.
أبو سفيان أسير حرب، غلاما للنبي صلى الله عليه وآله!
لم تطل المدة حتى فاجأ النبي صلى الله عليه وآله في السنة الثامنة للهجرة أبا سفيان وقريشا في عقر دارهم في مكة! فما شعروا إلا وهم محاصرون بعشرة آلاف من جنود الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله يطلب منهم خلع سلاحهم والتسليم، أو الحرب! فانخلعت أفئدة زعماء قريش وانهارت مقاومتهم! وهرع أبو سفيان يسأل: أين العباس بن عبد المطلب، ليأخذ له الأمان من النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يدخل مكة! وجاء العباس إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو في مركز قيادته يجر وراءه أبا سفيان كبير أئمة الكفر! قال ابن هشام: ٤ / ٨٦٢، وصححه مجمع الزوائد: ٦ / ١٦٦: (فقال رسول الله (ص): إذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به! قال: فذهبت

به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله (ص) فلما رآه رسول الله (ص) قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟
قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا بعد! قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا! فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق فأسلم! قال العباس: قلت يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن!
فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (ص): يا عباس إحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله (ص) أن أحبسه، قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالي ولبني فلان، حتى مر رسول الله (ص) في كتيبته الخضراء... فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله! يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله (ص) في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما! قال قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم إذن (أي صحيح صحيح)! قال قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته:

يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبحه من طليعة قوم! (أي الزق الأسود – الدسم! وفي رواية: الأحمش أي الهزيل. لسان العرب: ٢ / ٢٦) قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لاقبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك! قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد). انتهى.

هنا تلمس انبهار أبي سفيان بالقوة المادية! وعماه عن المعجزات النبوية، كما ترى أن النبي صلى الله عليه وآله قد أثر فيه بخلقه العظيم فجعله يفكر في نفسه: إن ملك محمد عظيم وهو من بني عمنا بني عبد مناف وقد عفا عني، فإن أعطاني لي ولأولادي وبني أمية حصة جيدة فأنا حاضر لأن أجامله، وأظهر إيماني بنبوته!

لكن زعماء قريش كان لهم تفكير آخر، فقرروا بسبب ليونة أبي سفيان مع النبي صلى الله عليه وآله أن يستبدلوه برجل صلب، هو سهيل بن عمرو السهمي.

النبي صلى الله عليه وآله يعفو عن أبي سفيان ويأخذه معه إلى حرب حنين!

ودخل النبي صلى الله عليه وآله مكة فاتحا خاشعا لربه، ساجدا على قربوس فرسه، وجمع أئمة الكفر وجنودهم في المسجد، وأعلنهم أسرى حرب عبيدا له، ومن عليهم بالإطلاق لا بالعتق! وعين حاكما على مكة من بني أمية، مع مساعد أنصاري!

أعلن لهم النبي صلى الله عليه وآله أنهم ما داموا شهروا إسلامهم فقد صاروا جزء ملحقا بأمته إلحاقا، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ودعاهم إلى التوجه معه إلى محاربة هوازن التي جمعت لحربه في وادي حنين عند الطائف، فاضطر زعماء قريش وهم سكارى مما حصل، أن يسيروا معه في ألفي مقاتل، والنبي صلى الله عليه وآله في عشرة

آلاف! وفي هذه الغزوة ظهرت نوايا فراعنة قريش كما يسميهم القرآن، فرتبوا عدة محاولات لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله أفشلها الله تعالى!
وكان أول غدرهم أن تآمروا مع هوازن أن ينهزموا من أول مناوشة ليوقعوا الهزيمة بجيش النبي صلى الله عليه وآله! وفعلوا ذلك أمام كمين لهوازن في منحدر وادي حنين، فثبت النبي صلى الله عليه وآله وبنو هاشم، وهرب زعماء قريش مع جنودهم من المعركة، وجلسوا يسخرون من النبي صلى الله عليه وآله ويتباشرون بهزيمته، أو قتله!
قال ابن هشام: ٤ / ٨٩٤: (فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وإن الأزلام لمعه في كنانته! وصرخ جبلة بن الحنبل... ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: أسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن). انتهى.
ومعنى قوله: (وإن الأزلام لمعه في كنانته) أن أبا سفيان كان ما زال وثنيا يحمل أصنامه في جعبته التي ترافقه! وأن سهيل بن عمرو زعيم قريش الجديد، لم ينتقد وثنية أبي سفيان، ولا جبلة الذي ردد مقولة قريش في أن محمدا ساحر، وأن بني عبد المطلب بيت سحر! لكنه مع ذلك يتمنى لهوازن انتصارا محدودا، لا كاسحا، لأنه يفضل حكم قرشي ساحر! على حكم بدوي نجدي من هوازن!
وبعد انتصار النبي صلى الله عليه وآله في حنين، طبق مع زعماء قريش سياسة المؤلفة قلوبهم عسى أن يحسن المال تفكيرهم فيرون الحق! فكانت حصة أبي سفيان وافرة: (فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى النضير بن الحارث بن كلدة بن علقمة أخا بني عبد الدار مائة بعير، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير،

وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير). (تاريخ الطبري: ٢ / ٣٥٨، ونحوه ابن هشام: ٤ / ٩٢٩، وتاريخ اليعقوبي).
ولعل تأثير ذلك على أبي سفيان أنه صار بعدها يخفي أزلامه وتماثيل أصنامه فلا يظهرها مراعاة للمسلمين! وسيأتي ما يرد إضافة معاوية إلى أبيه في العطاء!
شخصية أبي سفيان مسكونة بالمادية!
أبو سفيان كزملائه أئمة المشركين، قرر أن لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله مهما رأى من معجزاته، لأن شخصيته مسكونة بالمادية والجاهلية القرشية! فقد رأى دعاء النبي صلى الله عليه وآله على قريش: (اللهم اشدد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، فتتابعت عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القد والعظام والعلهز). (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ٢٣٣) فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يدعو الله أن يرفع عنهم الجدب! قال: (يا محمد ننشدك الله والرحم لقد أكلنا العلهز يعني الوبر بالدم، فأنزل الله تعالى: ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون! (أسباب النزول للواحدي / ٢١١، والحاكم: ٢ / ٣٩٤ وابن حبان: ٣ / ٢٤٧). (جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد جئت بصلة الرحم وقومك قد هلكوا جوعا فادع الله لهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله لهم فكشف عنهم! يقول الله عز وجل: إنا كاشف العذاب قليلا إنكم عائدون). (الصحيح من السيرة: ٣ / ٢٧٧). ومع ذلك لم يؤمن أبو سفيان وواصل كفره وعدائه للإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله!

* *

ثم بعد أن أسلم تحت السيف في فتح مكة، ودخل النبي صلى الله عليه وآله وأمر بلالا وقت الظهر أن يصعد على سطح الكعبة ويطلق الأذان، فتنغص عيش أبي سفيان ورفقاؤه الذين (أسلموا)! (فقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم

يسمع بهذا اليوم! وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم! وقال الحارث بن هشام: وا ثكلاه ليتني مت قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة! وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث الجلل أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بنية (بناء الكعبة) أبي طلحة! وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطا لله فسيغيره الله! وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئا، لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصاة! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره خبرهم فأقبل حتى وقف عليهم فقال: أما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا، فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله)! (أخبار مكة للأزرقي: ١ / ١٤٢). وفي تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨١: (فقالت بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة)!

وفي أسباب النزول للواحدي / ٢٦٤: (وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء). انتهى. فأبو سفيان يشهد بأن النبي صلى الله عليه وآله يأتيه خبر الغيب ومع ذلك لم يؤمن! لأن ماديته وزملاءه متأصلة كمادية اليهود من أبناء يعقوب وقد قرروا أن لا يؤمنوا بنبوة ابن عبد الله الهاشمي مهما كانت المعجزات!

عزل قريش أبا سفيان من قيادتها!

طيلة حرب قريش مع النبي صلى الله عليه وآله كان عناج أمرها أي قيادتها العامة لأبي سفيان صخر بن حرب، وكان عتبة بن ربيعة شريكه في القيادة حتى قتل في بدر فتفرد أبو سفيان بقيادتها، لكن تصرفه في فتح مكة لم يعجب زعماء قريش، لأنه برأيهم سارع إلى إعلان استسلام قريش وإلقائها السلاح، ولم يفاوض محمدا بقوة، ولم ينتزع لقريش منه امتيازات كما فعل سهيل بن عمرو في الحديبية!

وعندما عين النبي صلى الله عليه وآله حاكما أمويا لمكة مع مساعد أنصاري، اعتبروا أن بني

أمية مالوا مع بني عمهم بني هاشم، فالجميع أبناء عبد مناف!
لذلك اختاروا سهيل بن عمر السهمي الجمحي رجل المفاوضات الصلب مع محمد في الحديبية، زعيما عاما بدل أبي سفيان، وجعلوا عناج أمر قريش اليه فتحول أسيد بن عتاب الأموي حاكم مكة من قبل النبي صلى الله عليه وآله إلى حاكم شكلي وصار الحاكم الفعلي سهيل بن عمرو، الذي ذهب إلى المدينة ليفاوض محمدا صلى الله عليه وآله باسم قريش! فهددهم النبي صلى الله عليه وآله! (راجع آيات الغدير).
* *

وبعد أن خلعت قريش أبا سفيان لم تنسد الطرق أمامه، فذهب إلى المدينة يلتمس من النبي صلى الله عليه وآله مناصب له ولبنيه! فجعله النبي صلى الله عليه وآله واليا على جمع الزكوات (ما بين رمع وزبيد إلى حد نجران). (تاريخ الطبري: ٢ / ٥٣٢). وفي أنساب الأشراف: ٤٣١: (وقوم يقولون: إن النبي ولى أبا سفيان صدقات خولان وبجيلة، واستعمل يزيد بن أبي سفيان على نجران). انتهى.
أبو سفيان يقف مع العترة النبوية ضد أبي بكر وعمر!
كان أبو سفيان يتصور أن نظام الإسلام سيستمر بعد النبي صلى الله عليه وآله بقيادة عترته عليهم السلام وأنهم سيتبعون سياسة النبي صلى الله عليه وآله فيحافظون على بني أمية لقرابتهم منهم، فيبقون بيدهم حكم مكة ويعطونهم مناصب أخرى!
ولم يطلعه سهيل بن عمر وزعماء قريش على خطتهم في عزل عترة النبي صلى الله عليه وآله وأخذ الحكم بعده صلى الله عليه وآله! لذلك كانت ردة فعل أبي سفيان عنيفة عندما دخل المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتفاجأ بالسقيفة وخلافة أبي بكر!
(جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والعباس متوفران على النظر في أمره فنادى:
بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم * وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم * فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرذل بن الرذل، أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلا ورجلا!
فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: إرجع يا أبا سفيان، فوالله ما تريد الله بما تقول، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله وعلى كل امرئ ما اكتسب، وهو ولي ما احتقب)! (الإرشاد: ١ / ١٩٠).
وقد يتعجب الإنسان من هذا الموقف (الشيعي المتشدد) لأبي سفيان! لكنه في واقعه موقف أموي لا إسلام فيه ولا تشيع، فالوحي والإسلام، وأمته، والنص النبوي، والوصية بالخلافة لعلي عليه السلام، كلها لا تعني شيئا عند أبي سفيان، الذي لا يؤمن بالله تعالى ولا بنبي ولا بمعاد!
القضية عنده أن قيادة قريش إنما هي لبني عبد مناف فقط، أي الجد الأعلى لبني هاشم وأمية، فهما أصحاب الحق القبلي في قيادة قريش والعرب!
وهذا (المبدأ القرشي الثابت عنده) الذي لم يمس طوال صراع قريش مع بني هاشم حدث الآن عليه تآمر، ودخل على الخط (أرذل حي في قريش) فاستولى على سلطان محمد! والواجب على بني عبد مناف أن لا يسمحوا بالتعدي عليهم!
لذلك صاح في بني هاشم لأن أمر النبي صلى الله عليه وآله أمرهم! وعندما زجره علي عليه السلام أخذ يصرخ في أزقة المدينة! ويقول كما في الطبري: ٢ / ٤٤٩: (ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا... والله إني لأرى عجاجة لا يطفؤها إلا دم! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟! أين المستضعفان، أين الأذلان علي والعباس؟! وقال: يا أبا حسن، أبسط يدك حتى

أبايعك، فأبى علي عليه، فجعل يتمثل بشعر المتلمس:
ولن يقيم على خسف يراد به * إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته * وذا يشج فلا يبكى له أحد
قال فزجره علي وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طال ما بغيت الإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك). انتهى. ومعناه: أن الجمل ذليل لأنه يذبح و يعلق معكوسا ويقصب، والوتد ذليل لأنه يدق فلا يبكي له أحد!
وقد روت ذلك مصادر عديدة، مثل: (أنساب الأشراف للبلاذري / ٤٧٩، والسقيفة وفدك للجوهري / ٤٠، وص ٦٦، وشرح النهج: ٢ / ٤٥،, وكنز العمال: ٥ / ٦٥٣، و ٦٥٧، و: ٢٣ / ٤٦٥، والاستيعاب: ٣ / ٩٧٤ وطبعة أخرى / ٧٠٤، والرياض النضرة: ٢ / ١٧٨، وطبعة أخرى / ١٥١، والصواعق المحرقة: ١ / ١٨١، ونهاية الإرب / ٤٠٣١، وسمت النجوم العوالي / ٦٣٥).
وقد خفف الطبري وغيره من الرواية! ففي الإرشاد للمفيد رحمه الله: ١ / ١٩٠: (جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والعباس متوفران على النظر في أمره، فنادى:
بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم * وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم * فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرذل بن الرذل، أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلا ورجلا! فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: إرجع يا أبا سفيان، فوالله ما تريد الله بما تقول، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله وعلى كل امرئ ما اكتسب وهو ولي ما احتقب)! انتهى. وقد كذب رواة الخلافة على علي عليه السلام وأضافوا في جوابه قوله: لقد ارتضينا أبا بكر! وفي مصنف عبد الرزاق: ٥ / ٤٥١: (إنا رأينا أبا بكر لها أهلا) وهو افتراء على علي عليه السلام!

وسرعان ما ظهر رأي علي عليه السلام وانكشفت نية أبي سفيان وأنه يريد دفع بني هاشم والأنصار إلى إعلان الحرب على قريش ويدفعوهم إلى إعلان الردة عن الإسلام! ولا يقصد إلا دنيا ينالها هو وأولاده فقط! ففي العقد الفريد: ص ١٠٠٥: (فلما قدم المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول: بني هاشم.. إلى آخر الأبيات... فقال عمر لأبي بكر: إن هذا قد قدم وهو فاعل شرا، وقد كان النبي (ص) يستألفه على الإسلام، فدع له ما بيده من الصدقة ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه). انتهى.

لكن أبا سفيان لم يكن ليقنع بهذه الجبنة الصغيرة ثمنا لسكوته وبيعته، بل يريد تولية أولاده مناصب كبيرة في دولة بني تيم وعدي! فعينوا ابنه عتبة واليا على الطائف، وابنه يزيدا على فتح الشام، وهو منصب مهم جعل أبا سفيان يقضي أكثر وقته في الشام!

أبو سفيان يستقوي بعمر على أبي بكر!

قال الطبري في تاريخه: ٢ / ٥٨٦: (فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص (وهو أموي شيعي) ثم عزله قبل أن يسيره، وولى يزيد بن أبي سفيان، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام). انتهى.

أقول: خالد بن سعيد بن العاص الأموي من أوائل المسلمين، والقادة الشجعان وحياته غنية تستحق دراسة خاصة. والسبب في عزله وتعيين ابن أبي سفيان بدله إصرار عمر على أبي بكر، لأن خالدا وإخوته أبانا وعمروا كانوا من أشد المخالفين للسقيفة، وكان خالد أول الاثني عشر من شخصيات المهاجرين والأنصار الذين خطبوا في المسجد يوم الجمعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأدانوا عمل عمر والطلقاء في السقيفة ومخالفتهم لوصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام! وقد أجابه عمر فوبخه خالد وأسكته! وحديثه طويل نأخذ منه قول خالد الذي رواه في الإحتجاج:

١ / ٩٧، قال: (فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين، ثم بعدهم الأنصار.... فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها، ومودعكم أمرا فاحفظوه: ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم أشراركم! ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري، والعالمون لأمر أمتي من بعدي اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيبا من مرافقتي يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض!

فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة، ولا ممن يقتدى برأيه! فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسبا، وأدناها منصبا، وأخسها قدرا، وأخملها ذكرا، وأقلهم غناءا عن الله ورسوله، وإنك لجبان في الحروب، بخيل بالمال، لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر! وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين! فأبلس عمر! وجلس خالد). الخ.

وفي أسد الغابة: ٢ / ٨٣: (وبعثه رسول الله (ص) عاملا على صدقات اليمن وقيل

على صدقات مذحج وعلى صنعاء، فتوفى النبي (ص) وهو عليها، ولم يزل خالد وأخواه عمرو وأبان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول الله (ص) حتى توفي رسول الله (ص) فلما توفي رجعوا عن أعمالهم فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة (زعيم أموي غني) لا نعمل لأحد بعد رسول الله (ص) أبدا وكان خالد على اليمن كما ذكرناه وأبان على البحرين وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية، وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبوا الثمر، ونحن تبع لكم! فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان، ثم استعمل أبو بكر خالدا على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام فقتل بمرج الصفر). انتهى. وفي الإستيعاب: ٢ / ٤٢٢: (ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعا). انتهى. وكان لهم أدوار قيادية مهمة في فتح الشام، وقتلهم مشكوك، كقتل معاذ وبلال وجماعته!

مهما يكن، فقد أطاع أبو بكر عمر وعزل خالد بن سعيد عن القيادة العامة، وأعطاها ليزيد بن أبي سفيان فاطمأن أبو سفيان إلى حصة بني أمية ومستقبلهم، وتخلى عن الصراخ لظلامة بني عمه بني هاشم، فلم تسمع له حرفا في ذلك! ولم يحرك ساكنا وهو يرى هجوم بني تيم وعدي على بيت علي وفاطمة عليهما السلام وإشعالهم في بابه الحطب وتهديدهم بإحراقه عليهم إن لم يبايعوا! ذلك أن شعار ظلامة بني عبد مناف عند أبي سفيان شعار للكسب الدنيوي، وقد حصل!

لقد كان أبو سفيان في مكة أكثر غيرة منه اليوم! فقد دفعته بقايا فطرته القبلية الإنسانية يوما للثأر لفاطمة الزهراء عليها السلام! لكنها خمدت أيام السقيفة!

قال البلاذري في أنساب الأشراف ١١٠١: (ولطم أبو جهل فاطمة بنت رسول

الله (ص) فرأت أبا سفيان فشكت إليه، فرجع معها إليه وقال: ألطميه قبحه الله فلطمته! فقال: أدركتكم المنافية يا أبا سفيان)! انتهى.

وهكذا انسجم أبو سفيان مع خلافة أبي بكر وعمر لأنهما فتحا عليه باب الدنيا، ونشط مع أولاده لتثبيت نفوذهم في المناصب التي بأيديهم، وأعينهم طامحة إلى الخلافة، فهي حق طبيعي لهم برأيهم بعد أن سلبت من بني عمهم بني هاشم، فيجب عليهم استعادتها من تيم وعدي، أرذل حيين في قريش حسب تعبيره!

وأخيرا قرت عيون أبي سفيان بسيطرته على خلافة النبي صلى الله عليه وآله!

وعاش أبو سفيان حتى قرت عيناه العمياوان! فقد رأى قيادة قريش وكل أمة محمد صلى الله عليه وآله تقع في يد بني أمية! وبذلك انتهت برأيه فترة النشاز السوداء من زعامة القبائل الصغيرة الرذلة وهي ثلاث فترات: زعامة بني سهم بشخص سهيل بن عمرو في مكة، وبني تيم وعدي بشخصي أبي بكر وعمر في المدينة!

أما زعامة بني هاشم بشخص النبي صلى الله عليه وآله فموقف أبي سفيان منها معروف، لكنه يسكت عنها لأنها جاءت لقريش بدولة وفتوحات!

ولا بد أن نعرف ماذا أو من الذي استطاع أن يقنع عمر أن يوصي بالخلافة إلى بني أمية هل هي فكرة من عنده، أم هو أبو سفيان، أم حلفاؤه المحبون أحبار اليهود، فقد عهد عمر بالخلافة شكليا إلى ستة: علي عليه السلام من بني هاشم، وعثمان من بني أمية، وابن عوف وابن وقاص من بني زهرة، وطلحة من بني عدي، والزبير من بني أسد عبد العزى. لكنه أراد أن يضمنها لبني أمية مئة بالمئة، فأعطى حق النقض لابن عوف، وهو لا يتقدم على عثمان، لأن عثمان أموي وهو زهري، وعثمان أكبر منه سنا، وهو صهر عثمان، فزوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان من أمه!

وقد بلغ فرح أبي سفيان بخلافة عثمان حدا أفقده توازنه! ولعله لم ينم ليلته تلك من شدة فرحه، فقد صار عثمان الأموي رئيس دولة محمد الهاشمي! وكثرت فلتات لسان أبي سفيان! فما أن تمت البيعة لعثمان حتى دخل إلى بيته ودخل إليه بنو أمية (حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم، قالوا: لا، قال: يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة! قال: فانتهره عثمان، وساءه بما قال، وأمر بإخراجه! قال الشعبي: فدخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان فقال له: ما صنعت؟! فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر فتحمد الله وتثني عليه، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعد الناس خيرا. قال: فخرج عثمان، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هذا مقام لم نكن نقومه، ولم نعد له من الكلام الذي يقام به في مثله، وسأهيئ ذلك إن شاء الله، ولن آلو أمة محمدا خيرا، والله المستعان). (تاريخ أبي الفداء / ٣٤٩). وقال أبو الفرج في الأغاني: ٦ / ٣٧١: (ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها). انتهى.

وتدلك هذه النصوص على أن أبا سفيان قال أكثر من هذا الكفر، في بيت عثمان، أو في دار الخلافة، وربما في المسجد النبوي!

ومن الطبيعي لعثمان بحكم كونه خليفة النبي صلى الله عليه وآله أن يستنكر كفر أبي سفيان، ويمنعه من التواجد في مجلسه خوفا من فضيحة كلامه! لكن أبا سفيان لا يهمه ذلك، فهو يعتبر عثمان وخلافته له! فانظر إلى موقفه اليهودي العجيب الذي نقله البلاذري في أنساب الأشراف / ١١٠٥، قال: (وحجب عثمان أبا سفيان فقيل له: حجبك أمير المؤمنين فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب)! انتهى.

كما سجل المسعودي في مروج الذهب: ١ / ٥٨٦، ردة فعل الصحابة المؤمنين على كفر أبي سفيان، قال: (وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم.... ونمي هذا القول إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام، فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله ها هنا مرة وها هنا مرة! فما أنا بآمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله! وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم! فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟! فقال: إني والله لأحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش وإنما تطولهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله بعده من أيديهم! أما ولأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي يوم بدر! وجرى بينهم من الكلام خطب طويل، قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار). انتهى.

إذا امتلأ القلب بالكفر فاض على اللسان!

تواترت الروايات في مصادر السنة والشيعة أن قلب أبي سفيان كان ممتلئا فكان يفقد السيطرة أحيانا فتخرج منه كلمات الكفر الخبيثة الكامنة في قلبه!

قال ابن عباس: (والله ما كان إلا منافقا! قال: ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد كف بصره، وفينا علي عليه السلام، فأذن المؤذن فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو سفيان: ها هنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا فقال: لله در

أخي بني هاشم أنظروا أين وضع اسمه! فقال علي عليه السلام: أسخن الله عينيك يا أبا سفيان، الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: ورفعنا لك ذكرك. فقال أبو سفيان: أسخن الله عين من قال لي: ليس هاهنا من يحتشم). (قصص الأنبياء للراوندي / ٢٩٣).
وفي جمهرة الأمثال / ٤٢٣ والسقيفة / ٣٩: (أن أبا سفيان قال لما بويع عثمان: كان هذا الأمر في تيم، وأنى لتيم وهذا الأمر، ثم صار إلى عدي فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها واستقر الأمر قراره! فتلقفوها تلقف الكرة)!
وفي الغدير: ٨ / ٢٧٨: (إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار! فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل). (الإستيعاب: ٢ / ٦٩٠). وفي تاريخ الطبري: ١١ / ٣٥٧: (يا بني عبد مناف! تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة)! (مروج الذهب: ١ / ٤٤٠). انتهى.
وفي تذكرة ابن حمدون / ٢٠٨٨: (وروي أن أبا سفيان دخل على عثمان. فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا، فقال: يا عثمان إن الأمر أمر عالمية؟ والملك ملك جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية. وروي أنه دخل عليه فقال له: إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها تلقف الكرة، فو الله ما من جنة ولا نار، هذا أو نحوه. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل). (وروى الأول منه ابن عساكر: ٦ / ٤٠٧).
هذا، ولا يمكن لمحبي أبي سفيان وولده معاوية إنكار هذه المقولات الخبيثة المتواترة عنه بالمعنى! (راجع أيضا: تاريخ الطبري: ٨ / ١٨٥، وفائق الزمخشري: ٢ / ٨٨، وتاريخ أبي الفداء: ١ / ٣٥٠، والسقيفة للجوهري / ٨٧، والأغاني / ١٥٠٨، وشرح النهج: ٩ / ٥٣ و: ١٥ / ١٧٥، وسبل الهدى: ١٠ / ٩١، ونفحات الأزهار: ٣ / ١٣، وعين العبرة / ٥٥، وخلاصة عبقات الأنوار: ٣ / ١٣).

أبو سفيان منتصرا.. ينفث كفره ويركل قبر حمزة رحمه الله برجله!
كانت معركة أحد أكبر انتصار حققته قريش المشركة على النبي صلى الله عليه وآله، وكان أهم إنجاز لها قتلها حمزة سيد الشهداء عم النبي صلى الله عليه وآله، في سبعين صحابيا.
لذلك بقيت لأحد في نفس أبي سفيان وهند نكهة خاصة، تثير فيهما زهو النصر وذكرياته! كما بقي لها في نفس النبي وعترته صلى الله عليه وآله وقع الاستشهاد في سبيل الله، والمأساة والدمعة! وقد ركز النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، في عقيدة المسلمين ومشاعرهم مكانة حمزة ورفقائه شهداء أحد رضوان الله عليه وعليهم، بصلاته الخاصة على حمزة، وإقامة مجالس النوح والبكاء عليه لعدة أيام، وحث المسلمين على زيارة قبره، والتزام النبي وأهل بيته بها.
وقد سجل التاريخ ما فعله أبو سفيان في جثمان حمزة يوم أحد: (فوقف على جثمان حمزة وأخذ يدق فمه بالرمح ويقول: ذق عقق، ذق عقق). أي ذق يا عاق قومه القرشيين باتباعه النبي صلى الله عليه وآله! (سيرة ابن هشام: ٣ / ٦٠٨ و: ٤ / ٤٢، وتاريخ الطبري: ٢ / ٢٠٦).
وفي النهاية لابن الأثير: ٢ / ١٧٢: (أي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك دينك الذي كنت عليه يا عاق قومه، جعل إسلامه عقوقا). (وغريب الحديث للحربي: ١ / ٤٤، ولسان العرب: ١٠ / ٢٥٧، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري: ٢ / ٨٤، والعين للخليل: ١ / ٦٤، وفصل الحاكم لمعمر بن عقيل / ٢٢٨، والأغاني: ١٥ / ١٩٤، وجمهرة الأمثال أبي الهلال العسكري: ١ / ١٢٤).
وقد تقدم ما فعلته هند في جثمان حمزة وأنها شقت بطنه وكبده ولاكت قطعة منها، وقطعت آرابه ومذاكيره فجعلتها حليا لها! (معمر بن عقيل / ٢٢٧).
* *
أما بعد انتصار النبي صلى الله عليه وآله وإعلان أبي سفيان وهند (دخولهما) في الإسلام وسكناهما في المدينة كالمسلمين، فلم يختلف الأمر في قلبيهما، ولا في قولهما ولا في فعلهما، إلا ما يفرضه عليهما الجو، ويخشيان منه ردة فعل المسلمين!

ولم يرووا ذهاب آكلة الأكباد إلى قبر حمزة للتشفي، وما كانت تقوله وتفعله!
لكنهم رووا عن أبي سفيان في أواخر خلافة عثمان وكان عمره ٩٣ (أنساب الأشرف / ١١١٠٥) مشهدا خبيثا من مشاهد التشفي! فقد طلب أن يقودوه إلى قبر حمزة حتى إذا لمسه بيده، ركله برجله وقال: (يا أبا عمارة! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه أمس صار في يد غلماننا يتلعبون به)! (شرح النهج: ٤ / ٥١)
وفي النزاع والتخاصم لمعمر بن عقيل / ٢٢٧: (ركل قبر حمزة برجله اقتداء بإبليس في ركله جسد آدم عليه السلام، ونرى أن أبا سفيان أراد بمخاطبته حمزة بقوله: إن الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، مقابلة خطاب رسول الله (ص) لأصحاب قليب بدر بقوله: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فإنا وجدنا ما وعد ربنا حقا)! انتهى. فلا تستبعد أبدا أن يكون أبو سفيان وقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال له شبيها بقوله لحمزة؟!!

حكم النبي صلى الله عليه وآله في أبي سفيان ومعاوية وبني أمية

في نفس الوقت الذي تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع أبي سفيان بسمو أخلاقه، وبالمداراة التي أمره بها ربه بها، سجل موقفه الشرعي من عدوه العنيد ورئيس أئمة الكفر، في عدة مناسبات، منها أحاديثه في تفسير قوله تعالى: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. (الاسراء: ٦٠).
وآيات أخرى فسرها النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى بيهود هذه الأمة بني أمية وحذر منهم أمته، في مناسبات عديدة!
ومن ذلك لعنه الصريح لأبي سفيان! الذي رواه حتى المتعصبون كالبخاري،

ثم حاولوا إبطاله وتخطئة النبي صلى الله عليه وآله لأنه بزعمهم لعن من لا يستحق اللعن، وآذى من لا يستحق الأذى! وفي هذا الموضوع حقائق عجيبة، استوفينا بعضها في كتاب: تدوين القرآن، وكتاب ألف سؤال وإشكال، والعقائد الإسلامية.
وقد ثبت عند الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله أدخل أبا سفيان وأولاده وزعماء قريش في المؤلفة قلوبهم وكان يعطيهم من هذا السهم، وهو دليل على أنهم لم يؤمنوا! وسيأتي حكمه صلى الله عليه وآله بأن كل طلقاء قريش وعتقاء ثقيف دائرة وحيز ملحق بأمته إلحاقا، وليسوا من صلبها، وحديثه صحيح عندهم!
ونختم بحديث رواه الراوندي في قصص الأنبياء / ٢٩٣ عن الصدوق بإسناده عن ابن عباس قال: (دخل أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وآله يوما فقال: يا رسول الله أريد أن أسألك عن شئ فقال صلى الله عليه وآله: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني؟ قال: إفعل، قال: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري؟ فقال: نعم يا رسول الله فقال: إني أعيش ثلاثا وستين سنه، فقال: أشهد أنك صادق. فقال صلى الله عليه وآله: بلسانك دون قلبك)! انتهى.
وهو حديث يدل على أن أبا سفيان كان يحسب ويخطط لما بعد النبي صلى الله عليه وآله، والمرجح عندي أن حاخامات اليهود كلفوه بهذا السؤال!
من تحذيرات الله ورسوله صلى الله عليه وآله من بني أمية!
تقدم في بحث السنن الإلهية في الهداية والضلال، بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وآله عن الشجرة الأموية الملعونة (وخلفائها) القردة المضلين!
وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أن بني أمية سيحكمون ألف شهر ثم ينتهون بأشخاصهم، لكن خطهم يبقى حاكما وتبقى العترة النبوية مضطهدة، حتى يخرج السفياني من الأمويين، ويظهر الإمام المهدي عليه السلام!
كما ورد في تفسير قوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر، وقوله تعالى: إنا أنزلناه في

ليلة القدر، وقوله تعالى: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، أحاديث حاسمة في ذم بني أمية، والتحذير من شرهم:
ففي مسند أحمد: ٢ / ٣٨٥، عن أبي هريرة: (سمعت رسول الله (ص) يقول: ليرتقين جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا).
وفي مجمع الزوائد: ٥ / ٢٤٣: (عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) رأى في منامه كأن بني الحكم ينزون على منبره وينزلون! فأصبح كالمتغيظ فقال: ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة؟! قال: فما رؤي رسول الله مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات (ص)! رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة). انتهى.
وفي مجمع الزوائد: ٥ / ٢٤٠: (عن عبد الله بن عمرو قال كنا جلوسا عند النبي (ص) وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني، فقال ونحن عنده: ليدخلن عليكم رجل لعين! فوالله ما زلت وجلا أتشوف خارجا وداخلا حتى دخل فلان يعني الحكم. رواه أحمد والبزار، إلا أنه قال دخل الحكم بن أبي العاص، والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح).
وفي معجم الطبراني الكبير: ٣ / ٩٠ عن الحسن بن علي رضي الله عنه لمن اعترض على صلحه مع معاوية: (رحمك الله فإن رسول الله قد أري بني أمية يخطبون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك، فنزلت هذه الآية: إنا أعطيناك الكوثر، نهر في الجنة: ونزلت: إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تملكه بني أمية! قال القاسم: فحسبنا ذلك فإذا هو ألف، لا يزيد ولا ينقص). انتهى.
(ورواه البيهقي في فضائل الأوقات / ٢١١، والترمذي: ٥ / ١١٥، والحاكم في المستدرك: ٣ / ١٧٠، وصححه، وروى أحاديث أخرى في: ٣ / ١٧٥، و ٤: / ٧٤)!

وفي فتح الباري: ٨ / ٢٨٧: (عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار)؟ فقال من هم؟ قال: هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية، أخوالي وأعمامك! فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين)! ثم أورد حديث علي عليه السلام وقال: (وهو عند عبد الرزاق أيضا، والنسائي، وصححه الحاكم). انتهى.

ويقصد عمر بقوله: (فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر) بني مخزوم ورئيسهم أبا جهل، وكانت حنتمة أم عمر تنسب إليهم، وكان خالد بن الوليد لا يقبل ذلك.

ويشير عمر باستئصالهم إلى قوله تعالى: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين. ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم). (آل عمران: ١٢١ - ١٢٩). لكن معنى الآية أن الإرادة الإلهية أن يمهل بعض قبائل قريش، ويقطع طرفا منهم بقتل زعمائهم واستئصالهم سياسيا، وإخراجهم من ساحة الصراع مع الإسلام! لذلك لم نر لهم أي دور مهم في التاريخ! وهم: بنو عبد الدار، الذين كانوا فرسان قريش وأصحاب حربها، وقد قتل علي عليه السلام منهم في بدر وأحد، بضعة عشر فارسا كلهم أبطال حملة راية قريش!

وبنو المغيرة، العائلة المالكة في بني مخزوم، وقد إنطفؤا بعد مقتل أبي جهل في بدر، وبرز منهم عسكري واحد فقط هو خالد بن الوليد!

وقال في فتح الباري: ٧ / ٢٣٥: (وعند عبد بن حميد في التفسير من طريق أبي الطفيل، قال: قال عبد الله بن الكواء لعلي رضي الله عنه: من الذين بدلوا نعمة الله كفرا؟ قال: هم الأفجران من قريش: بنو أمية وبنو مخزوم، قد كبتهم يوم بدر! وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن علي نحوه، لكن فيه: فأما بنو مخزوم فقطع

الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين).
* *

أما مصادرنا، فروت تأكيد النبي وآله صلى الله عليه وآله على أن كل قريش مسؤولة عن تبديل نعمة الله كفرا، وليس بني المغيرة المخزوميين وبني أمية فقط! قال الإمام الصادق عليه السلام لأحدهم: (ما تقولون في ذلك؟ فقال: نقول: هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة. فقال عليه السلام: بل هي قريش قاطبة، إن الله خاطب نبيه فقال: إني قد فضلت قريشا على العرب وأتممت عليهم نعمتي، وبعثت إليهم رسولا فبدلوا نعمتي، وكذبوا رسولي). انتهى. (تفسير العياشي: ٢ / ٢٢٩).
وفي الكافي: ٨ / ٣٤٥، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوما كئيبا حزينا؟ فقال له: علي عليه السلام مالي أراك يا رسول الله كئيبا حزينا؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عدي وبني أمية يصعدون منبري هذا يردون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت: يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك)!
وفي الصحيفة السجادية / ١٣: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا متوكل كيف قال لك يحيى: ابن عمي محمد بن على وابنه جعفرا دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت؟! قلت: نعم أصلحك الله قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك. فقال: يرحم الله يحيى، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالا ينزون على منبره نزو القردة، يردون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا! يعني بني أمية! قال: يا جبريل على عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا، ولكن تدور

رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرا، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا، ثم لابد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة! قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر، يملكها بنو أمية فيها ليلة القدر. قال: فأطلع الله عز وجل نبيه عليه السلام أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت بغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقى أهل بيت محمد عليهم السلام وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم. قال: وأنزل الله تعالى فيهم: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار. ونعمة الله محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله حبهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول الله ذلك إلى على وأهل بيته). انتهى.

* *

أما تحذيرات أمير المؤمنين عليه السلام من خطر بني أمية فقد تتابعت وكان يذكر بها الأمة ويقرع بها آذان معاصريه والأجيال، شارحا لهم آيات الله تعالى، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله، وفيما يلي نماذج منها:

(١)

قال عليه السلام: (والله لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلا أئمة ضلال من قريش يصعدون منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وينزلون على صورة القرود يردون أمته على أدبارهم عن الصراط المستقيم. قد خبرني بأسمائهم رجلا رجلا وكم يملك كل واحد منهم واحد بعد واحد. عشرة منهم من بني أمية ورجلان من حيين مختلفين من قريش... وسمعته يقول: إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلا جعلوا كتاب الله دخلا وعباد الله خولا ومال الله دولا). (كتاب سليم بن قيس / ٣٠٣)

(٢)
وقال عليه السلام: (ألا إن أخوف الفتن عليكم من بعدي فتنة بني أمية! إنها فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة عمت فتنتها وخصت بليتها. أصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. أهل باطلها ظاهرون على أهل حقها، يملؤون الأرض بدعا وظلما وجورا. وأول من يضع جبروتها ويكسر عمودها، وينزع أوتادها الله رب العالمين وقاصم الجبارين.
ألا إنكم ستجدون بني أمية أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس تعض بفيها وتخبط بيديها وتضرب برجليها وتمنع درها. وأيم الله، لا تزال فتنتهم حتى لا تكون نصرة أحدكم لنفسه إلا كنصرة العبد السوء لسيده، إذا غاب سبه وإذا حضر أطاعه.
وأيم الله لو شردوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم.
فقال الرجل: فهل من جماعة يا أمير المؤمنين بعد ذلك؟ قال عليه السلام: إنها ستكون جماعة شتى، عطاؤكم وحجكم وأسفاركم واحد والقلوب مختلفة. قال واحد: كيف تختلف القلوب؟ قال عليه السلام: هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: يقتل هذا هذا، وهذا هذا هرجا هرجا، ويبقى طغام جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى. نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة.
قال: فما أصنع في ذلك الزمان يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: أنظروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا وإن استنصروكم فانصروهم تنصروا وتعذروا، فإنهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدعوكم إلى ردى، ولا تسبقوهم بالتقدم فيصرعكم البلاء، وتشمت بكم الأعداء. قال: فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: يفرج الله البلاء برجل من بيتي كانفراج الأديم من بيته، يسومهم خسفا ويسقيهم بكأس مصبرة ولا يعطيهم ولا يقبل منهم إلا السيف، هرجا هرجا، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى تود قريش بالدنيا وما فيها أن يروني مقاما واحدا فأعطيهم وآخذ منهم بعض ما قد منعوني، وأقبل منهم بعض ما يرد عليهم حتى يقولوا: ما هذا من قريش،

لو كان هذا من قريش ومن ولد فاطمة لرحمنا! يغريه الله ببني أمية فيجعلهم تحت قدميه ويطحنهم طحن الرحى. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا). (كتاب سليم بن قيس / ٢٥٧)

(٣)

وقال عليه السلام في إحدى خطبه: (أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها! فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا ويموت منهم موتا.

ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين. وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق، وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون معه أيام البلاء عليكم، حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم. إن الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت. ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات. يحمن حول الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا. ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس، تعذم بفيها وتخبط بيدها، وتزبن برجلها وتمنع درها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم، أو غير ضائر بهم! ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه)! (نهج البلاغة: ١ / ١٨٢)

(٤)

وقال عليه السلام: (والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما إلا استحلوه ولا عقدا إلا حلوه! وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه. وحتى تكون نصرة أحدكم من

أحدهم كنصرة العبد من سيده. إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه. وحتى يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظنا. فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا فإن العاقبة للمتقين). (نهج البلاغة: ١ / ١٩٠)

(٥)

ومن جواب له عليه السلام إلى معاوية: (أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر، أو داعي مسدده إلى النضال.

وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله وإن نقص لم تلحقك ثلمته! وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟! وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم! هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها. ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر! وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد! ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه؟ أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء ولستم هناك! وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي صلى الله عليه وآله ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة

الحطب، في كثير مما لنا وعليكم!
فإسلامنا قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وقوله تعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين. فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم! فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم!
وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.
وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه. وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها!
ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمن بذل له نصرته فاستقعده وأستكفه، أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه. كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا.
وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له، وقد يستفيد الظنة المتنصح. وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت.
وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيوف مخوفين! لبث قليلا يلحق الهيجا حمل، فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل نحوك في

جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك! وما هي من الظالمين ببعيد). (نهج البلاغة: ٣ / ٣٠) "

(٦)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله، ثم قال: أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر إلا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الأمم إلا بعد أزل وبلاء.

أيها الناس: في دون ما استقبلتم من عطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ذي ناظر عين ببصير! فيا عجبا وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وكل امرئ منهم إمام نفسه، آخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات وأسباب محكمات، فلا يزالون بجور ولن يزدادوا إلا خطأ، لا ينالون تقربا ولن يزدادوا إلا بعدا من الله عز وجل....

أيها الناس: إن المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير، ولو لم تتخاذلوا عن مر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم وعلى هضم الطاعة وإزوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السلام! ولعمري ليضاعفن عليكم التيه من بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل! ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدة سلطان بني أمية لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضلالة وأحييتم الباطل، وخلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله صلى الله عليه وآله! ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم، لدنا التمحيص للجزاء، وقرب

الوعد وانقضت المدة، وبدا لكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق، ولاح لكم القمر المنير، فإذا كان ذلك فراجعوا التوبة، واعلموا أنكم إن اتبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه وآله فتداويتم من العمى والصمم والبكم، وكفيتم مؤونة الطلب والتعسف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق، ولا يبعد الله إلا من أبى وظلم واعتسف وأخذ ما ليس له. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). (الكافي: ٨ / ٦٣)

(٧)

وختاما، في الكافي: ٨ / ٥٨ في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام بسند صحيح قال: (ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكن واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وإن غدا حساب ولا عمل.

وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجال رجالا! ألا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معا! فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شئ قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكرا! ثم تشتد البلية وتسبى الذرية، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحى بثفالها، ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة). انتهى.

الفصل الثاني
الهوية الشخصية لمعاوية

كان يأكل في اليوم سبع مرات، ويقعد بطنه على فخذيه!
قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه! ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة وأما البراءة فلا تتبرأوا مني، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة).
وقال ابن أبي الحديد في شرحه: ٤ / ٥٤: (والأشبه عندي أنه عنى معاوية لأنه كان موصوفا بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطينا يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، وكان معاوية جوادا بالمال والصلات وبخيلا على الطعام. يقال إنه مازح أعرابيا على طعامه وقد قدم بين يديه خروف، فأمعن الأعرابي في أكله فقال له: ما ذنبه إليك، أنطحك أبوه؟! فقال الأعرابي: وما حنوك عليه؟ أأرضعتك أمه؟!
كان معاوية يأكل فيكثر ثم يقول: إرفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت)!
وقال العلامة الحلي رحمه الله في نهج الحق / ٣٠٧: (وروى مسلم في الصحيح عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله فتواريت خلف باب قال: فحطأني حطأة وقال: إذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت: هو يأكل، ثم قال: إذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل! فقال: لا أشبع الله بطنه!
قال ابن المثنى: قلت لأمية: ما حطأني؟ قال: فقدني فقدة. فلو لم يكن عنده معاوية من أشد المنافقين لما دعا عليه، لأنه كما وصفه الله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم، وقال في حقه: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فلعلك باخع نفسك على آثارهم. ومن يقارب قتل نفسه على الكفار كيف يدعو على مسلم عنده؟
وقال الله تعالى: إن تستغفر لهم سبعين مرة، فقال صلى الله عليه وآله والله لأزيدن على السبعين. وقد ورد في تفسير: وإنك لعلى خلق عظيم: أن النبي صلى الله عليه وآله كلما آذاه الكفار من

قومه قال: اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون، فلو لم يكن عنده منافقا لكان يدعو له ولا يدعو عليه؟! وكيف جاز لمعاوية أن يعتذر بالأكل مع أنه صلى الله عليه وآله قال: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله وولده). انتهى.
أقول: جاء كلام العلامة رحمه الله على مبناهم في صحة الحديث، وإلا فالصحيح هو قول أبي ذر رحمه الله لمعاوية: (لعنك رسول الله ودعا عليك مرات أن لا تشبع).
(الغدير: ٨ / ٣٠٥، والانتصار: ٨ / ١٩١، وموسوعة شهادة المعصومين: ٢ / ٨٠، وشرح النهج: ٨ / ٢٥٧).
هذا، وقد صار نهم معاوية مثلا عند الناس ذكرته مصادر اللغة والأدب!
ففي الأمثال للميداني: ١ / ٧٦: (ويقولون: آلف من الحمى وآكل من معاوية ومن الرحى. وقال الشاعر: وصاحب لي بطنه كالهاوية * كأن في أمعائه معاوية
وقال آخر: كأنما في جوفها ابن صخر * ومعدة هاضمة للصخر
وفي التدوين في أخبار قزوين: ٢ / ٨٥: (اختار أبو تمام من شعر المتقدمين في الحماسة المشهورة، فقال خلال الرسالة: كان بقزوين رجل يعرف بأبي محمد الضرير القزويني، حضر طعاما وإلى جنبه رجل أكول، فأحس أبو محمد جودة أكله فقال: وصاحب لي بطنه كالهاوية * كأن في أمعائه معاوية. ثم قال أبو الحسين: أنظر إلى وجازة هذا اللفظ وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية)!
وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي: ١ / ٤٩١: (وهذا البيت قد ذكره الثعالبي في اليتيمة واستجاده وجازه لفظه، ووقوع الأمعاء إلى جنب معاوية مزية ثالثة وهي: كون الذي أنشد فيه من نسل معاوية)! انتهى.
وقد اتفقوا على أن شحم بطن معاوية تعاظم فلم يستطع القيام فكان يخطب قاعدا (ابن أبي شيبة: ٢ / ٢٣، وفتح الباري: ٢ / ٣٣٣ وعون المعبود: ٣ / ٣١٠، والأم: ١ / ٢٢٩، وسبل السلام: ٢ / ٤٧).
جعلوا دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليه أن لا يشبع فضيلة ومنقبة!
تحايل أتباع معاوية ومنهم ابن كثير، على دعاء النبي صلى الله عليه وآله على معاوية أن

لا يشبع الله بطنه كل عمره، فجعلوه فضيلة ومنقبة! قال ابن كثير في النهاية: ٦ / ١٨٩: (قلت: وقد كان معاوية رضي الله عنه لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته، فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاما بلحم، وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيا)! وقال في النهاية: ٨ / ١٢٨: (فما شبع بعدها، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميرا كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا! وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك!!

وأما في الآخرة، فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة أن رسول الله (ص) قال: اللهم إنما أنا بشر، فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا، فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة! فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك). انتهى. وختم ابن كثير بقوله: ٨ / ١٤١: (أول من خطب جالسا معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه). انتهى.

أقول: وهذا أيضا من تحايلهم لتخليص الملعونين على لسان النبي صلى الله عليه وآله وجعل اللعن فضيلة لهم! حتى لو كان ثمن ذلك الطعن في النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى واتهامه بأنه كان يؤذي ويلعن من لا يستحقون ذلك! وقد بحثنا ذلك في كتاب تدوين القرآن، وكتاب ألف سؤال وإشكال.

ثم أورد ابن كثير أحاديث موضوعة في فضائل معاوية، وانتقد بعضها ومال إلى تصحيح البعض، مع أنه يعرف أن الحفاظ اتفقوا على أنه لم يصح حديث

نبوي في فضل معاوية، إلا الدعاء عليه بعدم الشبع، وأن كل ما عداه موضوع!
ثم، ماذا يصنعون بالحديث الذي ينفي الإيمان عن هذا النوع المنهوم من الناس؟ فقد روى البخاري: ٦ / ٢٠١، عن ابن عمر أنه قال: (إن رسول الله (ص) قال: إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء! فقال: فأنا أؤمن بالله ورسوله). وعن أبي هريرة أن رجلا كان يأكل أكلا كثيرا فأسلم فكان يأكل أكلا قليلا، فذكر ذلك للنبي (ص) فقال: إن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء). (ونحوه مسلم: ٦ / ١٣٣، والموطأ: ٢ / ٩٢٤، وأحمد: ٢ / ٣١٨. والكافي: ٦ / ٢٦٩ والخصال / ٣٥١).
وكانت عجيزة معاوية كبطنه.. مضرب المثل!
من عجائب ما رواه المسلمون وأفلت من رقابة أتباع الخلافة! الحديث الصحيح التالي الذي يكشف عن أن النبي صلى الله عليه وآله أتم الحجة لربه على الأمة، وأبلغ في العذر! قال الطبراني في معجمه الكبير: ١٧ / ١٧٦: (عن نصر بن عاصم المؤذن، عن أبيه قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! قال قلت: ماذا؟! قالوا: كان رسول الله يخطب على منبره فقام رجل فأخذ بيد ابنه فأخرجه من المسجد، فقال رسول الله (ص): لعن الله القائد والمقود! ويل لهذه يوما لهذه الأمة من فلان ذي الأستاه). انتهى. وفلان هنا هو معاوية كما نص عليه في الطبقات: ٧ / ٧٨ (قلت ما هذا؟ قالوا: معاوية مر قبيل أخذا بيد أبيه ورسول الله (ص) على المنبر يخرجان من المسجد، فقال رسول الله (ص) فيهما قولا). انتهى. ومما يلفت أن النبي صلى الله عليه وآله جمع كلمة (إست) وهي العجيزة، للدلالة على كبر عجيزة معاوية! (ورواه في مجمع الزوائد: ٥ / ٢٤٢: وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. كما رواه المقدسي في المختارة: ٨ / ١٧٩، والضحاك في الآحاد والمثاني: ٢ / ١٩٢، ورواه في أسد الغابة: ٣ / ٧٦، وفيه: ويل لهذه الأمة من فلان ذي الأستاه أخرجه

الثلاثة. وشرح النهج: ٤ / ٧٩ وفيه: لعن الله التابع والمتبوع! رب يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاه! قالوا: يعني الكبير العجز. وقال: روى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله (ص) قال لمعاوية: لتتخذن يا معاوية البدعة سنة والقبح حسنا! أكلك كثير وظلمك عظيم)!!

ورواه ابن عبد البر في الإستيعاب: ٢ / ٧٨٤ بلفظ: (ويل لهذه الأمة من ذي الأستاه وقال مرة أخرى ويل لأمتي من فلان ذي الأستاه. وقال أحمد (بن أزهر): لا أدري أسمع عاصم هذا عن رسول الله (ص) أم لا) انتهى. وهي محاولة للتشكيك في الحديث الشريف! وقد نص ابن حجر في الإصابة: ٣ / ٤٦٥، على أن عاصما صحابي ورد على رواية ابن عبد البر في الإصابة: ٣ / ٤٦٤، فقال: (قال البغوي: ولا أدري له صحبة أم لا؟ قلت قد أخرجه الطبراني من الوجه الذي أخرجه منه البغوي، فزاد في أوله ما يدل على صحبته وهو قوله: دخلت المسجد مسجد المدينة وأصحاب رسول الله (ص) يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! قلت: مم ذاك؟ قالوا: كان يخطب آنفا، فقام رجل فأخذ بيد ابنه ثم خرجا فقال رسول الله (ص): لعن الله القائد والمقود به! ويل لهذه الأمة من فلان ذي الأستاه!). انتهى.

وقال في هامش البحار: ٣٣ / ٢١٥: (ونصر هذا من رجال صحاح أهل السنة، مترجم في كتاب تهذيب التهذيب: ١٠ / ٤٢٧. وأما أبو عاصم بن عمرو بن خالد الليثي فهو من الصحابة والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة. قال ابن عبد البر في حرف العين من كتاب الإستيعاب بهامش الإصابة: ٣ / ١٣٥: عاصم بن عمرو بن خالد الليثي والد نصر بن عاصم، روى عنه ابنه نصر بن عاصم. الخ. ثم هاجم أحمد [بن زهير] بقوله: (أنظروا إلى هذا الأعور! الصحابي العادل عنده يقول: قال رسول الله: ويل لهذه الأمة من ذي الأستاه! ثم هو يبدي هواه وحبه لإمامه الذي أصمه عن الحق ويقول: لا أدري أسمع عاصم هذا عن رسول الله أم لا؟! وذكره أيضا الحافظ ابن حجر في ترجمة عاصم الرقم (٤٣٥٥) من الإصابة: ٢ / ٢٤٦). انتهى.

ثم ذكر أن عاصما هذا صاحب مسند في الطبراني الكبير.
أقول: يتعجب المرء من هؤلاء العلماء كيف يتشبثون بمعاوية الملعون على لسان نبيهم صلى الله عليه وآله بعد أن صح عندهم هذا الحديث؟!
ألا يرون أن النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، قد تعمد أن يجبه إمامهم معاوية وأباه باللعن! وقلما يجبه أحدا. وتعمد أن يذكره بهذه السخرية التي لم يستعملها لأحد، فجمع العجيزة عمدا على غير العادة، ليكون كلامه ملفتا ويبقى في الأذهان، وتستوعبه القلوب من لهم قلوب!
وكان معاوية يشرب الخمر ويقدمها لضيوفه الصحابة!
في مسند أحمد: ٥ / ٣٤٧: (عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرمه رسول الله). (ورواه في تاريخ دمشق (٢٧ / ١٢٧).
وقال السقاف في موقع التنزيه: وحسنه شعيب الأرنأوط في تعليق له على سير أعلام النبلاء (٥ / ٥٢)، وقال: ناقشت بعض المتمسلفين في أمر معاوية ذات يوم وأوردت له هذا الحديث فقال: أكمل الحديث؛ إن معاوية كان يشرب اللبن وأنت جعلته خمرا!
فقلت له: وهل اللبن مما حرمه رسول الله (ص) حتى يقول بريدة: ما شربته منذ حرمه رسول الله (ص)؟! فقال لي مغالطا: إن بريدة ظنه خمر وهو ليس بخمر إنما هو لبن!
فقلت له: كل هذه ظنون وخيالات، وإلا لما قال (فأتي بالشراب)! ولما قال: (ما شربته منذ حرمه رسول الله)!! انتهى.
أقول: ومن تغطية الهيثمي على معاوية أنه جعل الحديث تحت عنوان: (باب ما جاء في اللبن! وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وفي كلام معاوية شئ تركته). فجعل الخمر لبنا وترك شيئا من كلام معاوية (يتعلق باللبن طبعا)! (مجمع الزوائد: ٥ / ٤٢).

وكان يصدر خمور الشام وفلسطين إلى العراق والجزيرة!
كان معاوية في عهد عمر، الأمير البارز على الشام وفلسطين، وفي عهد عثمان أميرا مطلقا، وكان شابا مدللا عند عمر، فلم يضربه بسوطه ولا وبخه، كما فعل مع أكثر عماله، ولا صادر نصف أمواله، كما فعل مع الذين أثروا بالحرام، بل كان ينظر اليه فيعجبه ويقول: هذا كسرى العرب! (فتح الباري: ٧ / ٣١١).
ولم تشبع كسراهم واردات الدولة وكنوز الفتح، فكان يتاجر بكل شئ تصل اليه يده حتى بتصدير خمور الشام! وقد اعترض عليه اثنان من كبار الصحابة، هما عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وهو أحد نقباء الأنصار في بيعة العقبة وكان فارسا طويلا جسيما جميلا، شارك في حروب النبي صلى الله عليه وآله كلها، وولي قضاء الشام وفلسطين (سير الذهبي: ٢ / ١٠) وعندما رأى معاوية يتعامل بالربا ويشرب الخمر ويتاجر بها، وقف في وجهه فشكاه معاوية إلى عثمان فعزله عن قضاء فلسطين! لكن عبادة بقي مصرا على رأيه، معلنا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في معاوية وبني أمية! وقد روى الجميع أخبار عبادة مع معاوية وعثمان واختصرها الذهبي في سيره: ٢ / ٩، ومنها في تاريخ دمشق: ٢٦ / ١٩٧ عن رفاعة: (أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة وهو بالشام تحمل الخمر فقال: ما هذه أزيت؟ قيل: لا، بل خمر تباع لفلان! فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها! وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان (معاوية) إلى
أبي هريرة فقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة بن الصامت، أما بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا، فأمسك عنا أخاك! فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال: يا عبادة ما لك ولمعاوية ذره وما حمل، فإن الله يقول:

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. قال: يا أبو هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ص)! بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا، ولنا الجنة، ومن وفى وفى الله له الجنة مما بايع عليه رسول الله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه! فلم يكلمه أبو هريرة بشئ! فكتب فلان! إلى عثمان بالمدينة: إن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله، فإما أن يكف عبادة، وإما أن أخلي بينه وبين الشام! فكتب عثمان إلى فلان أن أرحله إلى داره من المدينة، فبعث به فلان حتى قدم المدينة، فدخل على عثمان الدار وليس فيها إلا رجل من السابقين يعينه، ومن التابعين الذين أدركوا القوم متوافرين، فلم يفج (يحمل عليه) عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار، فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك يا عبادة؟! فقام عبادة قائما وانتصب لهم في الدار فقال: إني سمعت رسول الله أبا القاسم يقول: سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى! فلا تعتلوا بربكم فوالذي نفس عبادة بيده إن فلانا لمن أولئك! فما راجعه عثمان بحرف)!. (وسير أعلام النبلاء: ٢ / ١٠).

وروت المصادر عدة مواقف لعبادة واجه بها معاوية، ففي محصول الرازي: ٤ / ٣١٩: (فقام عبادة بن الصامت فنهاهم فردوها، فأتى الرجل معاوية فشكا إليه فقام معاوية خطيبا فقال: ما بال رجال يحدثون عن رسول الله أحاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه! فقام عبادة وأعاد القصة ثم قال: والله لنحدثن عن رسول الله وإن كره معاوية، أو قال وإن رغم! ما أبالي أن لا أصحبه في جنده

ليلة سوداء! فهذا يدل إما على كذب عبادة أو كذب معاوية! ولو كذبنا معاوية لكذبنا أصحاب صفين كالمغيرة عنه وغيره! وعلى أن معاوية لو كان كذابا لما ولاه عمر وعثمان على الناس)! انتهى.

أقول: فانظر إلى تحيز الفخر الرازي وجرأته! وحكمه بكذب عبادة بن الصامت الصحابي الجليل المجاهد نقيب بيعة العقبة! من أجل معاوية الطليق الملعون بن الملعون! إنهم يعرفون أن قضية عبادة وأجلاء الصحابة وأهل البيت عليهم السلام مع معاوية ليست تصديره للخمور فقط، بل تشمل كل شخصية معاوية!

وفي تاريخ دمشق: ٢٦ / ١٩٩، أن عبادة خرج من المدينة حتى لا يشهد فتنة عثمان وأنه سكن في عسقلان، وكان حاضرا عندما استخلف معاوية فخطب في المدينة وجعل نفسه في مصاف الصحابة وأهل الجنة! (فقام عبادة بن الصامت فقال: أرأيت إن احترقت الجنة؟! قال إذا تخلص إليك النار! قال: من ذلك أفر. قال: فأمر به فأخذ، فأضرط بمعاوية (أي نفخ استهزاء به) ثم قال: ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخافك في الله عز وجل)! وروى أنه عاد وأطلقه، وذكر له موقفا آخر مع معاوية في توزيع الغنائم في طرسوس.

أقول: كان كبار الصحابة يعترضون على معاوية فلا ينفع معه، فيشكونه إلى عمر، ومنهم أبو ذر وعبادة بن الصامت، وكان عمر يدافع عنه دائما ويداريهم إلى حد ما! أما عثمان فكان يتمسك بمعاوية ويعاقب الشاكي، حتى لو كان من كبار الصحابة، أما غير الصحابة فكان معاوية يعاقبهم، وقد تبلغ عقوبتهم القتل!

وكان معاوية شهوانيا خليعا!

قال ابن كثير المحب لمعاوية في النهاية: ٨ / ١٤٩: (خديج الخصي مولى معاوية قال: اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة، فأدخلتها عليه مجردة! وبيده قضيب، فجعل

يهوي به إلى متاعها – يعني فرجها – ويقول: هذا المتاع لو كان لي متاع، إذهب بها إلى يزيد بن معاوية)! (وتاريخ دمشق: ١٢ / ٢٣٨، والإصابة: ٤ / ١٩٧).
وقد أورد ابن كثير هذه القصة ليقول إن معاوية فقيه كبير! لأنه انتبه فلم يرسل الجارية إلى يزيد، بل وهبها لأحد رجاله، لأنها حرمت على يزيد بسبب نظرة أبيه إليها بشهوة لقوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) (النساء: ٢٢)!
قال ابن كثير: (وهذا من فقه معاوية وتحريه، حيث كان نظر إليها بشهوة، ولكنه استضعف نفسه عنها فتحرج أن يهبها من ولده يزيد...). انتهى.
أما بخاري فأشاد بفقاهة معاوية بدون قصة الجارية! (راجع صحيحه: ١ / ٥٣).
فاعرف إيمان معاوية وفقهه وأخلاقه وحياءه! واعجب لمن اشربوه في قلوبهم كيف يرون قبائحه فضائل وتهتكه فقها! (راجع: تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٣٨، والإصابة: ٤ / ١٩٦، وبهجة المجالس لابن عبد البر / ٣٩٧، وتفسير ابن كثير: ١ / ٤٧٩، وغيرها).
وكانت جواريه في قصره متبرجات!
رووا لمعاوية قصصا مع جواري قصره ومجالس تهتكه، منها أنه لحق جاريته بحضور ضيوفه ولحقته زوجته، فأراد الأحنف بن قيس أن يخلصه فشتمته زوجة معاوية شتما قبيحا! ففي تاريخ دمشق: ٧٠ / ٧: عن عمر بن شبة قال: (حدثت أن الأحنف بن قيس كان عند معاوية ليس عنده غيره، فغنت جارية من جواري معاوية في جانب الدار فأقبل على الأحنف فقال: يا أبا بحر لا ترم حتى أعود إليك، إني لأطلب خلوة هذه فما أكاد أقدر على ذلك! ثم قام في أثرها فكأنما كانت لابنة قرظة امرأة معاوية عين على معاوية فأقبلت به متلببة (تجره برقبته)! فقلت لها: أكرمي أسراكم! قالت: أسكت يا قواد).
(ونحوه في ١٩ / ٤٤٨).
وقال الجاحظ في رسائله / ٢١٤، بعد ذكر قصة جارية معاوية العارية: (ولم يكن

يعدم الخليفة ومن بمنزلته في القدرة والتأتي، أن تقف على رأسه جارية تذب عنه وتريحه، وتعاطيه أخرى في مجلس عام بحضرة الرجال). انتهى.
وكان معاوية يوصي عماله أن يبعثوا له الذهب والفضة والجواري الجميلات! ففي أنساب الأشراف / ٢٨٣٩: (أن الحكم بن عمرو غزا فأصاب غنائم، فكتب إليه زياد: أن اصطف لأمير المؤمنين معاوية كل صفراء وبيضاء، وكل جارية بارعة الجمال)! انتهى. ولا نطيل فيما روي عنه من تهتك ونقص غيرة، فراجع إن شئت: (أنساب الأشراف / ١١٢١، والعقد الفريد / ١٥٦٨، والمستطرف / ٦٢٢، والجليس الصالح لابن طرار / ٤٦٠، وربيع الأبرار / ٥٧٩، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة / ١٢٦، والبصائر لأبي حيان / ٥٧٥، والمعرفة والتاريخ للبسوي / ٤٦٦)!
وكانت جواري عمر في دار الخلافة متبرجات!
روى البيهقي في سننه: ٢ / ٢٢٧، عن أنس قال: (كن إماء عمر رضي الله عنه يخدمننا كاشفات عن شعورهن تضطرب ثديهن)!.
وقال السرخسي في المبسوط: ٩ / ١٢: (حديث أنس رضي الله عنه: كن جواري عمر رضي الله عنه يخدمن الضيفان كاشفات الرؤس مضطربات الثدي)!
وقال الألباني في إرواء الغليل: ٦ / ٢٠٤: (كن إماء عمر رضي الله عنه يخدمننا كاشفات عن شعورهن، تضطرب ثديهن. قلت: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات غير شيخ البيهقي أبي القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي، وهو صدوق كما قال الخطيب (١٠ / ٣٠٣). وقال البيهقي عقبه: والآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك صحيحة)!! انتهى.
وقد أعطى فقهاء السلطة حكم الشرعية لهذا التبرج! فقال السرخسي: ١٠ / ١٥١٥: (وكان عمر إذا رأي أمة متقنعة علاها بالدرة وقال: ألقي عنك الخمار يا دفار،

وقال عمر: إن الأمة ألقت قرونها من وراء الجدار، أي لا تتقنع. قال أنس: كن جواري عمر يخدمن الضيفان كاشفات الرؤس مضطربات البدن! ولأن الأمة تحتاج إلى الخروج لحوائج مولاها، وإنما تخرج في ثياب مهنتها، وحالها مع جميع الرجال في معنى البلوى بالنظر والمس كحال الرجل في ذوات محارمه)!

فيظهر أن معاوية أخذ هذا الفقه من عمر!

هل جمع معاوية بين الأختين؟!

ثبت عن عثمان بن عفان أنه أفتى بجواز الجمع بين الأختين المملوكتين! قال الشافعي في الأم: ٥ / ٣: (أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية، وأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك! قال فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب النبي (ص) فقال: لو كان لي من الأمر شئ، ثم وجدت أحدا فعل ذلك لجعلته نكالا).

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٣ / ٣٠٧: (فلقي عليا بالباب فقال: عمن سألته فأخبره فقال: لكني أنهاك، ولو كان لي عليك سبيل ثم فعلت ذلك لأوجعتك). (ورواه الدارقطني: ٣ / ١٩٦). وفي الموطأ: ٢ / ٥٣٨: (قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب).

وقد أخذ بعض الناس بفتوى عثمان! ففي تفسير القرطبي: ٥ / ١١٧: (شذ أهل الظاهر فقالوا: يجوز الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطأ، كما يجوز الجمع بينهما في الملك. واحتجوا بما روي عن عثمان في الأختين من ملك اليمين... ولم يلتفت أحد من أئمة الفتوى إلى هذا القول، لأنهم فهموا من تأويل كتاب الله خلافه.... فمن خالفهم فهو متعسف في التأويل). انتهى. ويبدو أن معاوية من هؤلاء المتعسفين وأنه جمع بين الأختين! قال في فتح الباري: ٦ / ٥٧: (بنت قرظة هي زوج معاوية، واسمها فاختة وقيل كنود، وكانت تحت عتبة بن

سهل قبل معاوية. ويحتمل أن يكون معاوية تزوج الأختين واحدة بعد أخرى). وقول ابن حجر: (ويحتمل)، يقابله احتمال أو ظن أو رواية بأنه تزوجهما معا!
وقد اعترفت رواية السيوطي بأن معاوية أفتى بجواز الجمع بين الأختين، ثم زعمت أنه النعمان بن بشير نبهه فتراجع! (الدر المنثور: ٢ / ١٣٧)!
وكان يلبس الذهب والحرير ويحرف الحديث في ذلك!
أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن لبس الذهب والحرير للرجال، وعن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وأفتوا به. (الخلاف للطوسي: ٢ / ٩٠، والمعتبر للحلي: ١ / ٤٥٥، وتذكرة الفقهاء: ٢ / ٢٢٥، ومجموع النووي: ١ / ٢٤٦، والمحلى: ٧ / ٤٢١).
وقال ابن قدامة في المغني: ١ / ٦٢: (ولا خلاف بين أصحابنا في أن استعمال آنية الذهب والفضة حرام، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، ولا أعلم فيه خلافا لأن النبي (ص) قال: لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما.. متفق عليهن فنهى والنهي يقتضي التحريم، وذكر في ذلك وعيدا شديدا يقتضي التحريم). انتهى. ولعله لم يذكر رأي ابن حنبل لأنه راعى معاوية!
قال في شرح النهج: ٥ / ١٣٠: (وأما أفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة، من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء فقال له: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا! فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول (ص) وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبدا! نقل هذا الخبر المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الإحتجاج على أن خبر الواحد معمول به في الشرع، وهذا الخبر يقدح في عدالته كما يقدح أيضا في عقيدته، لأن من قال في مقابلة خبر قد روي عن رسول الله (ص):

أما أنا فلا أرى بأسا فيما حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس بصحيح العقيدة). انتهى.

أقول: في هذا الموضوع ثلاث مسائل: لبس الذهب والحرير، واستعمال أواني الذهب والفضة، وبيع الذهب بالذهب بيعا ربويا.

ولمعاوية في ثلاثتها قصص وروايات متناقضة، فقد حرص الرواة الأمويون على التغطية عليه، ووضعوا على لسانه ضد ما اعترض عليه الصحابة! مثلا تجد أحاديث عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن لبس الذهب للرجال، وأحاديث عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن لبس الذهب إلا (الذهب المقطع)! بهذا التعبير المبهم البعيد عن تعبيرات النبي صلى الله عليه وآله! ويظهر أن لبس معاوية للذهب واستعماله لأوانيه وتعامله بالربا، صار واحدة من الاعتراضات البارزة عند الصحابة، خاصة الأنصار الذين سمعوا شكاية عبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي ذر وغيرهم، وطعنهم في معاوية، لذلك لم يكرر معاوية قوله الكفري (أما أنا فلا أرى فيه بأسا) الذي قاله لعبادة وأبي الدرداء! بل حاول أن يثبت أنه سمع من النبي صلى الله عليه وآله أنه استثنى الذهب المقطع! تقول روايات سنن النسائي: ٨ / ١٦١، إن معاوية جمع في الحج نفرا أو رهطا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستحلفهم عند الكعبة عن نهي النبي صلى الله عليه وآله عن الذهب! والمرجح أنهم نهوه عن المنكر فناقشهم! ونقل النسائي سبع روايات لإستحلافهم متهافتة، بعضها استثنى الذهب المقطع وبعضها لم يستثنه! وهذا نموذج منها: (بينما نحن مع معاوية في بعض حجاته، إذ جمع رهطا من أصحاب محمد فقال لهم: ألستم تعلمون أن رسول الله نهى عن لبس الذهب إلا مقطعا؟ قالوا: اللهم نعم. خالفه يحيى بن أبي كثير على اختلاف بين أصحابه عليه.... أن معاوية عام حج جمع نفرا من أصحاب رسول الله في الكعبة (وفي رواية: فدعا نفرا من الأنصار في الكعبة) فقال لهم: أنشدكم الله أنهى رسول الله

عن لبس الذهب؟ قالوا: نعم. قال: وأنا أشهد). انتهى.
ويكفيك هذا الاهتمام الكبير من معاوية، وهذا التهافت في رواياتهم في حكم الذهب، لتعرف أن القضية تبرير! وأن تقرأ فتوى ابن حنبل وابن تيمية لتعرف تأثير معاوية على الفقه الحنبلي! قال ابن تيمية في فتاواه: ٢١ / ٨٧: (وفي يسير الذهب في باب اللباس عن أحمد أقوال: أحدها الرخصة مطلقا لحديث معاوية: نهى عن الذهب إلا مقطعا، ولعل هذا القول أقوى من غيره).

* *

هذا كله في الحجاز وأمام الصحابة، أما في الشام فلا يحتاج معاوية إلى حديث نبوي في تحليل الذهب، بل يستطيع أن يعتذر لمن اعترض على تبرج مغنياته، ولبس المغنين الذهب، بأن (الدنيا مالت بنا فملنا بها)! ففي مسند الحارث / ١٧٧ (زوائد الهيثمي: ٢ / ٦١٦): (عن عمرو بن الأسود، قال: خطبنا معاوية فقال: ست نهاكم عنه رسول الله وأنا أبلغكم ذلك عنه: التبرج، والتصاوير، والذهب، والحرير، والنياحة، والمغنية. قال: فلما كان الغد خرج جواري معاوية ملطخات بالذهب والحرير، قال قلت: يا معاوية تنهانا عن الذهب والحرير؟ قال: إنها والله مالت بنا فملنا)! انتهى. ولا بد أنه كان مع المغنيات معنين أيضا يلبسون الحرير والذهب، وإلا لما تعجب الراوي للتناقض بين خطبة معاوية وبين عمله. ومعنى قوله (مالت بنا) أنا سكرنا بها وغلبتنا كالذي تميل الخمر برأسه! قال ابن عمرو العاص كما في شعب الإيمان: ٧ / ٣٨٧: (كنا مع رسول الله (ص) تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم قد مالت بنا الدنيا). (وأسد الغابة: ٣ / ٢٣٤، وابن المبارك / ١٨١).
وكان معاوية في شبابه صعلوكا لامال له!
كان عمر معاوية عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله نحو عشرين سنة، والى ذلك الوقت كان

(صعلوكا لامال له) بشهادة النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى محبو معاوية أنه تقدم لخطبة فاطمة بنت قيس فاستشارت النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: (وأما معاوية فصعلوك لامال له) (صحيح مسلم: ٤ / ١٩٥). وسبب فقره أن أبا سفيان كان بخيلا لا ينفق على زوجته هند وأولادها الثلاثة معاوية وعتبة وأم الحكم، فتضطر أن تأخذ من ماله خفية! فقد روى البخاري: ٦ / ١٩٣: (عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح (وفي رواية مسيك) وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم! فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف). انتهى.

ويظهر أن معيشة هند كانت عادية فلم ترث ما يذكر من أبيها عتبة بن ربيعة، مع أنه كان رئيس بني أمية هو وأبو سفيان، حتى قتل في بدر!

وكان بقية أولاد أبي سفيان من أمهات شتى (شرح النهج: ١ / ٣٣٤) وأكبرهم يزيد بن أبي سفيان، الذي كان يعطف على أخيه معاوية، وقد أخذه معه إلى الشام عندما ولاه عمر على ربع ما فتح منها! ولعله كان أخذه معه إلى تيماء منطقة أخوال يزيد، عندما ولاه النبي صلى الله عليه وآله جمع زكواتها.

فأبو سفيان الذي لا يعطي لزوجته مصروف أولاده، لا ينتظر منه أن يعطي ولده معاوية رأس مال ليتجر به! وقد كانت خطبة معاوية لبنت قيس بعد أن طلقها زوجها المخزومي في سفره مع جيش علي عليه السلام لفتح اليمن، أي في آخر سنة من حياة النبي صلى الله عليه وآله. قال ابن سعد: ٨ / ٢٧٥: (عن الشعبي قال: حدثتني فاطمة بنت قيس أنها كانت تحت فلان بن المغيرة أو المغيرة بن فلان، من بني مخزوم، وأنه أرسل إليها بطلاقها من الطريق من غزوة غزاها إلى اليمن، فسألت أهله النفقة والسكنى فأبوا). (ونحوه في تاريخ البخاري: ١ / ٨٢). وكان ذلك قبيل حجة الوداع!

* *

وحديث الصعلوك صحيح عندهم، وهو يكشف عن كذب الرواة في سيرة

ابن هشام والطبري وغيرهما، بأن النبي صلى الله عليه وآله عد معاوية يوم حنين من شخصيات قريش، وأعطاه مئة بعير كأبيه (تاريخ الطبري: ٢ / ٣٥٨)! فلو كان يملك قبل سنتين مئة بعير، لما قال عنه النبي صلى الله عليه وآله إنه صعلوك لامال له! ولكان اخوه يزيد أولى منه لأنه الأكبر، وقيل إنه كان حامل راية في حرب
حنين والطائف. (الإفصاح / ١٥٤). والظاهر أن النبي صلى الله عليه وآله لما أعطى أبا سفيان قال له: (ابني يزيد فقال صلى الله عليه وآله: أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل) (مكاتيب الرسول للأحمدي: ١ / ١٧٠، عن الطبقات: ٢ / ق ١: ١١٠ ومغازي الواقدي: ٣ / ٩٤٥)، فأضاف الرواة معاوية إلى الرواية، وبالغوا!
على أنا لا نقبل أصل وجود معاوية مع النبي صلى الله عليه وآله في حرب حنين! فقد ورد في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام أن معاوية عندما بلغه فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة واستسلام أبي سفيان والمشركين وإعلانهم الإسلام، أرسل إلى أبيه أبياتا يستنكر إسلامه! ومعناه أنه كان غائبا عن مكة! ففي جمهرة خطب العرب: ٢ / ٢٢، وشرح النهج: ٦ / ٢٨٩، أن الإمام الحسن عليه السلام قال لمعاوية: (وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق! أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم * وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تكلفنا * والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد * حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت). انتهى.
وقال العلامة الحلي رحمه الله في منهاج الكرامة / ٧٧: (وسموه كاتب الوحي ولم يكتب

له كلمة واحدة من الوحي، بل كان يكتب له رسائل.... مع أن معاوية لم يزل مشركا مدة كون النبي صلى الله عليه وآله مبعوثا يكذب بالوحي ويهزأ بالشرع، وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ويكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيره بإسلامه، ويقول له: أصبوت إلى دين محمد؟! وكتب إليه: يا صخر لا تسلمن... (الأبيات).. والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، ومعاوية حينئذ مقيم على الشرك، هارب من النبي صلى الله عليه وآله لأنه قد هدر دمه فهرب إلى مكة فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي صلى الله عليه وآله مضطرا فأظهر الإسلام وكان إسلامه قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر)! انتهى.

ويؤيد قول العلامة رحمه الله موقف هند العنيف من أبي سفيان يوم فتح مكة كما في ابن هشام: ٤ / ٨٦٢ وصححه الهيثمي: ٦ / ١٦٦، وأنه عندما ذهب إلى مركز قيادة النبي صلى الله عليه وآله وهو يحاصر مكة وينذر أهلها، فرجع أبو سفيان ينادي قريشا للتسليم وعدم المقاومة! (فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبحه من طليعة قوم)! (وفي لسان العرب: ٢ / ٢٦: اقتلوا الحميت الأسود. أي الزق الدسم. وفي رواية الأحمش، أي الهزيل).

ويؤيده أيضا أنك لا تجد مصدرا ذكر وجود معاوية في فتح مكة، ولا في حنين إلا التخمين المحض من محب معاوية ابن حجر في فتح الباري (٣ / ٤٥١)!

وهذا يكشف كذب الرواة أو كذب معاوية في زعمه أنه أسلم قبل فتح مكة، كما زعم ابن تيمية في منهاجه: ٤ / ٤٣٩!

والظاهر أن معاوية لم يخرج من صعلكته إلا بعد أن عزلت قريش أبا سفيان عن قيادتها بعد فتح مكة، فجاء إلى المدينة وبعثه النبي صلى الله عليه وآله واليا على جمع صدقات نجران، وأرسل ولده يزيد عاملا على صدقات أخواله في تيماء، ثم

عفا النبي صلى الله عليه وآله عن معاوية، فالتحق بأبيه أو أخيه فتحسن وضعه المالي، ثم ولى عمر أخاه يزيدا على ربع الشام فكان معه حتى مات أو قتل فحل مكانه.
ضبطه النبي صلى الله عليه وآله مع ابن العاص في مجلس كفر، فلعنهما!
قال الحافظ محمد بن عقيل في كتابه: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ١٢٣:
(وأخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو يعلى، كلاهما عن أبي برزة قال: كنا مع النبي (ص) فسمع صوت غناء فقال: أنظروا ما هذا؟ فصعدت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت فأخبرت النبي (ص) فقال: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، اللهم دعهما في النار دعا). انتهى. وقد روت هذا الحديث مصادرهم وصححه بعض علمائهم، وفي بعض رواياته أن عمروا ومعاوية كانا يتغنيان بعد (إسلامهما) بهجاء شهيد الإسلام حمزة رضوان الله عليه، وكان غناؤهما مطارحة أي يغني الواحد منهم بيتا أو أكثر من القصيدة، فيجيبه الآخر بنفس البيت أو بغيره! وقد غطى ابن حنبل على اسميهما، فقال في مسنده: ٤ / ٤٢١: (كنا مع رسول الله (ص) في سفر فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر، وهو يقول:
تركت حواريا تلوح عظامه * زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا
فقال النبي (ص): أنظروا من هما؟ قال فقالوا: فلان وفلان، قال فقال النبي (ص): اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما إلى النار دعا). انتهى. كما روى أحمد بيت الشعر ملحونا، ونقلنا صحيحه من: جزء أحاديث الشعر لعبد الغني المقدسي / ١١٣، ولا بد أن يكون جزء من قصيدة لأحد شعراء قريش كضرار بن الخطاب في هجاء النبي صلى الله عليه وآله والشماتة بقتل عمه حمزة رحمه الله! فالحواري اسم لناصر الأنبياء أو الصديق الحميم! (القاموس المحيط: ٢ / ١٥). وقد نصت رواية على أنهما كانا في غرفة أو مرتفع يشربان الخمر، وأن النبي صلى الله عليه وآله أرسل شخصا فصعد اليهما! وورد

في جميع رواياته الدعاء عليهما بالركس في الفتنة، والدع في جهنم. (ورواه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧ / ١٣٣ وذكر فيه المطارحة، وفي الكبير: ١١ / ٣٢)!
وقد حاول أتباع معاوية وابن العاص تخليصهما من هذا الحديث، فاحتالوا على سنده ومتنه بأنواع الحيل، وحاولوا جعل وقته يوم أحد! ولا يصح ذلك!
قال في مجمع الزوائد: ٨ / ١٢١: (رواه أحمد والبزار وقال: نظر إلى رجلين يوم أحد يتمثلان بهذا الشعر في حجرة، وأبو يعلي بنحوه، وفيه يزيد بن أبي زياد والأكثر على تضعيفه... فنظروا فإذا رجل يطارح رجلا الغناء). انتهى. ولا يصح لأن القصة لو كانت في أحد قبلها أو بعدها لأخذوهما أسيرين.
وقد شط الذهبي في تعصبه فجعل لعن النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية وعمرو منقبة عظيمة لهما! قال ابن الصديق في فتح الملك العلي / ١٠٩: (فيقول الذهبي في حديث: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا ودعهما في النار دعا، إنه من فضائل معاوية لقول النبي (ص): اللهم من سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة، وقد راجت هذه الدسيسة على أكثر النقاد... الخ.). انتهى. وقد فند محاولاتهم السيد الميلاني في تشييد المراجعات: ١ / ٢٦٤، ونفحات الأزهار: ٢٠ / ١٤٣، وصحح الحديث على مبانيهم بشواهده، والشيخ الأميني رحمه الله في الغدير: ١٠ / ١٤٠. كما فندنا رواياتهم التي ترفع اللعن عمن لعنهم النبي صلى الله عليه وآله في تدوين القرآن و (ألف سؤال وإشكال).
* *

أم معاوية هند آكلة الأكباد!
قال الحافظ محمد بن عقيل في النصائح الكافية / ١١٢: (كانت شديدة العداوة للنبي صلى الله عليه وآله بمكة، ولما تجهز مشركوا قريش لغزوة أحد، خرجت معهم تحرض المشركين على القتال، ولما مروا بالأبواء حيث قبر أم النبي صلى الله عليه وآله آمنة بنت وهب أشارت على المشركين بنبش قبرها، وقالت: لو نبشتم قبر أم محمد، فإن أسر منكم أحد فديتم كل إنسان بإرب من آرابها، أي جزء من أجزائها، فقال بعض قريش: لا يفتح هذا الباب)! انتهى.
أقول: لم أقرأ عن أحد قبل هند أنه فكر في أخذ جثامين الأموات رهينة! وبذلك تكون رائدة عصابات الخطف، وأخذ الجثامين رهائن!
وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه كربلاء / ٧٤: (خذ على سبيل المثال: أم معاوية هند بنت عتبة، وهي امرأة، والمرأة على الغالب ترمز للرحمة، وتجنح للموادعة، لكن هندا لم تكتف بأن يخرج زوجها وابناها لمعركة أحد، بل أصرت على الخروج بنفسها، وحملت نساء البطون على الخروج، لتشهد العنف والدم على الطبيعة! لقد تيقنت من قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله، لكنها لم تكتف بقتله، بل سارت بخطى ثابتة حتى وقفت بجانب جثته، وبأعصاب باردة شقت بطن حمزة وهو ميت واستخرجت كبده، وحاولت أن تأكله! ثم قطعت أذنيه وأنفه ومثلت به أشنع تمثيل! فإذا كانت المرأة منهم تفعل بضحيتها هكذا، فكيف يفعل أبو سفيان ومعاوية وذريتهم بضحاياهم؟! هذه هي البيئة الدموية التي تربى فيها يزيد بن معاوية مهندس مذبحة كربلاء! فأبوه معاوية، وجده أبو سفيان، وجدته هند! لقد ورث العنف والتنكيل بخصومه، كابرا عن كابر). انتهى.

وفي شرح النهج: ١٤ / ٢٧١: (كانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبي وأمرت النساء بالمثلة، وبجدع الأنوف والآذان، فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخدمتان)! انتهى. والمعضد سوار ونحوه يلبس في العضد، والمسكة سوار يلبس في ذراع اليد، والخدمة الخلخال يلبس في الساق!

وفي شرح النهج: ١٥ / ١٢: (ثم قالت (لوحشي): إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت: أرني مصرعه فأريتها مصرعه فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، ثم جعلت ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين، حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده أيضا معها)!!

أقول: أضف إلى عنفها وحقدها، أنها كانت امرأة فاسدة! فقد شهدت عائشة بأنها عاهرة! (ولما بلغ أم حبيبة أخت معاوية قتل محمد وتحريقه شوت كبشا وبعثت به إلى عائشة تشفيا بقتل محمد بطلب دم عثمان، فقالت عائشة: قاتل الله ابن العاهرة! والله لا أكلت شواء أبدا)! (أحاديث عائشة: ١ / ٣٥٠)

وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٢٤٣: (روى الكلبي عن أبي صالح، والهيثم عن محمد بن إسحاق، وغيره: أن معاوية كان لغير رشدة، وأن أمه هند بنت عتبة كانت من العواهر المعلمات (ذات العلم) اللواتي كن يخترن على أعينهن، وكان أحب الرجال إليها السود، وكانت إذا علقت من أسود فولدت له قتلت ولدها منه!.... قالوا: وكان معاوية يعزى (ينسب) إلى ثلاثة: إلى مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وكان أبو سفيان يصحبهم وينادمهم، ولم يكن أحد يصحبه إلا رمي بهند، لما كان يعلم من عهرها... وكان مسافر جميلا، وكانت هند تختار على أعينها فأعجبها فأرسلت إليه فوقع بها فحملت منه بمعاوية، فجاء أشبه الناس به

جمالا وتماما وحسنا، وكان أبو سفيان دميما قصيرا أخفش العينين، فكل من رأى معاوية ممن رأى مسافرا ذكره به! فأما الصباح فكان شابا من أهل اليمن، أسود له جمال في السودان، وكان عسيفا (أجيرا) لأبي سفيان فوقع بها فجاءت منه بعتبة فلما قرب نفاسها خرجت إلى أجياد لتضعه هنالك وتقتله، كما كانت تفعل بمن تحمل به من السودان، فلما وضعته رأت البياض غلب عليه وأدركتها حنة فأبقته ولم تنبذه، ولذلك يقول حسان بن ثابت:

لمن الصبي بجانب البطحاء * ملقى عليها غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة * من عبد شمس صلتة الخد
غلبت على شبه الغلام وقد بدا * فيه السواد لحالك جعد)

وقد أورد السكاكي البيت الأول في كتابه مفتاح العلوم / ٣١٣، وهو يدل على أن عتبة ليس لأبي سفيان! وقال في شرح النهج: ١ / ٣٣٦: (وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر! وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار (ص ٧٥٢): كان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح، مغن كان لعمارة بن الوليد...). ثم أورد نحو ما تقدم، وأبيات حسان بن ثابت! واتفق المؤرخون على أنها كانت متزوجة بالفاكه بن المغيرة المخزومي، وهو عم خالد بن الوليد، فوجد عندها رجلا وطردها من بيته، وشاعت قصتها! وبعد طلاقه لها صارت ذات علم!

قال في الفتح: ٧ / ١٠٧: (وكانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ثم طلقها في قصة جرت)! وفي أسد الغابة: ٥ / ٥٦٣: (وقصتها معه مشهورة)!

وخلاصتها: أن زوجها الفاكه تركها نائمة ظهرا وخرج من البيت، وعاد فرأى رجلا يخرج من عندها، ودخل فوجدها نائمة، فركلها برجله وسألها فأنكرت

فقال لها: إلحقي بأبيك، فشاع الخبر في قريش! وزعموا أن أباها أخذها إلى كاهن باليمن فحكم ببراءتها! (مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٤ أو / ٢٧٠٧، والمستطرف / ٥١٤، والعقد الفريد: ٦ / ٦٨ أو / ٦٢٠، وتاريخ دمشق: ٧٠ / ١٦٨، والنهاية: ٧ / ٦٠، و: ٨ / ١٢٤، والمحبر / ٤٣٧، والمنمق في أخبار قريش / ٤٣، والسيرة الحلبية: ٣ / ٤٤، والأغاني: ٩ / ٥٣ و ٦٦، أو / ٢٠٠١، وصبح الأعشى: ١ / ٤٥٤ أو / ٢٧٢، والمصباح المضي: ١ / ١٢٦، ونهاية الإرب / ٦٤٢، وسمط اللآلي / ٣٣٢، ومحاضرات الأدباء / ١٤٤، ونثر الدرر / ١١٠٠، وجمهرة خطب العرب: ١ / ٨١).

وفي الأغاني: ٩ / ٦٢: (فأقبل إليها فضربها برجله وقال: من هذا الذي خرج من عندك؟! قالت: ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتني. فقال لها: إرجعي إلى أمك. وتكلم الناس فيها). انتهى. وصرح عدد من هذه المصادر كالمحبر، بأن الفاكه بن المغيرة اتهمها بالزنى، لكنها لم تنجب منه، ولا عنده. ثم بقيت مدة (ذات علم) فكانت قصتها مع مسافر بن أبي عدي الأموي! (كان من فتيان قريش جمالا وشعرا وسخاء، قالوا: فعشق هندا بنت عتبة بن ربيعة وعشقته فاتهم بها وحملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد قالت له: أخرج فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه. وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافرا فسأله عن حال قريش والناس فأخبره، وقال له فيما يقول: وتزوجت هندا بنت عتبة! فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه...). (الأغاني / ١٩٩٩).

وفي تاريخ دمشق: ٧٠ / ١٧٢، أن الأطباء عالجوه وسقوه دواء وكووه بالنار: (فلم ينفعه ذلك شيئا، فخرج يريد مكة فأدركه الموت بهبالة فدفن بها، ونعي إلى أهل مكة)! انتهى. وقد تقدم قول المؤرخين أن حملها من عشيقها مسافر كان معاوية: (فجاء أشبه الناس به جمالا وتماما وحسنا، وكان أبو سفيان دميما قصيرا أخفش العينين، فكل من رأى معاوية ممن رأى مسافرا ذكره به).

ويفهم من تاريخ دمشق: ٧٠ / ١٧٢، أنها تزوجت أبا سفيان بعد سفر مسافر! فيحتمل أن أبا سفيان الذي كان يتردد عليها أيضا أعجبه الطفل، فاتفق مع أبيها عتبة على نسبة الطفل اليه وقتل مسافر لينسى الناس أب الولد ولا يدعيه في المستقبل! فقد كانت القاعدة عندهم أن ولد الزنا إذا كان شبيها كثيرا بالزاني، وأراد الأهل أو الزوجة التخلص من العار ونسبته إلى زوج آخر، فلا بد أن يقتلوا أباه! وهذا ما حصل لمسافر بن أبي عدي!

ونفس الشئ حصل للصباح الحبشي الأجير، الذي كان ولدها عتبة شبيها به! فعندما أحست هند بالطلق ذهبت إلى جبال أجياد (فلما وضعته رأت البياض غلب عليه وأدركتها حنة، فأبقته ولم تنبذه، ولذلك يقول حسان بن ثابت.. إلى آخر ما تقدم) فلم تقتله هند فقررت أن تقتل أباه الصباح، وتنسبه إلى أبي سفيان!

قال القاضي النعمان في المناقب والمثالب ٢٤٦: (فلما فشا خبر الصباح ووقوعه بهند، غاربه (من الغربة) عمارة بن الوليد بن المغيرة، وكان يأتيها، فخرج بالصباح إلى سفر وأمر به فطبخ له قدرا فأتاه به في يوم حار فقال: طعام حار في يوم حار! وأمر به فشد في شجرة ورماه بالنبل حتى قتله، لما نقمه عليه من أمر هند)!

أقول: ولعل لهند قصة مشابهة في مولودها الثالث وهي ابنتها أم الحكم، ولم أتتبع أمرها! أعاذ الله المسلمين من هذا النوع القذر! ولنعم ما قال عبد الرزاق شيخ البخاري الموثق: (فذكر رجل معاوية فقال: لا تقذر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان)! (تفسير عبد الرزاق: ١ / ٢٠، وتاريخ دمشق: ٣٦ / ١٨٧، وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٥٧٠).

رأي أمير المؤمنين عليه السلام في نسب معاوية وبني أمية!

كتب عليه السلام لمعاوية: (وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق! ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم! وفي أيدينا بعد فضل النبوة، التي أذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل. ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم! فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا، ولا على نفسك سبيلا)! (نهج البلاغة: ٣ / ١٦، ومناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٦١، وربيع الأبرار / ٧٢٩، وذكر له السيد مرتضى في الصحيح من السيرة: وقعة صفين لنصر بن مزاحم / ٤٧١ والفتوح لابن أعثم: ٣ / ٢٦٠، ونهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده: ٣ / ١٨ الكتاب رقم ١٧ وشرح النهج للمعتزلي: ١٥ / ١١٧ والإمامة والسياسة: ١ / ١١٨، والغدير: ٣ / ٢٥٤ عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري
باب ٦٦، وعن مروج الذهب: ٢ / ٦٢. وراجع أيضا: الفتوح لابن أعثم: ٣ / ٢٦٠ ومناقب الخوارزمي الحنفي / ١٨٠).
وهذه شهادة خطيرة من أمير المؤمنين عليه السلام بأن معاوية لصيق ليس لأبيه: (ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق)!
وأمير المؤمنين عليه السلام أتقى الأتقياء بعد النبي صلى الله عليه وآله فلو لم يكن يعلم أن معاوية ليس ابن أبي سفيان لما شهد بها، بل لم يتوقف في الشهادة له!
ولعل في كلامه عليه السلام إشارة إلى أن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ليسوا لأمية، ويروى أن أمية كان عقيما وأن أولاده من عبده الرومي ذكوان! ولا يتسع المجال لبسط القول في ذلك، فقد كان متفقا على أن بني هاشم هم النسب الصافي من ذرية إسماعيل وإبراهيم عليهم السلام، وكانوا يطعنون في نسب غيرهم!
صار فم معاوية تحت عينه وسقطت أسنانه.. فأخذ يبكي!
قال ابن كثير في النهاية: ٨ / ١٤٩: (وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول: معاوية من الصحابة، من العلماء الكبار، ولكن ابتلى بحب الدنيا....

وقال الشعبي وغيره: أصابت معاوية في آخر عمره لوقة). انتهى.
وتدل رواياتهم على أن حالته كانت فاحشة فكان يلف وجهه بعمامة! قال في هامشه: قال الجاحظ في البيان والتبيين: ٣ / ١٣٤: لما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس). وفي الطبراني في الكبير: ١٩ / ٣٠٦: (ثم دعا بعمامة فلف بها رأسه وشق وجهه ثم خرج) (ونحو حديث ابن عساكر في حلية الأولياء: ٩ / ١٥٤، ومجمع الزوائد: ٩ / ٣٥٥).
والصحيح (اللقوة) بالضم: (داء يأخذ في الوجه يعوج منه الشدق. ورجل ملقو قد لقي) (العين: ٥ / ٢١٢). وفي التعاريف: ١ / ٦٢٥: (اللقوة مرض ينجذب له شق الوجه إلى جهة غير طبيعية، ولا يحسن التقاء الشفتين ولا تنطبق إحدى العينين).
وفي / ١٤: (لما أصاب معاوية اللقوة بكى! فقال له مروان: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: راجعت عنه عزوفا، كبرت سني ورق عظمي، وكثر الدمع في عيني، ورميت في أحسني وما يبدو مني! ولولا هواي في يزيد لأبصرت قصدي فخرج على الناس معصبا وجهه). (ونحوه في تاريخ دمشق ٥٩ / ٦١).
وقال الذهبي في تاريخه: ٤ / ٣١٥، وسيره: ٣ / ١٥٥: (وكان يخرج إلى مصلاه ورداؤه يحمل من الكبر. ودخل عليه إنسان وهو يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: هذا الذي كنتم تمنون لي)!!
وأصابت اللقوة عددا من منتقصي علي عليه السلام!
ففي معجم الشعراء للمرزباني / ٣١، أن عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص الأموي أصابته اللقوة: (سمي الأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي الله عنه فأصابته لقوة، وقتله عبد الملك بيده لأنه دعا إلى نفسه، لما استخلفه عبد الملك على دمشق، عند توجهه لقتال مصعب بن الزبير)!

وفي طبقات ابن سعد: ٣ / ٥٠٧: (عن ثابت عن أنس أن أبا طلحة اكتوى وكوى أنسا من اللقوة). وفي الإستذكار: ٨ / ٤١٨: (وكوى أبو طلحة أنس بن مالك من اللقوة أيضا). وفي: ٤ / ١٥٧: (أن بن عمر رقي من العقرب ورقي ابن له، واكتوى من اللقوة، وكوى ابنا له من اللقوة). (ونحوه في سنن البيهقي: ٩ / ٣٤٣ وعبد الرزاق: ١١ / ١٨).

وفي البرصان والعرجان للجاحظ / ١٠٣: (وممن أصابته اللقوة الحكم بن أبي العاص، ذكر عبيد الله بن محمد قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن صدقة بن جميع بن عمير، أن ابن عمر قال: رأيت النبي (ص) جالسا والحكم بن أبي العاص خلفه، فجعل يلوي شدقه يهزأ منه! فقال رسول الله: اللهم ألو وجهه... وممن أصابته اللقوة عيينة بن حصن، جحظت عينه وزال فكه، فسمي عيينة وكان اسمه حذيفة! وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه أبا عينية).

وفي مستدرك سفينة البحار: ١٠ / ٤٨٢: (دعا رسول الله صلى الله عليه وآله على عشرين، وأمير المؤمنين عليه السلام على عشرة منهم، فابتلوا بالبرص والجذام والفلج واللقوة والعمى).

هل يصاب خليفة الله بالقوة؟!

كان معاوية في أوج عزه سنة ستين هجرية، فالإمبراطورية الأموية المترامية طوع بنانه، وأوامره نافذة فيها من أدناها إلى أقصاها، على الكبير فيها والصغير، وخططه فيها ماضية إلى أهدافها، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد بقوة السيف من كل بلادها وكافة زعمائها، ولي عهده وخليفته من بعده!

في هذا الجو سافر في فصل الربيع في موكبه المهيب، إلى الحجاز في غير موسم الحج، ليستطلع أوضاعه ويصرف أموره، ويستعيد ذكرياته ومرابعه، فكانت المفاجأة المصيرية كامنة له عند الأبواء بين المدينة ومكة، فقد أفاق صباحا على حمى وصداع شديدين، وقد اعوج وجهه وصار فمه تحت عينه!

ضاقت الدنيا في وجهه الملوي! وأمر بالمسير إلى مكة فدخلها واحتجب عن الناس ثلاثة أيام، ثم رأى أنه لابد له من لقاء الناس والتعجيل بالعودة إلى الشام! فماذا يقول للناس، وهو الذي قال لهم: أنا أمير المؤمنين، وخليفة الله في أرضه؟ هل يقول لهم إن الله عاقب خليفته فعمل به هكذا! ليسقطه من أعين الناس؟!

خرج إلى الناس في مكة وقد لف وجهه، وروت المصادر المختلفة خطبته فيهم وحذف أكثرهم منها ارتباك معاوية وتأسفه على ما تحمل في هواه لابنه يزيد! وتخوفه أن يكون ما حل به عقوبة لأنه دفع عليا عليه السلام عن حقه، وقتل حجرا وهو لا يعلم لماذا! وأكمل نص وجدته لخطبته في فتوح ابن الأعثم: ٤ / ٣٤٤، جاء فيه: (وأصابته اللقوة في وجهه فأصبح لما به، فدخل عليه الناس يعزونه ويتوجعون له مما قد نزل به، فقال: أيها الناس! إن المؤمن ليصاب بالبلاء فإما معاقب بذنب وإما

مبتلى ليؤجر، وإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون من قبلي وأنا أرجو أن أكون منهم، وإن مرض مني عضو فذلك بأيام صحتي وما عوفيت أكثر ولئن أعطيت حكمي فما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني، لأني اليوم ابن بضع وسبعين، فرحم الله عبدا نظر إلي فدعا لي بالعافية، فإني وإن كنت غنيا عن خاصتكم لقد كنت فقيرا إلى عامتكم. قال: فدعا الناس له بخير وخرجوا من عنده. وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم: أجزعا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا يا مروان! ولكني ذكرت ما كنت عنه عزوفا، ثم إني بليت في أحسني وما ظهر للناس مني، فأخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان مني من دفعي بحق علي بن أبي طالب، وما فعلت بحجر بن عدي وأصحابه ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي..). انتهى. ورواها ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢١٥ و ٥٩ / ٢١٤ ولم يذكر فيها دفع حق علي عليه السلام ولا قتل

حجر! وكذلك فعل غيره، قالت روايته: (وما آمن أن تكون عقوبة من ربي، ولولا هواي في يزيد لأبصرت أمري. وذكر حديثا طويلا)!.
ورواها الذهبي في سيره: ٣ / ١٥٦، وحذف منها كل ما يتعلق بيزيد! بينما ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء: ٩ / ١٥٤، وكذلك البلاذري في أنساب الأشراف / ١١١٣، وفيه: (وقد ابتليت في أحسني، وخفت أن يكون عقوبة من ربي، لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي). وأورد أبو حيان في البصائر والذخائر / ٧، في آخرها: (فقال مروان: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: كبرت سني، وكثر الدمع في عيني وخشيت أن تكون عقوبة من ربي، ولولا يزيد لأبصرت قصدي). (ونحوه الطبراني في الكبير: ١٩ / ٣٠٦، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ٢١٥، ومجمع الزوائد: ٩ / ٣٥٥، وغيره).
وزعم الكذابون أن اللقوة داء الأنبياء عليهم السلام!
فمطلوبهم التخفيف عن معاوية حتى لو حرفوا مفاهيم الإسلام ومسوا بكرامة أنبياء الله عليهم السلام! لذلك اخترعوا حديثا يزعم أن اللقوة ليست عقوبة، بل مرض يبتلى به الأنبياء عليهم السلام! فلا غرابة إن ابتلي بها خليفة الله معاوية! ففي المستطرف: ٢ / ٥٦٤، وفي طبعة / ٨٠٥: (عن عبد الرحمن (عبد الواحد) بن قيس عن النبي (ص) أنه قال: داء الأنبياء الفالج واللقوة)! (وربيع الأبرار / ٨٤٩). وقد شكك فيه الثعالبي في ثمار القلوب / ٤٣ والجاحظ في البرصان والعرجان / ١٠٥ لأن في رواته كلاما وقالوا إنه لا يعرف له سند إلا ما حدث به عباد بن كثير عن الحسن وذكوان عن عبد الواحد بن قيس (الدمشقي عن أبي هريرة) قال رسول الله: داء الأنبياء الفالج واللقوة)!
أقول: إن تشكيكهم في الحديث بعد قرون، لا ينفي أنه ولد بعد لقوة معاوية، وأدى دوره في الدفاع عنه ولو بالتنقيص من مقام الأنبياء عليهم السلام! والدليل على كذبه أنه لا مصداقية له، فلا يوجد نبي أصيب بالقوة، ولا ببلاء ينفر الناس منه!
* *

ولهم افتراء آخر على الأنبياء عليه السلام أسوأ من افتراء اللقوة! وهو أن القمل ربما يكثر على أحدهم عليهم السلام حتى يقتله! ولا ندري من الذي كان من أئمتهم مقملا فوضعوا له هذا الحديث؟! رواه أحمد في مسنده: ٣ / ٩٤، قال: (فقال النبي (ص): إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر، إن كان النبي من الأنبياء يبتلى بالقمل حتى يقتله! وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباءة فيخونها)! انتهى. أي يسرقها! فهم يقولون لك إن النبي مقمل وحرامي فلا تعجب إن كان إمامهم مثله!

وقد تكرمت مصادرهم وحاولت التغطية على سرقة النبي للعباءة، وليس على تقميله! فجعله ابن ماجة: ٢ / ١٣٣٥: (حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها) وجعله الحاكم: ١ / ٤٠، والبيهقي: ٣ / ٢٧٢: (حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها) وجعله بخاري في الأدب المفرد: ١١٢: (العباءة يجوبها فيلبسها)! وعبد الرزاق في مصنفه: ١١ / ٣١٠: (حتى تأخذه العباءة فيحولها) وابن سعد في الطبقات: ٢ / ٢٠٨: (حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها) وعبد بن حميد في مسنده / ٢٩٨: (حتى يأخذ العباءة فيحويها) وأبو يعلى: ٢ / ٣١٣: (حتى ما يجد إلا العباءة يحويها فيلبسها).. إلى آخره! فسرقة الأنبياء للعباءات غير ثابت عندهم، لكنهم اتفقوا على ابتلاء النبي بالقمل حتى يقتله! كما اتفقوا على صحة الحديث وحسن سنده، كما في هامش أبي يعلى، ومصباح الزجاجة: ٤ / ١٨٨. وقال ابن الجوزي في الثبات عند الممات / ٤٩: (إسناده صحيح رجاله ثقات). ونحوه في التخريج للحافظ العراقي: ٤ / ٦٣، وكشف الخفاء: ١ / ١٣٠)!

وحسبنا الله على من يفتري على أنبيائه عليهم السلام.

وأصيب معاوية بالزمهريرة والبردية فعجزوا عن تدفئته!
قال ابن كثير في النهاية: ٨ / ١٥٠: (وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطي بشئ ثقيل يغمه، فاتخذ له ثوبا من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك فقال: تبا لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميرا، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك، ومصيري منك، تبا للدنيا ولمحبيها)!
وخرجت في ظهره قرحة عميقة واسترخى لحمه!
في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٢٠: (لما كبر معاوية خرجت به قرحة في ظهره، فكان إذا لبس دثارا ثقيلا والشام أرض باردة، أثقله ذلك وغمه! فقال: اصنعوا لي دثارا خفيفا دفيئا من هذه السخال، فصنع له فلما ألقي عليه تسار إليه ساعة ثم غمه، فقال: جافوه عني، ثم لبسه ثم غمه فألقاه، ففعل ذلك مرارا)!
وكانت قرحته عميقة، ففي تاريخ الطبري: ٤ / ٢٤٥، والطبقات: ٤ / ١١٢، وسير الذهبي: ٢ / ٤٠١: (عن أبي بردة قال دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحة فقال: هلم يا بن أخي تحول فانظر! قال: فتحولت فنظرت فإذا هي قد سبرت يعني قرحته، فقلت ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين)! انتهى.
ومعنى سبرت، صارت ذات قعر تحتاج إلى معرفة عمقها بالمسبار. (سبر الجرح بالمسبار: قاس مقدار قعره بالحديدة أو بغيرها). (أساس البلاغة / ٦٢٦).
وفي تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢١٧ و ٢٢٢ و ٢٢٥: (قعد في علية له متفضلا بملاءة له حمراء، ثم نظر إلى عضديه قد استرخى لحمها، فأنشأ يقول:
حكى حارث الجولان من فقد ربه * وحوران منه موحش متماثل
قال معاوية وهو يقلب في مرضه وقد صار كأنه سعفة محترقة: أي شيخ يقلبون!

فجعل يقلب ذراعيه كأنهما عسيبا نخل وهو يقول: هل الدنيا إلا ما ذقنا وجربنا)!
وأصيب بالنفاثات والهلوسة باسم علي عليه السلام وحجر وعمرو!
روى الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٤١، أن معاوية في مرضه (كان به النفاثات).
وفي فيض القدير: ٣ / ١٤٢: (النفاثات في العقد: النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين، والنفث النفخ مع ريق).
وفي مجمع البيان: ١٠ / ٤٩٣: (ومن شر النفاثات في العقد، معناه: ومن شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد، عن الحسن وقتادة. وإنما أمر بالتعوذ من شر السحرة لإيهامهم أنهم يمرضون ويصحون ويفعلون شيئا من النفع والضرر والخير والشر. وعامة الناس يصدقونهم، فيعظم بذلك الضرر في الدين، ولأنهم يوهمون أنهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب، وذلك فساد في الدين ظاهر. فلأجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم). انتهى. فمعنى رواية الطبري أن معاوية أصيب بالهذيان فقالوا إنه من فعل السحر والنفاثات!
ورووا أن عقدة الذنب ظهرت في معاوية لغصبه حق علي عليه السلام، وقتله حجرا بلا سبب، فكأنه كان يرى أرواحهم وأشباحهم تطارده!
ففي تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٣١، أنه كان يقول: (ما قتلت أحدا إلا وأنا أعلم فيم قتلته إلا حجر بن عدي). (ورواه في بغية الطلب: ٥ / ٢١٢٧، وفيض القدير: ٤ / ١٦٦).
وقال ابن كثير في النهاية: ٨ / ٥٧: (وروى ابن جرير أن معاوية جعل يغرغر بالموت وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثا. فالله أعلم). انتهى.
ويقصد ما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه: ٤ / ١٩١: (فلقيت عائشة أم المؤمنين معاوية، قال مخلد أظنه بمكة، فقالت: يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد! قال ابن سيرين: فبلغنا أنه لما حضرته

الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل)! (وابن الأثير: ٣ / ٣٣٨، ونهاية الإرب / ٤٤٥٩، وأخبار شعراء الشيعة / ٥١، وتاريخ الكوفة للبراقي / ٣٢٠).

وروى ابن الأعثم في الفتوح: ٤ / ٣٤٤: (وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به... وكان في مرضه يرى أشياء لا تسره! حتى كأنه يهذي هذيان المدنف وهو يقول: إسقوني إسقوني فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى! وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلى صوته: ما لي ومالك يا حجر بن عدي! ما لي وما لك يا عمرو بن الحمق! مالي ومالك يا ابن أبي طالب)!

وفي الصراط المستقيم للبياضي: ٣ / ٥٠: (وروى سعيد بن حسان أنه كان في مرضه يقول: إسقوني ويغب ولا يروي ويقول: ما لي وما لك يا حجر! ما لي وما لك يا ابن أبي طالب، ويتململ على فراشه ويقول: لولا هواي في يزيد لأبصرت به رشدي! ونحو ذلك في تاريخ النسوي). انتهى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن معاوية يموت على غير الإسلام!

كتب الحافظ السقاف في موقعه: التنزيه (tanzih. org):

حديث صحيح صريح في أن معاوية يموت على غير ملة الإسلام!

ثبت بالسند الصحيح عند البلاذري في التاريخ الكبير قال: حدثني إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالسا عند النبي (ص) فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي! قال: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع فطلع معاوية. وهذا إسناد صحيح في غاية من الصحة.

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري في جؤنة العطار (٢ / ١٥٤): وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، وهو يرفع كل غمة عن المؤمن، المتحير في شأن هذا الطاغية قبحه الله، ويقضي على كل ما يموه به المموهون في حقه!

ومن أعجب ما تسمعه أن هذا الحديث خرجه كثير من الحفاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشهورة، ولكنهم يقولون: فطلع رجل ولا يصرحون باسم اللعين معاوية، سترا عليه وعلى مذاهبهم الضلالية في النصب، وهضم حقوق آل البيت ولو برفع منار أعدائهم، فالحمد لله الذي حفظ هذه الشريعة رغما على دس الدساسين وتحريف المبطلين). أنظر مجمع الزوائد (٥ / ٢٤٣) فإنه ذكر هناك هذا الحديث من رواية الطبراني بلفظ (فطلع رجل) هكذا مبهما)! انتهى.

أقول: وروت مصادرنا عن علي عليه السلام أن معاوية يموت نصرانيا! ففي مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني رحمه الله: ٢ / ١٨٤: (ابن شهرآشوب: عن المحاضرات للراغب أنه قال صلى الله عليه وآله: لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه! وقد رواه الأحنف بن قيس، وابن شهاب الزهري، والأعثم الكوفي، وأبو حيان التوحيدي وابن الثلاج، في جماعة، فكان كما قال عليه السلام)!

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصدق أمير المؤمنين عليه السلام

فقد روى القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: ٢ / ١٥٣، المتوفى سنة ٣٦٣: (عن سعيد بن المسيب قال: مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه طبيب له نصراني فقال له: ويلك ما أراني أزداد مع علاجك إلا علة ومرضا! فقال له: والله ما أبقيت في علاجك شيئا أرجو به صحتك إلا وقد عالجتك به، غير واحد فإني أبرأت به جماعة، فإن أنت ارتضيته وأمرتني بأن أعالجك به فعلت. قال: وما هو؟ قال: صليب عندنا ما علق في عنق عليل إلا فاق! فقال له معاوية: علي به. فأتاه به فعلقه في عنقه فمات في ليلته تلك والصليب معلق في عنقه).

ورواه في المناقب والمثالب / ٢٢٥، وفي الصراط المستقيم لابن يونس العاملي: ٣ / ٥٠: (سلمة بن كهيل: قال الأحنف: سمعت عليا يقول: ما يموت فرعون حتى يعلق

الصليب في عنقه، فدخلت عليه وعنده عمرو والأسقف، فإذا في عنقه صليب من ذهب! فقال: أمراني وقالا: إذا أعيا الداء الدواء تروحنا إلى الصليب فنجد له راحة! الزهري: دخل عليه راهب وقال: مرضك من العين، وعندنا صليب يذهب العين فعلقه في عنقه فأصبح ميتا، فنزع منه على مغتسله. وفي المحاضرات: لما علقه قال الطبيب: إنه ميت لا محالة، فمات من ليلته!).

وفي التعجب لأبي الفتح الكراجكي / ١٠٧: (واشتهر عنه لم يمت إلا وفي عنقه صليب ذهب، وضعه له في مرضه أهون المتطبب، وأشار إليه بتعليقه، فأخذه من كنيسة يوحنا وعلقه في عنقه)!

ونقل الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة / ١٨٥، عن أحد علماء الألمان قوله: (ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا " برلين "! فقيل له: لماذا؟ قال لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله، وإذن لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عربا مسلمين). (الوحي المحمدي / ٢٣٢).

كم سنة عاش معاوية؟

حكم معاوية الشام نحو عشرين سنة، والأمة الإسلامية نحو عشرين سنة! ومات في الثاني والعشرين من رجب سنة ستين وله اثنان وثمانون سنة سنة، أو ثمان وسبعون سنة. (تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢٣٧). وكان واحدا من بضعة أشخاص أثروا بعد النبي صلى الله عليه وآله في تاريخ الأمة وثقافتها وتركوا فيها بصماتهم إلى اليوم! وما ذلك إلا لأنهم من كبار المخططين، وقد كان معاوية أحد الطغاة الكبار، وإمام الدعاة إلى النار، بشهادة المصطفى المختار، صلوات الله عليه وآله الأطهار.

* *

الفصل الثالث
الطلقاء والعتقاء وذرياتهم.. مسلمون درجة ثانية!

فتوى عمر في الطلقاء بأن حكم الأمة محرم عليهم!
روى ابن سعد في الطبقات: ٣ / ٣٤٢، عن عمر أنه قال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطليق، ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ). (ورواه في تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٤٥، وأسد الغابة: ٤ / ٣٨٧، وكنز العمال: ٥ / ٧٣٥، و: ١٢ / ٦٨١، عن ابن سعد، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ١١٣، والغدير: ٧ / ١٤٤، و ١٠ / ٣٠، ونفحات الأزهار: ٥ / ٣٥٠).
وفي الإصابة: ٤ / ٧٠: (ويقال إن عمر قال لأهل الشورى: لا تختلفوا فإنكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم، وإن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء). (ورواه البلاذري في أنساب الأشراف / ٢٧٣٩، والسخاوي في التحفة اللطيفة / ٥٥٢)
وفي فتح الباري: ١٣ / ١٧٨: (وإنما خص الستة لأنه اجتمع في كل واحد منهم أمران: كونه معدودا في أهل بدر، ومات النبي (ص) وهو عنه راض، وقد صرح بالثاني الحديث الماضي في مناقب عثمان، وأما الأول فأخرجه ابن سعد من طريق عبد الرحمن بن أبزى عن عمر قال... وهذا مصير منه إلى اعتبار تقديم الأفضل في الخلافة). انتهى.
فمن أين أتى عمر بهذا الحكم؟ وقد زعموا أنهم لم يسألوا النبي صلى الله عليه وآله أبدا عن الخلافة من بعده؟ وما هو موقف محبي بني أمية؟ القائلين بأن معاوية صحابي كامل الصحبة وخليفة شرعي الخلافة؟!
حكم النبي صلى الله عليه وآله المغيب على الطلقاء والعتقاء بأنهم ليسوا من أمته!
يحرص أتباع بني أمية والخلافة القرشية، على طمس حقائق كبيرة، ومنها هذه الحقيقة الأساسية في فهم تركيبة الأمة الإسلامية وفئاتها، كما حددها رسول الله صلى الله عليه وآله: فأول أمته هم عترته الطاهرة عليهم السلام الذين جعلهم الله تعالى عدل

القرآن، وهم أئمة ربانيون، مفروضة طاعتهم من الله تعالى، ولا يقاس بهم أحد! ويليهم أتباعهم من الصحابة الأبرار، والتابعين لهم بإحسان. فهؤلاء حيز وحلف ودائرة بحكم الله تعالى، وبقية الناس حلف وحيز ودائرة.

أما موقع معاوية وبني أمية وكل قريش المشركة، أو مسلمة الفتح (الطلقاء) وكل ذرياتهم فهو خارج هذا الحلف، بل جعلهم الله تعالى حلفا مع عتقاء الطائف! وهو حلف لازم بحكم الله تعالى للطلقاء والعتقاء ولأمة رسول الله صلى الله عليه وآله جميعا من وجد منهم في ذلك العصر ومن يولد من ذرياتهم إلى يوم القيامة! وهذا هو مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين صرحوا مرارا بأن الطلقاء والعتقاء ما أسلموا ولكن استسلموا حتى وجدوا لكفرهم أتباعا!

(عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)! وروته بلفظه أو بنحوه نحوه مصادر السنيين بأسانيد عديدة فيها الصحيح على شرط الشيخين! (مسند أحمد: ٤ / ٣٦٣ بروايتين، ومجمع الزوائد: ١٠ / ١٥، بعدة روايات وقال في بعضها: (رواه أحمد والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وقد جوده فإنه رواه عن الأعمش عن موسى بن عبد الله). وأبو يعلى: ٨ / ٤٤٦، وابن حبان: ١٦ / ٢٥٠، ومعجم الطبراني الكبير: ٢ / ٣٠٩، و ٣١٣، و ٢١٤، و ٣١٦، و ٣٤٣، و ٣٤٧، و: ١٠ / ١٨٧، وموارد الظمآن: ٧ / ٢٧١، والدر المنثور: ٣ / ٢٠٦، وفتح القدير: ٢ / ٣٣٠، وعلل الدارقطني: ٥ / ١٠٢، وتاريخ بغداد: ١٣ / ٤٦، وتعجيل المنفعة / ٤١٤، والأنساب للسمعاني: ٤ / ١٥٢، وأخبار إصبهان: ١ / ١٤٦، وأمالي الطوسي / ٢٦٨).

فماذا تراهم يصنعون بهذا الحديث الصحيح، الذي يحرم على الأمة أن يقودها هؤلاء لأنهم ليسوا منها؟! وأين يقع بنو أمية وأتباعهم ومن ينظر لهم؟!

إن على محبي هؤلاء الطلقاء الذين يزعمون لهم الصحبة والفضائل والخلافة،

أن يثبتوا دخولهم في صلب أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحيزها أصلا، بعد أن أخرجهم النبي صلى الله عليه وآله بهذا الحديث، الذي تغض بهم أوسع الحلاقيم! إنها الضربة النبوية القاصمة لطلقائه وعتقائه! فقد أبلغ حكم الله فيهم وأن إسلامهم تحت السيف لا يجعلهم من صلب الأمة! بل سيبقون هم وذرياتهم طلقاء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، إلا من صدر فيه استثناء فصار من المسلمين!

ويوضح ذلك ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: (وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلمته! وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر! وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد). (نهج البلاغة: ٣ / ٣٠ والاحتجاج: ١ / ٢٥٩، وابن الأعثم: ٢ / ٥٦٠، وصبح الأعشى: ١ / ١٥٥).

وقال صعصعة مع معاوية: (أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، ودانهم كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا؟! وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله! فأنى تصلح الخلافة لطليق)! (مروج الذهب / ٦٩٤)

(ومن كلام لابن عباس يخاطب أبا موسى الأشعري: ليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة! واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة). (شرح النهج: ٢ / ٢٤٦).

ومن كتاب لابن عباس إلى معاوية: (وإن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى، فما أنت والخلافة؟ وأنت طليق الإسلام، وابن رأس الأحزاب، وابن

آكلة الأكباد من قتلى بدر). (الإمامة والسياسة: ١ / ١٠٠).
* *

أقول: ويجري عندنا حكم الطليق أيضا على العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وأولاده، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ١٨٩، بسند صحيح: (عن معمر بن خلاد وجماعة قالوا: دخلنا على الرضا عليه السلام فقال له بعضنا: جعلنا الله فداك ما لي أراك متغير الوجه؟ فقال: إني بقيت ليلتي ساهرا متفكرا في قول مروان بن أبي حفصة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الأعمام

ثم نمت، فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب، وهو يقول:

أنى يكون وليس ذاك بكائن * للمشركين دعائم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم * والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما * سجد الطليق مخافة الصمصام
قد كان أخبرك القران بفضله * فمضى القضاء به من الحكام
أن ابن فاطمة المنوه باسمه * حاز الوراثة عن بني الأعمام
وبقي ابن نثلة واقفا مترددا * يبكي ويسعده ذووا الأرحام)

ورواه في الإحتجاج: ٢ / ١٦٧ وفي هامشه: (يريد بالطليق العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وآله حيث أسر يوم بدر، أسره أبو يسر كعب بن عمرو الأنصاري وكان رجلا صغير الجثة وكان العباس رجلا عظيما قويا، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأبي اليسر كيف أسرته؟ قال: أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده! فقال صلى الله عليه وآله: لقد أعانك عليه ملك كريم، ولما أمسى القوم والأسارى محبوسون في الوثاق وفيهم العباس، بات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهرا فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا رسول الله؟ قال: سمعت أنين العباس! فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لي لا أسمع أنين العباس؟ فقال رجل: أرخيت من وثاقه شيئا. قال صلى الله عليه وآله: إفعل ذلك بالأسارى كلهم). (راجع الطبري: ٢ / ٢٨٨)

وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ٣٤٩: (فقال له المغيرة بن شعبة: فما

يمنعك من ابنك عبد الله؟ فقال له: ويلك والله ما أردت الله بذلك، كيف أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟! فقيل له: فألا أدخلت فيهم العباس؟ فقال: العباس طليق، وهذا أمر لا يصلح لطليق). انتهى.

الأمة الإسلامية مكونة من درجة أولى وثانية

نعم، فدخول الطلقاء والعتقاء في الأمة، هو مقتضى قبول النبي صلى الله عليه وآله إسلام من نطق بالشهادتين. وخروجهم من عضويتها الكاملة صريح النص النبوي الذي حدد حيز الأمة ودائرتها الأولى بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأخرج منها طلقاء مكة وعتقاء ثقيف وذرياتهم، فجعلهم درجة ثانية.

أما الأحكام المترتبة على ذلك، ومنها ما أعلنه عمر بن الخطاب من تحريم حكمهم للأمة! ومنها إعطاؤهم من ميزانية المؤلفة قلوبهم، وحرمانهم من العطاءات الخاصة بأمة النبي صلى الله عليه وآله. وهما قراران سياسي واقتصادي تتفرع منهما أحكام كثيرة، لا يتسع المجال لبحثها.

ولا تسأل لماذا لم يعلن علماء الخلافة القرشية هذا الحديث الخطير، ولم يدون فقهاؤهم أحكامه! فهل تتوقع من الذين بنوا حياتهم على شرعية حكومات وألفوا لها كتبهم، أن يعترفوا بأن أساسها باطل عاطل؟!

نعم يمكنك أن تجد الجرأة في عصرنا عند البعض النادر كالدكتور حسن بن فرحان المالكي حيث اعترف بهذه الحقيقة في كتابه الصحبة والصحابة / ٣٣، فقال في تفسير قوله تعالى: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا... (الأنفال: ٧٢). قال: (هذه السورة فيها فوائد عظيمة: الأولى: إثبات ولاية المهاجرين مع الأنصار فقط وهذا ما يفسره الحديث

الشريف عن رسول الله (ص): المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة. رواه أحمد بسند صحيح. والحديث فيه إخراج للطلقاء من المهاجرين والأنصار، الذين هم أصحاب النبي (ص) فقط، كما في حديث آخر: (أنا وأصحابي حيز والناس حيز)، قالها النبي (ص) يوم الفتح، وكلمة (أصحابي) في هذا الحديث الأخير كلمة مطلقة، فسرها الحديث المتقدم وقيدها بأن المراد بها (المهاجرين والأنصار) فتأمل لهذا التوافق والترابط، فإنك لن تجده في غير هذا المكان!

الفائدة الثانية: أن الذين أسلموا ولم يهاجروا لا يستحقون من المسلمين في عهد النبي (ص) الولاية، التي تعني النصرة والولاء! فإذا كان المسلمون قبل فتح مكة لا يستحقون النصرة ولا الولاء حتى يهاجروا فكيف بمن انتظر من (الطلقاء) حتى قال: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية! فهؤلاء لم يدركوا فضل من لا يستحق النصرة والولاية، فضلا عن إدراكهم لفضل السابقين من المهاجرين والأنصار.

الثالثة: أن المسلمين الذين لم يهاجروا (لا يجوز) أن ينصرهم المسلمون على الكفار المعاهدين (الذين معهم ميثاق مع المهاجرين والأنصار) وهذا الحكم يبين الفرق الواسع بين من هاجر ومن بقي مؤمنا في دياره، فكيف بمن لم يؤمن إلا عند إلغاء الهجرة الشرعية من مكة وأسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف، حتى وإن حسن إسلامه فيما بعد)!

وقال في / ٤٤: (الدليل الحادي عشر: حديث أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قال: قرأها رسول الله (ص) حتى ختمها وقال: الناس حيز وأنا وأصحابي حيز، وقال: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، فقال له مروان: كذبت! وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت وهما قاعدان معه على

السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة! فسكتا، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأيا ذلك قالوا: صدق. وقد أخرجه أحمد بسند صحيح. (٤ / ٤٥) فهذا الحديث فيه إخراج واضح للطلقاء الذين (دخلوا في الإسلام) من أصحاب النبي (ص) بأكثر من دلالة: الدلالة الأولى: تلاوته (ص) لسورة النصر التي فيها ذكر (الناس) الذين يدخلون في دين الله أفواجا، تلاها (ص) يوم فتح مكة، فهؤلاء الناس المراد بهم الطلقاء، ثم أخبرنا النبي بأن الناس حيز وهو وأصحابه حيز آخر! فماذا يعني هذا؟ هذا بكل وضوح لا يعني إلا أن هؤلاء (الناس) لا يدخلون في الأصحاب، الذين فازوا بتلك (الصحبة الشرعية) التي تستحق الثناء وتتنزل فيها كل الثناءات على الصحابة! فإذا سمعنا بأي حديث يثني على أصحاب النبي أو أي أثر من الصحابة خاصة يثني على أصحاب النبي فلا تنزل تلك الأحاديث والآثار إلا على هؤلاء الأصحاب الذين فصلهم النبي عن سائر الناس من غيرهم، وأولى الناس دخولا في هؤلاء (الناس) هم الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة لارتباط المناسبة بهم، ولا يجوز أن نجمع بين حيزين قد فرق بينهما النبي (ص). ومن تأكد له هذا ثم أراد أن يجعل (الحيزين) حيزا واحدا فقد اتهم النبي (ص) بعدم الإنصاف، مثلما اتهمه ذو الخويصرة يوم حنين! ونعوذ بالله أن نرد حديث رسول الله (ص) أو نؤوله على غير مراده (ص)، ذلك المراد الذي يظهر بوضوح من لفظ الحديث الصريح)!!

وفي هامشه: (ويدخل في (الناس) الطلقاء ومن بعدهم جزما ولا يدخلون في (الأصحاب) ومن علامات النواصب أنه لا يهمهم هؤلاء وإنما يعز عليهم خروج (الطلقاء) من الصحبة الشرعية! ولذلك لا تجدهم يدافعون عن المسلمين في العهد المكي الذين لم يهاجروا ولا يبرؤونهم، إنما تنصب كتاباتهم في الدفاع عن الطلقاء! مما

يبين لنا بوضوح أن بعض

الأفكار عندنا تشكلت بداياتها في ظل السلطة الأموية! لذا كانت هذه الأفكار تحمل بصمات السياسة الأموية! وهناك بعض المعتقدات من وضع السياسة الأموية أو تشجيعها أو توفيرها لجو تلك المعتقدات ومنها مسألة: (الإمساك عما شجر بين الصحابة) و (عدالة كل الصحابة) وعقوبة ساب الصحابي بأنها أشد من عقوبة ساب الله عز وجل!... ونحو هذا من المعتقدات التي لا يدافعون بها عن علي وعمار وابن عديس، ضد من سبهم من بني أمية وأشياعهم من النواصب! وإنما يدافعون بها عن معاوية والوليد وبسر والحكم ونحوهم ضد من سبهم أو ذم سيرتهم من الشيعة أو من أهل السنة أيضا، كعبيد الله بن موسى، وابن عبد البر، وعبد الرزاق الصنعاني، وغيرهم من كبار علماء أهل السنة)! انتهى.

وقال في / ٤٧: (الدليل الثاني عشر: قول النبي (ص): (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة). أقول: وهذا الحديث واضح في أن طلقاء قريش وعتقاء ثقيف ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار! وعلى هذا فلا يستحقون الفضائل التي نزلت في فضل المهاجرين والأنصار، وعلى هذا لا يجوز لنا أن نخلط الأمور ونقدم من أخره الله ورسوله (ص)، أو نؤخر من قدمه الله ورسوله). انتهى.

واعترفوا بأن معاوية من المؤلفة قلوبهم وزعموا أنه إمام!

قال الله تعالى: إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (التوبة: ٦٠)

في هذه الآية أربع مسائل:

الأولى: في تعريف المؤلفة قلوبهم، فقال ابن حجر في فتح الباري: ٨ / ٣٨: (فقيل كفار يعطون ترغيبا في الإسلام. وقيل مسلمون لهم أتباع كفار ليتألفوهم. وقيل مسلمون أول ما دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم).

وقال السرخسي في المبسوط: ٣ / ٩: (وأما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من رؤساء

العرب كأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وكان يعطيهم رسول الله (ص) بفرض الله، سهما من الصدقة يؤلفهم به على الإسلام. فقيل كانوا قد أسلموا وقيل كانوا وعدوا أن يسلموا).
وفصلهم فقهاؤنا أكثر فقال المحقق الحلي في المعتبر: ٢ / ٥٧٣: (والمؤلفة قلوبهم، وهم الذين يستمالون إلى الجهاد بالإسهام في الصدقة وإن كانوا كفارا. قال الشيخ في المبسوط: المؤلفة عندنا هم الكفار، الذين يستمالون بشئ من الصدقات إلى الإسلام يتألفون ليستعان بهم على قتال المشركين، ولا يعرف أصحابنا مؤلفة أهل الإسلام. وقال المفيد: المؤلفة قلوبهم ضربان مسلمون ومشركون، وبه قال الشافعي. وقال المشركون: ضربان: ضرب لهم قوة وشوكة وآخر لهم شرف وقبول. والمسلمون أربعة: قوم لهم نظراء فإذا أعطوا رغب نظراؤهم، وقوم في نياتهم ضعف فيعطون لتقوى نياتهم، وقوم من الأعراب في طرف بلاد الإسلام وبإزائهم قوم من أهل الشرك فإذا أعطوا رغب الآخرون، وقوم بإزائهم قوم آخرون من أصحاب الصدقات فإذا أعطوا جبوها وإن لم يعطوا احتاج الإمام إلى مؤنة في بعث من يجئ زكواتهم.... ولست أرى بهذا التفصيل بأسا، فإن في ذلك مصلحة ونظر المصلحة موكول إلى الإمام). انتهى.
وقد ركز قدماء فقهائنا على تأليف قلوب من يستعان بهم للحرب، فانتقد ذلك صاحب الحدائق الناضرة رحمه الله فقال في: ١٢ / ١٧٥: (والعجب منهم رضوان الله عليهم في هذا الخلاف والاضطراب وأخبار أهل البيت عليهم السلام بذلك مكشوفة النقاب مرفوعة الحجاب، قد رواها ثقة الإسلام في الكافي وعنون لها بابا على حدة فقال: باب المؤلفة قلوبهم. وها أنا أسوق لك جملة أخباره، ومنها ما رواه في الصحيح أو الحسن عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: والمؤلفة

قلوبهم؟ قال: هم قوم وحدوا الله عز وجل وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم في ذلك شكاك في بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فأمر الله نبيه أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن اسلامهم، ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقروا به. وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين تألف رؤساء العرب من قريش وسائر مضر: منهم أبو سفيان بن حرب وعيينة بن حصين الفزاري وأشباههم من الناس... الخ. فأورد عدة أحاديث ثم قال:

(وهذه الأخبار كلها كما ترى ظاهرة في أن المؤلفة قلوبهم قوم مسلمون قد أقروا بالإسلام ودخلوا فيه، لكنه لم يستقر في قلوبهم ولم يثبت ثبوتا راسخا، فأمر الله تعالى نبيه بتألفهم بالمال لكي تقوى عزائمهم وتشتد قلوبهم على البقاء على هذا الدين، فالتأليف إنما هو لأجل البقاء على الدين والثبات عليه، لا لما زعموه رضوان الله عليهم من الجهاد، كفارا كانوا أو مسلمين، وأنهم يتألفون بهذا السهم لأجل الجهاد). انتهى.

أقول: انتقاده لفقهائنا رحمهم الله صحيح، لأن أحاديث أهل البيت عليهم السلام ركزت على التعليل بضعف إسلامهم وتأليف قلوبهم لتقويته. لكن سبب إضافتهم وفقهاء المذاهب الأخرى تأليف قلوبهم للجهاد ثلاثة أمور:

أولها، أن اسم المؤلفة قلوبهم في القرآن يتضمن التعليل وهو مطلق يشمل تأليف قلوبهم لأجل تقوية إسلامهم الضعيف، ولأجل مساعدة للمسلمين في الجهاد، أو في المواقف السياسية، أو غيرها.

والثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله طبق المؤلفة قلوبهم على مشركي قريش الذين أعلنوا إسلامهم وسماهم الطلقاء، بعد أن أخذهم معه لحرب هوازن في حنين!

والثالث: ألغى عمر سهم المؤلفة قلوبهم، لأنه كان عارا على زعماء قريش

وشهادة نبوية لهم بنقص إسلامهم، فانتقده الصحابة، فعلل ذلك بأن الإسلام قد قوي، وأن الحاجة إليهم في الجهاد انتفت! فأثر هذه التعليل في مذاهب السنة.
لكن هذا لا ينفي إطلاق وصفهم التعليلي في الآية، ولذا أفتى فقهاؤنا المتأخرون بعموم تأليف القلوب لأغراض متعددة تخدم مصلحة المسلمين ويقدرها الإمام عليه السلام أو نائبه، ومن أولها تقوية إسلام هذا النوع، وهو الصحيح.
قال السيد الخوئي رحمه الله في منهاج الصالحين: ١ / ٣١٢: (وهم المسلمون الذين يضعف اعتقادهم بالمعارف الدينية، فيعطون من الزكاة ليحسن إسلامهم، ويثبتوا على دينهم، أو الكفار الذين يوجب إعطاؤهم الزكاة ميلهم إلى الإسلام، أو معاونة المسلمين في الدفاع أو جهاد الكفار). انتهى.
المسألة الثانية: أن حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة! وتشريع المؤلفة قلوبهم مستمر ومصاديقه موجودون في كل عصر، لكن الذي حدث أن أصحاب هذا السهم طالبوا أبا بكر فبخل عليهم، وتبعه عمر ثم أعلن إلغاءه بحجة عدم الحاجة إليهم في الجهاد، ثم تبنى ذلك عثمان ومعاوية لرفع الوصمة عن زعماء قريش! قال الشوكاني في نيل الأوطار: ٤ / ٢٣٤: (وقال الشافعي: لا نتألف كافرا، فأما الفاسق فيعطى من سهم التأليف. وقال أبو حنيفة وأصحابه: قد سقط بانتشار الإسلام وغلبته، واستدلوا على ذلك بامتناع أبي بكر من إعطاء أبي سفيان وعيينة والأقرع وعباس بن مرداس. والظاهر جواز التأليف عند الحاجة إليه). انتهى.
وتفصيله خارج عن غرضنا.
المسألة الثالثة: أن جميع من حكم عليهم النبي صلى الله عليه وآله بأنهم من المؤلفة قلوبهم، ومن الطلقاء، محكوم بنقص إسلامهم، وأنهم ليسوا من الأمة بل ملحقون بها إلحاقا، ومشتراة قلوبهم بالمال، فهم حلف خارج دائرة المسلمين، وذرياتهم

مثلهم إلى يوم القيامة، كما نص الحديث الصحيح عندهم وعندنا!
فهؤلاء الذين هم أقل من أفراد عاديين في الأمة كيف يكونون من قادتها؟! وماذا ينفع الطليق أن يشهد له ابن تيمية وكل الناس بأنه أسلم وحسن إسلامه! بعد تصنيف النبي صلى الله عليه وآله له ولذريته بأنهم حلف خارج دائرة الأمة الأصلية!
المسألة الرابعة: أجمع المسلمون على أن القرشيين الطلقاء عموما من المؤلفة قلوبهم وهم الذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وآله غنائم حنين!
ففي البخاري: ٥ / ١٠٤: (يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار). وفي / ٢٠٥: (والمؤلفة قلوبهم قال مجاهد: يتألفهم بالعطية). (ونحوه في مسلم: ٣ / ١٠٨، والترمذي: ٢ / ٨٨ وسنن البيهقي: ٦ / ٣٣٩، ومجمع الزوائد: ٦ / ١٨٩).
وقال ابن حجر في فتح الباري: ٨ / ٣٨: (والمراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا. وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية).
وقد اتفق المحدثون والمؤرخون والفقهاء ومنهم مغالون في بني أمية، على أن أبا سفيان ومعاوية منهم! قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: ٤ / ٣٤: (ولما كان عام حنين قسم غنائم حنين بين المؤلفة قلوبهم من أهل نجد والطلقاء من قريش كعيينة بن حصن، والعباس بن مرداس، والأقرع بن حابس وأمثالهم، وبين سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي سفيان بن حرب وابنه معاوية، وأمثالهم من الطلقاء اللذين أطلقهم عام الفتح).
وقال في منهاجه: ٤ / ٣٧٨: (قال الرافضي (يقصد العلامة الحلي رحمه الله في كتابه منهاج الكرامة): مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية الطليق بن الطليق اللعين بن اللعين وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه! وكان من المؤلفة قلوبهم، وقاتل عليا وهو عندهم رابع الخلفاء، إمام حق، وكل من حارب إمام حق فهو باغ ظالم... وسموه كاتب الوحي

ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي بل كان يكتب له رسائل، وقد كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أربعة عشر نفسا يكتبون الوحي أولهم وأخصهم وأقربهم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام! مع أن معاوية لم يزل مشركا بالله تعالى في مدة كون النبي صلى الله عليه وآله مبعوثا يكذب بالوحي ويهزأ بالشرع.

ثم قال ابن تيمية: والجواب أن يقال أما ما ذكره من أن النبي (ص) لعن معاوية وأمر بقتله إذا رؤي على المنبر، فهذا الحديث ليس في شئ من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل، وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي (ص)، وهذا الرافضي الراوي لم يذكر له إسنادا حتى ينظر فيه، وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات....

وأما قوله إنه الطليق ابن الطليق، فهذا ليس نعت ذم، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم النبي (ص) وكانوا نحوا من ألفي رجل وفيهم من صار من خيار المسلمين كالحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان، وحكيم بن حزام، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي (ص) الذي كان يهجره ثم حسن إسلامه، وعتاب بن أسيد الذي ولاه النبي (ص) مكة لما فتحها، وغير هؤلاء ممن حسن إسلامه. ومعاوية ممن حسن إسلامه باتفاق أهل العلم، ولهذا ولاه عمر بن الخطاب موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات..... ثم إنه بقي في الشام عشرين سنة أميرا، وعشرين سنة خليفة، ورعيته من أشد الناس محبة له وموافقة له، وهو من أعظم الناس إحسانا إليهم وتأليفا لقلوبهم، حتى أنهم قاتلوا معه علي بن أبي طالب وصابروا عسكره، حتى قاوموهم وغلبوهم! وعلي أفضل منه وأعلى درجة، وهو أولى بالحق منه باتفاق الناس، وعسكر معاوية يعلمون أن عليا أفضل منه وأحق بالأمر، ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو

من أعمى الهوى قلبه، ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعي الأمر لنفسه ولا يتسمى بأمير المؤمنين، بل إنما ادعى ذلك بعد حكم الحكمين، وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له لماذا تقاتل عليا وليس لك سابقته ولا فضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك؟ فيعترف لهم معاوية بذلك! لكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيه ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم وقتال الصائل جائز!.... وأما قوله كان معاوية من المؤلفة قلوبهم، فنعم. وأكثر الطلقاء كلهم من المؤلفة قلوبهم، كالحارث بن هشام، وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وحكيم بن حزام، وهؤلاء من خيار المسلمين. والمؤلفة قلوبهم غالبهم حسن إسلامه، وكان الرجل منهم يسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا، فلا يجئ آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس). انتهى.

أقول: في كلامه نقاط ضعف كثيرة، خاصة تبريره خروج إمام الفئة الباغية معاوية على أمير المؤمنين عليه السلام بما يخالف النص وإجماع المسلمين، ومن أخبث كلامه تشبيهه عليا عليه السلام وجيشه بالحيوان الصائل وأنه لذلك يجوز لمعاوية دفعهم عنه بالقتال! وسيأتي كشف كذبه في إنكاره الحديث النبوي: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه، وأنه حديث صحيح روته مصادرهم!

والذي يدخل في غرضنا هنا اعترافهم بأن معاوية من الطلقاء المؤلفة قلوبهم، وبذلك تثبت له بيقين صفة الطلقاء وأنه مسلم بالشراء بالمال، وخارج عن دائرة المسلمين إلى يوم القيامة! ولا ينفعه ادعاء أنه حسن إسلامه فهو باق في حكم الطلقاء حتى يعلم خروجه منهم بقول معصوم عليه السلام!

وهذه مصادر أسماء الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من زعماء بني أمية، وبني عبد الدار وبني مخزوم، وبني جمح، وبني سهم عدي، وبني عامر بن لؤي، وبني عدي،

وسائر قبائل العرب: المحبر لابن حبيب / ٢٣٦،. والدرر لابن عبد البر / ٢٣٣، والمعارف لابن قتيبة: ١ / ١٨٤، ونيل الأوطار: ٤ / ٢٣٤، وقال: وقد عد ابن الجوزي أسماء شخصيات المؤلفة قلوبهم في جزء مفرد فبلغوا نحو الخمسين نفسا. وهذه مصادر لأحكامهم: المحلى: ٦ / ١٤٥، وفيه: وادعى قوم أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط. قال أبو محمد: وهذا باطل، بل هم اليوم أكثر ما كانوا. ونيل الأوطار: ٨ / ١٢٦، ومسند أحمد: ٤ / ٤٢، وفتح الباري: ٨ / ٣٨، وتحفة الأحوذي: ٤ / ٥٢٨، وتفسير القرطبي: ٨ / ١٨١، وأسد الغابة: ٣ / ١٢، و الإستيعاب: ٢ / ٧١٤، و: ٣ / ١٤١٦، ووسيلة الإسلام لابن قنفذ القسنطيني / ٨٤، والأوائل للعسكري: ١ / ٣٩، والمنمق في أخبار قريش لابن حبيب: ١ / ٢٠٣، وتاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٤. ومن مصادرنا: شرح الأخبار: ١ / ٣١٨، وشرائع الإسلام: ١ / ١٢١، وتحرير الأحكام: ١ / ٤٠٤، وتذكرة الفقهاء: ٥ / ٢٥٠، وجواهر الكلام: ١٥ / ٣٣٩).

وقال القاضي المغربي في المناقب والمثالب / ١٨٤ و ٢٢١: (وهو وأبوه عند كافة أهل العلم بالأخبار والحديث من المؤلفة قلوبهم، إلا أن بعضهم زعم أن معاوية بعد ذلك حسن إسلامه، وكذب هذا القائل بل ازداد كفرا إلى كفره وفسقا إلى فسقه بمحاربة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله). انتهى. وكلامه على التنزل فإن حسن إسلام الطليق لا يكفي لنقله من الحيز الذي وضعه فيه النبي صلى الله عليه وآله بل لا بد من قول معصوم!

رفض أمير المؤمنين عليه السلام أن يشهد بإسلام معاوية!

روى نصر بن مزاحم في صفين / ٥٠٩، بسنده عن أبي إسحاق الشيباني قال: (قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة، في صحيفة صفراء عليها خاتمان، خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها. في خاتم علي: محمد رسول الله، وفي خاتم معاوية: محمد رسول الله! فقيل لعلي حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتقر أنهم مؤمنون مسلمون؟ فقال علي: ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء، ويقر بما شاء لنفسه وأصحابه ويسمي نفسه وأصحابه ما شاء! فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. قاضى علي بن أبي طالب على أهل

العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين: إنا ننزل عند حكم الله...). انتهى.

وينبغي التنبيه على أن الحكم بعدم إسلام أتباع معاوية، يتعلق بعاقبتهم ودخيلتهم ولا يعني معاملتهم معاملة الكفار فقد عاملهم علي عليه السلام معاملة المسلمين تسهيلا على الأمة وإلزاما لهم بما أعلنوه، فهم من أمة النبي صلى الله عليه وآله تسهيلا على الأمة ولهم ميزات على الكفار، فلا يحل أسرهم ولا غنيمة أموالهم من غير معسكرهم. لكن في نفس الوقت امتنع أمير المؤمنين عليه السلام أن يشهد بأن معاوية وحزبه مؤمنون أو مسلمون!

شهادة الإمام الحسن عليه السلام بأن معاوية ظالم كافر

في الخرائج: ٢ / ٥٧٤: (لما مات علي جاء الناس إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك. قال عليه السلام: كذبتم! والله ما وفيتم لمن كان خيرا مني فكيف تفون لي؟!.... مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم، الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا فرقا من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء، لبغت دين الله عوجا. وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله!). انتهى.

أقول: أضف إلى ذلك مجموعة أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله في بني أمية عامة وفي معاوية خاصة، وسيأتي بعضها في مواجهة الصحابة الأبرار له، ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية إنه فرعون هذه الأمة، وهو صحيح السند كما سيأتي.

* *

الفصل الرابع
غارة أتباع الأمويين على الأحاديث النبوية!

إمام الدعاة إلى النار صار إماما شرعيا!
ما زال أتباعه يشيعون أن معاوية صحابي وخليفة شرعي، ومجتهد في غصبه للخلافة وظلمه للأمة وقتله الألوف المؤلفة من المسلمين، وله أجر! مع أنهم رووا في أصح كتبهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه: إمام الدعاة إلى النار! ففي صحيح بخاري: ١ / ١٢٢: قال رسول الله (ص): (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). وقال ابن حجر في التلخيص: ٤ / ٥: (قال ابن عبد البر: تواترت الأخبار بذلك، وهو من أصح الحديث). وقال في الفتح: ٨ / ٦١: (وإشارته بهذا الكلام تطابق الحديث الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره، من حديث سفينة: أن النبي (ص) قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا). وقال في: ١ / ٥٤٣: (وغالب طرقها صحيحة أو حسنة وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم). وقال الذهبي في سيره: ١ / ٤٢١: (وهو متواتر عن النبي).
إنها واحدة من (حلهم) للتناقض بقبوله! فمعاوية عندهم أكوس عريض اللحية!
بل هي واحدة من تحريفهم الإسلام وسنة نبيه صلى الله عليه وآله من أجل معاوية وبني أمية! فالنبي صلى الله عليه وآله يحذر من معاوية لأنه إمام يدعو إلى النار وهم يقولون إنه مسلم وخليفة شرعي ومجتهد! فأي رد على رسول الله صلى الله عليه وآله أصرح من هذا؟!
وقد تفنن ابن تيمية في التحايل على هذا الحديث لإفراغه من محتواه، فقال في فتاواه: ٤ / ٤٣٧: (وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل، وهو أصح القولين لأصحابنا). انتهى.
لاحظ أن قول النبي صلى الله عليه وآله (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) مطلق يشمل

كل الخط الفكري والعملي لعمار وأنه حق يؤدي إلى الجنة، وكل الخط الفكري والعملي لمعاوية وأنه باطل يؤدي إلى النار! لكن ابن تيمية حصر قول النبي صلى الله عليه وآله (ويدعونه إلى النار) بدعوتهم عمارا إلى قتال علي عليه السلام! مع أنهم لم يدعوه إلى قتال علي عليه السلام! ولو صح حصر دعوتهم بذلك للزم حصر (يدعوهم إلى الجنة) بدعوة عمار لهم إلى قتال معاوية! فيكون المعنى: أن من يدعو إلى قتال علي يدعو إلى النار، ومن يدعو إلى قتال معاوية وقتله يدعو إلى الجنة! فماذا يكون حال معاوية الذي جعل الله جنته لمن قاتله وقتله؟!

ثم أمعن ابن تيمية خطوة أخرى ليبطل معنى الحديث كليا! فزعم أنه يوجد للعلماء قولان فيمن دعا إلى قتال علي عليه السلام: أنه داع إلى النار، وأنه باغ بلا تأويل! وقال: (وهو أصح القولين لأصحابنا)! يقصد أن بعض علماء السنة قالوا إن معاوية باغ بلا تأويل، أما هو فيقول إن معاوية باغ بتأويل، فهو عنده مجتهد في الدعوة إلى قتال علي عليه السلام، وله أجره على ذلك عند الله تعالى!!

قال في منهاج سنته: ١ / ٥٣٨: (وهؤلاء أيضا يجعلون معاوية مجتهدا مصيبا في قتاله كما أن عليا مصيب، وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم، ذكره أبو عبد الله بن حامد، ذكر لأصحاب أحمد في المقتتلين يوم الجمل وصفين ثلاثة أوجه أحدها: كلاهما مصيب، والثاني

المصيب واحد لا بعينه، والثالث أن عليا هو المصيب ومن خالفه مخطئ. والمنصوص عن أحمد وأئمة السلف، أنه لا يذم أحدا منهم، وأن عليا أولى بالحق من غيره). انتهى.

وهكذا صار معنى قول النبي صلى الله عليه وآله إن معاوية يدعو إلى النار: أنه يدعو إليها بحسن نية، فهو مجتهد مأجور في دعوته إلى جهنم، وله ثواب عليه!!

فانظر إلى هذه الشيطنة! كيف يدافعون عن شخص حكم عليه النبي صلى الله عليه وآله بأنه

إمام الدعاة إلى النار، وصدقت فيه نبوءته، فخرج على إمامه الشرعي وشق عصا المسلمين، وسبب في معركة صفين وحدها قتل خمسة وسبعين ألفا! فجعلوه مجتهدا مثابا في دعوة المسلمين إلى النار وسفكه لدمائهم!

وانظر إلى ابن حجر كيف يميع الحديث ويطمس وصف النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية وفئته بأنهم دعاة إلى النار، فيقول في الفتح: ١ / ٤٥١: (فإن قيل: كان قتله (عمار) بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم). ثم يقول في: ٦ / ٤٥٦: (وفي قوله (ص) تقتل عمارا الفئة الباغية، دلالة واضحة على أن عليا ومن معه كانوا على الحق، وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم. والله أعلم). ثم يقول في: ١٣ / ٥٨: (وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة. وهؤلاء (علماؤهم) مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا). انتهى.

إنهم يتلاعبون بالنص النبوي والقرآني ليجعلوا أئمة الدعاة إلى النار أصحاب نية حسنة، ويجعلوا دعوتهم إلى جهنم وقتلهم خيار خلق الله تعالى، قربة تقربهم إلى الله تعالى!

فماذا يبقون من موازين الإسلام، وأصول تفسير قرآنه وسنته؟!

صححوا حديث: الملك العضوض وقالوا: معاوية عضوض وخليفة!

كما صححوا أحاديث أن الخلافة في هذه الأمة ثلاثون سنة فقط، وبعدها ملك عضوض! وهذا نص في عدم شرعية حكم معاوية، وأنه حكم جائر يعض المسلمين كالكلب

! لكنهم جعلوه حكما إسلاميا عادلا وخلافة شرعية!

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١ / ٧٤٢، عن حديث: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء... (رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي،

والحاكم، وهذا من دلائل صدق نبوة النبي (ص) فإن أبا بكر تولى عام ١١ ه، وتنازل عنها الحسن بن علي عام ٤١ ه. وهي ثلاثون عاما كاملة).

صححوا حديث أن معاوية يحرف السنة وسموه إمام أهل السنة!

قال الألباني في صحيحته: ٤ / ٣٢٩: (أول من يغير سنتي رجل من بني أمية)! ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة وجعله وراثة). انتهى. لكنهم مع ذلك سموه إمام السنيين! وتشبثوا بموالاته! وهذا دليل على أنهم أشربوا حبه!

ومن طريف عمل الألباني في حديث سفينة، أنه صحح عدة أحاديث في التحذير من الانحراف والأئمة المضلين، الذين سيحكمون بعد النبي صلى الله عليه وآله! منها حديث برقم ٢٩٨٢: (إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه!). وحديث برقم ٢٨٦٤: (إنه سيلي أموركم من بعدي رجال يطفؤون السنة ويحدثون بدعة).

وحديث برقم ٢٨٦٥: (إني ممسك بحجزتكم عن النار وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب ويوشك أن أرسل حجزتكم... الخ). وحديث برقم ٧٤٤: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دخلا وعباد الله خولا ومال الله دولا). ومع كل ذلك، ظل مدافعا عن الأمويين، قال: (فلا ينافي مجئ خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة! فهؤلاء هم المعنيون في الحديث لا غيرهم! كما هو واضح! ويزيده وضوحا قول شيخ الإسلام في رسالته المذكورة: ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين: خلفاء، وإن كانوا ملوكا ولم يكونوا خلفاء الأنبياء... إلخ). انتهى.

فإذا سألهم أحد: ما دام هؤلاء ليسوا خلفاء نبوة، فخلفاء من؟ وخلفاء ماذا؟

ولماذا يتعمدون نسيان وصف النبي صلى الله عليه وآله لهم بأنهم يعضون الأمة عضا؟!

حرموا التأويل ثم حملوا معاوله لخدمة بني أمية!
قال الحافظ السقاف في موقعه التنزيه بتلخيص: (tanzih. org):
(جاءت في ذم معاوية ابن أبي سفيان أحاديث صحيحة وحسنة كثيرة، ومع هذا أغار عليها ابن تيمية ومقلدوه بالتأويل والتضعيف والإنكار! وتبعهم على ذلك بعض علماء أهل السنة تقليدا دون تحقيق!!
ووضعت أحاديث مكذوبة في بيان فضل معاوية فسارع ابن تيمية وأتباعه إلى ترقيع أسانيدها وتصحيحها والاستدلال بها! مع تصريح جهابذة من المحدثين كالنسائي وغيره بأنه لا يصح في فضل معاوية شئ! وإليكم بعض ذلك:
١ - روى البخاري (٤٤٧) و (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٦) بألفاظ عدة وهذا لفظ البخاري في الموضع الأول: [عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار (٢)]، ثم قال سيدنا عمار رضي الله عنه: أعوذ بالله من الفتن. وهذا حديث صريح يقرر فيه سيدنا محمد (ص) الأمور التالية:
أ - أن معاوية وطائفته طائفة باغية، وقد أمرنا الله تعالى بقتال الفئة الباغية في قوله تعالى: فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله. ولم تفئ بعد!!
ب - أن معاوية وطائفته التي يقودها يدعون إلى النار! فهل يجوز بعد هذا الدفاع عن إنسان يدعو هو وطائفته إلى النار! ألا نستحي من سيدنا رسول الله (ص) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟!
ج - أن سيدنا علي وطائفته ومنهم سيدنا عمار يدعون إلى الجنة وإلى الله تعالى! فالواجب شرعا أن نكون مع سيدنا علي رضي الله عنه وسيدنا عمار وطائفتهم الداعين إلى الجنة ونكون ضد معاوية وطائفته الذين يدعون إلى النار، بنص رسول الله (ص) الثابت في صحيح البخاري وغيره!!

وكيف نقول بعد ذلك: إن معاوية أخطأ وله أجر واحد على خطئه والنبي (ص) يقول إنه يدعو إلى النار؟! هل من يدعو إلى النار له أجر؟!
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١ / ٥٤٣): [وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن عليا لم يكن مصيبا في حروبه]. قلت: الزاعم لهذا هو ابن تيمية الحراني الذي تلقبه المجسمة والمشبهة بشيخ الإسلام! مع كون هذا التلقيب حرام شرعا وخصوصا لهذا الرجل الذي صحح حديث الشاب الأمرد واعتقد بظاهره، وقال إنها رؤيا عين أي ليست رؤيا منام! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.
٢ - ثبت في الصحاح والسنن أن معاوية كان يأمر الناس بسب سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه. الخ. وأثبت فيه أن معاوية ينطبق عليه قول النبي لعلي (من سبك سبني ومن سبني فقد سب الله), وسيأتي. وأضاف السقاف:
٣ - دعاء النبي على معاوية بقوله: (لا أشبع الله بطنه)! وقد استجاب الله تعالى دعوة النبي (ص) فلم يشبع معاوية بعد ذلك (٩) وقد شهد الذهبي بأن معاوية كان من الأكلة (١٠) ولذلك عظم بطنه فتشوه ولم يستطع أن يخطب إلا قاعدا وهو أول من خطب قاعدا في الإسلام (١١). روى مسلم في الصحيح (٢٦٠٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي (ص) قال له: (إذهب وادع لي معاوية)؛ قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: (إذهب فادع لي معاوية) قال: فجئت فقلت: هو يأكل فقال: (لا أشبع الله بطنه)! وقد قتل الإمام النسائي صاحب السنن لأنه حدث بهذا الحديث في الشأم! فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢ / ٦٩٩) عن النسائي أنه قال: [دخلت دمشق والمنحرف عن علي بها كثير

فصنفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله]
(٢). وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٢): [أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق؛ فسئل بها عن معاوية؟ وما جاء في فضائله؟ فقال: ألا يرضى رأسا برأس حتى يفضل؟! قال: فما زالوا يدفعون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد،.... قال الدارقطني: خرج حاجا فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة]. ومن بيان ما يدل على نصب الذهبي تلميذ ابن تيمية أنه عندما ذكر قول الإمام النسائي صاحب السنن رحمه الله تعالى في معاوية في سير أعلام النبلاء: ١٤ / ١٢٩ [فقيل له - أي النسائي -: ألا تخرج فضائل معاوية.. فقال: أي شئ أخرج: اللهم لا تشبع بطنه؟! فسكت السائل! قلت (الذهبي): لعل أن يقال هذه منقبة لمعاوية لقوله (ص): (اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة].
أقول: أضحكتني هذه (لعل أن يقال)! وعلى كل حال فتأويل قوله (ص) في حق معاوية: (لا أشبع الله بطنه) الثابت في صحيح مسلم (٢٦٠٤) بأن في هذا منقبة لمعاوية لحديث (اللهم من كنت لعنته أو سببته فاجعلها له رحمة) تأويل باطل لوجهين:
الأول: أن الذهبي اعترف بأن معاوية كان من الأكلة! وبالتالي أجيبت دعوة النبي (ص) فيه! ولذلك كان عظيم البطن لم يستطع الخطبة إلا جالسا، ويعني هذا أن دعوة النبي (ص) أصابته (١٤)! وهذا ذم واضح!
وثانيا: أن الحديث مقيد وليس على إطلاقه! فقد رواه مسلم (٢٦٠٣) من حديث أنس بن مالك بلفظ: (فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة...) ومعاوية كان أهلا لما دعا عليه النبي (ص)! بدليل أنه كان من الأكلة! فكان لا يشبع حتى عظم بطنه فكان لا يقدر على القيام في خطبة الجمعة وغيرها! ولو كان غير أهل لما استجيبت دعوة النبي (ص) فيه! وكيف لا

يكون أهلا لدعوة (لا أشبع الله بطنه) وهو مفرق الأمة وإمام الفئة الباغية التي تدعو إلى النار؟! وقد قال سيدنا رسول الله (ص): (عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) (١٥) رواه البخاري (٤٤٧). وقد زاد مجاهد (١٦): (وذلك دأب الأشقياء الفجار). هامش: (٩) قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٢٣ إن الحاكم زاد في روايته لحديث (لا أشبع الله بطنه) قال: فما شبع بعدها. (١٠) قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٢٤: (وقد كان معاوية معدودا من الأكلة). (١١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧ / ٢٤٧) وانظر الآحاد والمثاني: ١ / ٣٨٠ وفتح الباري: ٢ / ٤٠١ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٤٥٨ وسنة النبي (ص) أن يخطب قائما. (١٢) وانظر تهذيب الكمال: ١ / ٣٣٨ للمزي، وتهذيب التهذيب: ١ / ٣٣ للحافظ ابن حجر، وكشف الظنون: ١ / ٧٠٦. (١٣) أي في الركة وكونه تأويلا ركيكا.
(١٤) كما في سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٥٦ و ١٥٧ وفتح الباري: ٢ / ٤٠١) ومصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٢٤٧ والآحاد والمثاني: ١ / ٣٨٠. وقد روى الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: ١ / ٣٤٨ عن جابر بن سمرة أنه قال: رأيت رسول الله يخطب قائما فمن حدثك أنه خطب جالسا فقد كذب. وهذا يثبت أن معاوية أو بعض حزبه كان يزعم أن النبي (ص) كان يخطب جالسا ليسوغ لمعاوية الخطبة جالسا. (١٥) وقد حاول ابن تيمية في منهاج السنة: ٤ / ٤١٩ تأويل حديث سيدنا عمار هذا واللف والدوران فيه! ولكن هيهات يا من تنكر أحاديث الصحيحين وتثبت الموضوعات في فضائل معاوية! (١٦) في روايته له مرسلا وهو أحد الرواة عن ابن عباس كما رواه عنه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة: ٢ / ٨٥٨ وابن أبي شيبة: ٦ / ٣٨٥)
كل الصحابة عندهم يحتاجون إلى عباءة معاوية!
يتساءل المسلم عن سبب تشبث حزب بني أمية بمعاوية، رغم أعماله السيئة والأحاديث الصحيحة المتعددة التي نصت على ذم النبي صلى الله عليه وآله له؟!
ولا جواب عندهم إلا قول شخص كما في تاريخ بغداد: ١ / ٢٢٣، اسمه الربيع بن نافع، قال: (معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب رسول الله (ص) فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه)! انتهى.
وقد أعجب هذا القول هوى محبي بني أمية فاتخذوه حجة وشعارا ودثارا!

وقالوا: معاوية سور الصحابة، وستر الصحابة، وباب الصحابة! واحتجوا به أكثر مما يحتجون بآية أو حديث نبوي، ونسجوا عليه أضعافه! كما فعل ابن كثير في النهاية: ٨ / ١٤٨، وابن عساكر في تاريخه: ٥٩ / ٢٠٩، وغيرهما.

أما الوهابيون فجعلوه أصلا من أصول العقائد التي ترد بها الشبهات عن الدين!

قال الشيخ ناصر بن حمد الفهد في كتابه: كشف شبهات حسن المالكي / ٢٠:

(الفصل الرابع: في أصول تكشف شبهات المالكي في التاريخ والصحابة... وفي هذا الفصل سأذكر سبعة أصول تكشف شبهاته في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الأصل الأول: أن الصحابة كلهم عدول وإن اختلفوا في الفضل....

الأصل الثاني: أن القول بعدالة الصحابة لا ينافي الوقوع في الخطأ.....

الأصل الثالث: القول في بعض الصحابة كالقول في البعض الآخر.....

الأصل الرابع: أن معاوية رضي الله عنه ستر أصحاب النبي، فمن تكلم عليه اجترأ على ما وراءه. وهذه كلمة قالها بعض السلف رحمهم الله وقد صدق في ذلك، فإنه ما من رجل يتجرأ ويطعن في معاوية رضي الله عنه، إلا تجرأ على غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، وانظر هذا في أحوال الزيدية فإنهم طعنوا في معاوية رضي الله عنه ثم تجرأوا على عثمان رضي الله عنه، ثم تكلموا في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى صرح بكفرهما بعض الزيدية، وصدق من قال: جئني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا. والسبب في ذلك أنه إذا تجرأ على معاوية رضي الله عنه فإنه يكون قد أزال هيبة الصحابة من قلبه فيقع فيهم لأنه لا يعلل كلامه في معاوية

بشئ إلا ويلزمه مثل هذا في غيره)! انتهى.

ومعنى كلامه أمران: الأول: أن الصحابة عدول وغير عدول! فهم قد يرتكبون المعاصي الصغيرة والكبيرة! لكنهم جميعا لهم حصانة بدرجة واحدة، إلا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهم صحابة وأهل بيت، لكن ليس لهم حصانة، لأنهم أقل درجة

من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية! ولذلك يجب على المسلمين أن يسامحوا الصحابة لخروجهم على خلافة أهل البيت عليهم السلام وظلمهم لعلي عليه السلام، ولعنه على المنابر، وقتلهم لآله تحت نجوم السماء!

والثاني: أن معاوية ستر وسور للصحابة، فيجب على المسلمين أن يقفلوا باب البحث العلمي والاجتهاد فيه، ويقبلوه على علاته وسيئاته وبدعه في الدين!

لأن الذي يبحث في آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، ونصوص التاريخ في معاوية: (لا يعلل كلامه في معاوية بشئ إلا ويلزمه مثل هذا في غيره)! لأن نقاط الضعف في معاوية موجودة بعينها أو بمثلها في عثمان وأبي بكر وعمر!

وهنا، ينبغي أن نشكر هذا الوهابي المحب لمعاوية، لأنه قدم إلى المسلمين حقائق مهمة عن إمامه:

١ – فهو شخصيته ضعيفة لا تصمد أمام البحث العلمي والميزان الإسلامي، وهذا هو السبب الذي جعلهم يحرمون البحث فيه!

٢ – أن معاوية الشخصية المهلهلة الضعيفة، عباءة ضرورية يحتاج إليها المسلمون لتغطية عثمان وعمر وأبي بكر، فكشفها يوجب انهيارهم لأن أدلة الانهيار فيهم واحدة والباحث: (لا يعلل كلامه في معاوية بشئ إلا ويلزمه مثل هذا في غيره)! فاعرفوا قدر معاوية أيها المسلمون، وأنه حجر الزاوية في عقيدتكم، وكل الصحابة (غير العترة طبعا) يحتاجون إلى أن يتغطوا بعباءته، وإلا لانكشفوا وانهاروا!

* *

الفصل الخامس
خال المؤمنين وكاتب الوحي.. وكذبات أخرى!

لقب نفسه (خال المؤمنين) فوبخه أمير المؤمنين عليه السلام!
اخترع هذا اللقب معاوية نفسه لنفسه، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر به!
ففي تاريخ دمشق: ٤٢ / ٥٢٠: (عن أبي عبيدة قال: كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب: يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة، كان أبي سيدا في الجاهلية، وصرت ملكا في الإسلام، وأنا صهر رسول الله (ص)، وخال المؤمنين وكاتب الوحي. فقال علي: أبالفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد؟ ثم قال: أكتب يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي * مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام، فيميلون إلى ابن أبي طالب).
انتهى. وقال في هامشه: (الخبر والشعر في البداية والنهاية: ٨ / ٩... الأبيات في ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه طبعة بيروت / ١٨٨، ومعجم الأدباء: ١٤ / ٤٨.
ورواها ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٢ / ٣٨٦، وسمط النجوم العوالي: ٣ / ٧٨ والوافي بالوفيات: ٢١ / ١٨٤، ومعجم الأدباء: ٤: ١٧٦، والحماسة المغربية: ١ / ٥٧٦).
أقول: أصل الأبيات ثمانية، روى ابن عساكر منها خمسة، وكذلك فعل غيره، لأن فيها احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام ببيعة الغدير، والأبيات الثلاثة هي:

وأوجب لي ولايته عليكم * رسول الله يوم غدير خم
وما إن زلت أضربهم بسيفي * إلى أن ذل للاسلام قومي
فويل ثم ويل ثم ويل * لمن يلقى الإله غدا بظلمي

ورواها من مصادرنا: روضة الواعظين للفتال النيسابوري / ٨٧، وشرح الأخبار: ٢ / ١٠٩،

والاحتجاج: ١ / ٢٦٥، عن أبي عبيدة، ومناقب آل أبي طالب: ٢ / ١٩، عن المدائني، وبحار الأنوار: ٣٣ / ١٣٢، عن الإحتجاج، وأورد لها الأميني في الغدير: ٢ / ٢٦، أحد عشر مصدرا من أصحابنا، وستا وعشرين مصدرا من السنيين، منهم البيهقي رواها برمتها كما نقل عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة وابن الشيخ في ألف باء: ١ / ٤٣٩، والكندي في المجتنى / ٣٩، عن ابن دريد، والحموي في معجم الأدباء: ٥ / ٢٦٦، وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول / ١١، وابن الجوزي في تذكرة الخواص / ٦٢، والشنقيطي في كفاية الطالب / ٣٦، وقد رواها برمتها.. الخ.).

ولم يكتف جماعة معاوية بإخفائه رسالة علي وفضائله عليه السلام، بل أصروا على التمسك بأنه خال المؤمنين، وعمل أئمتهم لحقن ذلك في أذهان المسلمين!

قال ابن راهويه في مسنده: ٤ / ٢٩، وهو من كبار أئمتهم: (وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلالة، ولا سيما في دولة أخيها، ولمكانته منها قيل له: خال المؤمنين). (ومثله الذهبي في سيره: ٢ / ٢٢٢)!!

وقال ابن عربي في الفتوحات المكية: ١ / ٥١٨: (وكذلك ما أحدثه معاوية كاتب رسول الله (ص) وصهره، خال المؤمنين، فالظن بهم جميل رضي الله عن جميعهم ولا سبيل إلى تجريحهم، وإن تكلم بعضهم في بعض، فلهم ذلك وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم، فإنهم أهل علم واجتهاد وحديث وعهد بنبوة، وهم مأجورون في كل ما صدر منهم عن اجتهاد، سواء أخطؤوا أم أصابوا).

وفال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩ / ٥٥: (معاوية بن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الرحمن الأموي، خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين). (ومثله ابن كثير في النهاية: ٨ / ٢٣، تحت عنوان: فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه).

وقال ابن تيمية في منهاجه: ٤ / ٣٦٦: (قال الرافضي (العلامة الحلي رحمه الله في منهاج الكرامة / ٧٧): (وسموها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك! ولم يسموا أخاها محمد بن أبي بكر مع عظم شأنه وقرب منزلته من أبيه وأخته عائشة، فلم يسموه خال المؤمنين

وسموا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم (عندهم) من أخت معاوية ومن أبيها). انتهى. وقد كتب ابن تيمية تحت عنوان (والجواب) صفحات لا علاقة لها بالموضوع، إلا التحامل على المؤلف والشيعة وشتمهم!

ثم قال في / ٣٧١: (والذين أطلقوا على الواحد من أولئك أنه خال المؤمنين لم ينازعوا في هذه الأحكام، ولكن قصدوا بذلك الإطلاق أن لأحدهم مصاهرة مع النبي (ص) واشتهر ذكرهم لذلك عن معاوية كما اشتهر أنه كاتب الوحي وقد كتب الوحي غيره... ومعاوية أيضا لما كان له نصيب من الصحبة والاتصال برسول الله (ص) وصار أقوام يجعلونه كافرا أو فاسقا ويستحلون لعنته ونحو ذلك، احتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله (ص) ليرعى بذلك حق المتصلين برسول الله (ص) بحسب درجاتهم! وهذا القدر لو اجتهد فيه الرجل وأخطأ لكان خيرا ممن اجتهد في بغضهم وأخطأ! فإن باب الإحسان إلى الناس والعفو عنهم مقدم على باب الإساءة والانتقام، كما في الحديث ادرؤوا الحدود بالشبهات، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة). انتهى.

فابن تيمية يقول إن معاوية مظلوم من الشيعة وغيرهم من المسلمين! ولذلك (احتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله (ص) ليرعى بذلك حق المتصلين برسول الله، وقولهم إنه خال المؤمنين دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله! فلهم أجر وإن أخطأوا لأن نيتهم مخلصة! ومعاوية عندما كتب لعلي عليه السلام مفتخرا بأنه خال المؤمنين كان يدافع عن ظلامته من علي عليه السلام والمسلمين، وله أجر كذلك! هذا هو منطقهم! فعندما يحشرهم الحق يتركون صريح النص وينقلون الكلام إلى النية! وما دامت نية معاوية وأتباعه مخلصة، فهم دائما على حق!

وقد نظر لهذا المنطق أجدادهم مجسمة بغداد، الذين وجدوا في المتوكل العباسي مؤسسا ومولا لهم، وفي أحمد بن حنبل في شيخوخته إماما لهم.
قال الخلال في السنة: ٢ / ٤٣٤: (وجهنا رقعة إلى أبي عبد الله (أحمد بن حنبل): ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبا؟ قال أبو عبد الله: هذا قول سوء ردئ! يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ويبين أمرهم للناس! إسناده صحيح). انتهى.
بل استطاعوا أن يفرضوا كتابة اسم معاوية على أبواب بعض مساجد بغداد!
قال صاحبهم ابن العربي الأموي في العواصم من القواصم / ٢١٩: (وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس، مكتوب على أبواب مساجدها: خير الناس بعد رسول الله (ص) أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم). انتهى.
ولكنهم عجزوا عن فرض ذلك في مصر، لأن الدولة الفاطمية منعتهم! قال المقريزي في المواعظ والاعتبار / ١٦٧٨: (ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله إلى مصر وبنى القاهرة، أظهر مذهب الشيعة وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها بحي على خير العمل، وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم، فشكا إليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد في الطريق (فضائل أهل البيت عليهم السلام) فأمر بها فحبست، فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا: معاوية خال علي وخال المؤمنين، فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا إلى الجامع فنادى: أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول، فإنما حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقن أحد إلا حلت به العقوبة الموجعة. ثم أطلق العجوز).

وضع المتعصبون لخالهم معاوية أثرا مكذوبا عن ابن عباس!
وضعوا رواية عن ابن عباس في تفسير آية، تأييدا لقول معاوية! فقد حرمت سورة الممتحنة ولاية المؤمنين للمشركين والميل إليهم، حتى لو كانوا من أقاربهم أو عشيرتهم، قال الله تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.... لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد. عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم). (الممتحنة: ٤ – ٧)، فزعموا أن ابن عباس قال إن الاستثناء والأمل بالمودة في الآية الأخيرة يعني زواج النبي صلى الله عليه وآله برملة أم حبيبة! (قال: كانت المودة التي جعل الله بينهم تزويج النبي أم حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين)! (الدر المنثور: ٦ / ٢٠٥ وفي طبعة: ٨ / ١٣٠، وغيره).
لكن أكثرهم ردوا هذه الكذبة! قال ابن جزي في التسهيل: ٤ / ١١٤: (وقيل المودة تزوج النبي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية). انتهى.
أقول: كانت رملة وتكنى أم حبيبة، مسلمة قبل الهجرة وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصر زوجها هناك، وثبتت هي مع المهاجرين، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى النجاشي فخطبها له وأعطى صداقها، وعادت من الحبشة فتزوجها النبي صلى الله عليه وآله! وأبو سفيان في كل ذلك قائد المشركين، ومعاوية غلام! (راجع طبقات ابن سعد: ٨ / ٩٦). ثم الجواب أنها ليست حديثا، بل قول منسوب إلى

ابن عباس، ولا يصح، لأنهم رووا ضده من مواقفه مع معاوية! وحتى لو قلنا بصحته وأن نزول السورة قبل زواج النبي صلى الله عليه وآله برملة وأنها تشمل المودة بزواجه صلى الله عليه وآله، فهذا لا يصحح وصف معاوية بخال المؤمنين، للأدلة التي أوردها علماء السنة والشيعة!

قال المقريزي في إمتاع الأسماع: ١٠ / ٢٦٣: (قال البيهقي: كذا في رواية الكلبي، وذهب علماؤنا إلى أن هذا الحكم لا يتعدى أزواج النبي (ص) فهن أمهات المؤمنين في التحريم، ولا يتعدى هذا التحريم إلى إخوتهن ولا إلى إخوانهن ولا إلى بناتهن. ومنع قوم من جواز تسمية معاوية خال المؤمنين، بأن هذا أمر مبتدع لم يطلقه عليه إلا الغلاة في موالاته، حتى أنهم زعموا أنه دعي بذلك في عهد النبي (ص) وبالغوا في الإفك حتى نسبوه إلى أنه من قول الرسول (ص) وليس لذلك أصل ولا عرف إطلاق ذلك في عصر الصحابة والتابعين! فقد قتل محمد بن أبي بكر ولم يشنع أعداء معاوية إذ ذاك بأنه قتل خال المؤمنين، وثار عبد الله بن الزبير بمكة على سويد بن معاوية، ولم يكترث بأنه ابن خالة المؤمنين! ولا دعاه به أحد من الصحابة، ولم يدع عبد الله بن عمر بخال المؤمنين، ولا قيل قط لعبد الرحمن بن أبي بكر خال المؤمنين! ولا يمتري عامة أهل العلم في أن منزلة عائشة وحفصة من رسول الله (ص) كانت أعظم من منزلة أم حبيبة بنت أبي سفيان، ومع ذلك فلم يدع أحد من إخوتها بخال المؤمنين، فكيف يطلق على معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين ومنزلته ومنزلة أبيه من رسول الله (ص) دون منزلة عبد الله بن عمر؟ ومكانة عبد الله من العلم والورع والسابقة أعظم من مكانته وهذه عائشة تقول وقد قالت لها امرأة يا أمه: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، فعلمتنا بذلك معنى الأمومة تحريم نكاحهن، وكذا لم ينقل أن أحدا قال لأسماء

بنت أبي بكر خالة المؤمنين! فقد قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: (وأزواجه أمهاتهم) أي في حرمة نكاحهن وهذه الأمومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير! ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن).

وقد تكلم عدد من عقلائهم بنحو كلام البيهقي والشافعي والمقريزي. (راجع: تاريخ دمشق:: ٥٩ / ١٠٣، و ٦٩ / ١٤٨، والنهاية: ٤ / ١٦٣، وسيرة ابن كثير: ٣ / ٢٧٣، وذخيرة الحفاظ / ١٥١، و تفسير الآلوسي: ٢٨ / ٧٤، والكامل لابن عدي: ٣ / ٥٤، و: ٦ / ١١٦، وقصيدة عبد الله الأشعث / ٤٥، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة / ٣٣).

أما ردود علمائنا فمن أقدمها رد الشريف المرتضى رحمه الله في رسائله: ٤ / ٦٥، قال:

(ومن ذهب لأجل تسميته بأنهن أمهات المؤمنين إلى أن معاوية خال المؤمنين فقد ذهب مذهبا بعيدا، وحاد عن رأي الصواب السديد، لأن أخ الأم إنما يكون خالا إذا كانت الأمومة من طريق النسب، وأما إذا كانت على سبيل التشبيه والاستعارة فالقياس غير مطرد فيها، ولهذا لا يسمى آباء أزواج النبي أجدادا لنا، ولا أخواتهن لنا خالات، ولا يجري القياس في هذا الموضع مجراه في النسب. وكيف اختص بالخؤولة معاوية دون كل إخوة أزواج النبي؟ وهلا وصف محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر بالخؤولة إن كان القياس مطردا؟ ولكن العصبية تعمي وتصم)! (وشبيه به الشيخ الطوسي رحمه الله في المبسوط: ٤ / ١٥٩).

وقال أبو الفتح الكراجكي في التعجب من أغلاط العامة / ١٠٤: (ومن عجيب أمر الحشوية، ووقاحتهم في العناد والعصبية: أنهم يقولون: إن معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، ويقولون إنه استحق ذلك بسبب أن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبي صلى الله عليه وآله اللواتي هن بنص القرآن للمؤمنين أمهات، ولا يسمون محمد بن أبي بكر خال المؤمنين، بل لا يذكرونه بذكر جميل، وأخته عائشة أعظم أزواج النبي صلى الله عليه وآله عندهم قدرا، وأجل الأمهات في مذهبهم فضلا

وذكرا، وليس تدانيها عندهم أم حبيبة ولا تقاربها، ولا أبوها كأبيها، فلم لا يسمون محمد بن أبي بكر خال المؤمنين، ويكون أحق بذلك من معاوية بن أبي سفيان الفاسق اللعين الطليق ابن الطليق الذي لعنه رسول الله وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، وكان من المؤلفة قلوبهم، ولم يحفظ قط حسنة يبسط معها في تفضيلهم له عذرا، ولا ورد في الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله تسميته بخال المؤمنين فيصح قولهم! وبأي وجه استحق معاوية هذا الإكرام دون محمد بن أبي بكر؟ وكيف يجب أن تحفظ أم حبيبة في أخيها معاوية، ولم يجب أن تحفظ عائشة في أخيها محمد؟! كلا، ليس يخفى على العاقل أن بغضهم لأمير المؤمنين عليه السلام حملهم على تفضيل محاربيه وتبجيل أعاديه ومعانديه، وإهمال ذكر أوليائه والمنسوبين إليه من أصفيائه! وقد علم أن معاوية كان لأمير المؤمنين عليه السلام عدوا وحربا، وأن محمد بن أبي بكر كان له وليا وحزبا، بذلك صار معاوية خالا للمؤمنين دون محمد بن أبي بكر، ربيب أمير المؤمنين عليه السلام! مع ما أنه على الحقيقة واليقين لا يصح أن يكون أحد من إخوة أزواج النبي خالا للمؤمنين، وذلك أن الله تعالى إنما جعل أزواج نبيه أمهات لهم، ليحرم عليهم بعده العقد عليهن، فلو كان معاوية عليه الهاوية أو غيره خالا للناس لأجل أن أخته في حكم الأمهات، لحرم عليه وطأ مؤمنة، لأن الخال لا يحل أن يطأ بنت أخته.. الخ)!

* *

كتب للنبي صلى الله عليه وآله رسالتين أو ثلاثا فأشاع أنه كاتب الوحي!
قال العلامة الحلي رحمه الله في منهاج الكرامة / ٧٧، وفي شرحه للسيد الميلاني: ١ / ٤٧٥:
(وسموه كاتب الوحي، ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي، بل كان يكتب له رسائل، وقد كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أربعة عشر نفسا يكتبون الوحي، أولهم وأخصهم به وأقربهم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام، مع أن معاوية لم يزل مشركا مدة كون النبي صلى الله عليه وآله مبعوثا، يكذب بالوحي ويهزأ بالشرع.
وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ويكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيره بإسلامه ويقول: أصبوت إلى دين محمد صلى الله عليه وآله؟ وكتب إليه: يا صخر لا تسلمن.. الأبيات. والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، ومعاوية حينئذ مقيم على شركه، هارب من النبي صلى الله عليه وآله، لأنه كان قد أهدر دمه، فهرب إلى مكة، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي صلى الله عليه وآله مضطرا فأظهر الإسلام وإن إسلامه قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وطرح نفسه على العباس فسأل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فعفا عنه، ثم شفع إليه أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب، فأجابه وجعله واحدا من أربعة عشر، فكم كان يخصه من الكتابة في هذه المدة لو سلمنا أنه كان كاتب الوحي، حتى استحق أن يوصف بذلك دون غيره؟! على أن من جملة كتبة الوحي ابن أبي سرح، وارتد مشركا! وفيه نزل: ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي، فطلع معاوية!
وقام النبي صلى الله عليه وآله يوما يخطب، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لعن الله القائد والمقود، أي يوم يكون

لهذه الأمة من معاوية ذي الأستاه؟! (أي العجيزة). وبالغ في محاربة علي عليه السلام وقتل جمعا كثير من خيار الصحابة، ولعنه على المنابر واستمر سبه مدة ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز. وسم الحسن عليه السلام وقتل ابنه يزيد مولانا الحسين عليه السلام ونهب نساءه. وكسر جده ثنية الرسول صلى الله عليه وآله، وأكلت أمه كبد حمزة عليه السلام). انتهى.

وقال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: ٢ / ١١١: (وقالوا: كان معاوية كاتب الوحي وقد كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو ما كان ينزل عليه من القرآن جماعة ممن كان يومئذ يحسن الكتابة، وكانوا قليلا كعلي عليه السلام وقد كان يكتب ذلك، وكتب ذلك قبل معاوية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد كافرا ولحق بمكة قبل الفتح وهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه يوم فتح مكة... وقد ذكرنا فيما تقدم خبره واستنقاذ عثمان بن عفان إياه. وما علمنا أحدا جعل كتابة الوحي فضيلة يتوسل بها إلى أن يكون إماما بذلك، والناس يكتبون القرآن إلى اليوم! والتماس مثل هذا لمن يراد تفضيله مما يبين تخلفه عن الفضائل).

وقال الباحث صائب عبد الحميد في منهج في الإنتماء المذهبي / ٢٤٥: (وبعد، فإن هذا الصحابي وكاتب الوحي! هو الذي قتل الصحابيين: حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي صبرا، لأنهما ردا على من سب عليا على منابر المسلمين! وليتك تدري أن الذي سعى بهما وبأصحابهما إلى معاوية فكان سببا في قتلهم جميعا هو صحابي آخر، وقد عمل لمعاوية على الكوفة بعد المغيرة، وهو القائل لحجر بن عدي رضي الله عنه: أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة لعلي؟ قال: نعم قال: فإن الله قد حول ذلك بغضة وعداوة. أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم. قال: فإن الله قد حول ذلك كله محبة وموالاة، فلا أعلمنك ما ذكرت عليا بخير، ولا أمير المؤمنين معاوية

بشر! إنه زياد بن أبيه، وقد كتب فيهم إلى معاوية: إنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزروا على الولاة، فخرجوا بذلك عن الطاعة (١)! فأمر بقتلهم جميعا وكانوا سبعة نفر بمرج عذراء من بلاد الشام. قيل: ودخل معاوية على عائشة فقالت له: يا معاوية ما حملك على قتل أهل عذراء، حجرا وأصحابه؟! فقال: يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم إصلاحا للأمة، وفي بقائهم فسادا! فقالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء! (٢) هل عجبت من دين هؤلاء؟ كلا، فإن الأعجب من ذلك ما نسمعه من وجوب حفظ كرامتهم والترضي عليهم). هامش: (١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣٠، وقصة زياد ومعاوية مع حجر وأصحابه تجدها مفصلة في: الكامل في التاريخ: ٣ / ٤٧٢، وتهذيب تاريخ دمشق: ٢ / ٣٧٣، عند ترجمة أرقم الكندي. (٢) دلائل النبوة: ٦ / ٤٥٧، البداية والنهاية: ٦ / ٢٣١، الإصابة: ٢ / ٣٢٩.

وقال الحافظ السقاف في شرح كتاب ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه / ٢٣٥:

(ومن الغريب المضحك حقا بعد هذا أن تجد ابن كثير يقول في باب عقده في تاريخه (٨ / ٢٠) في فضل معاوية ما نصه: هو معاوية بن أبي سفيان.... خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند يوم الفتح. ثم قال بعد ذلك: (والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول (ص) مع غيره من كتاب الوحي). انتهى. قلت: كلا والله الذي لا إله إلا هو، لم يصح كلامك يا ابن كثير ولاما اعتمدته وزعمته! فأما قولك: (خال المؤمنين) فليس بصحيح البتة، وذلك لأنه لم يرد ذلك في سنة صحيحة أو أثر، وعلى قولك هذا في الخؤولة يكون حيي بن أخطب اليهودي جد المؤمنين، لأنه والد السيدة صفية زوجة النبي (ص)، وليس كذلك. ولم أرك تقول عن سيدنا أبي بكر أو عن سيدنا عمر إنه جد المؤمنين لأن بنتيهما زوجتا رسول الله (ص)! ولا أريد الإسهاب في إبطال

هذه الخؤولة المزعومة إنما أذكرها في موضع آخر تختص به إن شاء الله تعالى.
وأما قولك (وكاتب وحي رب العالمين) فليس بصحيح أيضا، وذلك لأن معاوية أسلم عام الفتح، وهو وأبوه من الطلقاء، وقد أسلم في أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي، ووصل عند قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا. فماذا سيكتب معاوية بعد هذا؟! وقد ذكر الحافظ الذهبي في السير (٣ / ١٢٣) عن أبي الحسن الكوفي قال: كان زيد بن ثابت كاتب الوحي، وكان معاوية كاتبا فيما بين النبي وبين العرب. وكذا قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في الإصابة: وليكن معلوما أنه أيضا ما كتب للنبي (ص) إلا ثلاث رسائل)! ثم ليعلم علما أكيدا، أن كتابة معاوية للوحي على فرض أنها صحيحة كما يزعم ابن كثير، ليست عاصمة له مما وقع فيه مما قدمنا بعضه وسنذكر تمامه في بحث علمي مستقل إن شاء الله تعالى، بدليل أن عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب للنبي (ص) الوحي في مكة أول ما نزل الوحي، ارتد وخرج من الإسلام بعد ذلك كما في ترجمته في كتب الحفاظ والمحدثين ومنها كتاب سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣) والإصابة لابن حجر وغير ذلك، وروى أبو داود في سننه (٤ / ١٢٨ برقم ٤٣٥٨) بسند حسن عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله (ص) فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله (ص) أن يقتل يوم الفتح.... انتهى.
فهذه ثلاثة براهين تبطل قول ابن كثير في تفضيل معاوية بكتابة الوحي، وتجتث هذه الفضيلة من جذورها). انتهى.
وقال الشهيد نور الله التستري في كتابه إحقاق الحق / ٢٦٢: (إن ما ذكره من أن معاوية كان كاتب الوحي غير مسلم، وإنما كان كاتب الصدقات، كما حققه

حافظ أبرو من الشافعية، في تاريخه المشهور). انتهى.
أقول: إن عدم وجود دليل صحيح لا عندنا ولا عندهم على كتابة معاوية للوحي، وكثرة المكذوبات في ذلك تجعلنا نشك في أنه كتب أي شئ للنبي صلى الله عليه وآله! ونشك فيما جعلوه مناسبة للحديث النبوي الثابت (لا أشبع الله بطنه) فقالوا إن النبي صلى الله عليه وآله أرسل الصبي ابن عباس في إحضاره مرات، وهو يقول إنه يأكل، فدعا النبي صلى الله عليه وآله عليه، فالذي أظنه أن مناسبة الحديث كانت شيئا آخر فحرفوها ليجعلوها مناسبة استكتاب النبي صلى الله عليه وآله له!
* *

وضع المتعصبون حديثا يزعم أن معاوية كاتب الوحي!
والرواية الوحيدة اليتيمة التي تشير إلى أن معاوية كتب شيئا للنبي صلى الله عليه وآله، رواها مسلم في صحيحه، تقول إن أبا سفيان طلب من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أشياء فأعطاه إياها: أن يكون صهره على ابنته رملة، وأن يجعل معاوية كاتبا عنده، وأن يجعله أميرا ليحارب الكفار كما حارب المسلمين! وقد ضعفها علماؤهم وحكموا بأنها موضوعة! ونصها كما في مسلم: ٧ / ١٧١: (باب من فضائل أبي سفيان، عباس بن عبد العظيم العنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالا: حدثنا النضر وهو ابن محمد اليمامي، حدثنا عكرمة، حدثنا أبو زميل، حدثني ابن عباس: قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي (ص) يا نبي الله ثلاث أعطنيهن. قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال: نعم. قال وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم. قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي (ص) ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئا إلا قال: نعم). انتهى.
قال السيد شرف الدين رحمه الله في كتابه: أبو هريرة / ١٨١: (اقتصر عليه مسلم في باب فضائل أبي سفيان، إذ لم يجد والحمد لله سواه! وهو باطل بالاجماع).
أقول: هذا النص مع أنه مكذوب يكشف حقيقة مهمة واجهت أبا سفيان بعد فتح مكة، وبعد أن عزلته قريش عن رئاستها وجاء إلى المدينة، فأعرض المسلمون عن مجالسته وحتى النظر اليه، فقد شهدت الراية (كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه)! وهذا موقف طبيعي تجاه إمام الكفر الذي لاقى منه النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون أشد صنوف العداء! ولم يكن لأبي سفيان ملجأ إلا أبو بكر وعمر وعثمان، والعباس بن عبد المطلب، وقد روت المصادر أن

المسلمين كانوا يتحرقون أسفا على بقائه حيا!
قال في شرح النهج: ٧ / ٢٩٦: (وجاء في الأخبار الصحيحة أيضا، أن جماعة من أصحاب الصفة مر بهم أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه، فعضوا أيديهم عليه وقالوا: وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله! وكان معه أبو بكر فقال لهم: أتقولون هذا لسيد البطحاء؟! فرفع قوله إلى رسول الله (ص) فأنكره وقال لأبي بكر: أنظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربك! فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم وسألهم أن يستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك). (ورواه في شرح الأخبار: ٢ / ٥٣٤، والمقريزي في النزاع والتخاصم بين بني أمية وهاشم / ٢١٧).
ورواه مسلم في صحيحه: ٧ / ١٧٣، وفيه: (أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال فقال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبي (ص) فأخبره فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك! فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم؟ قالوا لا يغفر الله لك). (ومسند أحمد: ٥ / ٦٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٥ / ٧٥ وفضائل الصحابة / ٥١، والقرطبي في تفسيره: ٦ / ٤٣٥، والذهبي في سيره: ١ / ٥٤٠ والنووي في الأذكار / ٣٥٦، وحلية الأولياء: ١ / ٣٤٦، والترغيب والترهيب للمنذري: ٤ / ٦٧، ومسند الروياني: ٢ / ٣٤، وشرح النهج: ١٨ / ٣٧، وغيرها).
وقد تبرع النووي في شرحه لمسلم: ١٦ / ٦٦، فقال: (وهذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية)! انتهى. وهذا هوى عجيب من النووي لأن أبا سفيان جاء بعد الحديبية إلى المدينة ليوم أو يومين، ورواية مسلم تتحدث عن شخص يقيم في المدينة بشكل دائم أو مدة معتدا بها! (كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه)، فلا دليل للنوي ولا نص إلا تبرعه في الدفاع عن والد معاوية! بل نصت رواية شرح النهج على أن ذلك كان

بعد إعلانه إسلامه، بل هو مقتضى تحرقهم وتأسفهم على أن وقت قتل أبي سفيان قد فات! فلو كان قبل إعلان إسلامه لكان تأسفهم بنحو آخر! ولو كان قبل إعلان إسلامه لكان الإشكال على أبي بكر أشد، لدفاعه عنه وإعطائه لقب (سيد البطحاء وشيخ قريش وسيدهم)! وهذه ألقاب كانت لهاشم وعبد المطلب وأبي طالب رضي الله عنهم، وقد صادرها زعماء قريش عندما حاربوا النبي صلى الله عليه وآله! قال في السيرة الحلبية: ١ / ٩: (واتفق أنه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقا وكعكا، وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر، وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم! فسمى بذلك هاشما، وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء). (وتاريخ الطبري: ٢ / ٨، وتاريخ اليعقوبي: ١ / ٢٤٥). كما وصفت المصادر دعاء عبد المطلب رحمه الله عندما أجدب أهل مكة لسنين فاستسقى بالنبي صلى الله عليه وآله! قالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم: (قام فاعتضد ابن ابنه محمدا فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب، ثم قال: اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم، ومسؤول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذارات حرمك، يشكو إليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف، فاسمعن اللهم، وأمطرن علينا غيثا مغدقا مريعا سحا طبقا دراكا. قالت: فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بثجثجه، وانصرف الناس، فسمعت شيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك سيد البطحاء)! (وكتاب الدعاء للطبراني / ٦٠٦، والمعجم الكبير: ٢٤ / ٢٦٠، ومجمع الزوائد: ٢ / ٢١٤، و: ٨ / ٢١٩، وشرح النهج: ٧ / ٢٧١، وغيرها. ومعنى صفة النبي صلى الله عليه وآله بأنه (قد أيفع أو كرب) أي كان صبيا يافعا قارب البلوغ. ولا بد أن المقصود أنه صلى الله عليه وآله كان يبدو للناظر كذلك وإن كان سنه أصغر من ذلك، لأن عبد المطلب رحمه الله توفي وكان

سنه صلى الله عليه وآله دون العاشرة فكفله أبو طالب رحمه الله. ومعنى كرب كما في غريب النهج والأثر للبدري ٩٤٦: قرب من البلوغ، وهي من الألفاظ المشتركة في اللغات القديمة).
وقد شهد معاوية بهذا اللقب لأبي طالب رحمه الله فقال كما في تاريخ الطبري: ٤ / ١١٥ عندما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام:
نجوت وقد بل المرادي سيفه * من ابن أبي شيخ الأباطح طالب). انتهى.
وعلى هذا، فتسمية أبي بكر لأبي سفيان (شيخ البطحاء وسيد قريش وسيد مكة) لا وجه له إلا أن أبا بكر كان يعيش ضعف بني تيم، أمام بني أمية! بينما كان سلمان وجماعته يعيشون عزة الإسلام، ويرون أبا سفيان ما زال كافرا رغم إعلانه الإسلام! وقد أمضى النبي صلى الله عليه وآله رأيهم، وحكم بأن إغضابهم إغضاب لله تعالى!
ويبدو أن اعتذار أبي بكر كان موقتا! فما أن تولى الخلافة حتى محى اسم أبي سفيان من المؤلفة قلوبهم، ثم ألغى عمر سهم المؤلفة نهائيا، لأنه علامة على جباه زعماء الطلقاء بأنهم لم يؤمنوا فهم يستمالون بالمال! (راجع: المدونة: ١ / ٢٩٧، وابن شيبة: ٣ / ٢٧٩، وسنن البيهقي: ٧ / ٢٠)
من الذي كذب حديث أبي سفيان الذي رواه مسلم؟
المؤكد أن واضع الحديث ليس صحابيا، لأن الصحابي يعرف أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج برملة بنت أبي سفيان قبل فتح مكة بدهر، فلا يمكن أن يقول على لسان أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وآله: (عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم)! وهذا أهم إشكالاتهم على الحديث. قال النووي في شرح مسلم: ١٦ / ٦٣: (واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه، وكان النبي (ص) قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان

طويل... ثم نقل النووي قول ابن حزم: قال موضوع، والآفة فيه من عكرمة بن عمار، الراوي عن أبي زميل! وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هذا على ابن حزم وبالغ في الشناعة عليه قال: وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة! قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبا لقلبه... هذا كلام أبي عمرو رحمه الله وليس في الحديث أن النبي (ص) جدد العقد، ولا قال لأبي سفيان إنه يحتاج إلى تجديده فلعله (ص) أراد بقوله نعم أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقته عقد). انتهى.

أقول: هذا نموذج من دفاعهم عن أبي سفيان ومعاوية بالتمحل وغير المعقول! فكيف تعقل أبو عمرو شيخ النووي أن أبا سفيان أراد بقوله للنبي صلى الله عليه وآله (عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها) أن يجدد النبي صلى الله عليه وآله عقد زواجه على رملة فيكون زوجه إياها؟! فلماذا يصفها له بأنها أجمل العرب وهي عند زوجها وهو أخبر منه بجمالها أو قبحها؟!

لقد أطال (علماؤهم) في تسويد صفحات طويلة لتصحيح معنى الحديث المكذوب أو سنده، ولكنهم اعترفوا أخيرا بعدم إمكانية ذلك! قال ابن قيم في جلاء الأفهام / ٢٤٨: (قال أبو محمد بن حزم: هذا حديث موضوع لا شك في وضعه، والآفة فيه من عكرمة بن عمار، ولم يختلف في أن رسول الله (ص) تزوجها قبل الفتح بدهر، وأبوها كافر. فإن قيل: لم ينفرد عكرمة بن عمار بهذا الحديث، بل قد توبع عليه، فقال الطبراني في معجمه: حدثنا علي بن سعيد الرازي، حدثنا محمد بن حليف بن مرسال الخثعمي قال: حدثني عمي

إسماعيل بن مرسال، عن أبي زميل الحنفي قال: حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يفاتحونه (يكلمونه) فقال: يا رسول الله، ثلاث أعطنيهن.. الحديث. فهذا إسماعيل بن مرسال قد رواه عن أبي زميل، كما رواه عنه عكرمة بن عمار، فبرئ عكرمة من عهدة التفرد.

قيل: هذه المتابعة لا تفيده قوة، فإن هؤلاء مجاهيل لا يعرفون بنقل العلم، ولا هم ممن يحتج بهم، فضلا عن أن تقدم روايتهم على النقل المستفيض المعلوم عند خاصة أهل العلم وعامتهم، فهذه المتابعة إن لم تزده وهنا لم تزده قوة).

وقال السقاف في شرح دفع شبه التشبيه لابن الجوزي / ٥٢: (قلت: هذا حديث موضوع وهو أحد الأحاديث الثلاثة الموضوعة التي في صحيح الإمام مسلم. ومن دلائل وضعه: أن رسول الله (ص) كان قد تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان قبل فتح مكة بدهر... قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧ / ١٣٧) عن هذا الحديث في ترجمة أحد رواته (عكرمة بن عمار) ما نصه: (قلت: قد ساق له مسلم في الأصول حديثا منكرا، وهو الذي يرويه عن سماك الحنفي عن ابن عباس، في الأمور الثلاثة التي التمسها أبو سفيان من النبي (ص). وقد نقل الإمام الحافظ النووي في شرح مسلم (١٦ / ٦٣) عند شرح هذا الحديث أن ابن حزم حكم عليه بالوضع. قلت: وهو حكم صحيح لا غبار عليه. وقال الحافظ ابن الجوزي في هذا الحديث: هو وهم من بعض الرواة، لا شك فيه ولا تردد، وقد اتهموا به عكرمة بن عمار راوي الحديث..). انتهى.

وقال السيد الميلاني في شرح منهاج الكرامة: ١ / ٤٧٥: (قال ابن تيمية: فهذا قول بلا حجة ولا علم، فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمة واحدة من الوحي، وإنما كان يكتب له رسائل؟). أقول: هذا من فرط جهل الرجل أو تعصبه، إذ

على المدعي أن يقيم الدليل المقبول على مدعاه، لا على المنكر فيما ينكره، كما هو معلوم! ثم إن الأصل في كتابة معاوية للنبي صلى الله عليه وآله هو ما أخرجه مسلم! قال ابن حجر المكي في فضائل معاوية: ومنها: إنه أحد الكتاب لرسول الله (ص) كما في صحيح مسلم. وهو لو صح يفيد كونه كاتبا لا كاتبا للوحي، لكنه باطل موضوع كما صرح كبار الأئمة كما ستعرف). (راجع للتوسع نفحات الأزهار للسيد الميلاني: ٦ / ٢٢٣).

* *

بقيت أربع ملاحظات في الموضوع، الأولى:

روى الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار / ٣٤٦، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومعاوية يكتب بين يديه وأهوى بيده إلى خاصرته بالسيف: من أدرك هذا يوما أميرا فليبقر خاصرته بالسيف! فرآه رجل ممن سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يوما وهو يخطب بالشام على الناس، فاخترط سيفه ثم مشى إليه فحال الناس بينه وبينه فقالوا: يا عبد الله مالك؟ فقال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: من أدرك هذا يوما أميرا فليبقر خاصرته بالسيف! قال فقالوا: أتدري من استعمله؟ قال: لا، قالوا: أمير المؤمنين عمر. فقال الرجل: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين)!

أقول: يدل هذا الحديث على أن معاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله شيئا، ولا يوجد دليل على أنه كان يكتب القرآن أو الوحي فقد يكون رسالة أو قائمة توزيع الصدقات أو جبايتها، لأن أباه كان مسؤول جمع الصدقات في نجران، وأخاه في تيماء كما مر، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يكتب الصدقات ويكتب من يبعثهم من الجند في بعوثه، وذات مرة كتب أسماء كل المسلمين في المدينة.

قال في شرح النهج: ١ / ٣٣٨: (واختلف في كتابته له كيف كانت؟ فالذي عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحي كان يكتبه علي وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأن حنظلة بن الربيع التيمي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه، ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات، وما يقسم في أربابها). انتهى.

وقد أجاب الصدوق رحمه الله بأنه على فرض أنه كان يكتب الوحي، فلا دلالة فيه على كرامة لمعاوية ولا مقام، لأن الكتابة كانت قليلة في العرب وكان النبي صلى الله عليه وآله يستكتب من يجده، وقد استكتب شخصا وارتد وهرب إلى مكة!

قال الصدوق رحمه الله بعد إيراد حديث الإمام الباقر عليه السلام: (إن الناس يشبه عليهم أمر معاوية بأن يقولوا كان كاتب الوحي، وليس ذلك بموجب له فضيلة، وذلك أنه قرن في ذلك إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكانا يكتبان له الوحي وهو الذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله! وكان النبي صلى الله عليه وآله يملي عليه: والله غفور رحيم فيكتب: والله عزيز حكيم! ويملي عليه: والله عزيز حكيم، فيكتب: والله عليم حكيم! فيقول له النبي صلى الله عليه وآله: هو واحد هو واحد، فقال عبد الله بن سعد: إن محمدا لا يدري ما يقول! إنه يقول وأنا أقول غير ما يقول، فيقول لي: هو واحد هو واحد! وإن جاز هذا فإني سأنزل مثل ما أنزل الله! فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون. (الأنعام: ٩٣) فهرب وهجا النبي فقال النبي صلى الله عليه وآله: من وجد عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولو كان متعلقا بأستار الكعبة فليقتله. وإنما كان النبي صلى الله عليه وآله

يقول له فيما يغيره: هو واحد هو واحد لأنه لا يكتب ما يريده عبد الله، إنما كان يكتب ما كان يمليه عليه السلام فقال: هو واحد غيرت أم لم تغير لم يكتب ما تكتبه، بل يكتب ما أمليه عن الوحي وجبرئيل يصلحه! وفي ذلك دلالة للنبي صلى الله عليه وآله.

ووجه الحكمة في استكتاب النبي صلى الله عليه وآله الوحي معاوية وعبد الله بن سعد وهما عدوان، هو أن المشركين قالوا إن محمدا يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، ويأتي في كل حادثة بآية يزعم أنها أنزلت عليه، وسبيل من يضع الكلام في حوادث تحدث في الأوقات أن يغير الألفاظ إذا استعيد ذلك الكلام، ولا يأتي به في ثاني الأمر، وبعد مرور الأوقات عليه إلا مغيرا عن حاله الأولى، لفظا ومعنى أو لفظا دون معنى، فاستعان في كتب ما ينزل عليه في الحوادث الواقعة بعدوين له في دينه، عدلين عند أعدائه، ليعلم الكفار والمشركون أن كلامه في ثاني الأمر كلامه في الأول، غير مغير ولا مزال عن جهته، فيكون أبلغ للحجة عليهم، ولو استعان في ذلك

بوليين مثل سلمان وأبي ذر وأشباههما لكان الأمر عند أعدائه غير واقع هذا الموقع، وكان يتخيل فيه التواطؤ والتطابق. فهذا وجه الحكمة في استكتابهما واضح بين والحمد لله). انتهى.

أقول: لابد أن يكون كلامه رحمه الله جوابا على استكتاب ابن أبي سرح، وتنزلا في معاوية حيث لا يوجد في الحديث ولا في غيره أن معاوية كتب شيئا من الوحي!

الثانية

تقدم في كلام العلامة الحلي رحمه الله قوله: (وقد كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أربعة عشر نفسا يكتبون الوحي) ولعله يقصد المشهورين بالكتابة له صلى الله عليه وآله أو الذين أحصاهم، وإلا فالذين كتبوا للنبي صلى الله عليه وآله يزيد عددهم على خمسين، وقد أحصى الشيخ الأحمدي في مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ١ / ١٢٣، نحو أربعين أولهم أمير المؤمنين عليه السلام

الذي كان يكتب الوحي من بدء نزوله وكتب القرآن كله بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله. وأبي بن كعب، وخالد بن سعيد بن العاص، وأخوه أبان، وبريدة بن الحصيب، وأبي بكر وعمر وعثمان وعمرو بن العاص، وزيد بن ثابت، وحنظلة بن الربيع، والزبير بن العوام، وغيرهم. ومنهم ابن أبي سرح الذي كفر وهرب إلى مكة. وفي مسند أحمد: ٣ / ٢٢٢ ومنتخب عبد بن حميد / ٣٨١: (عن أنس قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله (ص) فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، قال فرفعوه قالوا هذا كان يكتب لمحمد وأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم! فحفروا له وواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له وواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا)! (ومسلم: ٨ / ١٢٤، والبيهقي في عذاب القبر / ٥٦).

الثالثة

تدرج معاوية في ادعائه من: كاتب شئ للنبي صلى الله عليه وآله، إلى كاتب عند النبي، إلى كاتب الوحي، إلى مختار وحيد من الله من عترة النبي صلى الله عليه وآله لكتابة الوحي! فكان طبيعيا لمحبيه وعباده أن يزيدوا عليه، فقد فضله بعضهم على الأنبياء عليهم السلام، ففي نثر الدرر / ١٣٦٠: (حدث أن ثلاثة من المشايخ حضروا الجامع، فقال واحد لآخر: جعلت فداك أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان أم عيسى بن مريم؟ فقال: لا والله ما أدري! فقال الثالث: يا كشخان، تقيس كاتب الوحي إلى نبي النصارى؟!).

بل وصل الأمر عند بعضهم أنهم جعلوا معاوية غير مخلوق! لأن كلام الله تعالى غير مخلوق ومعاوية كاتبه فهو مثله! ففي غرر الخصائص للوطواط / ٢١٣: (وسئل آخر وكان ناصبيا عن معاوية؟ فقال: معاوية ليس بمخلوق لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق، وكاتب الوحي من الوحي). انتهى.

وفي محاضرات الأدباء / ١٢٧٧: (وقال بعض عوام الناصبة لمعاوية ليس بمخلوق! فقيل كيف؟ قال: لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتبه منه).
وينبغي أن نشير هنا إلى أن حملة المأمون العباسي على القائلين بعدم خلق القرآن كانت عملا صحيحا، لأنهم كانوا مجسمة يزعمون أن الله تعالى جسم مادي له أبعاد، والقرآن كلامه فهو جزء مادي منه! كما كانوا نواصب فإن النصب والتجسيم توأمان دائما!
ومن جميل ما رواه الذهبي وهو منهم: (قيل لفيثون النصراني: ما تقول في المسيح؟ قال: ما يقوله أهل سنتكم في القرآن)! (سير الذهبي: ١١ / ١٧٥).
الرابعة
نشر النبي صلى الله عليه وآله القراءة والكتابة في المدينة، وكتب عدد السكان، والجنود، وواردات بيت المال ومصارفه، من أسماء دافعي الزكاة ومستحقيها ومبالغها. كما أوصى الذين يكتبون له بتحسين الخط واختيار القلم والورق، وحتى شكل الحروف! وقد وثقنا ذلك في كتاب تدوين القرآن، وواصل أمير المؤمنين عليه السلام اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بذلك، إذ رويت عنه عدة توجيهات للكتاب.
وجاء معاوية ورواته فأغاروا على هذه الأحاديث وجعلوها توجيهات من النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية، زاعمين أنه كاتب الوحي الوحيد الذي اختاره الله لهذه المهمة! فهو عزيز النبي صلى الله عليه وآله ووزيره ووصيه وشريكه في الوحي!
وقد نبه علماء الجرح والتعديل على ضعفها ووضعها، لكنها أخذت طريقها إلى عوام المسلمين ومصادرهم؟! ومنها ما في مجمع الزوائد: ٩ / ٣٥٦: (عن عائشة قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي (ص) دق الباب داق فقال النبي (ص): أنظروا من هذا؟ قالوا: معاوية، قال: إئذنوا له، فدخل وعلى أذنه قلم يخط به فقال: ما

هذا القلم على أذنك يا معاوية؟ قال: قلم أعددته لله ولرسوله! فقال: جزاك الله عنا خيرا)! وفي ميزان الاعتدال للذهبي: ٤ / ٤٨٢: (عن أنس: كان معاوية كاتب النبي فكان إذا رأى من النبي غفلة وضع القلم في فيه فقال: يا معاوية إذا كتبت كتابا فضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك). (ولسان الميزان: ٦ / ٣٣٣ والمجروحين: ٣ / ١٤١).

وبعض هذه الروايات عن علي عليه السلام فجعلوها عن النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية! كما في فتح الباري: ٧ / ٣٨٧: (وقوله لمعاوية: ألق الدواة، وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين، ولا تعور الميم. وقوله: لا تمد بسم الله.... وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث)

وفي مكاتيب الرسول للأحمدي: ١ / ٣٨٤: (قال علي عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: ألق دواتك، وأطل جلفة قلمك، وفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف فإن ذلك أجدر بصباحة الخط). وفي لفظ: عن عوانة بن الحكم قال: أطل جلفة قلمك وأسمنها، وأيمن قطنتك، وأسمن طنين النون، وحور الحاء، وأسمن الصاد، وعرج العين، واشقق الكاف، وعظم الفاء ورتل اللام).

وستعرف أن هدف معاوية النهائي من مقولة كاتب الوحي، أن يعطي لنفسه الدور الأساسي في تلقي الوحي ويجعل دور النبي صلى الله عليه وآله هامشيا!!

زرعوا مكذوباتهم في مصادر المسلمين وربوا عليها أطفالهم!

وها هي كتب التفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والسيرة، والتاريخ واللغة والأدب... الخ.! ما زالت تغص بها، وقد اهتم أتباع بني أمية قديما وحديثا بروايتها وتعليمها في المساجد والكتاتيب، وتنشئة الأطفال الأبرياء عليها!

وها هم يستغلون موسم الحج لنشر كراريسهم وأشرطتهم! وهي تزعم لمعاوية أنواعا من الفضائل، من خال المؤمنين، إلى كاتب الوحي، إلى خليفة النبي صلى الله عليه وآله وخليفة الله في أرضه، الهادي المهدي.. الخ.! وكلها مكشوفة لمن عرف

شخصية معاوية من القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وبعضها مكشوف لمن فكر قليلا وتأمل في مناسباتها المصطنعة. لكن بعضها يغش العوام الذين ربوهم على حب معاوية وسقوهم إياه مع حليبهم! وعبؤوهم ضد من يتبرأ منه ولا يتولاه، فهؤلاء المعبئين يحتاجون إلى جهاد أنفسهم في الله تعالى، حتى يعينهم على فهم هذا الشخص المنكوس والبراءة منه! (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا).

غيبوا شهادة علمائهم بأن كل أحاديث فضائل معاوية مكذوبة!

نحمد الله تعالى أنه وجد في علماء السنيين وأئمتهم من يشهد بأن جميع ما روي في فضائل معاوية مكذوب على النبي صلى الله عليه وآله! وقد تحمل النسائي لذلك!

قال ابن حجر في الفتح: ٧ / ٨١: (وأخرج ابن الجوزي أيضا من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق، ثم قال: إعلم أن عليا كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه، كيادا منهم لعلي! فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له! وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد. وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما).

أقول: كلام ابن حنبل هذا قبل أن ينشئ المتوكل (حزب أهل الحديث) ويجعله إماما لهم وينشر فيهم حب معاوية! ولا يتسع المجال لعرض مكذوباتهم في معاوية وكشف كذابيها وحيلهم، فذلك يحتاج إلى مجلدين كاملين!

وقد جمع الأميني رحمه الله منها في الغدير: ١١ / ٧١، نحو أربعين فضيلة مكذوبة تحت عنوان: نظرة في مناقب ابن هند! وهذه خلاصتها بتصرف:

(قال الحاكم: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت

أبي يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث. ولما لم يجد البخاري حديثا يصح من مناقب معاوية قال عند عد مناقب الصحابة من صحيحه: باب ذكر معاوية رضي الله عنه! فقال ابن حجر في فتح الباري: ٧ / ٨٣: أشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه، والنسائي، وغيرهما.

وأما مسلم وابن ماجة فلم يجدا حديثا يعبأ به في فضائل معاوية فأضربا عن اسمه في الصحيح والسنن! والترمذي لم يذكر له إلا حديث: (اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به). ونحن أوقفناك على بطلانه في: ١٠ / ٣٧٣! وحديث: اللهم اهد به وقد زيفه هو بنفسه! فالصحاح والسنن خالية عما لفقه رواة السوء في فضل الرجل. ودخل الحافظ النسائي صاحب السنن إلى دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشئ من فضائل معاوية فقال: أما يكفي معاوية أن يذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل؟ فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل فتوفي بمكة مقتولا شهيدا! وقال ابن تيمية في منهاجه: ٢ / ٢٠٧: طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي (ص) ذلك كلها كذب. وقال الفيروزآبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة، والعجلوني في كشف الخفاء / ٤٢٠: باب فضائل معاوية، ليس فيه حديث صحيح! وقال العيني في عمدة القاري: فإن قلت: قد ورد في فضله يعني معاوية أحاديث كثيرة؟ قلت: نعم، ولكن ليس فيها حديث صحيح يصح من طرق الإسناد، نص عليه إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما، فلذلك قال يعني البخاري: (باب ذكر معاوية) ولم يقل: فضيلة ولا منقبة).

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة: اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث. وقال ابن حجر في لسان الميزان: ١ / ٣٧٤: إسحاق بن محمد السوسي ذاك الجاهل الذي أتى بالموضوعات السمجة في فضائل معاوية رواها عبيد الله السقطي عنه، فهو المتهم بها أو شيخه!

وهذه جملة من أكاذيب اختلقتها يد الوضع الأثيمة في مناقب معاوية!

عن واثلة مرفوعا: إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية، وكاد أن يبعث معاوية نبيا من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربي، فغفر الله لمعاوية ذنوبه، ووقاه حسابه، وعلمه كتابه، وجعله هاديا مهديا، وهدى به.

أخرج البخاري في تاريخه: ٤ / ٨٠: (عن وحشي بن حرب بن وحشي عن أبيه عن جده قال: كان معاوية ردف النبي (ص) فقال: يا معاوية ما يليني منك؟ قال: بطني قال (ص): اللهم املأه علما وحلما. عن عبد الله بن عمر مرفوعا: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع معاوية فقال: أنت يا معاوية مني وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه. عن ابن عمر قال: كنت مع النبي ورجلان من أصحابه فقال: لو كان عندنا معاوية لشاورناه في بعض أمرنا، فكأنهما

دخلهما من ذلك شئ، فقال: إنه أوحي إلي أن أشاور ابن أبي سفيان في بعض أمري.

عن جابر: إن رسول الله (ص) استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال: استكتبه فإنه أمين! عن أبي هريرة مرفوعا: الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية!

عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني أن النبي قال لمعاوية: اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب. وفي الترمذي: اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به.

عن عبد الرحمن بن أبي عميرة مرفوعا: يكون في بيت المقدس بيعة هدى.

عن أنس مرفوعا: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومعاوية حلقتها!

عن أنس مرفوعا: هبط علي جبريل ومعه قلم من ذهب إبريز فقال: إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: حبيبي قد أهديت هذا القلم من فوق عرشي إلى معاوية بن أبي سفيان، فأوصله إليه ومره أن يكتب آية الكرسي بخطه بهذا القلم ويشكله ويعجمه، ويعرضه عليك، فإني قد كتبت له من الثواب بعدد كل من قرأ آية الكرسي من ساعة يكتبها إلى يوم القيامة! فقال رسول الله: من يأتيني بأبي عبد الرحمن؟ فقام أبو بكر ومضى حتى أخذ بيده وجاءا جميعا... الخ). انتهى.

وفي النصائح الكافية / ١٩٩: (ونقل الحافظ بن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري، عن ابن الجوزي، عن إسحاق بن راهويه أنه قال: لم يصح في فضل معاوية شئ!... وقال خاتمة الحفاظ محمد بن علي الشوكاني في كتابه: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث).

(للمزيد راجع: نفحات الأزهار للسيد الميلاني: ١٢ / ١٦٤).

ولم يكتفوا بالكذب حتى قتلوا النسائي لأنه لم يكذب لهم!

زار الحافظ النسائي دمشق فرأى تعصب أهلها لمعاوية ونصبهم لعلي عليه السلام فألف بعد رجوعه إلى مصر كتاب (خصائص علي بن أبي طالب) ثم زار الشام في طريقه إلى مكة فلم يقبلوا منه الكتاب، وأرادوا كتابا في فضائل معاوية فقال لهم إنه لم يصح في فضائله شئ! فهجموا عليه وضربوه وداسوا بطنه وخصيتيه، وحمله أصحابه إلى مكة مريضا مثقلا، فمات!

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٢ / ٦٩٩: (سمعت الوزير ابن خنزابة، عن محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي، وقال فيه: سمعت قوما ينكرون على أبى عبد الرحمن كتاب الخصائص لعلي رضي الله عنه، وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي بها كثير

فصنفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله، ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة، فقيل له وأنا أسمع: ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شئ أخرج؟ حديث: اللهم لا تشبع بطنه؟ فسكت السائل. وتابع الذهبي: قلت: لعل هذه منقبة معاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة). (ونحوه في طبقات الشافعية للسبكي: ٣ / ١٥) فلاحظ تحايل الذهبي على حديث النبي صلى الله عليه وآله في ذم معاوية! ليساعد الذين داسوا بطن النسائي وهو شيخ كبير فقتلوه!

وفي معرفة علوم الحديث للحاكم / ٨٣: (وخرج إلى دمشق فسئل بها عن معاوية بن أبي سفيان وما روي من فضائله؟ فقال: ألا يرضى معاوية رأسا برأس حتى يفضل؟! قال فما زالوا يدفعون في حضنيه (خصييه) حتى أخرج من المسجد، ثم حمل إلى الرملة ومات بها سنة ثلاث وثلاث ماية). انتهى. راجع أيضا: (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي / ٢٣، والأربعين البلدانية لابن عساكر: ٥ / ٢٨٢، وفيه: (فقال الدارقطني فقال: احملوني إلى مكة فحمل إليها وهو عليل فتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٠٣)، وتاريخ أبي الفداء / ٣٦٥، وفيه: (ثم عاد إلى دمشق فامتحن في معاوية وطلب منه أن يروي شيئا من فضائله فامتنع..). ووفيات الأعيان: ١ / ٧٧، وفيه: (وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إل: ا لا أشبع الله بطنك)! وسير أعلام النبلاء: ١٤ / ١٣٢، وتهذيب الكمال: ١ / ٣٣٩، ومناقب الخوارزمي / ١١، وبغية الطلب لابن العديم: ٢ / ٧٨٥، والمنتظم لابن الجوزي: ٢ / ١٣١، والنجوم الزاهرة: ٣ / ١٨٨، وشذرات الذهب: ١ / ٢٤٠، والتقييد لابن النقطة / ١٤٢، وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو ريه / ٣١٩، ونفحات الأزهار: ١٢ / ١٦٦، و: ١٥ / ٢٩٤، وأعيان الشيعة: ٢ / ٦٠٢).

* *

الفصل السادس
مواجهة كبار الصحابة لمعاوية ودفاع عمر وعثمان عنه

معاوية لم يجالس النبي صلى الله عليه وآله ولا الصحابة!
عاش معاوية في مكة مع أمه هند وأخيه عتبة وأخته أم الحكم، في ظل أبيهم أبي سفيان قائد المشركين. وعندما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة كان معاوية في أول شبابه، وذكر العلامة الحلي رحمه الله أنه هرب إلى اليمن لأن النبي صلى الله عليه وآله كان هدر دمه ولعله لسوء لسانه، وأنه جاء قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر دخيلا على العباس عم النبي صلى الله عليه وآله فأعلن إسلامه وعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وسكن المدينة كأبيه وعدد من الطلقاء، ولم يعهد عنه في هذه المدة القصيرة في المدينة أنه حسن إسلامه، أو كان مهتما بالتفقه ومجالسة النبي صلى الله عليه وآله والصحابة الراسخين في الإيمان. لذلك لم يرووا ولا حوله في المدينة إلا أن النبي صلى الله عليه وآله استحضره ذات يوم مرات ليكتب له رسالة، وكان يجيبه إنه يأكل! فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله أن لا يشبع الله بطنه! ورووا حوله حديثا أنه كان يجر أباه في المسجد فلعن النبي صلى الله عليه وآله الجار والمجرور! وحديثا آخر أن النبي صلى الله عليه وآله ضبطه خارج المدينة مع
صديقه الأكبر منه سنا، عمرو بن العاص وهما يشربان الخمر ويغنيان بالتشفي بقتل حمزة على سنة أمه هند وأبي سفيان! فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله وعلى عمرو: (اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، اللهم دعهما في النار دعا)! وقد كان ذلك قبل فتح مكة!
ومعنى ذلك أن معاوية لم يهتم فترة وجوده في المدينة بأن يتعلم معالم الدين ويعايش النبي صلى الله عليه وآله والصحابة الأبرار كما يهتم الشخص المسلم عن اعتقاد! بل كان ابن قائد المشركين الذي اضطر أن يستسلم، وكان همه أن يبحث عند نبي صلى الله عليه وآله هذا الدين عن منصب، لاستعادة موقع أبيه الذي خسره بالإسلام!
وحديثهم عنه يدل على أنه شاب نهم يفضل ملء بطنه على إجابة دعوة رسول

الله صلى الله عليه وآله ليكتب له شيئا رغم تكراره دعوته! ومثل هذا لا ينتظر منه أن يهتم بتفهم معالم الدين، أو يحب عبادة الله في المسجد أو مجالس النبي صلى الله عليه وآله وصحابته؟!

أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فذهب إلى الشام معاونا لأخيه يزيد، وكان يعيش في جو أخيه الذي وصفه محبوه بقولهم: (فغنموا وقسموا الغنائم، فوقعت جارية في سهم رجل من المسلمين وكانت جميلة، فذكرت ليزيد فانتزعها من الرجل! وكان أبو ذر يومئذ بالشام، فأتاه الرجل فشكا إليه واستعان به ليرد الجارية إليه، فانطلق إليه معه وسأله ذلك فتلكأ عليه)! (سير الذهبي: ١ / ٣٢٩، وشرح الأخبار: ٢ / ١٥٦، وتاريخ دمشق: ٦٥ / ٢٥٠، وفيه: (فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد).

وستأتي محاولة بخاري وغيره من أتباع بني أمية التغطية عليه!

* *

كبار الصحابة الذين واجهوا معاوية!
حرص رواة الخلافة على طمس أخبار الصحابة الأجلاء الذين واجهوا معاوية وانتقدوا انحرافه العقيدي والعملي، ومع ذلك بقيت بعض أخبارهم! فبادر رواة الخلافة إلى تحريفها وتصوير هؤلاء الصحابة بأنهم متزمتون اعترضوا على أمور بسيطة كلبس معاوية الذهب أو بيعه! وأن عمر وعثمان كانا ينصفان الذين يشكونه إليهم وينبهونه إليها! بينما الواقع كانت اعتراضاتهم على انحراف معاوية وظلمه، ولم يتخذ عمر ولا عثمان إجراء ضده، بل كانا يقويان مركزه باستمرار!
ويمكنك أن تقرأ ما أخفوه من مثل رواية الحاكم: ٣ / ٣٥٥: (أن عبادة بن الصامت أنكر على معاوية أشياء، ثم قال له: لا أساكنك بأرض! فرحل إلى المدينة)!
وفي المجموع: ١٠ / ٣٠: (فقال له أبو الدرداء سمعت رسول الله ينهى عن مثال هذا إلا مثلا بمثل، فقال له معاوية: ما أرى بهذا بأسا، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟! أخبره عن رسول الله ويخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أنت بها). (ونحوه في موطأ مالك: ٢ / ٦٣٤). وهذا يدا على أن اعتراض عبادة كانت أساسيا وكان مطلبه أن يعزل معاوية، فلم يستجب له عمر ولا عثمان! وأن أبا الدرداء اتهمه برد حديث النبي صلى الله عليه وآله! وأنه لا يؤمن بالسنة ويجعل رأيه مقابلها! وهجرهما له يدل على أنهما يستنكران انحرافه وتحريفه!
والصحابة الذين اعترضوا على معاوية كثيرون، نذكر منهم:
١ - بلال وجماعته، وقد (ماتوا) جميعا في وقت متقارب في إمارة معاوية في عهد عمر! وقال الرواة الرسميون إنهم ماتوا بدعوة عمر، وإن سبب خلافهم معه ومع معاوية أنهم أرادوا تقسيم أراضي الشام على المقاتلين، فرفض عمر ذلك

وجعلها خراجية! و (دعا عليهم على المنبر فقال: اللهم اكفني بلالا وأصحابه فما حال الحول وفيهم عين تطرف! أي ماتوا جميعا). (مبسوط السرخسي: ١٠ / ١٦) وهو أمر غير معقول يفتح الباب للبحث عن السم اليهودي في اغتيال المخالفين!

٢ – ومنهم عبادة بن الصامت، وهو ابن أخ أبي ذر رحمه الله، وقد تقدمت مواجهته لمعاوية في تصديره الخمور ولبسه الذهب والحرير، وأن السبب أعمق من ذلك!

وقد شكاه معاوية إلى عثمان فعزل عبادة عن قضاء فلسطين ولكنه لم يتراجع عن مقاومة معاوية ورواية أحاديث ذم بني أمية، حتى بعد خلافة خليفة!

٣ – ومنهم أبو أيوب الأنصاري، عندما استهزأ معاوية بقول النبي صلى الله عليه وآله للأنصار: ستلقون بعدي أثرة! كما سيأتي.

٤ – ومنهم أبو الدرداء، وقد تقدم إنكاره على معاوية أن يقول الحكم الشرعي لاستعمال أواني الذهب، أو بيعها، في مقابل قول النبي صلى الله عليه وآله!

٥ – ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد كان أحد الولاة في الكوفة عندما اضطهد معاوية وعثمان أبا ذر رحمه الله فأعلن تضامنه معه في مواجهتهما، فعزله عثمان واستحضره إلى المدينة وضربه وحبسه حتى مات!

قال الطبري في الرياض النضرة ٣٦٣: (ذكر ما نقم على عثمان مفصلا والاعتذار عنه بحسب الإمكان وذلك أمور.... ومنهم عبد الله ابن مسعود، عزله عن الكوفة أيضا وأشخصه إلى المدينة.... وأخرج ابن مسعود إلى الربذة فكان بها إلى أن مات.... وذلك أنه لما عزله عن الكوفة، وأشخصه إلى المدينة هجره أربع سنين إلى أن مات مهجورا. وسبب ذلك فيما زعموا أن ابن مسعود لما عزله عثمان من الكوفة وولى الوليد بن عقبة ورأى صنيع الوليد في جوره وظلمه، فعاب ذلك

وجمع الناس بمسجد الكوفة، وذكر لهم أحداث عثمان ثم قال: أيها الناس، لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم! وبلغه خبر نفي أبي ذر إلى الربذة فقال في خطبته بمحفل من أهل الكوفة: هل سمعتم قول الله تعالى: ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان.. وعرض بذلك بعثمان! فكتب الوليد بذلك إلى عثمان فأشخصه من الكوفة، فلما دخل مسجد النبي (ص) أمر عثمان غلاما له أسود فدفع ابن مسعود! وأخرجه من المسجد ورمى به الأرض! وأمر بإحراق مصحفه، وجعل منزله حبسه ومنع عطاءه أربع سنين إلى أن مات! وأوصى الزبير بأن لا يترك عثمان يصلي عليه). انتهى.

٦ - ومنهم عبد الرحمن بن سهل الأنصاري رحمه الله أحد قادة الفتوحات، الذي حلف لينفذن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ويقتلن معاوية إن رآه على منبره! ففي تاريخ دمشق: ٣٤ / ٤٢١: (غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمان عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمرت به روايا خمر تحمل، فقال إليها عبد الرحمن برمحه فبقر كل راوية منها، فناوشه غلمانه، حتى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله! فقال: كذب والله ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله (ص) نهانا أن ندخله بطوننا وأسقيتنا، وأحلف بالله لئن أنا بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (ص) لأبقرن بطنه أو لأموتن دونه!). انتهى.

يقصد هذا الصحابي أنه إن بقي حيا حتى يرى معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله لينفذن فيه أمر النبي صلى الله عليه وآله وليبقرن بطنه! وهو من الأدلة على صحة الحديث النبوي: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، وفي لفظ آخر فابقروا بطنه! وقد يكون صلى الله عليه وآله قالهما في مرتين وقد روي: (إن هذا، وأشار بيده إلى معاوية، سيطلب

الإمارة، فإذا فعل فابقروا بطنه). (شرح الأخبار للقاضي المغربي: ٢ / ١٤٧).
وقد تعسف بخاري في الدفاع عن معاوية في تاريخه الصغير: ١ / ١٦٢، واستعمل التدليس فاختار بعض طرق الحديث وطعن فيها بدون دليل وأعرض عن الباقي!
قال، والترقيم منا: ١ - (وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة أن معاوية لما خطب على المنبر فقام رجل فقال: قال (رسول الله صلى الله عليه وآله) ورفعه: إذا رأيتموه (معاوية) على المنبر (منبري) فاقتلوه. وقال آخر: اكتبوا إلى عمر، فكتبوا، فإذا عمر قد قتل! وهذا مرسل لم يشهد أبو نضرة تلك الأيام!
٢ - وقال عبد الرزاق: عن ابن عيينة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، رفعه. وهذا مدخول لم يثبت!
٣ - ورواه مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد رفعه. وهذا واه!
٤ - ويروى عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن رجل عن عبد الله بن عمرو، رفعه في قصته. وهذا منقطع لا يعتمد عليه.
٥ - وروى الأعمش، عن سالم، عن ثوبان، رفعه في قصته.. وسالم لم يسمع من ثوبان، والأعمش لا يدري سمع هذا من سالم، أم لا! وقد أدرك أصحاب النبي (ص) معاوية أميرا في زمان عمر، وبعد ذلك عشر سنين، فلم يقم إليه أحد فيقتله! وهذا مما يدل على هذه الأحاديث أن ليس لها أصول، ولا يثبت عن النبي (ص) خبره على هذا النحو في أحد من أصحاب النبي (ص). إنما يقوله أهل الضعف بعضهم في بعض، إلا ما يذكر أنهم ذكروا في الجاهلية، ثم أسلموا فمحى الإسلام ما كان قبله). انتهى.
أقول: في كلام بخاري إشكالات كثيرة، فطرق الحديث أكثر مما ذكره، وتضعيفه لبعض طرقه تحكم بلا دليل، فهو صحيح على مبانيهم ومن علامات

نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، ولا يتسع المجال لبسط القول في نقد ما قالوه فيه وفي غيره من الأحاديث الصحيحة في ذم معاوية وتحذير الأمة منه فهي تستحق كتابا مستقلا، وإليك عددا من مصادر الحديث: (تفسير عبد الرزاق: ١ / ٢٤، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٥، ميزان الاعتدال: ١ / ٥٧١، و: ٢ / ٦١٣، وسير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٩، وتهذيب التهذيب: ٢ / ٣٦٨، ولسان الميزان: ٢ / ٢٤٧، وتاريخ الطبري: ٨ / ١٧٩، والنهاية: ٨ / ١٤١، ووقعة صفين / ٢٢١، والعلل لابن حنبل: ٢ / ٤١٤، وكتاب المجروحين: ١ / ١٥٧، و: ٢ / ١٧٢ والعتب الجميل على أهل الجرح والتعديل / ٦٦، والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ٥٨، و / ٢٦١، وتقوية الإيمان / ١٣٩، وثلاثتها للسيد محمد بن عقيل، وشرح النهج: ١٥ / ١٧٦، والموضوعات لابن الجوزي: ٢ / ٢٥، والكامل لابن عدي: ٢ / ١٤٦، و: ٥ / ٣١٤, ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٢ / ٣١٨، والتعجب من أغلاط العامة للكراجكي / ١٠٤، وخاتمة المستدرك: ١ / ٥٣، وشرح منهاج الكرامة للسيد الميلاني: ١ / ٤٦٩، ونفحات الأزهار له: ١٣ / ١٢٦، والمراجعات لشرف الدين / ١٤٣، وقال في تتمة المراجعات / ٨٨: (٢٧١): " يوجد في: تاريخ الطبري: ١٠ / ٥٨، وقعة صفين لنصر ابن مزاحم ص ٢١٦ و ٢٢١ ط ٢ مطبعة المدني بمصر و / ١١١ و ١١٣ ط إيران، ميزان الإعتدال للذهبي: ١ / ٥٧٢ و: ٢ / ٣٨٠ و ٦١٣، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية / ٤٥، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي: ١ / ١٨٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥ / ١٧٦ ط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل، تقوية الإيمان برد تزكية بن أبي سفيان / ٩٠، تاريخ بغداد: ١٢ / ١٨١، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٤٢٨ و: ٥ / ١١٠، كنوز الحقائق للمناوي بهامش الجامع الصغير للسيوطي: ١ / ١٦ ط. الميمنية، تاريخ أبي الفداء: ٢ / ٦١).

قال الأميني رحمه الله في الغدير: ١٠ / ١٤٢: (أخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وابن عدي، والعقيلي، والخطيب، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود مرفوعا: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. وفي لفظ: يخطب على منبري فاقتلوه. وفي لفظ: يخطب على منبري فاضربوا عنقه.... وقال الحسن (البصري): فما فعلوا ولا أفلحوا.... وللقوم تجاه حديث: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، تصويب وتصعيد وجلبة ولغط.... أخرج الخطيب عن الحسن بن محمد الخلال...: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه

فإنه أمين مأمون! قال الخطيب: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، ورجال إسناده ما بين محمد بن إسحاق وأبي الزبير كلهم مجهولون..)! انتهى.
وحديثهم المكذوب هذا يكشف أزمتهم من حديث: (فاقتلوه، فابقروا بطنه)!
٧ – ومن الصحابة الذين واجهوا معاوية الزعماء التسعة، الذين اعترضوا على حاكم العراق الأموي سعيد بن العاص عندما قال إن العراق بستان لبني أمية! فشكاهم إلى عثمان فنفاهم إلى الشام، وكان لهم مع معاوية مواجهات صاخبة، فضحوا فيها بني أمية وعثمان ومعاوية، وطلبوا منه أن يعتزل عمل المسلمين لأن فيهم من هو خير منه! وفي إحدى الجلسات معه أخذوا برأس معاوية ولحيته!
وخاف معاوية من تأثيرهم على المسلمين فكتب إلى عثمان، فأمره بإعادتهم إلى الكوفة، فضج منهم حاكمها الأموي سعيد مجددا وكتب إلى عثمان، فنفاهم عثمان إلى حمص، وأمر حاكمها عبد الرحمن بن خالد أن يجعلهم في الدروب أي في طريق هجمات الروم لعلهم يقتلون!
وأسماؤهم حسب رواية الطبري: (مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي). وبقوا في منفى حمص مدة، ثم عادوا إلى الكوفة، وسنتعرض لهم في قتل معاوية لمالك الأشتر رحمه الله.
٨ – ومنهم عشرات الصحابة الذين جاهدوا معاوية وقاتلوه، إلى جانب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهم جمهرة الصحابة وبقيتهم، وقد رووا أنه كان مع علي عليه السلام سبع مئة صحابي، فيهم أكثر من مئة من أهل بيعة الرضوان، وثلاثون من

البدريين، واستشهد معه في صفين خمسة وعشرون من الصحابة البدريين فقط! بينما لم يكن مع معاوية أحد يذكر من الصحابة! وقد ألف المؤرخ ابن السائب الكلبي: (كتاب من شهد صفين مع علي من الصحابة، كتاب من شهد صفين مع علي من الأنصار، كتاب من شهد صفين مع علي من البدريين). (الذريعة: ٢٢ / ٢٢٩).

* *

مواجهة أبي ذر رحمه الله لمعاوية وبني أمية

٩ - ومنهم أبو ذر الغفاري، الذي اشتهرت مواجهته لعثمان ومعاوية وبني أمية.

وقد طمس تاريخ الحكومات الرسمي شخصية أبي ذر رحمه الله ودوره في الفتوحات ومواقفه في مواجهة معاوية وعثمان، وصوروه كأنه بدوي ساذج متزمت سئ الخلق! وكأنه صغير الجثة ضعيف البنية عن الجهاد!

بينما نطقت ثنايا مصادرهم بالحقائق، وأنه كان رجلا جسيما طويلا، وقائدا شجاعا ذكيا! (وكان أبو ذر طويلا عظيما رضي الله عنه وكان زاهدا متقللا من الدنيا... وكان قوالا بالحق). (تهذيب الأسماء للنووي: ٢ / ٥١٣).

(وكان أبو ذر طويلا عظيما). (أسد الغابة: ٥ / ١٨٨، ومستدرك الحاكم: ٣ / ٥١).

(رجلا طويلا آدم أبيض الرأس واللحية). (الطبقات: ٤ / ٢٣٠).

(فجلس... فرجف به السرير، وكان عظيما طويلا) (سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٩).

وكان له فرس أصيل يقال له: الأجدل. (أنساب الخيل لابن الكلبي / ٦، وأسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي / ٢).

وقد شارك في فتح الشام من أوله، وكان له احترام في نفوس الجنود ونفوذ على قادة جيش الفتح، وهو ما تحرص مصادرهم على إخفائه!

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار: ٢ / ١٥٦: (غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس وهو أمير على الشام، فغنموا وقسموا الغنائم، فوقعت جارية في سهم رجل من المسلمين وكانت جميلة، فذكرت ليزيد فانتزعها من الرجل! وكان أبو ذر يومئذ بالشام، فأتاه الرجل فشكا إليه واستعان به على يزيد ليرد الجارية إليه، فانطلق إليه معه وسأله ذلك فتلكأ عليه! فقال له أبو ذر: أما والله لئن فعلت ذلك، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية، ثم قام! فلحقه يزيد فقال له: أذكرك الله عز وجل أنا ذلك الرجل؟! قال: لا. فرد عليه الجارية).

وفي سير أعلام النبلاء: ١ / ٣٢٩، وتاريخ دمشق: ٦٥ / ٢٥٠: (فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد). انتهى. وروته أكثر مصادرهم، وغطى أكثرها على آل أبي سفيان، فلم يذكروا أن مناسبته غصب ابن أبي سفيان للجارية!

ومن المغطين الألباني حيث صححه دون أن يذكر مناسبته! كما لم يذكروا شيئا عن سلوك أخيه معاوية لكنه كان في جوه!

كما حاول بخاري تكذيب الرواية فقال في تاريخه: ١ / ٤٥: (كان أبو ذر بالشام وعليها يزيد بن أبي سفيان فغزا الناس فغنموا... وبتر بخاري القصة وقال: (والمعروف أن أبا ذر كان بالشام زمن عثمان وعليها معاوية ومات يزيد في زمن عمر، ولا يعرف لأبي ذر قدوم الشام زمن عمر). انتهى.

وقد يكون بخاري غير مطلع، لكن الأرجح أنه متعصب متعمد.

وروى ابن كثير في النهاية: ٨ / ٢٥٤، قصة الجارية وقال: (وكذا رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى عن محمد بن المثنى، عن عبد الوهاب، ثم قال البخاري: والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب). انتهى.

أقول: وقد رأيت أن بخاري لم يروها كاملة ولا قال كما نقل عنه ابن كثير! إلا أن تكون نسخته محرفة!
وقد نص الواقدي أيضا على أن أبا ذر كان قائدا في معارك فتح الشام قال في فتوح الشام: ٢ / ٢٥٤: (ثم حمل من بعده العباس بن مرداس، ثم من بعده أبو ذر الغفاري، ثم تبادر المسلمون بالحملة، فلما رأى الروم ذلك أيقظوا أنفسهم في عددهم وعديدهم وتظاهروا البيض والدرع، ولم يزل القتال بينهم حتى توسطت الشمس في قبة الفلك).
وقال أيضا في: ٢ / ٥٨٣: (ثم استدعى من بعده أبا ذر الغفاري، وأمره على خمسمائة فارس، وسلمه الراية فتوجه وهو يقول:
سأمضي للعداة بلا اكتئاب * وقلبي للقا والحرب صابي
وإن صال الجميع بيوم حرب * لكان الكل عندي كالكلاب
أذلهم بأبيض جوهري * طليق الحد فيهم غير آبي). انتهى.
بل تدل الروايات على أن أبا ذر رحمه الله سكن الشام من أول حكم عمر، مشاركا في الفتوحات، وعاد منها في زمن عثمان، ثم نفاه عثمان إلى الشام لمدة سنة، ثم أعاده ونفاه إلى الربذة، فبقي فيها سنتين أو أكثر حتى توفي غريبا سنة ٣٢ هجرية. وهذا يعني أنه قضى نحو عشرين سنة في الشام.
* *
أما دور أبي ذر رحمه الله في فتح مصر فيدل عليه ما روته أكثر مصادر الحديث من أنه كان يمرغ فرسه ويروضه، فسألوه عن حبه له فقال: (ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب، ولا أرى فرسي هذا إلا مستجابا). رواه أحمد: ٥ / ١٦٢، و ١٧٠، والنسائي: ٦ / ٢٢٣، وفي الكبرى: ٣ / ٣٦ وسنن البيهقي: ٦ / ٣٣٠، وعلل أحمد: ٣ / ٤٠٤، وعلل الدارقطني: ٦ / ٢٦٦، وسنن سعيد بن منصور: ٢ /

٢٠٤، والعظمة لأبي الشيخ: ٥ / ١٧٨٠، وحلية الأولياء: ٨ / ٣٨٧، والفردوس: ٤ / ٥٣، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٣٣٤، والفروسية لابن قيم / ١٣٠، وكنز العمال: ٦ / ٣٢١... الخ. ولم تذكر هذه المصادر وغيرها مناسبته إلا ثلاثة منها كشفت عرضا دوره في فتح مصر!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٣ / ١٩٧: (وأخرج أبو عبيدة في كتاب الخيل عن معاوية بن خديج، أنه لما افتتحت مصر كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها خيولهم، فمر معاوية (يقصد ابن حديج التميمي) بأبي ذر رضي الله عنه وهو يمرغ فرسا له فسلم عليه ووقف ثم قال: يا أبا ذر ما هذا الفرس؟ قال فرس لي، لا أراه الا مستجابا! قال: وهل تدعو الخيل وتجاب؟ قال: نعم، ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب، ولا أرى فرسي هذا إلا مستجابا). (وحياة الحيوان للدميري / ٩٣٠).

وفي نهاية الإرب / ٢٠٣٦: (لما نزل المسلمون مصر كانت لهم مراغة للخيل، فمر حديج بن صومي بأبي ذر رضي الله عنه وهو يمرغ فرسه الأجدل، فقال...)

* *

وأما دور أبي ذر في فتح قبرص، فقال البلاذري في فتوح البلدان: ١ / ١٨٢: (لما غزيت قبرس الغزوة الأولى... وغزا مع معاوية أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمير بن سعد بن عبيد الأنصاري، وواثلة بن الأسقع الكناني، وعبد الله بن بشر المازني، وشداد بن أوس بن ثابت، وهو ابن أخي حسان بن ثابت، والمقداد، وكعب الحبر بن ماتع، وجبير بن نفير الحضرمي). انتهى.

أقول: حشروا اسم كعب الأحبار معهم لإعطائه لقب المسلم المجاهد! وحشروا اسم معاوية بعبارة مبهمة فيها تدليس (وغزا مع معاوية)، مع أن تاريخ

كعب ومعاوية لم يسجل أنهما حملا سلاحا وحاربا أو غزيا أبدا! ولذا قال في الإستيعاب: ٤ / ١٩٣١: (ويقال إن معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه، ومعه أيضا امرأته فاختة بنت قرظة). انتهى. لكن النص التالي يشير إلى أن معاوية كان ينتظر الجيش في الساحل بطرسوس! ففي مسند الشاميين للطبراني: ٢ / ٧٣، عن جبير بن نفير قال: (أخرج معاوية غنائم قبرس إلى الطرسوس من ساحل حمص، ثم جعلها هناك في كنيسة يقال لها كنيسة معاوية، ثم قام في الناس فقال: إني قاسم غنائمكم على ثلاثة أسهم: سهم لكم، وسهم للسفن، وسهم للقبط، فإنه لم يكن لكم قوة على غزو البحر إلا بالسفن والقبط. فقام أبو ذر فقال: بايعت رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم: أتقسم يا معاوية للسفن سهما وإنما هي فيؤنا، وتقسم للقبط سهما وإنما هم أجراؤنا، فقسمها معاوية على قول أبي ذر). (ونحوه في: ٢ / ١٢٠، وتاريخ دمشق: ٦٦ / ١٩٣، وحلية الأولياء: ٥ / ١٣٤).

أما بخاري فروى الحديث بدون ذكر أبي ذر وأبي أيوب وغيرهما من الصحابة! لأن غرضه فقط أن يمدح معاوية بأنه أول من ركب البحر للغزو! قال في صحيحه: ٣ / ٢٠٣: (بنت ملحان قالت: نام النبي (ص) يوما قريبا مني ثم استيقظ يتبسم، فقلت ما أضحكك؟ قال أناس من أمتي عرضوا على يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة! قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية ففعل مثلها، فقالت مثل قولها فأجابها مثلها، فقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت من الأولين!

فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتها فماتت). انتهى.

وقد صحح ابن حجر وغيره خطأ البخاري في روايته ولم يذكروا معاوية! قال في

تهذيب التهذيب: ١٢ / ٤١١: (والصحيح العكس، فقد قال غير واحد وثبت غير واحد أنها خرجت مع زوجها عبادة في بعض غزوات البحر، وماتت في غزوتها وقصتها بغلتها عندما نقلوا، وذلك أول ما ركب المسلمون في البحر في زمن معاوية في خلافة عثمان. زاد أبو نعيم الأصبهاني وقبرت بقبرس. قلت: والإسماعيلي في مستخرجه عن الحسن بن سفيان عن هشام بن عمار قال: رأيت قبرها ووقفت عليها بقبرس). (ونحوه في صحيح ابن حبان: ١٠ / ٤٦٨، وطبقات ابن سعد: ٨ / ٤٣٥، ورجال البخاري للكلاباذي: ٢ / ٨٥١، وتاريخ دمشق: ٧٠ / ٢١٧، وتهذيب التهذيب: ١٢ / ٨٢).

أقول: بنت ملحان هي أم أنس، ولا نصدق حديثها هذا وأمثاله بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يزورها كأنها والدته أو خالته، وينام في بيتها ويرى رؤيا تتعلق بها!

وأنها كانت تفلي رأسه كابنها أو أخيها وكأن رأس النبي صلى الله عليه وآله فيه قمل كرجالهم! فهو حديث موضوع لمدح معاوية وأنه أول الغزاة في البحر، وأن النبي صلى الله عليه وآله مدح غزاة البحر، وهو كحديث أول من غزا القسطنطينية الذي وضعوه لمدح يزيد! وسيأتي بحث ذلك في تلميع معاوية لشخصية يزيد وبيعته، وأن عمر نهى المسلمين عن ركوب البحر فخالفه العلاء بن الحضرمي وغزا جنوب إيران من البحرين، فوبخه عمر وعزله، فلو كان الحديث صحيحا لاحتجوا به على عمر!

أبو ذر رحمه الله.. يواجه جبرية معاوية وادعائه العصمة!

لعل أول مواجهة لأبي ذر رحمه الله كانت عندما خطب معاوية فصادر حديثا للنبي صلى الله عليه وآله ووظفه لنفسه! قال ابن شهرآشوب في متشابه القرآن: ١ / ١٢٣: (أول من أظهر الجبر في هذه الأمة معاوية! ذلك أنه خطب فقال: يا أهل الشام أنا خازن من خزان ربي، أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله بالكتاب والسنة، فقام أبو

ذر رحمه الله وقال: كذبت! والله إنك لتعطي من منعه الله بالكتاب والسنة، وتمنع من أعطاه الله! فقام عبادة بن الصامت ثم أبو الدرداء وقالا: صدق أبو ذر، صدق أبو ذر! فنزل معاوية عن المنبر، وقال: فنعم إذا، فنعم إذا.

وفي رواية: أنه خطب فقال: قال الله تعالى: وإن من شئ إلا عندنا خزائنه، فلا نلام نحن! فقام الأحنف فقال: إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه وأغلقت بابك علينا دونه! وقال شاعر:

إذا أعطى يقتر حين يعطي * وإن لم يعط قال أبى القضاء

يبخل ربه سفها وجهلا * ويعذر نفسه فيما يشاء). انتهى.

أقول: معنى قول معاوية بعد اعتراض أبي ذر، وتأييد عبادة وأبي الدرداء له: (فنعم إذا، فنعم إذا) أي صحيح صحيح، سأقبل منكم. ولكنه واصل طوال عمره نشر مذهب الجبر، ونسبة أفعاله إلى الله تعالى، وزعم أنه خليفة الله في أرضه، كما ستعرف! وقد روى جواب الأحنف لمعاوية: السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ٧١، والمستطرف / ٩٦، وفي طبعة: ١ / ١٣٤، ونهاية الأرب / ١٨٠٧، ونسب ابن عبد البر البيتين في المجالس / ٢٩٨، إلى محمود الوراق، وأوردهما ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات / ٩١٢، وفي طبعة: ٢ / ٤٦٩، ورواه الراغب في محاضرات الأدباء / ٦٤٤، وفي طبعة: ١ / ٧٠٠، تحت عنوان: ذم من ينسب بخل نفسه إلى القدر: خطب معاوية ذات يوم فقال... ورواه الإتليدي في إعلام الناس / ٢٣ وأبو حيان في البصائر والذخائر ص ٩٦٦، وقال في آخره: (فكأنما ألقمه حجرا).

أما بخاري فغطى على معاوية وروى الحديث مبتورا! قال في صحيحه: ١ / ٢٥: (قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي (ص) يقول: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله). انتهى.

والحديث كما رأيت جزء من خطبة معاوية، ولو روى بقيتها لظهر أن معاوية

يقصد بالتفقه في الدين طاعته هو، ويزعم أنه كالنبي صلى الله عليه وآله تحركه إرادة إلهية في تقسيم المال وإعطائه ومنعه، فلا يجوز الاعتراض عليه! ويزعم أن الفئة الثابتة على أمر الله هم أتباعه، وأن من خالفه هم الفئة الباغية الضالة! وسيأتي ذلك.

وربما كان أصل القضية أن معاوية سمع أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إنما أنا خازن الله تعالى، والله يعطي وأنا أقسم، فمن أخذ مني شيئا بطيب النفس بورك له فيه، ومن أخذ مني شيئا وأنا له كاره فإنما يتأبطها نارا). (نوادر الأصول للترمذي: ٣ / ٧٦) فخطب معاوية في أهل الشام ووصف بيت المال بأنه مال الله تعالى وأنه هو خازن الله عليه، فعندما يعطي ويمنع فالذي يعطي ويمنع هو الله تعالى! فالواجب على المسلمين أن يقبلوا ولا يلوموه على عطائه ومنعه!!

وهو كلام ظاهره الإيمان وباطنه الكفر، لأن النبي صلى الله عليه وآله معصوم من ربه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل عن الهوى. أما معاوية فكله هوى من رأسه إلى قدمه!

إن جبرية معاوية كلها تبدأ من هنا! فقد كان همه كزعيم أموي أن يعطي نفسه صفات محمد بن عبد الله الهاشمي صلى الله عليه وآله! وأن يكون خليفة الله المفروض الطاعة على العباد، في مقابل رسول الله صلى الله عليه وآله المفروض الطاعة من ربه!

وتجد جذور هذه الظاهرة في دفاعات عثمان ومن حوله عن تبذير بيت مال المسلمين، فكان الخليفة يقيس نفسه بالنبي صلى الله عليه وآله! بل تجدها قبل عثمان في تبرير تصرفات عمر وأبي بكر! لكن معاوية تبناها بقوة، وجعل (خلافته) قائمة عليها ونسب تصرفاته إلى الله تعالى! ونشر ذلك بين المسلمين كعقيدة دينية!

معاوية يدعي أنه معصوم حتى في سفك الدماء وقتل الأطفال!

قال الثقفي في الغارات: ٢ / ٦٣٩، يصف غارة معاوية على الحجاز واليمن: (فقدم على معاوية (قائده بسر بن أرطاة) فقال: يا أمير المؤمنين أحمد الله، فإني سرت في

هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا وراجعا، لم ينكب رجل منهم نكبة! فقال معاوية: الله فعل ذلك لا أنت! وكان الذي قتل بسر في وجهه ذاهبا وراجعا ثلاثين ألفا، وحرق قوما بالنار)! انتهى. وتقدم الكلام عن هذه الغارة التي اتفق المؤرخون والمحدثون على أن معاوية أمر قائدها بأن يقتل كل من كان على دين علي عليه السلام فأغار على أطراف العراق والحجاز واليمن، وقتل ألوفا كثيرة وخرب وحرق، وذبح بيده على درج صنعاء طفلين لحاكم اليمن عبيد الله بن العباس. وسبى نساء مسلمات وباعهن في السوق (نهاية الإرب / ٤٤١٩)! فمعاوية يقول له إن الذي قتل وحرق البيوت والناس والحقول هو الله تعالى لا أنت! لأن معاوية خليفة الله فقوله وفعله قول الله وفعله! تعالى الله عما يصفون!

الطبري يعترف بأنه سجل رأي السلطة وغيب رأي أبي ذر!

قال في تاريخه: ٣ / ٣٣٥: (وفي هذه السنة أعني سنة ٣٠، كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها!

فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة، كتب إلي بها إلي السري يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله! ألا إن كان كل شئ لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين، فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره؟! قال: فلا تقله. قال: فإني لا أقول إنه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين! قال وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له من أنت أظنك والله يهوديا

فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء. بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم! فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس!

فكتب معاوية إلى عثمان إن أبا ذر قد أعضل بي! وقد كان من أمره كيت وكيت!

فكتب إليه عثمان إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها، فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح، وجهز أبا ذر إلي وابعث معه دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت!

فبعث بأبي ذر ومعه دليل، فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار! ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذربك (لسانك)؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا! فقال: يا أبا ذر علي أن أقضي ما علي، وآخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعوهم إلى الإجتهاد والاقتصاد. قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار! فقال: أو تستبدل بها إلا شرا منها؟ قال: أمرني رسول الله (ص) أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا. قال: فانفذ لما أمرك به. قال فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابيا، ففعل). انتهى. ثم سرد الطبري في صفحتين أسباب خلاف أبي ذر مع عثمان التي أوجبت نفيه إلى الشام ثم إلى الربذة، وكلها تدور حول اسم (مال الله) وبعض إنفاقات عثمان! وقال عن الرأي الآخر: (وأما الآخرون فإنهم رووا

في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأمورا شنيعة كرهت ذكرها). انتهى.
ونسجل هنا ملاحظات: الأولى
أن الطبري خاف من ذكر الرأي الآخر، لأن معاوية كان له محبون شرسون في بغداد في عصر الطبري (توفي ٣١٠ هجرية) رغم أنه عصر عباسي! لكن ينبغي أن نشكر الطبري لأنه نص على أن ما يذكره هو رأي محبي معاوية وعثمان، وأن مخالفيهم أنصار أهل البيت عليهم السلام وأبي ذر رحمه الله لهم رأي آخر، وعندهم أشياء كثيرة لا يستطيع ذكرها، وأنهم رووا أمورا شنيعة ارتكبها عثمان ومعاوية مع أبي ذر رحمه الله.
الثانية
أشار الطبري بكلامه إلى أنه لا يثق بقصة محبي معاوية عن الشخص المزعوم (ابن السوداء) ونسبتهم اليه أنه كان المحرك لأبي ذر رحمه الله! فقد وصف ذلك بأنه قصة قالها محبو معاوية، وكتبها اليه مراسله: (فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة، كتب إلي بها إلي السري)! ومما يؤيد تشكيك الطبري أن راويها يزيد الفقعسي مجهول عند كافة علماء الجرح والتعديل!
ثم روى الطبري عن هذا الفقعسي (٣ / ٣٧٨) أن ابن السوداء هو مؤسس مذهب التشيع ومدعي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام! قال: (فيما كتب به إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام! فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فمحمد أحق بالرجوع

من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) ووثب على وصي رسول الله تناول أمر الأمة). انتهى.

ومن الواضح أن المعذرين لمعاوية وضعوا هذه الروايات على لسان الفقعسي وابن السوداء، سواء كان لهما وجود أم لا، ليقولوا إن أبا ذر إنسان بسيط، وقد لعب عليه يهودي من صنعاء، فحركه ضد معاوية وعثمان! وأن ابن السوداء حاول نشر مذهبه في الحجاز والبصرة والكوفة والشام، فلم يستطع إضلال المسلمين وإقناعهم بأن النبي صلى الله عليه وآله أوصى لعلي عليه السلام وأن بني أمية خالفوا وصية النبي صلى الله عليه وآله وغصبوا خلافته! ويقصدون بابن السوداء عبد الله بن سبأ لعنه الله، الذي روت مصادرنا أنه كان مغاليا في علي عليه السلام حتى ادعى له الألوهية! فاستتابه علي عليه السلام فلم يتب، فقتله. وقد نفى الكاتب العلماني المصري طه حسين أصل وجود ابن السوداء، واعتبره أسطورة اخترعها بنو أمية لحاجتهم إلى طرف ثالث يتحمل مسؤولية تحريك الصحابة والمسلمين ضد بني أمية، ودفعهم إلى قتل عثمان. وتبنى بعض العلماء كالسيد العسكري هذه النظرية وألف فيها كتابا.

وحديث ابن السوداء هنا يدلنا على أن الأمويين كانوا يعتبرون المصريين الذين حاصروا عثمان بقيادة الصحابي عبد الرحمن بن عديس البلوي هم الذين قتلوه! وبالفعل كان المصريون أشد عليه ممن شارك معهم في محاصرته وهم: جماعة البصرة، وجماعة الكوفة، ومن التحق بهم من أهل المدينة!

والسبب أن المصريين غضبوا غضبا شديدا لغدر عثمان بهم، بعد أن اتفقوا معه على عزل الوالي الأموي لمصر وتولية محمد بن أبي بكر بدله، وكتب عثمان

المرسوم الخلافي لمحمد بن أبي بكر، وودعوه وساروا، فتفاجؤوا في الطريق برسول من دار الخلافة يحمل رسالة سرية بختم عثمان إلى الوالي الأموي يأمره بالاستمرار في عمله ومعاقبة الوفد المصري ومحمد بن أبي بكر! فعادوا إلى المدينة حانقين، وحاصروا عثمان في دار الخلافة، مطالبين أن يخلع نفسه!

ويدلنا حديث الطبري على أن التشيع وعقيدة وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قد وصلت في زمن عثمان إلى مصر، وتبناها عدد بارز من أهلها بقيادة بعض الصحابة، وأن وفدهم مع ابن عديس البلوي، كانوا في جو التشيع والوصية!

كما يدلنا على أن الأمويين استعملوا عقيدة رجعة النبي صلى الله عليه وآله التي يقول بها الشيعة مادة للتشهير بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، لأنه لا مردود سياسيا بارزا لها مثل عقيدة الوصية وغصب القرشيين للخلافة!

الثالثة

شوهت الرواية سبب الخلاف بين معاوية وأبي ذر، وصورته كأنه خلاف على تسمية بيت المال! فقد أقنع ابن السوداء أبا ذر بأن تسمية معاوية له بمال الله تحريف، لأن اسمه بيت مال المسلمين، وأن معاوية أفحم أبا ذر بأن الله مالك كل شئ! وكأن التسمية هي المشكلة! بينما المشكلة ادعاء معاوية أن اسم بيت مال المسلمين غلط لأنه ليس ملكهم! بل هو بيت مال الله ومعاوية خازن مال الله وقاسمه من قبل الله، فإعطاء معاوية ومنعه بإرادة إلهية، فلا لوم عليه ولا حساب!

وكذلك قول الرواية إن أبا ذر حرك الفقراء على الأغنياء، فقد أخفت أن أولئك الأغنياء هم معاوية ومن حوله من الأمويين، وعثمان ومن حوله منهم، وأن ثروتهم كانت بيت المال وغنائم المسلمين المليونية والملياراية، في حين كان في المسلمين من يموت من الجوع والعري! وقد تعرضنا لذلك في سبب

ثورة الصحابة على عثمان في المجلد الأول!
على أن الموضوع المالي لم يكن أصل الخلاف، بل أصله بنو أمية وما كان يرويه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله في ذمهم، وتحذير الأمة منهم، ودعوتها إلى مقاومتهم والثورة عليهم! وقد نصت الروايات على ذلك، ورأيت في أول الفصل ما رواه أبو ذر رحمه الله وواجه به يزيد بن أبي سفيان عندما سرق الجارية!
الرابعة
إن اعتراف الطبري بقوله: (وأما الآخرون فإنهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورا شنيعة، كرهت ذكرها) يدل على أمور، أهمها أن إرهاب أتباع بني أمية كان موجودا حتى في زمن العباسيين! ومعناه أنا لا يصح أن نعتبر التاريخ المكتوب محايدا مهما كان كاتبه معتدلا كالطبري، لأنه صرح بأنه توجد مواد مهمة للرأي الآخر لا يمكنه أن يكتبها! فهذه شهادة مؤرخ معتدل في قضية أبي ذر الواضحة الظلامة! وزمن المؤرخ بعد قرنين من موت عثمان ومعاوية وزوال الحكم الأموي.. فما حال بقية القضايا؟! فلا تعجب إذا قلنا إن تاريخنا مكتوب بحبر الحكام وهيمنة أتباعهم، والرأي الآخر فيه مغيب مطموس، أو يكاد!
أبو ذر يواجه معاوية بقول النبي صلى الله عليه وآله له إنه من فراعنة هذه الأمة!
في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١ / ٨٨: (وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لفلان: أشهد أن النبي (ص) قال: إني أو إياك فرعون هذه الأمة! يريد أنك فرعون هذه الأمة، ولكنه ألقاه إليه تعريضا لا تصريحا، كقوله تعالى: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. وهذا كما تقول: أحدنا كاذب، وأنت تعلم أنك صادق ولكنك تعرض به). انتهى.

وفي أخبار إصبهان: ٢ / ١١٣: (حدثنا محمد بن المظفر، ثنا عبد الرحمن بن سعيد بن هارون، ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، ثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله (ص) لرجلين: أحدهما فرعون هذه الأمة! فقال الآخر: أما أنا فلا).
وفي غريب الحديث للخطابي: ٢ / ٢٥٠: (وقوله: فقد كفر أحدهما بالإسلام، أراد به القائل دون المقول له. ومن مذهب العرب استعمال الكناية في كلامها وترك التصريح بالسوء، وهو كقول بعض الصحابة لرجل: قد علمت أن رسول الله قال إن أحدنا فرعون هذه الأمة، يعنيه بذلك! وقد يقول الرجل لصاحبه وهو يكذبه: والله إن أحدنا لكاذب. وعلى هذا قوله سبحانه: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين). وفي لسان العرب: ١٤ / ٥٦: (وفي حديث أبي ذر أنه قال لفلان: أشهد أن النبي (ص) قال: إني أو إياك فرعون هذه الأمة، يريد أنك فرعون هذه الأمة، ولكنه ألقاه إليه تعريضا لا تصريحا، وهذا كما تقول: أحدنا كاذب، وأنت تعلم أنك صادق، ولكنك تعرض به). وفي صحاح الجوهري: ٦ / ٢١٧٧: (وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي دهاء ونكر. وفي الحديث: أحدنا فرعون هذه الأمة).
وفي العمدة لابن البطريق / ٣٣٩: (قال ابن قتيبة في حديث النبي (ص): إن أبا ذر أتى فلانا فتعاتبا فقال أبو ذر: أما أنا فأشهد أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إني أو إياك أو أحدنا فرعون هذه الأمة! فقال الرجل: أما أنا فلا! قال ابن قتيبة: قوله: إني أو إياك أو أحدنا، يريد أنك أنت فرعون هذه الأمة، ولكنه ألقى إليه
تعريضا، فكان أحسن من التصريح به. ومثله في كتاب الله تعالى: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين).
وفي العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني: ٦ / ٢٧١: (وسئل عن حديث

يزيد بن شريك عن أبي ذر أنه قال لمعاوية: سمعت النبي (ص) يقول: أحدنا فرعون هذه الأمة! فقال: هو حديث يرويه الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر، واختلف عنه فرواه الثوري عن الأعمش كذلك، ورواه أبو عوانة ومنصور بن أبي الأسود عن الأعمش، عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم التيمي، وحكيم بن جبير ضعيف الحديث، وهو الصواب. فدل أن رواية الثوري ومن تابعه مرسل! حدثنا أبو صالح الأصبهاني، أنبأنا أبو مسعود، أنبأنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال النبي (ص) لرجلين: أحدهما فرعون هذه الأمة! فقال الآخر أما أنا فلا! كذا حدث به أبو مسعود).

وفي علل الحديث لابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٦: (سألت أبي عن حديث رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر أنه قال لمعاوية: إني أو إياك فرعون هذه الأمة! قال: أبي: هذا حديث باطل، يروون أن الأعمش أخذه من حكيم بن جبير عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر، وحكيم هو نحو يونس بن خباب، وهو ذاهب في الضعف). انتهى.

أقول: هذا من تضعيفاتهم دفعا بالصدر وتبعا للهوى! فالدارقطني وابن أبي حاتم لم يجدا مجالا للطعن في رجال السند، لأنهم كلهم ثقات عندهم، فزعما أن الأعمش لم يروه عن إبراهيم التيمي مباشرة، بل بواسطة شخص هو حكيم بن جبير، وحكيم هذا ضعيف، فيكون السند ساقطا من الأعمش فما فوق، ومرسلا من عند سفيان الثوري! ولو قلت لهم: إن الموجود في سند الحديث كما في أخبار أصبهان: ٢ / ١١٣ ورواية الدارقطني نفسه: (الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر)! فمن أين

حكمتم بوجود حكيم بين الأعمش وإبراهيم؟! فلا جواب عند ابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧، إلا قوله: (يروون أن الأعمش أخذه من حكيم بن جبير)! فمن هؤلاء الذين يروون ذلك وأين روايتهم؟! الجواب: لا وجود لها!!

ولو سألت الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥: من الذي يروي الحديث عن الأعمش عن حكيم؟ لأجابك: (واختلف عنه (أي اختلفت رواية الحديث عن الأعمش) فرواه الثوري عن الأعمش كذلك، ورواه أبو عوانة ومنصور بن أبي الأسود عن الأعمش، عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم التيمي). انتهى.

ولو سألته: أين رواه أبو عوانة ومنصور كما زعمت؟ فلا جواب عنده! لأنه لا وجود لروايتهما في كافة المصادر السنية المعروفة ونصف المعروفة! فزعم الدار قطني ليس إلا تعبيرا آخر عن قول أبي حاتم المتوفى قبله بنصف قرن: (يروون أن الأعمش أخذه من حكيم بن جبير)! وهو حسب تتبعي الواسع في ألوف مؤلفة من مصادرهم، كذب لأجل رد الحديث بدون حجة، دفعا بالصدر حسب تعبيرهم، بل عراكا بالأيدي، لخدمة الشجرة الملعونة في القرآن!

ثم لو سلمنا، أن أبا منصور وعوانة روياه بواسطة بين الأعمش وإبراهيم، ورواه سفيان الثوري بدون واسطة، فكيف يحكمون بأن روايتهما هي الصحيحة ورواية سفيان هي الخطأ! مع أن سفيان أكبر منهما سنا وأجل مكانة عندهم، ومتفق على وثاقته، وأبو عوانة ومنصور مختلف فيهما، ويوجد من يضعفهما؟!

على أن الأعمش قد يكون سمع الرواية من حكيم عن إبراهيم ورواها لهما، ثم سمعها من إبراهيم مباشرة ورواها لسفيان، فيكون سنده أعلى بدرجة!

وثانيا، نص البخاري وغيره على سماع الأعمش من إبراهيم (إرواء الغليل للألباني: ١ / ١٣٦)، فلا يجوز أن نفترض روايته عنه بواسطة، إلا إذا صرح هو بذلك!

بل إن هذا السند (الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه) موجود في كتاب الأم للشافعي في أكثر من عشرين موردا، وفي مسند أحمد في ١١٤ موردا! وفي صحيح البخاري في نحو ستين موردا! أما سند الأعمش عن إبراهيم بواسطة حكيم بن جبير، فلا يوجد إلا نادرا جدا، لا يتجاوز بضعة موارد! فحكمهم بوجود واسطة بين الأعمش وإبراهيم مع وجود رواية سفيان الصحيحة بدون واسطة، يعني ابتداعهم بأن احتمال الواسطة عندكم حجة!

وهي مقولة تكلفهم تسقيط البخاري والكثير من مصادرهم! إذ لاوجه لتخصيص حجية احتمالهم بحديث واحد يقول إن معاوية فرعون هذه الأمة؟!

ثالثا، أن حكيم بن جبير موثق عند بعض كبار أئمتهم! قال الرازي في الجرح والتعديل: ٣ / ٢٠١: (حدثنا عبد الرحمن نا على ابن الحسين قال سمعت أبا حفص يقول: كان عبد الرحمن لا يحدث عن حكيم بن جبير، وكان يحيى يحدثنا عنه..... حدثنا عبد الرحمن قال: سألت أبا زرعة عن حكيم بن جبير؟ فقال: في رأيه شئ. قلت ما محله؟ قال محله الصدق إن شاء الله). (ونحوه في تهذيب التهذيب: ٢ / ٣٨٣، وتهذيب الكمال: ٧ / ١٦٨، وقال: روى له الأربعة وقال في هامشه: وقال البخاري فيما سأله الترمذي: لنا فيه نظر، ولم يعزم فيه على شئ (الورقة ٣) وقال البخاري في تاريخه: كان يحيى وعبد الرحمان يحدثان عنه). انتهى.

ومن الطريف أن ابن أبي حاتم شبه حكيم بن جبير بيونس بن خباب فقال: (وحكيم هو نحو يونس بن خباب، وهو ذاهب في الضعف). انتهى. ومعنى كلامه أنه شيعي، فكأنه اكتشف جديدا ولم يعرف أن نحو مائة من رواة البخاري شيعة مثل يونس! وأن الأعمش رحمه الله شيعي أكثر منه! ومنصورا وأبا عوانة أيضا! وأنهم لو تركوا الرواية عن الرواة الشيعة، لذهب شطر عظيم من

أحاديثهم ومصادرهم، كما اعترف به الذهبي!
على أن الدارمي قال في يونس بن خباب: (ثقة صدوق)، وقال أبو داود: وقد رأيت أحاديث شعبة عنه مستقيمة وليس الرافضة كذلك!). (تهذيب الكمال: ٣٢ / ٥٠٥).
وينبغي أن ننبه هنا إلى لعبتهم في الجرح والتعديل، وأنه يمكنك في أكثر الأحاديث أن تضعفها أو تصححها كما تحب وتهوى! وذلك لأن أقوال علماء الجرح والتعديل في الرواة في الغالب مختلفة إلى حد التناقض! فتجد هنا من يوثق يونس بن خباب رحمه الله فتصحح ما روي عنه، كما تجد من يضعف من أردت من كبار رواتهم فتضعف ما تريد تضعيفه عنه!!
وأخيرا، بعد أن عرفت صحة سند حديث أن معاوية فرعون هذه الأمة، يبقى السؤال عن قول معاوية لأبي ذر: (أما أنا فلا)! فهو مؤشر على صحة الحديث، لأنه بادر إلى نفي الفرعنة عنه ولم يكذب الحديث! كما أنه يدل على خبث معاوية لأن الفرعنة بنص الحديث دائرة بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وقد نفاها عن نفسه فكأنه نسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله معاذ الله، أو إلى أبي ذر رحمه الله حسب إحدى تفاسيرهم!
أبو ذر يواجه بني أمية بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في التحذير منهم!
لعل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في تحذير الأمة من بني أمية تبلغ مئة حديث، صدرت من فمه الشريف في مناسبات مختلفة. وعندما نرجع إلى أسانيدها نجد أن رواتها عدد من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من الصحابة كابن مسعود وحذيفة، وعبادة بن الصامت، وأبي هريرة، وعائشة، وأن سهم أبي ذر فيها وافر، فقد نشر نصف هذه الأحاديث على الأقل وبلغها إلى المسلمين، كما نشر كثيرا من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في فضل العترة الطاهرة عليهم السلام وإمامتهم الربانية.
* *

وكان أبو ذر رحمه الله يستعمل أساليب الإعلام المؤثرة لتبليغ رسالة النبي صلى الله عليه وآله، فمرة يقف أمام قصر معاوية في الشام، أو يواجهه في مجلسه!
ومرة يقف عند باب دار الخلافة في المدينة، أو يواجه عثمان في مجلسه!
ومرة يجلس في مسجد دمشق، أو في المسجد النبوي، أو يقوم آخذا بحلقة باب الكعبة في موسم الحج، وينادي في الناس ويخطب فيهم مبلغا رسالة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله في فضل عترته ووجوب اتباعهم عليهم السلام، والتحذير من بني أمية.
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٢: (فسيره إلى الشام إلى معاوية وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس، حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه! وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار. لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر الآتين له...).
وفي الدرجات الرفيعة / ٢٤٣: (روى أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية عن جلام بن جندب الغفاري قال: كنت عاملا لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت يوما أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخا على باب داره يقول: أتتكم القطار تحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له!
فارتاب معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللهم لا. قال: من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم، فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثم قال أدخلوه علي فجئ بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله، تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع! أما

أني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك! ولكني أستأذنه فيك!
قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذر، لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء، فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو الله ولا رسوله صلى الله عليه وآله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليك مرات أن لا تشبع! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه. فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل! قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل! أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول وقد مررت به: اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب! وسمعته صلى الله عليه يقول: إست معاوية في النار! فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية أن احمل جندبا إلي على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها قتب، حتى قدم به إلى المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد! فلما قدم بعث اليه عثمان أن الحق بأي أرض شئت! قال: بمكة. قال: لا. قال: بيت المقدس. قال: لا. قال: بأحد المصرين. قال: لا ولكني مسيرك إلى الربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات)! (وشرح النهج: ٨ / ٢٥٧، والغدير: ٨ / ٣٠٤، و: ١٠: ١٤٢).
وفي مروج الذهب / ٥٨٤: (فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك! فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك، فكتب إليه عثمان بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيرون به! (أي يعنفون به السير ولا يرحموه، والصقلبي الأصهب الشعر من منطقة بلغاريا – معجم البلدان: ٣ / ٤١٦) حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه، وكاد

أن يتلف! فقيل له: إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى، وذكر جوامع ما ينزل به بعد، ومن يتولى دفنه!
فأحسن إليه عثمان في داره أياما، ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء، وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا.... قال: فإني مسيرك إلى الربذة، قال: الله كبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرني بكل ما أنا لاق! قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز). (ورواه في الرياض النضرة ص ٣٦٤ ونحوه العسكري في الأوائل / ١٠٨، بتفاوت، وفيه: (قال عثمان: أجلس، ألم يبلغني أنك تقول: ما أحب أن أكون في صلاح عمر بن الخطاب؟ قال: وإن قلته فمه؟ أسلمت كما أسلم وهاجرت كما هاجر
، وأنا على يقين من نفسي وشك من غيري... الخ.)
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٢: (قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم. قال: فإلى مكة؟ قال: لا! قال: فإلى البصرة قال: لا! قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا! ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها. يا مروان أخرجه ولا تدع أحدا يكلمه حتى يخرج! فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذر عليا قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي... الخ.).

* *

إلى غير ذلك من الأحاديث التي رواها أبو ذر رحمه الله في تحذير النبي صلى الله عليه وآله لأمته من بني أمية، منها: في تفسير قوله تعالى: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار... وأنهم بنو المغيرة وبنو أمية.

ومنها: حديث تفسير آية الشجرة الملعونة في القرآن، وتسمية القردة الذين رآهم النبي صلى الله عليه وآله ينزون على منبره يضلون الناس!
وحديث: إذا بلغت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا...
وحديث: أول من يثلمه رجل من بني أمية..
وحديث: أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية.
وحديث: أكثر ما أتخوف على أمتي.... يد عي أنه أحق بهذا الأمر من غيره.
وحديث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما..
وحديث أن معاوية يحشر يوم القيامة أسود الوجه. الخ.
أبو ذر يصدع بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في فضل العترة عليهم السلام وإمامتهم أوردنا في المجلد الأول تحت عنوان: فهرس لأحداث أيام وفاة النبي: صلى الله عليه وآله أن اثني عشر صحابيا اعترضوا في المسجد النبوي يوم الجمعة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأقاموا الحجة عليهم فتكلموا وبينوا وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وأخذه البيعة له يوم الغدير، وأدانوا مؤامرة السقيفة! وهم من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري. وتكلم كل منهم بمنطق قوي وحجة بالغة.
وقد أوردنا كلام خالد بن سعيد بن العاص رحمه الله وكان كلام أبي ذر رحمه الله أيضا قويا، وكان يعيده عند مناسبته في الحجاز والشام! قال في الإحتجاج: ١ / ١٠٠: (ثم قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابه، والله ليرتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم

ما اختلف عليكم سيفان! والله لقد صارت لمن غلب! ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، ولتسفكن في طلبها دماء كثيرة! ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي، فأطرحتم قول نبيكم صلى الله عليه وآله وتناسيتم ما عهد به إليكم! فأطعتم الدنيا الفانية، ونسيتم الآخرة الباقية، التي لا يهرم شابها ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل! فكذلك الأمم من قبلكم، كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها، وغيرت وبدلت واختلفت، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة! وعما قليل تذوقون وبال أمركم وتجزون بما قدمت أيديكم وما الله بظلام للعبيد!) (والخصال / ٤٦١).

أبو ذر ينادي عند الكعبة ويخطب في المسلمين!

في أخبار مكة للفاكهي: ٣ / ١٣٤: (ذكر خطبة أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه بمكة وقيامه بها.... عن حنش الكناني قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه آخذا بباب الكعبة وهو يقول: يا أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك. وزاد غيره في هذا الحديث أن أبا ذر أسند ظهره إلى الكعبة فقال: يا أيها الناس هلم إلى أخ ناصح شفيق! قال فاكتنفه الناس ثم قال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا، أليس كان يأخذ من الزاد ما يصلحه؟ السفر سفر الآخرة فتزودوا ما يصلحكم. فقام إليه رجل من أهل الكوفة فقال: وما الذي يصلحنا؟... الخ.).

وفي كتاب سليم بن قيس رحمه الله / ٤٥٧: (قال سليم بن قيس: بينما أنا وحنش بن المعتمر بمكة، إذ قام أبو ذر وأخذ بحلقة الباب، ثم نادى بأعلى صوته في

الموسم: أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة، أنا أبو ذر. أيها الناس: إني سمعت نبيكم يقول: مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تركها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل. أيها الناس: إني سمعت نبيكم يقول: إني تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي...) إلى آخر الحديث.

وفي كتاب كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ص ٦٩: بسنده عن أنس بن مالك قال: (كنت أنا وأبو ذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي صلى الله عليه وآله ودخل الحسن والحسين فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أبو ذر فانكب عليهما وقبل أيديهما ثم رجع فقعد معنا فقلت له سرا: رأيت رجلا شيخا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم إلى صبيين من بني هاشم فينكب عليهما ويقبل أيديهما! فقال: نعم لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لفعلتم بهما أكثر مما فعلت! قلنا: وماذا سمعت يا أبا ذر؟ قال: سمعته يقول لعلي ولهما: يا علي، والله لو أن رجلا صلى وصام حتى يصير كالشن البالي، إذا ما نفعته صلاته وصومه إلا بحبكم. يا علي من توسل إلى الله بحبكم فحق على الله أن لا يرده. يا علي من أحبكم وتمسك بكم، فقد تمسك بالعروة الوثقى. قال: ثم قام أبو ذر وخرج وتقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبو ذر عنك بكيت وكيت؟ قال: صدق أبو ذر صدق، والله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. قال: ثم قال: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد، قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. فقلت: يا رسول الله، فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم؟ قال: كنا أشباحا من نور تحت العرش، نسبح الله تعالى ونمجده، ثم قال: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبرئيل فقلت: حبيبي جبرئيل أفي هذا

المقام تفارقني؟ فقال: يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي. ثم زج بي في النور ما شاء الله، فأوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبيا، ثم اطلعت ثانيا فاخترت منها عليا فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب... الخ.).

وقد عقد الخزاز القمي رحمه الله بابا في (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام / ٣٥ بعنوان: ما جاء عن أبي ذر الغفاري رحمة الله عليه، روى فيه بأسانيده بضعة أحاديث منها: (عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا، ومن استمسك بأوصيائي من بعدي فقد استمسك بالعروة الوثقى. فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل فقال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتي تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم).

(راجع أيضا: / ٧٣، ١٤٧).

تعاظم تأثير أبي ذر رحمه الله في بلاد الشام

اعترف معاوية بالتأثير الكبير لأبي ذر رحمه الله في جيوش الفتح وأهل الشام، وكتب إلى عثمان طالبا منه يأخذ أبا ذر إلى المدينة، لأن جيش الفتح يميلون اليه، وأهل الشام يستفتونه ولا يقبلون بفتوى غيره! وكان أبو ذر يتنقل في بلاد الشام، حيث ورد ذكره في قبرص وطرسوس وبيروت وأنها كانت مكتبا للجند، وقد زارها سلمان الفارسي أيضا وغيره من الصحابة، ولأبي ذر مسجد في الصرفند في ساحل جبل عامل، وفي ميس الجبل أعالي جبل عامل، والمعروف أنه هو الذي غرس بذرة التشيع لأهل البيت عليهم السلام في جبال عاملة.

قال العيني في عمدة القاري: ٤ / ٢٩١: (إنما كتب معاوية يشكو أبا ذر، لأنه كان كثير الاعتراض عليه والمنازعة له، وكان في جيشه ميل إلى أبي ذر، فأقدمه عثمان خشية الفتنة، لأنه كان رجلا لا يخاف في الله لومة لائم).
وفي بحار الأنوار: ٣١ / ٢٧٤: (كتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد حرف قلوب أهل الشام وبغضك إليهم فما يستفتون غيره، ولا يقضي بينهم إلا هو، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل أبا ذر على ناب صعبة). (وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي / ٢٦٦، والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم: ٢ / ١٥٢، وغيرها).
وفي فتوح ابن الأعثم: ٢ / ٣٧٣: (فلما أدخل على عثمان ونظر إليه قال: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جندب بن جنادة وسماني النبي صلى الله عليه وآله عبد الله! فقال عثمان: أنت الذي تزعم بأننا نقول أن يد الله مغلولة وأن الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده المؤمنين؟ إني لم أقل ذلك، ولكني أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دخلا! ثم يريح الله العباد منهم. فقال عثمان لمن بحضرته من المسلمين: أسمعتم هذا الحديث من رسول الله؟! فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا جندب أتكذب على رسول الله؟! فقال أبو ذر لمن حضر: أتظنون أني كذبت ولم أصدق في هذا الحديث؟! فقال عثمان: ادعوا لي علي بن أبي طالب، فدعي له، فلما جلس قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، قال: فأعاد الحديث أبو ذر، فقال عثمان: يا أبا الحسن هل سمعت هذا من رسول الله؟ فقال علي رضي الله عنه: {لم أسمع هذا ولكن {قد صدق أبو ذر! فقال عثمان: وبماذا صدقته؟ فقال علي: بحديث النبي صلى الله عليه وآله قال: ما أظلت الخضراء

ولا أقلت الغبراء أحدا أصدق لهجة من أبي ذر! فقال جميع من حضر من أصحاب رسول الله: صدق علي. وقال أبو ذر: أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله وتتهموني! ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا منكم! فقال عثمان: كذبت، أنت رجل محب للفتنة... فقال أبو ذر: والله ما أعرف لي إليك ذنبا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: فاشتد غضب عثمان ثم قال: أشيروا علي في أمر هذا الشيخ الكذاب فقد فرق جماعة المسلمين! فقال علي رضي الله عنه: أما أنا فأشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب! فقال عثمان: التراب بفيك يا علي! فقال علي: بل بفيك يا عثمان! أتصنع هذا بأبي ذر وهو حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله في كتاب كتبه إليك معاوية، من قد عرفت زهقه وظلمه! قال: فأمسك عثمان عن علي، ثم أقبل على أبي ذر فقال: أخرج عنا من بلدنا! فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك، ولكن إلى أين أخرج؟ فقال عثمان: إلى حيث شئت! فقال: أرجع إلى الشام فإنها أرض الجهاد، فقال عثمان: إني إنما جئت بك من الشام لما تفسد بها علي ولا أحب أن أردك إليها!

قال أبو ذر: فأخرج إلى العراق؟ قال عثمان: لا، لأنهم قوم أهل شبهة وطعن على الأئمة، فقال أبو ذر: فإني حيث كنت فلا بد لي من قول الحق، فإلى أين تحب أن أخرج؟ فقال عثمان: أي بلد هو أبغض إليك؟ قال: الربذة، قال: فأخرج إليها، ولا تعدها). انتهى. وقد وضعنا عبارة (لم أسمع هذا ولكن) بين قوسين لأنها عبارة مشكوكة، فعلي عليه السلام بنص القرآن عنده علم الكتاب، وجعله الله شاهدا بعد نبيه على رسالته فقال تعالى: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد: ٤٣) وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يقربه ويعلمه فكان أخص المسلمين به،

فلا بد أنه سمع منه هذا الحديث وغيره في بني أمية. فالمرجح أنه تعمد الإجابة بأن أبا ذر رحمه الله صادق بحديث النبي صلى الله عليه وآله ليلزمهم بكل ما يرويه أبو ذر!
وفي أمالي المفيد / ١٦١: (لما أخرج عثمان أبا ذر الغفاري رحمه الله من المدينة إلى الشام كان يقوم في كل يوم فيعظ الناس ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله، ويحذرهم من ارتكاب معاصيه، ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليه عليهم السلام، ويحضهم على التمسك بعترته. فكتب معاوية إلى عثمان: أما بعد فإن أبا ذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من الناس كثيرة عنده فيقول كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم أبا ذر إليك، فإني أخاف أن يفسد الناس عليك، والسلام.
فكتب إليه عثمان: أما بعد فأشخص إلي أبا ذر حين تنظر في كتابي هذا، والسلام.
فبعث معاوية إلى أبي ذر فدعاه وأقرأه كتاب عثمان وقال له: النجا الساعة! فخرج أبو ذر إلى راحلته، فشدها بكورها وأنساعها، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: يا أبا ذر رحمك الله أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضبا علي، وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثا بي، ولا يزال هذا الأمر فيما أرى شأنهم فيما بيني وبينهم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ومضى.
وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتى خرج من دمشق، فساروا معه حتى انتهى إلى دير مران (خارج دمشق) فنزل ونزل معه الناس فاستقدم فصلى بهم، ثم قال: أيها الناس إني موصيكم بما ينفعكم، وتارك الخطب والتشقيق، احمدوا الله عز وجل، قالوا الحمد لله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فأجابوه بمثل ما قال، فقال: أشهد أن البعث حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأقر بما جاء من عند الله، فاشهدوا علي بذلك، قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين.

قال: ليبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته ما لم يكن للمجرمين ظهيرا، ولا لأعمال الظلمة مصلحا، ولا لهم معينا! أيها الناس، إجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله عز وجل إذا عصي في الأرض، ولا ترضوا أئمتكم بسخط الله، وإن أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم وأزروا عليهم، وإن عذبتم وحرمتم وسيرتم (نفيتم) حتى يرضى الله عز وجل فإن الله أعلا وأجل! لا ينبغي أن يسخط برضا المخلوقين. غفر الله لي ولكم أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

فناداه الناس أن سلام الله عليك ورحمك يا أبا ذر، يا صاحب رسول الله، ألا نردك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك، ألا نمنعك؟! فقال لهم: ارجعوا رحمكم الله فإني أصبر منكم على البلوى، وإياكم والفرقة والاختلاف. فمضى حتى قدم على عثمان فلما دخل عليه قال له: لا قرب الله بعمرو عينا، فقال أبو ذر: والله ما سماني أبواي عمروا، ولكن لا قرب الله من عصاه وخالف أمره وارتكب هواه. فقام إليه كعب الأحبار فقال له: ألا تتقي الله يا شيخ تجيب أمير المؤمنين بهذا الكلام! فرفع أبو ذر عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب ثم قال له: يا ابن اليهوديين ما كلامك مع المسلمين؟! فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد!

فقال عثمان: والله لا جمعتني وإياك دار، قد خرفت وذهب عقلك! أخرجوه من بين يدي حتى تركبوه قتب ناقته بغير وطاء، ثم أنخسوا به الناقة وتعتعوه حتى توصلوه الربذة فنزلوه بها من غير أنيس حتى يقضي الله فيه ما هو قاض فأخرجوه متعتعا ملهوزا بالعصا! وتقدم أن لا يشيعه أحد من الناس فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبكى حتى بل لحيته بدموعه ثم قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم نهض ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن العباس والفضل وقثم وعبيد الله حتى لحقوا أبا ذر فشيعوه. فلما بصر بهم أبو ذر رحمه الله حن إليهم وبكى عليهم وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول

الله صلى الله عليه وآله وشملتني البركة برؤيتها. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أحبهم ولو قطعت إربا إربا في محبتهم ما زلت عنها، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله، والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة. فودعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه). (وأورده مختصرا في: ٢ / ٣٧٦).

وفي مروج الذهب / ٥٨٥: (فاعترض مروان فقال: يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف، فلما أراد علي الانصراف بكى أبو ذر وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله. فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من علي: رد رسولي عما وجهته له، وفعل كذا، والله لنعطينه حقه، فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا له: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال علي عليه السلام: غضب الخيل على اللجم! فلما كان بالعشي جاء إلى عثمان، فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان ولم اجترأت علي ورددت رسولي وأمري؟ قال: أما مروان فإنه استقبلني يردني فرددته عن ردي، وأما أمرك فلم أرده، قال عثمان: ألم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال علي: أوكلما أمرتنا به من شئ نرى طاعة الله والحق في خلافه، اتبعنا فيه أمرك؟! بالله لا نفعل!

قال عثمان: أقد مروان، قال: ومم أقيده؟ قال: ضربت بين أذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين أذني راحلتك، قال علي: أما راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل. وأما أنا فوالله لئن شتمني

لأشتمنك أنت مثلها، بما لا أكذب فيه، ولا أقول إلا حقا! قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته، لله ما أنت عندي بأفضل منه! فغضب علي بن أبي طالب وقال: ألي تقول هذا القول وبمروان تعدلني؟! فأنا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فانثل بنبلك! فغضب عثمان واحمر وجهه ، فقام ودخل داره، وانصرف علي فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار! فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكى إليهم عليا وقال: إنه يعيبني ويظاهر من يعيبني، يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما حتى اصطلحا وقال له علي: والله ما أردت بتشييع أبي ذر إلا الله تعالى).

وفي نهج البلاغة: ٢ / ١٢: (ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما خرج إلى الربذة: يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له. إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه! فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غدا والأكثر حسدا. ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا، لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنوك). (ورواه في الكافي: ٨ / ٢٠٦، مع كلمات عدد من المودعين لأبي ذر رحمه الله).

وقال البلاذري في أنساب الأشراف / ١٤٥٦ وفي طبعة أخرى: ٥ / ٥٥: (وقد روي أيضا أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله، فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا! فقال عثمان: يا..... أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفع في قفاه وقال: إلحق بمكانه، فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى علي فسألوه

أن يكلم عثمان فيه فقال له علي: يا عثمان إتق الله فإنك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه! فقال علي: رم ذلك إن شئت! واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته، فإن هذا شئ لا يسوغ، فكف عن عمار). انتهى. وقد وضعنا نقاطا بدل كلمة بذيئة جدا!

أبو ذر رحمه الله لم يستعمل القوة، لكن لم يسكت عن بيان الحق!

التزم أبو ذر رحمه الله بوصية النبي صلى الله عليه وآله وتوجيهات علي عليه السلام فلم يستعمل القوة ولم يرض أن يستعملها أنصاره ومحبوه، لكنه كان يوصي المسلمين ويحثهم على أن يتكلموا ويجاهروا بنقد بني أمية وكشف انحرافهم وتحريفهم للدين!

والحديث التالي الذي نقله أتباع بني أمية، يدل على مكانة أبي ذر رحمه الله في نفوس المسلمين وإصراره على حقه في المقاومة السلمية، وحرية التعبير عن الرأي!

فقد روى بخاري في صحيحه: ١ / ٢٥، حديثا عن أبي ذر وبتره، قال: (وقال أبو ذر لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها).

ورواه الدارمي في سننه كاملا فقال: ١ / ١٣٦ عن كثير قال: (أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟! فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت علي؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها!). (والطبقات: ٢ / ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء: ٢ / ٦٤، وأنساب الأشراف / ٢٨٤١، ونهاية ابن الأثير / ٨١٠، وتذكرة الحفاظ: ١ / ٩، وتاريخ دمشق: ٦٦ / ١٩٤، وفتح الباري: ١ / ١٤٨).

وفي حلية الأولياء: ١ / ١٦٠: (عن أبيه عن أبي ذر أن رجلا أتاه فقال: إن مصدقي عثمان (موظفي الزكاة) ازدادوا علينا! أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟ فقال: لا، قف مالك وقل: ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلا فذروه، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة! وعلى رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟! فقال: أرقيب أنت علي! فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن تحتزوا لأنفذتها). وفي تغليق التعليق لابن حجر: ١ / ٧٩، وقال: (وأخبرناه عاليا بأتم عن مرثد أبو كثير عن أبيه عن أبي ذر، أن رجلا أتاه فقال إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا..).
وفي فتح الباري: ١ / ١٤٨: (وفيه دليل على أن أبا ذر كان لا يرى طاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا، لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه لأمر النبي (ص) بالتبليغ عنه.... والصمصامة بمهملتين الأولى مفتوحة هو السيف الصارم الذي لا ينثني.... وفيه الحث على تعليم العلم واحتمال المشقة فيه، والصبر على الأذى طلبا للثواب). ورواه في تاريخ دمشق: ٦٦ / ١٩٤، وقال: (إن المصدقين يعني جباة الصدقة ازدادوا علينا) وحذف اسم عثمان!
ورواه الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١ / ٩، وقال: (قلت: لقوة أبي ذر في الحق، ولأخلاقه، نهي عن الفتيا فانقطع بالربذة سنوات حتى توفي)! فلاحظ كيف طعن الذهبي الشركسي الأموي، في أخلاق أبي ذر رحمه الله! وكيف برر نفي عثمان إياه ومنعه من الفتيا ومن التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله بأن أبا ذر قوي في الحق وسئ الخلق! وكيف لم ير تعدي عمال عثمان على أصحاب المواشي، وتعامى عن ظلم عثمان لأبي ذر إذ قال: (فانقطع بالربذة سنوات حتى توفي) ليغطي على كل ما رووه في نفي عثمان له، ويوهم القارئ بأن سوء أخلاق أبي ذر مع الناس هي

التي اضطرته إلى الانقطاع في الربذة، ولا ذنب على عثمان في ذلك!
وأسوأ منه تزوير بخاري لنفي أبي ذر رحمه الله حيث روى في صحيحه: ٢ / ١١١، عن زيد بن وهب، قال: (مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في: والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي إن شئت تنحيت فكنت قريبا! فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت). انتهى!
فقد لخص بخاري القضية بأنها: خلاف علمي برئ مع معاوية على تفسير آية! وأن عثمان كتب إلى أبي ذر واستقدمه لينهي النقاش! وأن المسلمين في المدينة أحاطوا بأبي ذر، وكثرت زيارتهم له، وصار بيته مركزا لهم فسلبوا راحته! فشكى إلى الخليفة العطوف أذى الناس له، فاشفق عثمان على هذا الصحابي الجليل والقائد في جيش الفتح، فنصحه بأن يتنحى عنهم فسكن في الربذة!!
فإذا لم يكن هذا تزوير الحقائق بكامل نسبه وأوصافه، فما هو التزوير؟!
* *

ولم يخضع أبو ذر رحمه الله للإغراء.. ولا التخويف!
في رجال الكشي: ١ / ١١٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا بها إلى أبي ذر فقولا له: إن عثمان يقرئك السلام وهو يقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك، فقال أبو ذر: هل أعطى أحدا من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا. قال: فإنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين. قالا له: إنه يقول هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام ولا بعثت بها إليك إلا من حلال. فقال: لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له عافاك الله وأصلحك! ما نرى في بيتك قليلا ولا كثيرا مما يستمتع به؟ فقال: بلى تحت هذه الإكاف التي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير! لا والله حتى يعلم الله أني لا أقدر على قليل ولا كثير، ولقد أصبحت غنيا بولاية علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديين، الراضين المرضيين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وكذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه لقبيح بالشيخ أن يكون كذابا! فرداها عليه وأعلماه أنه لا حاجة فيها، ولا فيما عنده، حتى ألقى الله ربي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه).
وفي لآلي الأخبار: ١ / ٥١: (قال أبو ذر: جزى الله الدنيا عني مذمة، بعد رغيفين من الشعير أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر، وبعد شملتي صوف أتزر بأحدهما وأتردى بالأخرى).
وفي تذكرة ابن حمدون / ٥٧٦: (التقى عبد الرحمن بن عوف وأبو ذر، فقبل عبد الرحمن ما بين عيني أبي ذر لكثرة سجوده.... بعث إليه عبد الرحمن ببدرة وقال لغلامه: إن قبلها منك فأنت حر، فأبى أن يقبلها. فقال الغلام: إقبل رحمك الله

فإن في قبولك عتقي، فقال أبو ذر: إن كان عتقك فيه فإن فيه رقي! وردها).
وفي كشكول البهائي / ١٤٣ أن الذي بعث اليه بالمال عثمان، وكذا في أعيان الشيعة: ٤ / ٢٣١، عن لباب الآداب.
وفي شعب الإيمان: ٧ / ٣٧٧: (بعث حبيب بن مسلمة (معاون معاوية) إلى أبي ذر وهو بالشام ثلاثمائة دينار فقال: أستعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر: إرجع بها إليه، ما أحد أغنى بالله منا، ما لنا إلا ظل نتوارى به، وثلاثة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوف الفضل). (وتاريخ دمشق: ٦٦ / ٢٠٨ والزهد لابن أبي عاصم: ١ / ١٤٧ ونهج الحق للعلامة / ٢٩٩، وفتن ابن حماد: ١ / ٢٤٨).
وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢ / ٦٩، رواية تدل على أن أبا ذر كان يقبل أحيانا هدايا معاوية وينفقها، وهذا ينسجم مع فقه أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم فقد كانوا يقبلون هدايا الحكام أحيانا ليصرفوها على بعض المسلمين، قال الذهبي: (فأمره أن يرتحل إلى الشام فيلحق بمعاوية، فكان يحدث بالشام فاستهوى قلوب الرجال! وكان يقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم ولا تبر ولا فضة إلا شئ ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم! وإن معاوية بعث إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها، فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله فقال: إذهب إلى أبي ذر فقل: أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإني أخطأت (أي لم تكن الألف دينار لك)! قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار. ولكن أنظرنا ثلاثا حتى نجمع لك دنانيرك! فلما رأى معاوية أن قوله صدق فعله، كتب إلى عثمان: أما بعد، فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهله، فابعث إلى أبي ذر، فإنه قد وغل صدور الناس). انتهى.
وهكذا لم يخضع أبو ذر رحمه الله لمحاولات بني أمية إغراءه بالمال، ولا لتهديدهم

إياه بالقتل، ولا لسياسة الإفقار التي اتبعوها معه ومع غيره، بل كان يجيبهم بقوله المشهور: (تخضمون ونقضم والموعد الله)! قال أبو ذر رحمه الله: (إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل! ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها، وللفقر أحب إلي من الغنى! فقال له رجل: يا أبا ذر مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟ قال: إني أنهاهم (السلطة) عن الكنوز). (حلية الأولياء: ١ / ١٦٢، والبخلاء للجاحظ / ٦٩). وفي أدب الكاتب لابن قتيبة / ١٧١: (والخضم بالفم كله، والقضم بأطراف الأسنان، قال أبو ذر رحمه الله: تخضمون ونقضم والموعد الله). وقال السيوطي في المزهر: ١ / ٤٢: (فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس).

* *

الفصل السابع
محاولتهم إثبات شرعية معاوية بصلح الإمام الحسن عليه السلام

تمحلوا لإثبات شرعية بني أمية فعجزوا!
ما زال أتباع بني أمية قديما وحديثا، يتعسفون ليثبتوا شرعية خلافة معاوية بشتى الطرق، ومنها صلح الإمام الحسن عليه السلام معه وبيعته له! وذلك على رغم أنهم
رووا أن معاوية إمام الدعاة إلى النار! وأن الخلافة ثلاثون سنة وبعدها ملك عضوض! وأن عمر حرم الخلافة على الطلقاء وأبناء الطلقاء! ورووا في معاوية وبني أمية أحاديث تنفي عنهم العدالة وصلاحيتهم للخلافة!
مع كل هذا، يريدون أن يجعلوا من الطليق بن الطليق، وإمام الفئة الباغية الداعية إلى النار، والملعون على لسان الصادق الأمين! خليفة شرعيا للنبي صلى الله عليه وآله! ويحولوا جريمة خروجه على إمام زمانه، وشقه لعصا الأمة وسفكه دماء عشرات الألوف من خيارها، إلى اجتهاد مشروع وعمل صالح!!
وقد جرت لنا معهم مناقشات، نشرنا أهمها في المجلد الثامن من كتاب الإنتصار، ومن ذلك قول أحدهم: (أنتم تقولون إن الحسن معصوم، وتعظمون أمر الإمامة والخلافة، فكيف يسلمها لمعاوية ويبايعه على أنه أمير المؤمنين؟ أيرضى الحسن أن يجعل معاوية خليفة للمسلمين حتى موت معاوية؟!
إن قلتم: نعم رضي فلماذا لا ترضون أنتم؟! وإن قلتم: لا، فنقول: كيف يرضى للمسلمين ما لا يرضى لنفسه؟! وإذا كان هذا حكم الحسن فهل ترضون أنتم بذلك؟! وهل تجوز البيعة لكافر خاصة من المعصوم؟! فكيف تحكمون على معاوية بالكفر، وأنه الشجرة الملعونة في القرآن، فهل يجوز أن يبايعه معصومان؟!
وهذه خلاصة أجوبتنا لهم:
أولا: إن بيعة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية لا تعطيه شرعية، لأن سنة الله تعالى في

أنبيائه وأوصيائه عليهم السلام وأتباعهم من آدم إلى الإمام المهدي عليهم السلام: أن أكثرهم كانوا مستضعفين مضطهدين، مجبورين على الخضوع لطغاة زمانهم، وقد أجاز الله لهم أن يبايعوهم ويتعايشوا معهم، دون أن يعطيهم ذلك شرعية!
بل أجاز الله ذلك لحكمة بدون اضطرار كما في نبي الله يوسف عليه السلام مع فرعون. واضطرار أئمتنا عليهم السلام من هذا النوع ومنه صلح الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية!
إن التقية لدفع الضرر جائزة بإجماع المسلمين، وأنتم تستعملونها حتى مع المسلمين! ومن أمثلتها أسماؤكم في شبكات النت في نقاشاتكم معنا! فهي التقية التي تعيروننا بها! مع أنه لاخطر على أحدكم من إعلان اسمه، بقدر عشر الخطر والضرر الذي كان على الإمام الحسن عليه السلام وشيعته من عدم الصلح!

* *

ثانيا: هذا الإشكال لا يختص بالشيعة، فإن أكثر علماء الأمة من أتباع المذاهب المختلفة أفتوا بفسق معاوية، وبعضهم أفتى بكفره، واستدلوا على جواز لعنه أو وجوبه! ويكفي أن تقرأ كتاب (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) للحافظ محمد بن عقيل، فهؤلاء العلماء مثلنا يرون أن صلح الإمام الحسن عليه السلام وبيعته له اضطرار لا يعطي شرعية لمعاوية، فضلا عن وصفه بالخليفة!

* *

ثالثا: إن حكم معاوية فاقد للشرعية بالإجماع المركب منا ومنكم، لأن الخلافة النبوية عندكم ثلاثون سنة، وبعدها الملك العضوض بنص النبي صلى الله عليه وآله! والملك العضوض الذي يعض الناس كالكلب، محال أن يكون شرعيا!
رابعا: إن كل واحد من الأحاديث التي صححوها في ذم معاوية وبني أمية وبني العاص، يكفي دليلا على صحة مذهبنا فيهم! وقد صحح العديد منها

محدثوهم المتقدمون والمتأخرون، ومنهم الألباني الذي يلقبه ابن باز مفتي الوهابية: أمير المؤمنين الحديث! قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١ / ٧٤٢: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء... رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي والحاكم، وهذا من دلائل صدق نبوة النبي (ص)، فإن أبا بكر تولى عام ١١ ه، وتنازل عنها الحسن بن علي عام ٤١ ه. وهي ثلاثون عاما كاملة).
وصحح حديث أن معاوية أول من يثلم الإسلام ويغير السنة! قال في أحاديثه الصحيحة: ٤ / ٣٢٩: (أول من يغير سنتي رجل من بني أمية! ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة وجعله وراثة). انتهى. فكيف تجعلون من يعض حكمه الأمة ويثلم الدين ويحرفه خليفة شرعيا، وهل هذا إلا تناقض وتحريف؟!

* *

خامسا: إن الإمامة عندنا منصب إلهي، والخلافة منصب دنيوي، والإمام الحسن عليه السلام لم يتنازل عن الإمامة الإلهية، لأنها لاتقبل التنازل! فهو إمام وسيد شباب أهل الجنة بنص جده المصطفى صلى الله عليه وآله سواء كان خليفة أو لم يكن! وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) فهما إمامان سواء حاربا أو صالحا، وسواء حكما الأمة أم لم يحكما! فالإمام الحسن عليه السلام إمام لمعاوية بالنص وطاعته مفترضة عليه وعلى الأمة بالنص، والإمام بالنص لا يكون مأموما ولو اضطر إلى الصلح؟ والتابع بالنص لا يكون إماما شرعيا ولو تغلب؟! بل إن قوله صلى الله عليه وآله (إمامان قاما أو قعدا) إخبار عن الظروف التي ستمر عليهما وأنهما قد ينهضان بأمر أمته أو يقعدان مضطرين، لكن إمامتهما ثابتة في كل الأحوال، وهذا من علامات نبوته صلى الله عليه وآله.
وقد احتج الإمام الحسن عليه السلام بذلك ففي علل الشرائع: ١ / ٢١١: (عن أبي سعيد

عقيصا قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا ابن رسول الله، لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماما عليهم؟ قلت: بلى. قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى. قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام لو قعدت. يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع
ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية. أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل. يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا. ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، وهكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل). انتهى.
وقد روت حديث الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا مصادر متعددة مثل: كفاية الأثر / ١١٧، ودعائم الإسلام: ١ / ٣٧, وكشف الغمة: ١ / ٥٣٣، وروضة الواعظين / ١٥٦، والفصول المختارة للشريف المرتضى / ٣٠٣، والإرشاد: ٢ / ٣٠، والمسائل الجارودية / ٣٥، وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة / ١٦٨، والطرائف لابن طاووس / ١٩٦، ومجمع البيان: / ٣١١ ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٦٣، وقال: أجمع عليه أهل القبلة. وقال السيد الميلاني في شرح منهاج الكرامة: ١ / ١٣٨: (وممن رواه من أهل السنة: الصفوري في نزهة المجالس: ٢ / ١٨٤، والصديق القنوجي في السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم في باب المناقب، وفي الإتحاف بحب الأشراف: أنه صلى الله عليه وآله قال لهما: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة). انتهى.
كما روت مصادر السنيين حديث أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

وأبوهما خير منهما، مثل: ابن ماجة: ١ / ٤٤، عن ابن عمر قال قال رسول الله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. والمستدرك: ٣ / ١٨٢، والطبراني في الكبير: ٣ / ٣٩، و: ١٩ / ٢٩٢، والزوائد: ٩ / ١٨٣، ومصباح الزجاجة: ١ / ٢٠، ومرقاة المفاتيح: ١١ / ٣١٤، وتاريخ بغداد: ١ / ١٤٠، وتاريخ دمشق: ١٣ / ٢٠٩، وشرح مشكل الآثار: ١٢ / ٥١٩، وكشف الخفاء: ١ / ٣٤، بلفظ: ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، والصواعق المحرقة: ٢ / ٥٦٠، وذخائر العقبى: ١ / ١٢٩، ونهاية ابن كثير: ٨ / ٣٥، وغيرها كثير). وهو في أصله طويل، ويبدو لي أن تعبير: إمامان قاما أو قعدا كان جزء منه فحذفوه على عادتهم!

* *

سادسا: لو سلمنا أن بيعة الإمام الحسن عليه السلام شهادة بإسلام معاوية وعدالته وشرعية خلافته، فهي مشروطة بشروط عديدة لم يف بها معاوية، بل أعلن منذ دخوله الكوفة نكثها وعدم وفائه بها! وإذا فقد الشرط فقد المشروط.

* *

سابعا: لو سلمنا أن معاوية صار خليفة شرعيا جامعا لشروط الخلافة، فقد نقض شروط الخلافة وفقد الصلاحية لها بأقواله وأعماله وتقتيله المسلمين. ويكفي إجباره المسلمين على بيعة ابنه يزيد وجعله الخلافة ملكا عضاضا!

* *

ثامنا: اعترف معاوية بأنه ملك وليس خليفة، وسيأتي ذلك، وقال كبار علمائهم إنه ملك ولا يصح تسميته خليفة! والمتعصبون الذين يسمونه خليفة يعترفون بتدليسهم! ويقولون إن خلافته ليست خلافة نبوة، بل هو خليفة لمن سبقه! مع أن كل حاكم حتى فرعون خليفة لمن سبقه! ولكنهم يدلسون بتسمية معاوية خليفة ليدلسوا على المسلمين أنه خليفة النبي صلى الله عليه وآله؟!

* *

إن مشكلة أتباع بني أمية أنهم أتباع هوى، ولذلك لا يقبلون حجة ولا دليلا، ويتشبثون ببني أمية ويدافعون عنهم بالباطل! وبإمكانك أن تنظر إلى التحريف والتزوير الذي ملؤوا به كتبهم ومواقعهم لتلميع صورة معاوية المظلمة! وذلك لأنهم أشربوا حبه بذنوبهم. ومن أكبر ذنوبهم إعراضهم عن عترة نبيهم صلى الله عليه وآله!

* *

الفصل الثامن
خطط معاوية لتعظيم نفسه ومن يتصل به

١ - معاوية: نحن معدن الحق!
فمن يكون علي وابن علي، ومن عمر وابن عمر؟!
في أول خطاب له في الكوفة، أعلن معاوية انتهاء الدولة الإسلامية وقيام الدولة الأموية، وتجرأ على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وقال لأهل العراق أو لبني هاشم: (قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه)! (كتاب سليم / ٣٦٨، والاحتجاج: ٢ / ٦، والدر النظيم / ٤٩٩، والعدد القوية للحلي / ٤٩). وقد رد عليه الإمام الحسن عليه السلام لاحقا بقوله: (العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك وجرأتك على الله حين قلت: قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه! فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا؟!).
وفي تاريخ دمشق: ٢٤ / ٩٠: (عن زرارة بن أوفى أن معاوية خطب الناس فقال: يا أيها الناس إنا نحن أحق بهذا الأمر! نحن شجرة رسول الله (ص) وبيضته التي انفلقت عنه ونحن ونحن! فقال صعصعة: فأين بنو هاشم منكم؟ قال نحن أسوس منهم، وهم خير منا). انتهى. فهو بزعمه صاحب الحق في حكم قريش والعرب، لأن معدن هذا الحق بنو أمية بزعامة أبي سفيان، وهو الوارث الشرعي لهذا الحق! فكأن الإسلام وحكم النبي صلى الله عليه وآله كان غصبا لحق بني أمية وقد استعاده معاوية! لكنه يجاري المسلمين فيقول إن محمدا صلى الله عليه وآله ابن عمنا ونحن شجرته، ونحن أحق منه وأحق به حتى من أهل بيته، لأنا أسوس منهم!
وعملا بهذا الغرور هاجم معاوية عمر بن الخطاب، وحكم عليه بأنه غصب حق بني أمية وفرق الأمة وسفك دماءها! وتحدى ابنه عبد الله بن عمر أن يرفع رأسه ويطلع قرنه ويتكلم! فخاف عبد الله ولم ينبس بكلمة!
ففي سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٢٥: (قال معاوية: من أحق بهذا الأمر منا؟ وابن عمر

شاهد، قال فأردت أن أقول أحق به منك من ضربك عليه وأباك، فخفت الفساد).
وقد روى بخاري هذا الذل لآل عمر بلسان عبد الله نفسه، قال في صحيحه: ٥ / ٤٨:
(عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونسواتها تنطف (النسوة الظفيرة وأصلها النوسة وتقديم الحروف شائع عندهم، والمعنى أن جدائلها كانت تقطر ماء بعد أن اغتسلت) قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين (أي اتفاقهم على الحكمين) فلم يجعل لي من الأمر شئ (سهم في الخلافة)! فقالت: إلحق (أي سارع إلى اجتماع الحكمين في دومة الجندل) فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب! فلما تفرق الناس (من التحكيم واختلفوا بعد لعبة ابن العاص) خطب معاوية (وكان حاضرا في دومة الجندل) قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه! قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟! قال عبد الله: فحللت حبوتي (عقدة ثوبه عن ساقيه) وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام (يقصد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين قاتلوا أباه في بدر وأحد وغلبوه في فتح مكة) فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان! قال حبيب: حفظت وعصمت). انتهى. قال العلامة الحلي رحمه الله في نهج الحق / ٣٠٩: (إن كان ما يقوله معاوية حقا، فقد ارتكب عمر الخطأ في أخذه الخلافة! وإن كان باطلا فكيف يجوز تقديمه على طوائف المسلمين)! انتهى. وقد تعمد بخاري أن يخفي مناسبة خطبة معاوية، وذكر غيره أنها كانت عند تحكيم الحكمين في دومة الجندل، وكان أبو موسى الأشعري له هوى في عبد الله بن عمر! (قال أبو موسى: أما والله لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب). (تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨). واتفق مع الداهية ابن العاص على أن يخلع هو عليا عليه السلام ويخلع ابن العاص معاوية، ثم يعقدا البيعة لعبد الله بن عمر! وعلى

أساس هذا الأمل أصرت حفصة على أخيها عبد الله أن يحضر جلسة التحكيم! لكن ابن العاص صعد المنبر بعد أبي موسى وخلع عليا عليه السلام وثبت معاوية!
وتكفي كلمة معاوية هذه لكشف غروره القديم وأن قتاله لعلي عليه السلام إنما كان لإعادة (الحق إلى معدنه الأموي) كما يزعم! لا طلبا بدم عثمان، ولا علان!
أما بعد شهادة علي عليه السلام، وبعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام، فصار أكثر جرأة وتصريحا بدخيلة نفسه ونفس (أبيه) أبي سفيان!
كما يدلنا حديث بخاري على ضعف ابن عمر أمام معاوية منذ عهد علي عليه السلام!
أما بعد سيطرة معاوية فكان أشد ضعفا فلم يجرؤ حتى على التفكير بحل حبوته! وقد كرر معاوية تهديده له في حضوره في المدينة لأجل البيعة ليزيد بالخلافة! ففي سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٢٥: (قال معاوية: من أحق بهذا الأمر منا؟ وابن عمر شاهد!). انتهى. فغيب عبد الله نفسه إلى مكة.
وروى ابن خياط في تاريخه / ١٠ أن معاوية قال: (والله ليبايعن أو لأقتلنه! فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه فأخبره، وسار إلى مكة ثلاثا (أي ركض ابنه مسرعا إلى مكة في ثلاثة أيام، ليخبر أباه بتهديد معاوية)! فلما أخبره بكى ابن عمر)! وقال في هامشه: (سنده صحيح) (والطبقات: ٤ / ١٨٢).
وهذا أسلوب قبلي يهودي في القمع والتخويف لتركيع ابن عمر! لكن معاوية لم يطمئن من ابن عمر! ففي الطبقات: ٤ / ١٦٤ وتاريخ دمشق: ٣١ / ١٨٦: (دس معاوية عمرو بن العاص وهو يريد أن يعلم ما في نفس بن عمر، يريد القتال أم لا؟ فقال: يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أن تخرج فنبايعك، وأنت صاحب رسول الله (ص) وابن أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ قال: وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم، إلا نفير يسير. قال: لو لم يبق إلا ثلاثة

أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة. قال: فعلم أنه لا يريد القتال)! انتهى.
وقد بادر ابن عمر إلى بيعة يزيد عند وصول معاوية إلى مكة، فقد أورد في الطبقات: ٤ / ١٨٢ نصوصا عن بيعته ليزيد، ثم بيعته لعبد الله بن الزبير، ولعبد الملك بن مروان، ومخالفته لأهل المدينة في ثورتهم على يزيد بعد كربلاء.
وروى في: ٤ / ١٤٩، أنه كان يقول: (لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب)!
وروى في: ٤ / ١٤٥، اعتراف ابن عمر بأنه فر من الزحف مع النبي صلى الله عليه وآله! قال: (فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ فقلنا ندخل المدينة فنبيت بها ثم نذهب، فلا يرانا أحد).
كما روى في: ٤ / ١٨٧، ندم ابن عمر قبل موته على تخلفه عن مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام وعدم جهاد بني أمية معه! فكان يقول: (ما أجدني آسى على شئ من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية)! وفي السيرة الحلبية: ٢ / ٢٦٤ أنه كان يقول ذلك بعد مقتل عمار! ولو كان جادا لترك معاوية وانضم إلى علي عليه السلام!
٢ - لا مستند حقوقيا لمعاوية في زعمه؟
القاعدة العقلية والشرعية أن الإنسان حر، ولا ولاية لأحد على أحد إلا خالقه ومالكه عز وجل، ومن فوض اليه الولاية عليه. فكل ولاية على فرد أو جماعة لا تستند إلى تخويل من الخالق المالك سبحانه، لا شرعية لها.
وإنما أعطى الله تعالى الولاية لنبيه صلى الله عليه وآله على المؤمنين فقال: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم. (الأحزاب: ٦) لأن النبي صلى الله عليه وآله أعلم وأرحم بالمؤمنين من أنفسهم كما قال تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. (التوبة: ١٢٨) لذلك لا ولاية شرعية عندنا لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا من نص عليهم الذي لا ينطق عن الهوى وهم عترته الطاهرة عليهم السلام! ومن نصوا على ولايته!

وعليه، فلا أصل لولاية أبي سفيان التي يدعي معاوية وراثتها! لأنها قيادة محدودة أعطاها رؤساء قريش في الجاهلية لبني أمية، ثم أعطاها المشركون لأبي سفيان في حربهم للنبي صلى الله عليه وآله بعد مقتل رئيسهم عتبة بن ربيعة في بدر، وهو والد هند آكلة الأكباد. (شرح النهج: ١ / ٣٣٤، وإمتاع الأسماع: ٦ / ١٨٥). على أنهم عزلوا أبا سفيان بعد فتح مكة، ونصبوا مكانه سهيل بن عمرو السهمي الجمحي!
فإن كان مصدر ولاية أبي سفيان اختيار مشركي قريش فقد انتهى بعزلهم إياه! على أن الإسلام أبطل كل ولاية في الجاهلية بنص النبي صلى الله عليه وآله في خطبته في فتح مكة! أضف إلى ذلك ما رواه عمر وغيره: إن الخلافة لا تصح للطلقاء وأبنائهم!
وبذلك يتضح أن معاوية لا يملك أساسا حقوقيا لتسلطه، وأن منطقه في ذلك جاهلي لا يقبله كتاب ولا سنة، ولا عمر ولا علي عليه السلام، ولا سني ولا شيعي!
٣ - معاوية: يصرح بأن عمر شق عصا الأمة وسفك دماءها!
انسجاما مع ادعائه بأن معدن الرئاسة وحكم العرب هم بنو عبد مناف، وفرع بني أمية بالذات! صرح معاوية بأن عمر قام بخرق دستوري تخريبي في قيادة العرب والمسلمين، بتشكيله شورى فتحت باب سفك الدماء في الأمة!
ومع أن عمر حرص على نقل السلطة إلى بني أمية، فأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان! لكن (جريمته) في رأي معاوية أنه أدخل في الشورى من غير بني أمية وبني مناف، ففتح شهية القبائل الصغيرة أو الرذلة على حد تعبير أبي سفيان، للخلافة وحكم العرب! (فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها)!
قال معاوية هذا الكلام عندما جاءه زياد بن أبيه طامعا في ولاية عهده بدل يزيد فأهانه معاوية ووبخه وهدده أن يخرجه من بني أمية ويرده إلى نسب عبيد زوج سمية!

قال في تاريخ دمشق: ١٩ / ١٩٧: (وقام الناس حتى إذا كان الليل أرسل معاوية إلى حضين بن المنذر الذهلي فدعاه وأدناه حتى كان قريبا منه، ثم أجلسه وألقيت تحته وسادة، ثم قال له معاوية: بلغني أن لك عقلا ورأيا وعلما بالأمور، فأخبرني ما فرق بين هذه الأمة ومن سفك دمائها وشق عصاها وفرق ملأها؟ قال: قتل أمير المؤمنين عثمان. قال: ما صنعت شيئا. قال: مسير علي إلى عائشة وطلحة والزبير، ومسير علي إليك وقتالكم بصفين والذي كان بينكم من سفك الدماء والاختلاف! قال: ما صنعت شيئا! قال: فأخبرني يا أمير المؤمنين! فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فدعا الناس إلى الإسلام فعمل رسول الله بكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله وعصمه بالوحي، ثم استخلف المسلمون أبا بكر فكان أفضل من تعلم وتعلمون، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر، فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه، فخير بين ستة فجعلها شورى ولم يجب إلا بجعلها بينهم، وكانوا خير من تعلم على الأرض، فلما جلسوا لها وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها ويستخلف؟ فأبى القوم وكان أزهدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان! فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها ويطمع له فيها أحباؤهم حتى وثبوا على عثمان فقتلوه، واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضا! فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها)! انتهى. فاعجب لمعاوية كيف لا يقول لعمر شكرا على ترتيبك الأمر لنا بحكم الشام ثم بالشورى وحق النقض لمصلحتنا! بل يراه مقصرا لأنه أشرك غيرهم شكليا، فسبب ذلك طمع أعضاء الشورى من غير بني أمية!

واعجب لضعف عمر العدوي أمام أبي سفيان ومعاوية، فقد نصب معاوية نفسه بعد موت أخيه بدون مراجعة عمر فوافق عمر عليه! ولم يسمع لاعتراض الصحابة على تولية معاوية لحداثة سنه! (تاريخ دمشق: ٥٩ / ٨٦، وسير الذهبي: ٣ / ١٢٦).
ثم كان عمر يوبخ عماله ويعزلهم ويحاسبهم حتى أنه صارحهم بأنهم جمعوا المال الحرام وناصفهم أموالهم! بينما لم يوبخ معاوية يوما ولا حاسبه على شئ ولا قبل عليه شكاية، بل كان يغرس في نفسه أنه كسرى العرب! (وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب). (نثر الدرر للآبي / ٢٥٥، ونحوه وأسد الغابة: ٤ / ٣٨٦، وفتح الباري: ٧ / ٣١١). بل كان عمر يراه أعظم من كسرى، فقال: (تذكرون كسرى وقيصر ودهائهما وعندكم معاوية؟!). (تاريخ الطبري: ٤ / ٢٤٤)!
بل هدد به أهل الشورى إن خالفوا ترتيبه ولم يرضوا بعثمان: (قال عمر لأهل الشورى: إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام، وبعده عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم). (تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٢٤، والإصابة: ٤ / ٧٠، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ٢ / ٣٥). أي أطيعوني وبايعوا من يختاره ابن عوف وإلا خسرتم الحكم كليا، وفرض بنو أمية عليكم عثمان أو معاوية بالقوة، فهذه الشام بيدهم واليمن أيضا! ومع ذلك يراه معاوية مقصرا في حق بني أمية!
٤ – معاوية: أنا خليفة الله بقانون الغلبة وعقيدة الجبرية!
كان الإعلان الأول لمعاوية في النخيلة أنه قال للمسلمين: (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون). (الذهبي في سيره: ٣ / ١٤٦).
ومعنى ذلك: أولا، أن هدفه الحقيقي من سفكه لدماء المسلمين، ونيته وهدفه من أول الأمر هو: التسلط والتأمر على رقابهم! لا دم عثمان ولا علتان.

ثانيا، أعلن أن القضية من جانبه صراع على السلطة، وادعى أنها كذلك من جانب بني هاشم، وكأنه لا فرق بين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب! وما دام انتصر فلا يخاف أن يعلن ذلك!
فهذا اعتراف من معاوية على نفسه بأنه لا دين له! ونحن نقبل شهادته في حق نفسه، ولا نقبل تهمته لغيره، لأنها نفس تهمة أبيه وزعماء قريش للنبي صلى الله عليه وآله بأنه يريد تأسيس ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر! وقد كذبهم الله تعالى وسمى أبا سفيان وزملاءه أئمة الكفر، وأمر المسلمين بقتالهم، فقال: فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. (التوبة: ١٢).
ثالثا، أعلن معاوية شرعية قانون الغلبة، فالذي يغلب يكون على حق، ويكون الله تعالى أعطاه الولاية على الأمة! والذي ينغلب يكون على باطل، ويكون الله تعالى حرمه الولاية على الناس! وهذه جبرية مادية لا يقبل بها عقل ولا دين، لأن الحق والباطل يتبعان دليلهما العقلي أو الشرعي، لكن الوثنيين العرب كانوا يعتقدون بهذه المادية كاليهود، ومنهم أبو سفيان وابنه معاوية!
ومن الإشكالات على هذه القدرية أنها تستلزم التناقض والهرطقة لأن الغالب قد يتحول إلى مغلوب والحق لا يتحول إلى باطل! لكن معاوية يقبل هذه التناقض فيقول إن الله تعالى أعطى النصر لمحمد صلى الله عليه وآله على أبي سفيان فكان محمد صلى الله عليه وآله على حق، ثم أعطى لمعاوية النصر على علي عليه السلام وارث محمد صلى الله عليه وآله فرجع الحق إلى معدنه! وهذا هو منطق اليهود الذي يقول إن الحق تابع للغلبة! فإذا انتصر المغلوب صار على حق، وإذا نغلب الغالب صار على باطل! ويجعل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام المغلوبين على باطل! وهذه هي الهرطقة!
رابعا، أن معاوية كاليهود جاد في ادعائه أن قانون الغلبة يجعله يستمد شرعيته

مباشرة من الله تعالى (وقد أعطاني الله ذلك)! فهي الشرعية الوحيدة التي ليس عنده غيرها، ولذلك سمى معاوية نفسه (خليفة الله) وافتخر بها! ففي مروج الذهب: ٣ / ٥٢ وفي طبعة ٦٩٦، وجمهرة خطب العرب: ١ / ٤٤٥: (الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزا لي! فقال صعصعة: تمنيك نفسك ما لا يكو * ن، جهلا معاوي لا تأثم.. الخ.). انتهى.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ١١٠٩: (قال معاوية: الأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني! فقال صعصعة بن صوحان: ما أنت وأقصى الأمة في ذلك إلا سواء، ولكن من ملك استأثر! فغضب معاوية وقال: لهممت! قال صعصعة: ما كل من هم فعل! قال: ومن يحول بيني وبين ذلك؟! قال: الذي يحول بين المرء وقلبه، وخرج وهو يقول بيت الشماخ:

وحذفة كالشجا تحت الوريد * أريدوني إرادتكم فإني..). انتهى.

(وفي مروج الذهب / ٦٩٦، وجمهرة خطب العرب: ١ / ٤٤٥، وشبه به في أمالي الطوسي / ٥).

(وخطب معاوية يوما بجامع دمشق وقال: إن الله أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنة وأنقذهم من النار، ثم جعلني منهم، وجعل أنصاري أهل الشام الذابين عن حرام الله، المؤيدين بظفر الله، المنصورين على أعداء الله! وكان في الجامع من أهل العراق الأحنف وصعصعة، فقال الأحنف لصعصعة: أتكفيني أم أقوم إليه؟ فقال صعصعة: بل أكفيكه ثم قام ورد عليه)! (مستدركات علم رجال الحديث: ١ / ٥٢١). وقد سمى الأمويون عثمان بعد وفاته (خليفة الله)! فقال شاعرهم، ونسبوه إلى ليلى الأخيلية! كما في الطبراني الكبير: ١ / ٨٦، ومجمع الزائد: ٩ / ٩٩:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته * قد كان أفضل من يمشي على ساق

خليفة الله أعطاهم وخولهم * من كان من ذهب حلو وأوراق

فلا تكذب بوعد الله واتقه * ولا تكونن من شئ بإشفاق
ولا تقولن لشئ سوف أفعله * قد قدر الله ما كل امرئ لاق) انتهى.
بل زاد الوزراء الأمويون المقربون من معاوية، ففضلوا معاوية ومن بعده (خلفاء الله) على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله! لأن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته! فالخليفة الأموي أفضل من الرسول الهاشمي صلى الله عليه وآله! ولم يردهم معاوية ولا المروانيون بحرف، وقد شكروهم عمليا! ففي سنن أبي داود: ٢ / ٤٠٠: (عن الربيع بن خالد الضبي قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله علي ألا أصلي خلفك صلاة أبدا، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاهدنك معهم)! (والنهاية: ٩ / ١٥١، وتاريخ دمشق: ١٢ / ١٥٨، والبلاذري...).
وقال في عون المعبود: ١٢ / ٢٥٦: (والظاهر أن مقصود الحجاج الظالم عن هذا الكلام الإستدلال على تفضيل عبد الملك بن مروان وغيره من أمراء بني أمية على الأنبياء عليهم السلام بأن الأنبياء إنما كانوا رسلا من الله تعالى ومبلغين أحكامه فحسب، وأما عبد الملك وغيره من أمراء بني أمية فهم خلفاء الله تعالى، ورتبة الخلفاء تكون أعلى من الرسل، فإن كان مراد الحجاج هذا كما هو الظاهر وليس إرادته هذا ببعيد منه كما لا يخفى على من اطلع على تفاصيل حالاته، فهذه مغالطة منه شنيعة تكفره بلا مرية! ألم يعلم الحجاج أن جميع الرسل خلفاء الله تعالى في الأرض، ألم يعلم أن جميع الأنبياء أكرم عند الله من سائر الناس، وأن سيد الأنبياء محمد (ص) سيد ولد آدم عليه السلام. ويلزم على كلامه هذا ما يلزم فنعوذ بالله من أمثال هذا الكلام). انتهى. وقد بحثنا تكبيرهم لملوكهم وتنقيصهم لشخصية النبي صلى الله عليه وآله في كتاب: (ألف سؤال وإشكال على المخالفين: ٢ / مسألة ١٦٢).

خامسا، أعلن معاوية بقوله: (إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم) تخليه عن الدين في عقيدته وبرنامج حكمه، لكنه في نفس الوقت لا يعطي على نفسه ممسكا صريحا على كفره بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وقرآنه لأن الناس الذين غلبهم وتسلط عليهم يؤمنون به صلى الله عليه وآله، ومن السياسة أن يداري عقائدهم ومشاعرهم، في ظاهر الأمر!
سادسا، عقيدة الجبرية وقانون الغلبة تسقطان حقوق الرعية بالكامل! فلا معنى للحقوق بعد أن أعطى الله حق التأمر على عباده لمعاوية وبني أمية! (وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون)! فالمسلمون لم يعطوه الحكم والتأمر عليهم حتى تكون لهم حقوق، بل الله أعطاه إياهم، فمن قتله منهم فهو جائز له، ومن عفا عنه فهو جائز له! فحالهم كحال الأرض التي ملكها الله لمعاوية فقال كما تقدم: (الأرض لله وأنا خليفة الله...) فيجب على الناس أن يبايعوا الخليفة الغالب طوعا أو كرها ويخضعوا لسلطانه وأمره ونهيه! ولهذا ختم معاوية خطبته في نخيلة الكوفة بأن: نادى بأعلى صوته بالموت لمن لم يبايع، فالناس مخيرون فقط بين بيعة معاوية والموت!
قال البلاذري في أنساب الأشراف / ٧٤٣: (ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع... ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثا فمن لم يبايع فلا ذمة له ولا أمان له عندنا! فأقبل الناس يبايعون من كل أوب). انتهى.
وكذلك فعل في البصرة فخير الناس بين بيعته والسيف، وأسوأ منه في المدينة!
وكل ذلك حق لمعاوية حسب منطقه ودينه الذي يدين به! أليس قد غلب، أليس هو ابن أبي سفيان زعيم قريش، والأحق من بني هاشم بملك العرب؟!
إنه منطق اليهود في مواجهة أنبيائهم عليهم السلام! فالعطاء الإلهي عندهم ذو قيمة مادية فقط! ولا قيمة لغير المادي الملموس! والنبوات ما لم تكن ملكا ماديا فلا

قيمة لها، والاصطفاء الإلهي المعنوي بدون المادي لا معنى له في فهمهم ولا قيمة! وما دام معاوية غلب عسكريا، فهو خليفة الله والبلاد والعباد ملكه! يتصرف فيهم كما شاء ويؤسس إمبراطورية أموية يتوارثها أولاده جيلا فجيلا، ويقتل كل من وقف في وجهه!
قال في فتح الباري: ١٣ / ٦٠: (وأخرج الطبراني من طريق محمد بن سعيد بن رمانة، أن معاوية لما حضره الموت قال ليزيد: قد وطأت لك البلاد، ومهدت لك الناس، ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز، فإن رابك منهم ريب فوجه إليهم مسلم بن عقبة، فإني قد جربته وعرفت نصيحته! قال: فلما كان من خلافهم عليه ما كان، دعاه فوجهه فأباحها ثلاثا، ثم دعاهم إلى بيعة يزيد وأنهم أعبد له قن في طاعة الله ومعصيته)!
وفي شرح النهج: ١٥ / ٢٤٢: (وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم! وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة، وفيها بقايا الصحابة وأولادها وصلحاء التابعين على أن كلا منهم عبد قن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية إلا علي بن الحسين). انتهى.
أقول: وهذا منسجم مع عقيدة الجبرية وأن خلافة الله لبني أمية! أما استثناؤه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام من الختم على رقبته، فلأنه كانت له يد على بني أمية، حيث حمى نساء مروان بن الحكم وأطفاله، عندما ثار أهل المدينة على بني أمية، وهرب منها رجالهم، وقبل الإمام عليه السلام حماية عيالهم!
سابعا، قال ابن حجر في الفتح: ٧ / ٣١١: (وكان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة، على الفاضل في السبق إلى الإسلام والدين والعبادة، فلهذا أطلق أنه أحق). انتهى. وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: (أكثر ما

أتخوف على أمتي من بعدي، رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره). (الطبراني في الأوسط: ٢ / ٢٤٢) وفسره المناوي بقوله: ٢ / ١٠٢: (فإن فتنته شديدة، لما يسفك بسببه من الدماء، وينهب من الأموال، ويستباح من الفروج والمحارم). وقال في النصائح الكافية / ١٤١: (أول من ينطبق عليه هذا الوصف معاوية!).

وقال أحمد حسين يعقوب في: الإعتقاد بالإمام المهدي / ١٨: (لأن الله تعالى قد خصص فئة معينة لفهم القرآن فهما يقينيا وهم أهل البيت عليهم السلام. والمتأول يقفو بما ليس له به علم، ويتولى مهمة مخصصة لغيره، ولأن هذا المتأول محكوم بهواه فسيضطر لترك النصوص الشرعية التي لا تتفق حتما مع هواه، واتباع آرائه الشخصية... أما الشق الآخر من الخطر المحدق الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو رجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره! لقد أعلن رسول الله بأمر من ربه حديث الثقلين، وبين بأمر من ربه بأنه قد ترك هذين الثقلين خليفتين من بعده، وبين أيضا بأن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، والمطهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس هم أهل البيت، وهم أحد الثقلين. بمعنى أن النقاط موضوعة على الحروف، وأن كل شئ مرتب ترتيبا إلهيا محكما.

وأخطر ما حذر الرسول من الوقوع فيه بعد موته هو ادعاء عمرو أو زيد من الناس أنه أحق بالأمر أي بقيادة الأمة ومس القرآن من أهل بيت النبوة، وأن مصلحة المسلمين تقتضي تقديم المفضول على الأفضل!

وهكذا وبجرة قلم ينقضون أعظم عروة من عرى الإسلام، وهي نظام الحكم ويلغون كافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بها، وكافة النصوص الشرعية التي تعالجها! مستندين إلى الرأي الشخصي والتأويلات الخاطئة، وهكذا يضلون ويضلون الأمة، ويدخلونها والعالم معهم في ليل طويل لا آخر له).

وقال سعيد أيوب في معالم الفتن: ١ / ٢٠٦: (ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره. ومن العجيب أنهم يقولون إن الرسول ترك الأمر هكذا في الرياح! كيف وهو كان يخاف أن يأتي من يرى أن أحق بهذا الأمر من غيره؟ هل يترك القرآن ليلعب به الناس؟ هل يترك الأمر حتى يناله سفهاء قريش، ويتسموا بأمراء المؤمنين وهم في بطون أمهاتهم؟ كيف وهو الذي بلغ الرسالة ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، نهارها وليلها سواء. وإذا كان الأمر هكذا، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وآله هؤلاء يزحفون إلى النار وهو المبعوث رحمة للعالمين! لا بد أن يقيم عليهم الحجة أولا، ثم ليزحفوا وقتما شاؤوا، ويوم القيامة لا يفيد الندم ولا يكون لهم على الله حجة! وهذه الحقيقة ترى في حديث أبي هريرة، قال قال النبي صلى الله عليه وآله: يوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثرايا ولم يل من أمر الناس شيئا)! (كنز العمال: ١٧ / ٦، وقال: رواه الحاكم وأقره الذهبي).

٥ - من أجل لقب " خليفة الله " اخترع الجبرية وألبسها ثوبا دينيا؟

قال في مقدمة التحفة العسجدية للإمام الزيدي يحيى بن الحسين / ٢: (وبعد: فإن شبهة الجبر وهو القول: بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي، شبهة قديمة، أول من قال بها إبليس لعنه الله، قال تعالى حاكيا عنه: قال رب بما أغويتني.. فأضاف الاغواء إلى الله تعالى، ثم تبعه في هذه الشبهة المشركون والكفار، قال تعالى حاكيا عنهم: وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. قال الحسن البصري: إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله! ذكره في الكشاف (: ٢ / ٧٥). ثم جدد هذه الشبهة معاوية، فانتشرت وعمت أكثر المسلمين، إلا من عصم الله وهم (العدلية) فقد روي أنه قال أي معاوية في بعض

خطبه: لو لم يرني الله أهلا لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره! وكان يقول: أنا عامل من عمال الله أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله، ولو كره الله أمرا لغيره، فأنكر عليه عبادة بن الصامت وغيره ممن حضر من الصحابة! ولم يزل ذلك في بني أمية حتى قال الحجاج وقد قتل رجلا لأجل إظهاره حب علي عليه السلام: اللهم أنت قتلته، لو شئت منعتني منه!). انتهى.

أقول: سبب تبني معاوية للجبرية هو التكبر والغطرسة: (أن آتاه الله الملك)! فقد جعل الإرادة الإلهية التكوينية في قوانين الصراع والغلبة إرادة تشريعية واستخلافا إلهيا للغالب! وساعده على ذلك إرث العرب الوثني، وثقافة اليهود في تقديس الغلبة المادية والملك المادي!

وقد روى النسائي في السنن الكبرى: ٤ / ٤٢٠، قول معاوية: (والله يعلم أني لم ألو عن الحق ولو كره الله شيئا لغيره). (وروى نحوه ابن أبي شيبة: ٧ / ٢٥٠).

وقال الراغب في محاضرات الأدباء / ١٢٩٣: (قال ابن عتيبة: هذا والله الاغترار! ألم تكن مقاتلته عليا، وقتله حجرا، وبيعته ليزيد، مما يكره الله تعالى؟!).

وفي معارف ابن قتيبة / ٢٤٢: (كان عطاء بن يسار قاصا ويرى القدر، وكان لسانه يلحن، فكان يأتي الحسن هو ومعبد الجهني فيسألانه ويقولان: يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ويفعلون ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله فقال: كذب أعداء الله) (وشذرات الذهب: ١ / ١٣٧ وضعفاء العقيلي: ٣ / ٤٠٣).

وفي الكشاف: ٢ / ٧٥: (أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم، وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها، وكلاهما باطل من العذر، لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم، والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته، كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه! وعن الحسن أن الله تعالى بعث

محمدا (ص) إلى العرب وهم قدرية مجبرة، يحملون ذنوبهم على الله. وتصديقه قول الله تعالى: وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء، لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف، فكيف يأمر بفعله. أتقولون على الله ما لا تعلمون. إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط). انتهى.

ولكن أهل البيت عليهم السلام لهم رأي آخر يتصل بموضوعنا: ففي الكافي: ١ / ٣٧٣: (عن محمد بن منصور قال سألته (الإمام الكاظم عليه السلام) عن قول الله عز وجل: وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. قال فقال: هل رأيت أحدا زعم أن الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو شئ من هذه المحارم؟ فقلت: لا، فقال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها؟ قلت: الله أعلم ووليه، قال: فإن هذا في أئمة الجور، ادعوا أن الله أمرهم بالإئتمام بقوم لم يأمرهم الله بالإئتمام بهم، فرد الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب، وسمى ذلك منهم فاحشة)! انتهى.

وفي رواية أخرى / ٣٧٤ في تفسير قوله تعالى: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن؟ قال عليه السلام: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق). انتهى.

٦ - وتبنى معاوية عقيدة " الإرجاء " تكميلا للجبرية!

المرجئة هم الذين يقولون يكفي في الدين العقيدة، مهما كان العمل!

قال النووي في شرح مسلم: ١: ٢١٨: (قال القاضي عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج:

تضره ويكفر بها وقالت المعتزلة: يخلد في النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن).
وفي شرح المواقف: ٨ / ٣١٢: (فقالت المعتزلة: هو عفو عن الصغائر قبل التوبة، وعن الكبائر بعدها. وقالت المرجئة: عفو عن الصغائر والكبائر مطلقا)!
وقال الدكتور حسن إبراهيم في تاريخ الإسلام: ١ / ٤١٦: (طائفة المرجئة التي ظهرت في دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية، خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء وهو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث. كما يتحرجون عن إدانة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها! وهؤلاء هم في الحقيقة كتلة المسلمين التي رضيت حكم بني أمية)! انتهى.

* *

أقول: أصل الإرجاء من اليهود، الذين أسقطوا المحرمات من دينهم، بزعمهم أن العقاب مرفوع عنهم إلا أياما قليلة: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. (البقرة: ٨٠) قال الإمام الباقر عليه السلام: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود، ولا من القدرية بالنصرانية). (ثواب الأعمال / ٢١٣)
وقال الدكتور حسن إبراهيم في تاريخ الإسلام: ١ / ٤١٨: (ويقول فون كريمر: ومما يؤسف له كثيرا أنه ليس لدينا غير القليل من الأخبار الصحيحة عن هذه الطائفة، فقد استمروا طوال ذلك العصر وذاقوا حلوه ومره، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التي وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين، ومن ثم كان لزوما علينا أن نستقي معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة في مؤلفات كتاب العرب في ذلك العصر).
أقول: ليس غريبا أن يتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى! ما داموا

بتعبير الإمام الباقر عليه السلام: (أشبه باليهود من الليل بالليل)! وذلك لجرأتهم على إسقاط قانون العقوبة الإلهي، وقولهم إن المسلم مهما ارتكب، فلن تمسه النار حتى أياما معدودة! وقد نشر مذهب الإرجاء كعب الأحبار وأخذه عنه بعض الصحابة ثم معاوية! واستوفينا ذلك في المجلد الثالث من العقائد الإسلامية.

٧ - ترسيخ معاوية والأمويين للجبرية والإرجاء كدين!

ركز معاوية عقيدة الجبرية والإرجاء في حياته، واستمرت بعد وفاته على يد يزيد وبني مروان! قال المفيد في الإرشاد: ٢ / ١١٦: (وعرض عليه (ابن زياد) علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: من أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال له علي: قد كان لي أخ يسمى عليا قتله الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟! إذهبوا به فاضربوا عنقه! فتعلقت به زينب عمته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه؟ فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثم قال: عجبا للرحم! والله إني لأظنها ودت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به). (ونحوه في الطبقات: ٥ / ٢١٢، والنهاية: ٨ / ٢١٠).

وفي الكافي: ٢ / ٤٠٩، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لعن الله القدرية لعن الله الخوارج لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة! قال قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة، ولعنت هؤلاء مرتين؟! قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون! فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة! إن الله حكى عن قوم في كتابه: قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين.. قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام

فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا). انتهى.
أي أن المرجئة زعموا أن قتلة الإمام الحسين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم! وبذلك صاروا شركاء لبني أمية في الجريمة، لأن من رضي بعمل قوم فقد شركهم فيه!
٨ - شك عمر في نفسه.. خير من غرور معاوية!
من الطريف أن معاوية يجزم بأنه خليفة الله تعالى ويقولها كأنه مستيقن بها! بينما يشك عمر في نفسه هل هو خليفة للنبي صلى الله عليه وآله أم ملك دنيوي لا علاقة لحكمه بخلافة الله ورسوله صلى الله عليه وآله! ففي الطبقات: ٣ / ٣٠٦: (قال قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك، فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم! قال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا. قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا! فسكت عمر)! انتهى.
ومعنى سكوته أنه لم يقتنع بأن ميزان الملك والخلافة هو أخذ المال وعطاؤه!
وقد روت شك عمر وحيرته مصادر عديدة بطرق عديدة، وأنه كان يسأل الناس حوله: (والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك! فإن كنت ملكا فقد ورطت في أمر عظيم). (شرح النهج: ١٢ / ٦٦) ويسأل طلحة والزبير وسلمان وأبا موسى الأشعري! (الدر المنثور: ٥ / ٣٠٦) ويطلب منهم الجواب ويحذرهم أن يكذبوا عليه: (إني سائلكم عن شئ فإياكم أن تكذبوني فتهلكوني وتهلكوا أنفسكم، أنشدكم بالله أخليفة أنا أم ملك؟). وكان يسأل كعبا خاصة ويستحلفه: (أنشدك الله يا كعب أتجدني خليفة أم ملكا؟ قال قلت بل خليفة، فاستحلفه، فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء وزمانك خير زمان). (تاريخ الطبري: ٣ / ٢٧٩، وفتن ابن حماد / ٥٦، وكنز العمال:

١٢ / ٥٧٤، ٥٧٩). أقول: بينما كان عمر يشك ويسأل هل هو خليفة شرعي لنبي؟ نجد أن معاوية يزهم أنه خليفة الله في أرضه وهو يعرف كذبه ويكابر!

٩ - أفتى علماؤهم بأن معاوية ملك وعمر خليفة!

قال الماحوزي في كتاب الأربعين / ٣٨٧: (وقد صرح جمع من عظمائهم، منهم العلامة النسفي في عقائده، والتفتازاني في شرحها، بأن معاوية ليس خليفة بل ملكا، وظاهر الناصب الخنجي في نقض كشف الحق ونهج الصدق، أن هذا القول هو المشهور المنصور عندهم! وذكر الفاضل الجليل نور الدين المالكي في الفصول المهمة أنه لما تم الصلح لمعاوية واجتمع عليه الناس، دخل عليه سعد بن أبي وقاص وقال: السلام عليك أيها الملك، فتبسم معاوية وقال: يا أبا إسحاق ما عليك لو قلت يا أمير المؤمنين؟! فقال: والله أني لا أحب أني وليتها بما قد وليتها به! روى ذلك صاحب تاريخ البديع). (الفصول المهمة / ١٦٤). انتهى.

وقال ابن تيمية في منهاجه: ٧ / ٤٥٢: (وضعفت خلافة النبوة ضعفا أوجب أن تصير ملكا، فأقامها معاوية ملكا برحمة وحلم، كما في الحديث المأثور: تكون نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك. ولم يتول أحد من الملوك خيرا من معاوية فهو خير ملوك الإسلام. وسيرته خير من سيرة سائر الملوك بعده). (ونحوه في: ٦ / ٢٣٢) فقد اضطر ابن تيمية إلى الاعتراف مرغما بأن معاوية ملك وليس خليفة، لكنه عوض له بحديث مكذوب يصف ملكه بالرحمة، وأغدق عليه أوصاف الخلفاء والأنبياء عليهم السلام!

بل رووا اعتراف معاوية نفسه بأنه ملك وليس خليفة! وبذلك يناقض نفسه فيكون خليفة الله وليس خليفة رسوله صلى الله عليه وآله! قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٧٧: (عن ابن شوذب قال: كان معاوية يقول: أنا أول ملك وآخر خليفة). وعلق

عليه ابن كثير في النهاية: ٨ / ١٤٤ بقوله: (قلت: والسنة أن يقال لمعاوية ملك، ولا يقال له خليفة لحديث سفينة: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا) (أخرجه الإمام أحمد ٥ / ٤٤ و ٥ / ٢٢٠ وأبو داود في السنة ح (٤٦٤٦) بلفظ: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يأتي الملك من يشاء. ومن طريق يعقوب بن سفيان عن سفينة: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ملك). انتهى. وهو يدل على أن ابن كثير لم يقبل قول ابن تيمية!

وفي الفواكه الدواني: ١ / ١٠٤: (ما ذكره المصنف من الاقتصار في الخلفاء على الأربعة يفيد أن معاوية ليس بخليفة بل ملك، وهو المطابق لقوله (ص): الخلافة بعدي ثلاثون سنة. وقيل إنما تتم بمدة الحسن بن علي، وذلك أن الناس بايعوه بعد أبيه في العشر الأخيرة من رمضان سنة أربعين من الهجرة، ثم إن الحسن سلم الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان في النصف من جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين من الهجرة، فتكون مدة خلافة الحسن سبعة أشهر ونصفا وأياما.... إنما سموا بالخلفاء لأنهم لم يخرجوا عما كان عليه الرسول (ص) فلما حافظوا على متابعته سموا خلفاء، وأما الذين خالفوا سنته وبدلوا سيرته فهم ملوك! وقول الرسول: ملكا عضوضا: الملك مثلث الميم والعضوض بفتح العين من عض ومعناه أنهم يضرون الرعية ويتعسفون عليهم، فكأنهم يعضونهم بالأسنان)!

* *

أقول: لا يغرنك ما ثبت عندهم من تشكيك عمر في نفسه هل هو خليفة أو ملك! ولا نفي أغلبية علمائهم صفة الخلافة عن معاوية وحكمهم بأنه ملك! فكله كلام نظري في بطون الكتب، أما العقيدة السائدة في جمهورهم وقصورهم وأكواخهم فهي التعصب لعمر ومعاوية الخليفتين الراشدين وقياس الدين بهما، وقياس الناس بهما! فعلى ذلك يتولون الناس ويتبرؤون منهم! فمن تولاهما فهو مسلم، وإلا فهو كافر!

١٠ - وقتل معاوية من لم يشهد له بإمرة المؤمنين!
لو أن علماءهم الذين أفتوا بأن معاوية ملك وليس أمير المؤمنين، كانوا في زمن معاوية، لكان نصيبهم أن يتعتعهم معاوية ويدفعهم في أقفيتهم، كما فعل مع الصحابي أبي بكرة ووفده، أو يقطع رقابهم كما فعل مع معين بن عبد الله!
ففي مسند الطيالسي / ١١٦: (وفدنا إلى معاوية مع زياد ومعنا أبو بكرة (أخ زياد بن أبيه) فدخلنا عليه فقال له معاوية: حدثنا حديثا سمعته من رسول الله عسى الله أن ينفعنا به قال: نعم، كان نبي الله يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها فقال ذات يوم: أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله إني رأيت رؤيا رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان! فاستاء لها رسول الله ثم قال: خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء! فغضب معاوية فزخ في أقفائنا وأخرجنا. فقال زياد لأبي بكرة: أما وجدت من حديث رسول الله حديثا تحدثه غير هذا؟! قال: والله لا أحدثه إلا به حتى أفارقه! قال: فلم يزل زياد يطلب الإذن حتى أذن لنا فأدخلنا فقال معاوية: يا أبا بكرة حدثنا بحديث عن رسول الله لعل الله أن ينفعنا! به قال: فحدثه أيضا بمثل حديثه الأول قال له معاوية: لا أبا لك تخبرنا أنا ملوك، فقد رضينا أن نكون ملوكا)! (ورواه في مسند أحمد: ٥ / ٥٠، وتاريخ دمشق: ٣٦ / ٨،, وإمتاع الأسماع: ١٤ / ٢٠٧). وقال ابن قتيبة في غريب الحديث: ١ / ٣٧١: (وأصل الزخ الدفع يقال: زخ في قفا فلان حتى أخرج من الباب... ومنه حديث أبي بكرة حين حدث معه معاوية بقول رسول الله (ص) خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء، قال: فزخ في أقفائنا). انتهى.
وقد كان حظ أبي بكرة وجماعته جيدا لأن معاوية لم يقتلهم! أما معين بن

عبد الله فكان محبوسا في الكوفة فكتب معاوية إلى المغيرة: (إن شهد أني خليفة فخل سبيله، فأحضره المغيرة وقال له: أتشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين؟ فقال: أشهد أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور! فأمر به فقتل)! (كامل ابن الأثير: ٣ / ٢٧٧)

ويظهر أن حديث أبي بكرة في أبي بكر وعمر، أثر في نفس معاوية، فساءه أن يكون أحد أرجح منه حتى بحديث مكذوب، فرد عليه يوما فقال كما في أنساب الأشراف للبلاذري / ١١١١: (قال معاوية: لو وزنت بالدنيا لرجحت بها، ولكني وزنت بالآخرة فرجحت بي). وسيأتي تفضيله نفسه على أبي بكر وعمر!

١١ - ونجح مشروع معاوية وصار الحاكم الأموي خليفة الله!

فقد واصل الأمويون مشروع معاوية بعده، وتسمى كل واحد منهم بخليفة الله!

ففي تاريخ دمشق: ١٢ / ١٥٩: (سليمان الأعمش قال: جمعت (صليت الجمعة) مع الحجاج، قال فخطب فذكر نحو حديث أبي بكر بن عياش قال فيها (الخطبة): إسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان)!

وفي تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٥: (أن الوليد بن عبد الملك قال له (لأبي زرعة): أيحاسب الخليفة؟ فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت يا أمير المؤمنين، أقول؟ قال: قل في أمان الله. قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله). انتهى.

وهو يدل على محاولة خلفاء بني أمية إسقاط الحساب عن الخليفة!

وأكتفي هنا بالإلفات إلى ما كتبه باحثان معاصران في الموضوع، هما العلامة السيد

جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة: ١ / ٢٩ قال: (وكان من سياسات الأمويين تفضيل الخليفة الأموي على رسول الله صلى الله عليه وآله! يقول الجاحظ: فأحسب أن تحويل القبلة كان غلطا، وهدم البيت كان تأويلا! وأحسب ما روي من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون: أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم...) الخ.

والثاني المحامي أحمد حسين يعقوب الأردني في كتابه: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية / ٤٠٥، قال تحت عنوان: تقديس الخليفة الغالب:

١ - تميز وعلو شأن الخليفة الغالب: لما انتقل النبي إلى جوار ربه شغر منصبه وحل الفارس الغالب محله، بعد أن تجاهل الناس الولي الشرعي المعين من قبل الله ورسوله، فأخذ هذا الفارس الغالب يمارس سلطات النبي....

٢ - القائم مقام النبي: هذا الخليفة الغالب القائم مقام النبي والمحتل لمكانه، والمتصدي لمهامه وصلاحياته، لم يعينه الله ولم يعينه النبي، ولم تختره الجماعة المسلمة، وإنما هو فارس ذكي، طمع بالسلطة فخطط ودبر.....

٣ - دور الأمة: يتصارع الفرسان المرشحون للفوز والغلبة، والأمة تتفرج.... فإذا غلب أحد الفرسان واستقامت أموره، يطلب هذا الفارس الغالب وحاشيته من الأمة أن تبايع، أي أن توافق بأن يكون هذا الفارس الغالب ولي أمرها وإمامها وخليفة نبيها، فمن بايع فقد أفلح وتولى سبيل المؤمنين... راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى، والماوردي من ١ - ١٥ والقواعد التي وضعها علماء الدولة وجعلوها فضفاضة بحيث تتسع لكل حالة، وتوثيقنا لما قاله إمام الحرمين الجويني، وابن العربي، وأبو المعالي، وعضد الدين الإيجي).

٤ - المتغلب غير المؤهل: عندما اختار الله تعالى نبيه للنبوة أهله وأعده لذلك، وعندما نصره وأقام دولته، أهله وأعده لقيادة الدولة، فلم يختر الله نبيا أو يعين

رئيس دولة دون تأهيل وإعداد. وقبل أن يعلن النبي ولاية علي أهله وأعده للولاية من بعده وصنعه على عينه، فالأهلية الشرعية والإعداد للقيام بهذا العمل أو ذلك، ضرورة من ضرورات النجاح، فالهندسة والطب والفلاحة والنجارة وأي مهنة لابد لها من أهلية وإعداد....

٥ – من كانت هذه مؤهلاته كيف يدير شؤون الدولة؟! الغالب يسخر موارد الدولة وإمكانياتها لتثبيت غلبته، فيعطي من أطاعه ويرفعه، ويحرم من عصاه ويضعه، ثم يسلط الذين أطاعوه على الذين عصوه ويذيق بعض الأمة بأس بعض حتى تلقي تماما عصا المقاومة والمعارضة، وينصرف كل إنسان إلى معاشه اليومي فلا يسأل الغالب عما يفعل!...

٦ – نماذج من اجتهادات الخلفاء: الفجاءة السلمي عينه أبو بكر أميرا وأمره، فبلغت عنه لأبي بكر أنباء... فلما جاء الفجاءة كما في رواية الطبري (فأوقد له أبو بكر نارا في مصلى المدينة على حطب كثير ثم رمي فيها مقموطا! وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط)! راجع تاريخ الطبري: ٣ / ٢٣٤ و: ٤ / ٥٢، وابن الأثير: ٢ / ١٤٦).

٧ – ندم المجتهد: وندم أبو بكر على فعله في مرض موته وقال: ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن! وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شئ، وإن كانوا قد غلقوه على الحرب! وودت أني لم أحرق الفجاءة السلمي وأني كنت قتلته تسريحا أو خليته نجيحا! وودت أني يوم السقيفة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة. راجع تاريخ الطبري: ٢ / ٥٢، حوادث سنة ١٣.

٨ – اجتهاد بمالك بن نويرة: مالك بن نويرة كان شاعرا وفارسا من فرسان بني يربوع في الجاهلية، ومن أشرافهم، فلما أسلم مالك عينه رسول الله أميرا على

صدقات قومه، ومات الرسول وهو على إمارته، فلما توفي النبي أمسك الصدقة ووزعها على قومه وقال:
فقلت خذوا أموالكم غير خائف * ولا ناظر في ما يجئ من الغد
فإن قام بالدين المخوف قائم * أطعنا وقلنا الدين دين محمد
فغزاه خالد بن الوليد، وقال له ولقومه: ضعوا السلاح فوضعوا سلاحهم، وقالوا لخالد نحن مسلمون. وفي وفيات الأعيان وفوات الوفيات وتاريخ أبي الفداء وابن شحنة: أن مالك قال لخالد: يا خالد ابعثنا لأبي بكر فيكون هو الذي يحكم بنا وفينا، فإنك بعثت إليه غيرنا من جرمه أكبر من جرمنا! فقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتلك! ثم أمر ضرار بن الأزور ليضرب عنقه! فقال مالك: أنا على الإسلام! فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه! وتزوج خالد امرأة مالك بن نويرة بنفس الليلة! وفي رواية
الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكر: فلما بلغ عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر، وقال عمر: (عدو الله، عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته! فلما أقبل خالد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من لأمته وحطمها، ثم قال: أرياء قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمنك بأحجارك! فدخل خالد فاعتذر لأبي بكر فقبل عذره، واعتبر خالد مجتهدا ومأجورا لأنه قتل صاحب رسول الله وأميره! أما مالك فلا أجر له مع أنه صحابي لأن قاتله خالد بن الوليد من أهل الطاعة!... قال ابن تيمية في منهاج السنة: ٣ / ١٩: وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوبا وتجعلها من موارد الإجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد!
وقال ابن حزم في المحلى وابن التركماني في الجوهر النقي: (لا خلاف بين أحد من الأمة بأن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا إلا متأولا مجتهدا، مقدرا أنه

على صواب)! وهكذا فإن المقتول علي مثل القاتل عبد الرحمن بن ملجم، وكلاهما مأجور لأن كليهما مجتهد! والقاتل أبو لؤلؤة مثل المقتول عمر، وكلاهما مأجور لأنه مجتهد!

٩ – اجتهادات الخلفاء الغالبين: تراكمت وتكاثرت فأصبحت منظومة حقوقية كاملة، اجتهد الخلفاء المتغلبون وأهل طاعتهم فيما لا يعرفونه من الشرع، أو فيما لا يرغبون بتطبيقه! وتراكمت الاجتهادات وتكاثرت حتى كونت منظومة حقوقية كاملة، سارت على قدم المساواة مع المنظومة الحقوقية التي أنزلها الله، بل وتقدمت عليها فطبقت كل اجتهادات الخلفاء المتغلبين وأهل طاعتهم، وعطلت الشريعة فيما يتعارض....

١٠ – الإجتهاد ثمرة طبيعية لعدم الإعداد والتأهيل: الخليفة المتغلب، غير معد وغير مؤهل لقيادة الأمة. وإعداده الأوحد وأهليته العظمى وشهادته الكبرى هو أنه القوي المتغلب! فمن الطبيعي أن لا يعرف الحكم الشرعي....

١١ – مكافأة الخليفة الغالب: علاوة على أن الغالب كالمنشار يأكل في الإتجاهين ويؤجر في صوابه وخطئه، فإن الجموع المسلمة تقديرا لعبقريته وجرأته واجتهاده....

١٢ – هذا ليس خيالا: وإليك الإثبات: روى مسلم في صحيحه: ٦ / ٢٠: باب لزوم الجماعة أن الرسول قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي! وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس! قال حذيفة قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).. أنت تلاحظ أن طاعة الأمير اختلطت مع وحدة الأمة! فطاعة الغالب هي تعبير عن الولاء لوحدة الأمة ومعصية الغالب هي رمز الخروج على وحدة الأمة!

١٣ – النووي يضع النقاط على الحروف.. والبيهقي يؤيد! قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: ٢ / ٢٢٩ والبيهقي في سننه: ٨ / ١٥٨ ما يلي وبالحرف: (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل – أي الخليفة المتغلب – بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه. وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين)...!

١٤ – عجبا أليس الخليفة المتغلب هو القائم مقام رسول الله! رسول الله نفسه الذي قال لأصحابه: ألا من جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليقتد منه ألا وإن الشحناء ليست من خلقي، ألا وإن أحبكم إلي من كان له عندي حقا فأخذه مني، فلقيت الله وهو راض عني.....!

١٥ – الخليفة المتغلب ليس خليفة رسول الله إنما هو صفي الله وخليفته! روى أبو داود في سننه: ٤ / ٢١٠ ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء عن سليمان بن الأعمش أنه قال: جمعت مع الحجاج فخطب... إلى أن قال: إسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان! وقيل في مجلس الخليفة العباسي المهدي عن الخليفة الأموي الوليد إنه كان زنديقا، فقال المهدي: خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق! (راجع تاريخ ابن الأثير: ١٠ / ٧ – ٨).

١٦ – قالوا إن الخليفة المتغلب أعظم عند الله من الرسول نفسه! روى أبو داود في سننه: ٤ / ٢٠٩ والمسعودي في مروجه: ذكر طرف من أخبار الحجاج: ٣ / ١٤٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد: ٥ / ٥٢، عن الربيع بن خالد أنه قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه، أم خليفته في أهله؟)! وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول

الله، فقال: تبا لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!!

١٧ – الخليفة المتغلب أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين! جاء في العقد الفريد: ٥ / ٥١، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان يعظم فيه أمر الخلافة ويزعم أن السماوات والأرض ما قامتا إلا بها، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين....

١٨ – وقالوا إن للخليفة عند الله كرامة أعظم من كرامة الأنبياء! أمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله والي مكة فحفر بئرا بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستسقي منها الناس فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس، أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو تعلمون فضل الخليفة! ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه الله عذبا فراتا!...

١٩ – ثم تلطفوا فجعلوا الخليفة الغالب مساويا لرسول الله! قال الحجاج في خطبة له كما في سنن أبي داود والعقد الفريد (إن مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم، ثم قرأ قوله تعالى: إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. (راجع سنن أبي داود: ٤ / ٢٠٩ والعقد الفريد: ٥ / ٥١).

٢٠ – من يتبع الخليفة ويطيعه فهو المؤمن، ومن يعانده فهو الكافر!

في العقد الفريد وفي تاريخ الطبري: ٥ / ٦١ حوادث سنه ٨٩، وابن الأثير: ١ / ٢٥ وابن كثير: ٩ / ٧٦ أن الحجاج بعد أن قارن بين عثمان بن عفان وبين عيسى بن مريم وعندما تلا قوله تعالى: ومطهرك من الذين كفروا، أشار بيده إلى أهل العراق،

وعندما تلا: وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا، أشار بيده إلى أهل الشام!!
٢١ - طاعة الخليفة المتغلب من أعظم القرب عند الله! هدم الكعبة المشرفة حرمة، واتباع الخليفة طاعة، فإذا تعارضت الحرمة مع الطاعة قدمت الطاعة على الحرمة! فالخليفة يرغب بهدم الكعبة والكعبة حرمة ولكن تنفيذ أوامر الخليفة طاعة، وهنا يتوجب حسب رأيهم أن تقدم الطاعة على الحرمة، فتهدم الكعبة طاعة للخليفة، وقد هدمت فعلا!! قتل أهل بيت النبوة وإبادتهم في كربلاء حرمة، وأوامر الخليفة بإبادة أهل البيت طاعة، عندئذ يضحى بالحرمة من أجل الطاعة، ويباد أهل البيت تحقيقا لواجب الطاعة!!). انتهى.
١٢ - تعظيم معاوية لأبي سفيان من أجل تعظيم نفسه!
روى الطبري: ٢ / ٦٣٧، وابن الأثير: ٣ / ٣٤، محاورة معاوية مع الصحابة والزعماء التسعة، الذين نفاهم عثمان إلى الشام، وجاء فيها قول معاوية: (وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة (فإنه انتخبه وأكرمه) وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازما!
قال صعصعة: كذبت! قد ولدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر والأحمق والكيس)! انتهى.
وقد وضعنا عبارة (فإنه انتخبه وأكرمه) التي رواها في الكامل بين قوسين، لأنا نشك في أن الرواة أضافوها ليخففوا من وقعها! فرواياتهم لها متفاوتة حيث رواها في نهاية الإرب / ٤٢٥٧ وشرح النهج: ٢ / ١٣١، عن المدائني بلفظ ابن الأثير وفيه: (لكانوا حلماء). وفي الطبري عبارة أطول: (فإن الله انتخبه وأكرمه، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالحة شيئا، إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها، ولم يخلق من الأخلاق السيئة شيئا في أحد إلا أكرمه الله عنها ونزهه).

وهذا التكريم في الاستثناء يزيد الشك! فمعاوية يقول: إن أبا سفيان سيد قريش، وقد قبلنا باستثناء محمد! وأنا وارث أبي، فأنا سيد قريش وأفضلها، فمن يكون أبو بكر التيمي وعمر العدوي وعلي الهاشمي، وعثمان من فرع العاص؟!

* *

ولا تنس إصرار معاوية على تنفيذ رغبة أبي سفيان في تبني زياد! فقد رأى أبو سفيان زيادا يوما يخطب في المدينة في دار الخلافة، فأعجب به وقال إنه ابنه لأنه بزعمه ولد من زناه بأمه سمية وكانت زوجة عبيد، وبغية ذات علم!

قال الثقفي في الغارات: ٢ / ٩٢٦: (وروى أحمد بن يحيى البلاذري قال: تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر كلاما أعجب الحاضرين، فقال عمرو بن العاص: لله أبوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه! فقال أبو سفيان: أما والله إنه لقرشي، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك! فقال: ومن أبوه؟ قال: أنا والله وضعته في رحم أمه! فقال: فهلا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علي إهابي ((أي أخاف من هذا البعير ويقصد عمر أن يمزق جلدي)!

وروى علي بن محمد المدائني قال: لما كان زمن علي ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا وجبا خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فكتب إليه: أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوي إليها ليلا كما تأوي الطير إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به، لكان لك مني ما قال العبد الصالح: فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون! وكتب في أسفل الكتاب شعرا من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته * إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله، وزوج سيدة نساء

العالمين وأبو السبطين وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء، في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان! أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلي لوجدني أحمر ضرابا بالسيف (أحمر فارسي لأنه أمه فارسية) ثم كتب إلى علي وبعث بكتاب معاوية في كتابه، فكتب إليه علي عليه السلام وبعث بكتابه: (أما بعد فإني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلا، وإنه كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس، لم تستوجب بها ميراثا ولم تستحق بها نسبا، وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثم احذره ثم احذره. والسلام). (راجع أيضا: المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٢٠٤، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٨، وأنساب الأشراف / ١٢١٩ و / ٢٣٤١، وشرح النهج: ٦ / ٢٨٤، و: ١٦ / ١٨١، وبحار الأنوار: ٣٣ / ٢٢٩، والغدير: ٢ / ١٣٢، و: ١٠ / ٢١٩، وقال: لو كان معاوية استلحق زيادا بهذا الخبر لكان استلحاقه عمرو بن العاص أولى! إذ ادعاه أبو سفيان يوم ولادته قائلا: أما إني لا أشك أني وضعته في رحم أمه)! انتهى. وقول الأميني رحمه الله: صحيح لأن أبا سفيان قال مثل ذلك في عمرو بن العاص، لكن أمه النابغة اختارت أن يكون أباه العاص لأنه أسخى من أبي سفيان! ففي الغدير: ٢ / ١٢٠: (وقال الإمام السبط الحسن الزكي عليه السلام بمحضر معاوية وجمع آخر: أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك! وضعتك أمك مجهولا من عهر وسفاح فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا! ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل). انتهى.

ولا يتسع المجال للإفاضة فيه، وشاهدنا أن معاوية كان يقدس أبا سفيان، ويعتبر كلامه كالوحي ولو كان مخالفا للوحي! ويظهر أن معاوية كان يوافق أبا سفيان على آرائه المختلفة العقيدية والسياسية! فقد تحمل اعتراض الأمة كلها في استلحاق زياد من أجل كلمة قالها أبو سفيان! واعترضت عليه عائشة فقال

لها: (يا أم المؤمنين... وأما زياد فإن أبي عهد إلي فيه، وأما يزيد فإني رأيته أحق الناس بهذا الأمر فوليته). (شرح الأخبار: ٢ / ١٧٢). وهذا يدل على أنه كان يشعر أنه ابن أبي سفيان، وأنه تجاوز نفسيا بحكم نشأته نسبته إلى مسافر بن أبي عدي الأموي، الذي ذكروا أنه شبيهه أو نسخة عنه!

ومهما يكن، فقد كان يعظم أبا سفيان ويرفع من شأنه، ويتبنى آراءه خاصة في ترتيب مكانة قبائل قريش وأن بيت ملكهم هم بنو عبد مناف (بنو أمية وهاشم)! وكان مثله يرى أن العباس وعليا عليه السلام أخطأ كل الخطأ عندما سمحا لأرذل بيتين في قريش تيم وعدي، أن يسيطرا على سلطان محمد المنافي ويعبدا أصحاب الحق بني عبد مناف من الأمويين والهاشميين!

١٣ - تعظيم معاوية لأبي بكر وعمر وعثمان لتعظيم نفسه!

كان أول عمل قام به معاوية بعد عودته من العراق منتصرا أنه خطب في أهل الشام قائلا لهم: (أيها الناس: إن رسول الله قال لي إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب فلعنوه)! (شرح النهج: ٤ / ٧٢). وفي هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع المسلمين لأنه لم يبشر معاوية بالخلافة، ولا أمره أن ينقل عاصمتها إلى بلاد الشام! فلم يرو هذا الحديث أحد غير معاوية! وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على أنه لم يصح فيه حديث إلا: (لا أشبع الله بطنه أو اللهم لا تشبع بطنه)! كما تضمن حديث معاوية كذبا في مدح بلاد الشام، وإن كانت بلادي وأحبها، لكنك عندما ترى أن أكثر أحاديث بلاد الشام والأرض المقدسة والأبدال عن معاوية، فلا بد لك أن تعيد النظر فيها لتميز أصلها عما نسجه معاوية ورواته عليها!

والغرض أن معاوية أعلن بعد عودته من العراق بداية مرحلة جديدة من تعظيم نفسه وما يتصل به، ومن يتصل به، وتسقيط بني هاشم وما يتصل بهم!
قال أحمد حسين يعقوب في كتابه الخطط السياسية لتوحيد الأمة / ١٠٧:
خليفة المسلمين معاوية يرعى الرواية والرواة: قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٣ / ٥٩٥: روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب (يعني الإمام علي) وأهل بيته (يعني أهل بيت النبوة الكرام)! فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا، ويبرؤون منه، ويقعون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي! فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.
مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية: ويضيف المدائني بالحرف: وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة! وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد من الناس عاملا من

عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حينا.
مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية: كتب معاوية إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوليين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلى وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله! فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله!. راجع المجلد: ٣ / ٥٩٥ من شرح النهج...
مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية: ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه! وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره! فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون

والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار، والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض... هذا هو المناخ الذي جرت فيه رواية حديث رسول الله وكتابته)! (راجع المجلد الثالث من شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد / ٥٩٦). انتهى. (والاحتجاج: ٢ / ٢١٥).

١٤ - تعظيم معاوية للشيخين وعثمان.. وقتله أولادهم!

قال معاوية عن سبب تبنيه لنشر (فضائل) أبي بكر وعمر: (فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله) ! فالمسألة عنده ليست إيمانه بهما! بل أن يحارب بهما أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم! وكيف يؤمن ابن سيد قريش بشخصين من أرذل بيتين في قريش! أو أذل حيين فيها! كما قال صادقه الأمين أبو سفيان؟!

بل كيف يؤمن معاوية وهو من علياء أمية، بعثمان الذي هو من فرع أموي عادي هو فرع العاص؟! لذلك لم يتردد في إذلال ابن عمر وإهانة أبيه بحضوره! عندما سمع أنه يفكر بالخلافة فقال: (من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه!). (البخاري: ٥ / ٤٨). وتقدم تهديده بالقتل!

لكن ليس كل أولاد الخلفاء الطامعين في الخلافة، يمكن معالجتهم بالتهديد كابن عمر! فهذا عبد الرحمن بن أبي بكر وقف مع أخته عائشة في وجه معاوية وطعن فيه وفي يزيد! فأمر مروان بأخذه، فهرب واختبأ في بيت عائشة!

ولم يكن حظ عائشة من معاوية أفضل من حظ أخيها، فإن الشبهة تركزت على معاوية بأنه قتلها، بعد تشبيهها إياه بفرعون، كما سيأتي!
وكذلك حظ سعيد بن عثمان بن عفان، وكذلك سعد بن وقاص، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والإمام الحسن بن علي عليهما السلام، وكذلك كل من اعترض على مشروع بيعته لابنه يزيد! فقد طرح معاوية بيعة يزيد قبل موته بأكثر من عشر سنوات وعمل لها كثيرا، وأزاح من طريقها كل من استطاع إزالته بالقتل والاضطهاد، من المعارضين أو الذين يقدر أن يعارضوه مستقبلا!
١٥ - تعظيم معاوية لقريش.. إلا بني هاشم!
قال الآبي في نثر الدرر / ٢٥٩: (وروي عن ابن عباس أنه قال: وقع بين علي وعثمان كلام فقال عثمان: ما أصنع بكم إن كانت قريش لا تحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب تشرب آنافهم قبل شفاههم) (وشرح النهج: ٩ / ٢٢، وتذكرة ابن حمدون / ١٥٦٧). ويقصد بالسبعين قتلى المشركين في بدر! وهذا هو منطق قريش كلها الذي ساد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله! فقد نشره الطلقاء عندما جاؤوا ألوفا مؤلفة إلى المدينة، وتبناه منهم العدد المحدود من المهاجرين القرشيين كما رأيت في عثمان، وكان ذلك أحد أسباب التي بررت عنفهم في عزل بني هاشم وهجومهم على دار علي وفاطمة عليهما السلام لإجبارهم على البيعة للزعيم القرشي الذي اختاروه!
وقد رسخت الخلافة القرشية هذا المنطق، وجاء معاوية فبلوره بأفكار أموية، ورواة وأحاديث، ومراسيم خلافية، وقوانين صارمة تشمل كل البلاد والعباد! وتدور كلها حول تعظيم قريش وقيادتها الأموية المتمثلة في أبي سفيان ومعاوية

وذريته، الذين هم معدن الحق والملك! وقمع بني هاشم وشيعتهم الذين هم شر الناس! أما النبي صلى الله عليه وآله الذي عفا عنها فهو ابن قريش قبل أن يكون هاشميا! ومثله في بني هاشم كنخلة نبتت في مزبلة! فيجب فصله عنهم وإبعاده عنهم!

وهذه المقولة الخبيثة ليست من أفكار معاوية، بل هي مقولة قريش بتوجيه حلفائها اليهود لتأخذ دولة النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، وتفرق بين النبي صلى الله عليه وآله ابن قريش وبين عترته والأنصار الذين كانت تسميهم (عباد محمد)! وتطالبهم بثأر سبعين من فرسانها وزعمائها في بدر (كأن وجوههم شنوف الذهب تشرب آنافهم قبل شفاههم) بتعبير عثمان وعامة قريش!

وشنوف الذهب: أقراطه الجميلة، أي كأن وجه أحدهم كأنه قرط ذهب! لكمال أجسامهم وجمال أنوفهم وهو وصف لأبناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وصف به النبي صلى الله عليه وآله ولده الإمام المهدي عليه السلام في حديث: أجلى الجبين أقنى العرنين أي في أنفه علو واحديداب. والمتفق عليه بين المؤرخين أنها صفة لبني عبد المطلب، لكن قريشا أخذته لرجالها حتى لو كانوا دون ذلك تشبيها لهم ببني عبد المطلب! قال ابن سعد في الطبقات: ١ / ٩٤: (فلم يكن في العرب بنو أب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم، ولا أجسم! شم العرانين تشرب أنوفهم قبل شفاههم). (ومثله في تاريخ دمشق: ٣ / ١١٦، ونحوه في المنمق لابن حبيب / ٣٥).

وقد رووا أن خالة معاوية كانت تردد ذلك في وجه زوجها عقيل بن أبي طالب رحمه الله! فكانت تقول له كما في غريب الحديث للحربي: ١ / ٢٠٨: (لا يحبكم قلبي يا بني هاشم أبدا! أين أخي، أين عمي، أين فلان أين فلان! كأن أعناقهم أباريق الفضة، ترد أنوفهم قبل شفاههم؟!). قال القرطبي في تفسيره: ٥ / ١٧٦: (فكان إذا دخل عليها تقول: يا بني هاشم، والله لا يحبكم قلبي أبدا! أين الذين

أعناقهم كأباريق الفضة ترد أنوفهم قبل شفاههم؟ أين عتبة بن ربيعة، أين شيبة بن ربيعة، فيسكت عنها! حتى دخل عليها يوما وهو برم فقالت له: أين عتبة بن ربيعة؟ فقال: على يسارك في النار إذا دخلت! فنشرت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك، فأرسل ابن عباس ومعاوية، فقال ابن عباس: لأفرقن بينهما، وقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف. فأتياهما فوجداهما قد سدا عليهما أبوابهما، وأصلحا أمرهما)!!

وقد وقف النبي صلى الله عليه وآله في وجه هذه المقولة الكافرة بشدة وحزم، لكنهم طمسوا موقفه بعد وفاته وواصلوا خطتهم في فصله عن عترته وبني هاشم عامة!

وقد روى الجميع أن الأنصار وبني هاشم شكوا إلى النبي صلى الله عليه وآله من عداوة قريش ضيوفهم الجدد في المدينة ومقولتهم الخبيثة هذه! ومن أحاديثها: (أتى ناس من الأنصار النبي (ص) فقالوا إنا نسمع من قومك، حتى يقول القائل منهم: إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا (المزبلة) فقال رسول الله (ص): أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (قال فما سمعناه ينتمي قبلها)! ألا إن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا). قال في مجمع الزوائد: ٨ / ٢١٥: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

وفي الدر المنثور: ٢ / ٣٣٥: (عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله (ص) وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين آبائي؟ قال في النار! فقام آخر فقال من أبي؟ فقال: أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما، إنا يا رسول الله

حديث عهد بجاهلية وشرك، والله أعلم من آباؤنا! فسكن غضبه). انتهى.
وقد أخفى الرواة الكثير والخطير من هذه الحادثة! فقد نادى النبي صلى الله عليه وآله بالصلاة جامعة وأحضر الأنصار بالسلاح، وحصر قريشا في المسجد، وخطب فيهم خطبة طويلة وكان معه جبرئيل عليه السلام وطعن في أنساب قريش وتحدى أصحاب المقولة أن يسألوه من آباؤهم، وأصر عليهم أن يقوم صاحب المقولة فيسأله! وبين مكانة عترته عليه السلام وأسرته عند الله تعالى!
وقد تعمد رواتهم تنتيف الموضوع كالبخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم وطمس موقف النبي صلى الله عليه وآله القاطع! وقد بحثناه في كتاب تدوين القرآن (ومعجم أحاديث الإمام المهدي: ١ / ٢٠٠، والعقائد الإسلامية: ٣ / ٢٧٥. ومن مصادره: الحاكم: ٣ / ٢٤٧، وابن ماجة: ١ / ٥٤٦، وأحمد: ٣ / ١٦٢ وص ١٧٧ و: ٤ / ١٦٦ و: ٥ / ٢٩٦ و ٣٠٣، وسنن البيهقي: ٤ / ٢٨٦، وعبد الرزاق: ١١ / ٣٧٩، وابن أبي شيبة: ٧ / ٤٠٩، وتحفة الأحوذي: ١٠ / ٥٤، و الآحاد والمثاني: ١ / ٣١٨، والسنة لابن أبي عاصم: ٢ / ٦٣٣، وطبعة أخرى / ٦١٨، والطبراني الكبير: ٢٠ / ٢٨٦، والدر المنثور: ٤ / ٣٠٩، وأنساب السمعاني: ١ / ٢٦، وغريب الحديث لابن قتيبة: ١ / ٨٨، والفردوس بمأثور الخطاب: ٤ / ١٢٨، والمحاسن والمساوئ للبيهقي / ٥٦، وكنز العمال: ٤ / ٤٤٣، و: ١١ / ٤٥٣، و: ١٣ / ٤٥٣، وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة / ١٥٨، وكتاب سليم بن قيس / ٣٧٩، وفيه نص النبي صلى الله عليه وآله على اختيار الله تعالى لاثني عشر إماما من عترته بعده عليهم السلام).
والنتيجة: أن سياسة الطلقاء التي نفذها معاوية هي: تعظيم قريش لكن بشرط رفع بني أمية على الجميع، وبشرط فصل محمد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم!
تعصب معاوية لقريش في مقابل القحطانيين!
ما تقدم هو موقف معاوية عندما يتعلق الأمر بعترة النبي صلى الله عليه وآله أما إذا كان الأمر يتعلق بقريش كلها، فمعاوية والقرشيين يقفون بضراوة في وجه القحطانيين إن أرادوا أن يمسوا بشعرة في قيادة قريش للعرب والعالم! ولذلك تجد أن أقوى

حديث عندهم في حصر الخلافة والقيادة بقريش، يرويه البخاري عن معاوية!! فقد روى غضبه على عبد الله بن العاص لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سيكون ملك من قحطان، وقحطان كل قبائل العرب ما عدا قريش! لقد وبخه معاوية على المنبر! ولابد أنه وبخه في قصره أكثر، واعتبره عديم الفهم والغيرة!

قال بخاري في صحيحه: ٤ / ١٥٥، و: ٨ / ١٠٥: (كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش، أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية فقام (خطيبا) فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله (ص) فأولئك جهالكم! فإياكم والأماني التي تضل أهلها! فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين). انتهى!

ونكتفي هنا بملاحظات:

الأولى، أن بخاري روى بعد هذا مباشرة عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)! وقد اختلف الشراح في قول معاوية إن الأمر في قريش (ما أقاموا الدين) لأن مفهومه أنهم إن لم يقيموا الدين فليس الأمر لهم! بينما مفهوم حديث ابن عمر أن الأمر لهم مطلقا ما بقي منهم اثنان! ورتبوا عليها مسألة فقدان الخليفة للشروط وجواز الخروج عليه، ورووا فيها عن النبي صلى الله عليه وآله الضد والنقيض! ولا عجب لأن الأصل متناقض!

الثانية، قال ابن حجر في شرح حديث بخاري: ١٣ / ١٠٢: (ومناسبة ذكر ذلك تحذير من يسمع من القحطانيين من التمسك بالخبر المذكور، فتحدثه نفسه أن يكون هو القحطاني، وقد تكون له قوة وعشيرة فيطمع في الملك، ويستند إلى

هذا الحديث، فيضل، لمخالفته الحكم الشرعي في أن الأئمة من قريش....
وأخرج أحمد من طريق عبد الله بن أبي الهزيل قال: لما قدم معاوية الكوفة قال رجل من بكر بن وائل: لئن لم تنته قريش لنجعلن هذا الأمر في جمهور من جماهير العرب غيرهم! فقال عمرو بن العاص: كذبت سمعت رسول الله (ص) يقول: قريش قادة الناس). انتهى.
الثالثة، أن أحاديثهم في الحق الإلهي لقريش بقيادة العالم، لا تعين في أي بيت من قريش هو بل تتعمد أن تبعده عن بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام وتجعله حقا لكل قبائل قريش العشرين وتجعلهم فيه متكافئين! فكل فرد منهم له الحق أن يكون رئيسا للعالم وخليفة للنبي صلى الله عليه وآله! وهو تعويم لا نظير في تاريخ النبوات والملك لأمة من الأمم إلا ما يزعمه اليهود لجميع أبناء يعقوب! ومحال أن يعطي الله تعالى حقا من هذا النوع لقبائل أو قبيلة، ولا يحدد بيته وأشخاصه، فيفتح بين القبائل باب الصراع عليه! فالصحيح أنه حق خاص بالنبي وآله صلى الله عليه وآله الذين آتاهم الله علم الكتاب وقال عنهم: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، لكن قريشا صادرته لقبائلها! قال علي عليه السلام: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم). (نهج البلاغة: ٢ / ٢٧).
الرابعة، أن عمر نفى هذا الحق الذي زعمه معاوية لقبائل قريش، وقد اعترف بذلك شراح حديث البخاري هذا، قال في فتح الباري: ١٣ / ١٠٦: (أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات، أنه قال إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته،

فذكر الحديث وفيه: فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة، استخلفت معاذ بن جبل.. الحديث. ومعاذ بن جبل أنصاري (قحطاني) لا نسب له في قريش! فيحتمل أن يقال لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشيا، أو تغير اجتهاد عمر في ذلك. والله أعلم). انتهى.

واحتمالات ابن حجر واهية، ومن تدليسه أنه أخفى قول عمر: لو كان سالم حيا لوليته! وسالم غلام فارسي، لا قرشي ولا عربي! (الموسوعة الفقهية الكويتية: ٦ / ١٢٤، وفيها: وخالف في ذلك بعض العلماء منهم أبو بكر الباقلاني، واحتجوا بقول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته). وتاريخ ابن خلدون: ١ / ١٩٤، ومنهاج الكرامة / ١٠٦، ومحاضرات الأدباء / ٣٦٥، والشورى في الإمامة للسيد الميلاني / ٢٥، و أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها؟ لأحمد حسين يعقوب / ٢٤٢).

الخامسة، أن حديث القحطاني الذي وبخ عليه معاوية ابن عمرو، ضاع من مصادرهم فلم يرووه بكثرة! وقد صح عندنا أن القحطاني اليماني يكون ناصر الإمام المهدي عليه السلام ووزيره. أما رواياتهم ففي بعضها أنه يحكم بعد المهدي عليه السلام وفي بعضها قبله، وفي بعضها معه. ويظهر أن رواية القحطاني كانت معروفة في القرن الثاني وأن اسمه ثلاثة أحرف فقد قال البلاذري في التنبيه والأشراف / ٢٧٢ عن ثورة عبد الرحمن بن الأشعث: (وسار عبد الرحمن راجعا لإخراج الحجاج من العراق، ومسائلة عبد الملك إبدالهم به، فلما عظمت جموعه ولحق به كثير من أهل العراق ورؤسائهم وقراؤهم ونساكهم عند قربه منها، خلع عبد الملك، وذلك بإصطخر فارس وخلعه الناس جميعا، وسمى نفسه ناصر المؤمنين، وذكر له أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية، وأنه يعيد الملك فيها، فقيل له إن القحطاني على ثلاثة أحرف! فقال اسمى عبد، وأما الرحمن فليس من اسمي)!

السادسة، لم يبحث شراح بخاري النسبة بين هذا الحديث وحديث: (الأئمة

اثنا عشر كلهم من قريش) الذي صح عندهم، وكيف تستغرق مدة هؤلاء الاثني عشر كل الزمان إلى يوم القيامة ومن هم هؤلاء الربانيون، ولماذا حصرهم النبي صلى الله عليه وآله باثني عشر..؟! إلى آخر الأسئلة. وقد بحثناه في كتاب آيات الغدير.

١٦ - تعظيم معاوية لجهازه الإداري وإعطائه الحصانة!

لا يتسع الكتاب لنعقد فصلا لسياسة معاوية المالية، وآخر لأسلوبه الإداري، ونكتفي فيما يلي بذكر قاعدة أموية كلية تعطي لموظفيه وعماله حق الحصانة من المسلمين، وتحرم الإقتصاص والقود منهم! فقد روى الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٢٢، أن والي معاوية على البصرة خطب في المسجد فاعترض عليه رجل من بني ضبة ورماه بحصى صغار علامة معارضته، فأمر أن تقطع يده فقطعت، فذهب الضبيون إلى الشام واشتكوا إلى معاوية (فقالوا يا أمير المؤمنين إنه قطع صاحبنا ظلما وهذا كتابه إليك، وقرأ الكتاب فقال: أما القود من عمالي فلا يصح ولا سبيل إليه! ولكن إن شئتم وديت صاحبكم، قالوا وده، فوداه من بيت المال). (ونهاية ابن كثير: ٨ / ٧٧، والمنتظم: ٥ / ٢٧٨ وغيرها).

والمسألة سهلة عند فقهاء السلطة فإن معاوية اجتهد بأن القود من عماله يضعف الدولة ويذهب بهيبتها، فحكم على عماله إن قتلوا أحدا من المسلمين أو قطعوا منه عضوا، أن يعطوا الدية بدل القصاص منهم!

ثم انتبه هؤلاء الفقهاء إلى أن الأساس الذي قامت عليه حركة معاوية، هو مطالبته بالقصاص والقود من قتلة عثمان! فاخترعوا الحل لذلك، فعثمان خليفة وله حق الحصانة عما ارتكبه هو وعماله، فيجب القود من قاتليه، وقد اجتهد معاوية بتقديم القود على البيعة لعلي! قال ابن حزم في الفصل: ٤ / ١٢٤: (ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأي تقديم

أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم ابن أبي العاص، لسنه ولقوته على الطلب بذلك).
فالنتيجة: أن القود للحاكم وعماله من أوجب الواجبات، ويصح من أجله الخروج على الدولة الشرعية وسفك دماء مئات الألوف، لكن القود من عامة المسلمين حرام، لأنه تضعيف للدولة وجهازها الإداري!
١٧ - تصريحات لمعاوية تكشف عن إفراطه في الغرور!
١ - زعم أنه خليفة الله في أرضه، كما تقدم.
٢ - وزعم أنه لو وزن بالدنيا كلها لرجح عليها! ففي تاريخ دمشق: ٥٩ / ٢١٩: (لما اشتكى معاوية شكاته التي هلك فيها أرسل إلى أناس من بني أمية فخص ولم يعم فقال: يا بني أمية إنه لما قرب ما لم يكن بعيدا، وخفت أن يسبقكم الموت إلي، سبقته بالموعظة إليكم، لا لأرد قهرا ولكن لأبلغ عذرا. لو وزنت بالدنيا لرجحت بها ولكني وزنت بالآخرة فرجحت بي! إن الذي أخلف لكم من الدنيا أمر ستشاركون فيه أو تغلبون عليه! والذي أخلف عليكم من رأي أمر مقصور عليكم نفعه إن فعلتموه، مخوف عليكم ضرره إن ضيعتموه، فاجعلوا مكافأتي قبول وصيتي! إن قريشا شاركتكم في نسبكم وبنتم منها بفعالكم فقدمكم ما تقدمتم فيه، إذ أخر غيركم ما تأخروا له، وبالله لقد جهر لي فعلمت، ونغم لي ففهمت، حتى كأني أنظر إلى أبنائكم بعدكم نظري إلى آبائهم قبلهم!
إن دولتكم ستطول، وكل طويل مملول، وكل مملول مخذول، فإذا انقضت مدتكم كان أول تجادلكم فيما بينكم، واجتماع المختلفين عليكم، فيدبر الأمر بضد الحسن الذي
أقبل به، فلست أذكر عظيما نركب منه ولا حرمة تنتهك إلا والذي أكف عن ذكره أعظم.. الخ). (وأنساب الأشراف / ١١١١، والجليس الصالح / ٤١٤)

٣ - وزعم أعلم الناس بأمور الدين والدنيا: ففي تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٦٣، والنهاية: ٨ / ١٤٣: (يونس بن حليس: سمعت معاوية بن أبي سفيان على هذا المنبر منبر دمشق يوم الجمعة يقول: يا أيها الناس اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني... إياي وقذف المحصنات وأن يقول الرجل سمعت وبلغني! فلو قذف امرأة على عهد نوح لسئل عنها يوم القيامة). انتهى.

وفي كلامه تفضيل لنفسه على النبي صلى الله عليه وآله لأنهم طعنوا به ورووا عنه أنه أعلم بأمور الدين فقط! وأنه كان يجهل تلقيح النخل فأمر أن لا يلقحوه، فسبب خسارة أهل المدينة لموسمهم! بينما معاوية أعلم الناس بأمور الدنيا والآخرة! (راجع المجلد الثاني من ألف سؤال وإشكال). ويظهر من نهيه عن اتهام امرأة بالزنا حتى من عهد نوح عليه السلام، أنه كان يوجد كلام يتهم أمه أو أم غيره من بني أمية!

٤ - وزعم أنه هو وأبو سفيان صخر وأبوه حرب أكرم قريش! قال معاوية في عهد عثمان: (وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة (فإنه انتخبه وأكرمه) وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازما)! (الطبري: ٢ / ٦٣٧، وابن الأثير: ٣ / ٣٤).

وقال ابن العاص في معاوية: (اتقوا أكرم قريش وابن كريمها). (العقد الفريد: ١ / ١١)

٥ - وزعم معاوية أنه وابنه يزيد أحق الناس بهذا الأمر! ففي كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥٣: (وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه، وقال: من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟! وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم! وقد أنذرت إن أغنت النذر! ثم أنشد متمثلا:

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عمرو أطعني وانطلق

إنك إن كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق). انتهى.
على أن مصادرهم روت أن عليا عليه السلام احتج على معاوية بأن أبا سفيان جاءه ليبايعه بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وشهد بأنه أحق الناس بهذا الأمر! ففي ثقات ابن حبان: ٢ / ٢٨٧، وفتوح ابن الأعثم: ٢ / ٥٥٨: (فكتب إليه علي: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد، فإنه أتاني كتابك تذكر فيه حسدي للخلفاء، وإبطائي عنهم والكره لأمرهم، فلست أعتذر من ذلك إليك ولا إلى غيرك، وذلك أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله واختلفت الأمة قالت قريش: منا الأمير، وقالت الأنصار: بل منا الأمير، فقالت قريش: محمد منا ونحن أحق بالأمر منكم فسلمت الأنصار لقريش الولاية والسلطان، فإنما تستحقها قريش بمحمد صلى الله عليه وآله دون الأنصار، فنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر من غيرنا... أما ما ذكرت من قتلة عثمان، فإني قد نظرت في هذا الأمر فلم يسعني دفعهم إليك. وقد كان أبوك أبو سفيان جاءني في الوقت الذي بايع الناس فيه أبا بكر، فقال لي: أنت أحق الناس بهذا الأمر من غيرك، هات يدك حتى أبايعك، وإن شئت لأملأن المدينة خيلا ورجلا على ابن أبي قحافة، فلم أقبل ذلك! والله يعلم أن أباك قد فعل ذلك، فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين أهل الإسلام، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه لي، فقد أصبت رشدك، وإن لم تفعل فسيغني الله عنك. والسلام! فلما قرأ معاوية الكتاب تهيأ هو ومن معه على المسير إلى علي! ثم سار يريد العراق. وسار علي من العراق وصلى الظهر بين القنطرة والجسر ركعتين، وبعث على مقدمته شريح بن هانئ وزياد بن النضر بن مالك، أمر أحدهما أن يأخذ على شط دجلة، والآخر على شط الفرات). انتهى.

٦ - وزعم معاوية أنه كان أجمل شباب قريش! قاله عندما شرب الخمر وحاول أن يسقيها للصحابي بريدة الأسلمي! ففي مسند أحمد: ٥ / ٣٤٧: (عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرمه رسول الله، ثم قال معاوية كنت أجمل شباب قريش وأجوده ثغرا..). (وتاريخ دمشق: ٢٧ / ١٢٧، والإكمال / ٢٧، وأعلام النبلاء: ٥ / ٥٢، ومجمع الزوائد: ٥ / ٤٢، وقال: رجاله رجال الصحيح).

لكن في المحلى: ١٠ / ٣٢٦، وزاد المعاد: ٥ / ٤٨١ أن النبي صلى الله عليه وآله قضى أن تكون طفلة حمزة عند جعفر بن أبي طالب قال: (وأما الجارية فأقضي بها لجعفر تكون مع خالتها وإنما الخالة أم.... لأن خالتها كانت مزوجة بجعفر وهو أجمل شاب في قريش وليس هو ذا رحم محرم). انتهى. وهذا غيض من ادعاءات معاوية ومناقبه!

* *

الفصل التاسع
حسد معاوية للنبي صلى الله عليه وآله وتنقيصه من مقامه

١ - لا والله.. إلا دفنا!!
قال في شرح النهج: ٥ / ١٢٩: (وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه إنه كان ملحدا لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه، وسقطات ألفاظه، ما يدل على ذلك.
وروى الزبير بن بكار في الموفقيات، وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام والانحراف عنه : قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية فكان أبى يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتما منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟! قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت. ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.
فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر! ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر. وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول الله! فأي عمل لي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلا دفنا دفنا)! انتهى.
أقول: يكفي للاطمئنان بصحة هذا الحديث الخطير، أنه ينسجم مع مجموع

تصرفات معاوية وأعماله، وأن رواته غير متهمين بأن لهم غرضا من وضعه، فكلهم نواصب من محبي معاوية! من ابن بكار الزبيري، إلى مطرف وأبيه المغيرة بن شعبة! هذا مضافا إلى أن كثيرا من علماء المعتزلة بنوا حكمهم بالكفر على معاوية على هذا الحديث، مما يدل على أنهم كانوا قاطعين بصحته!

٢ - أنظروا أخي بني هاشم أين وضع اسمه؟!

تقدم قول أبيه عندما سمع اسم النبي صلى الله عليه وآله في الأذان: (لله در أخي بني هاشم، أنظروا أين وضع اسمه! فقال علي عليه السلام: أسخن الله عينيك يا أبا سفيان! الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: ورفعنا لك ذكرك). (قصص الأنبياء للراوندي / ٢٩٣).

وقال في شرح النهج: ١٠ / ١٠١: (وروى أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار الملوك أن معاوية سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فقالها ثلاثا، فقال: أشهد أن محمدا رسول الله! فقال: لله أبوك يا ابن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين)! انتهى.

إنها عقدة الحسد والكفر عند أبي سفيان ومعاوية، وقد ظهرت في جوابه لصديقه المغيرة بن شعبة! وهي تدفعه إلى العمل لدفن ذكر أخي بني هاشم صلى الله عليه وآله ورفع ذكر بني أمية، ما وجد إلى ذلك سبيلا!

إن أبا سفيان ومعاوية من النوع الذي لا يفقه إلا تسلط بني أمية وتعظيم شخصياتهم! فهما يظهران الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله من أجل هذا الهدف فقط، وفي نفس الوقت يعملان لتهيئة الجو لتنقيص شخصيته صلى الله عليه وآله والطعن فيها!

* *

٣ - قال رسول الله.. وأنا أقول!
روى الصحابة هذه القصة عن معاوية، وأنه رد على رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب لذلك الصحابيان عبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وحلفا أن لا يساكنا معاوية في الشام أبدا! وقد تقدم في لبسه الذهب والحرير ما رواه الحاكم: ٣ / ٣٥٥: (أن عبادة بن الصامت أنكر على معاوية أشياء، ثم قال له: لا أساكنك بأرض).
وتقدم من موطأ مالك: ٢ / ٦٣٤، والمجموع: ١٠ / ٣٠: (فقال له معاوية: ما أرى بهذا بأسا، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية! أخبره عن رسول الله (ص) ويخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أنت بها). انتهى.
وفي الإستيعاب: ٢ / ٨٠٨، وأسد الغابة: ٣ / ١٠٦: (فأغلظ له معاوية في القول)!
وهذا يدل على أن معاوية لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله ولا يتعبد بكلامه كما يؤمن المسلمون! فالمسلم العادي يعتقد أنه صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. (النجم: ٣ - ٤) ومعاوية يقول: هذا رأي محمد، أما أنا فلا أرى به بأسا! فإما أن يكون كافرا بنبوة النبي صلى الله عليه وآله أو معتقدا بها ويرى أن له الحق في مخالفة النبي صلى الله عليه وآله لأن محمدا رسول الله ومعاوية خليفة الله! وكلاهما كفر بواح!
وجاء المعذرون الأعجام، وهم أكثر علماء المذاهب الأربعة، فاعترفوا بصحة القصة، حيث لا يمكنهم رد طرقها وأسانيدها، فخففوا قول معاوية فيها وجعلوا قوله (رد رواية) وليس قولا في مقابل قول النبي صلى الله عليه وآله! فكان أول تدليسهم أنهم وضعوا قصة معاوية تحت عنوان: رد السنة بالرأي! وتعمدوا إبهام معنى الرد فهل هو رد رواية السنة لعدم الثقة براويها فهو أمر عادي، أم هو رد نفس السنة وتبني رأي في مقابلها، وهذا الكفر بعينه؟!

وهل هذا الموقف العنيف الطويل الأمد من صحابي جليل كعبادة بن الصامت، كان بسبب تخطئة معاوية له في نقل حديث نبوي؟! فلماذا لم يطلب معاوية منه شاهدا على روايته كما هي عادة أي مسلم يشك في نقل حديث نبوي؟!

أنظر إلى ما قاله ابن عبد البر، وتبناه الزرقاني: ٣ / ٣٥٧، والسيوطي في تنوير الحوالك / ٤٩٠، وغيرهما: (أنف من رد السنة بالرأي، وصدور العلماء تضيق عن مثل هذا وهو عندهم عظيم رد السنن بالرأي). وأضاف في التمهيد: ٤ / ٨٧: (وغير نكير أن يجهل معاوية ما قد علم أبو الدرداء وعبادة فإنهما جليلان من فقهاء الصحابة وكبارهم).

إنهم يؤكدون بذلك على أن خطأ معاوية كان فقط في عدم قبوله لرواية عبادة بن الصامت وأبي الدرداء، وأن هذين الصحابيين لا يفهمان ولا يعقلان! وعلى هذا المنوال ما تقرؤه في: اختلاف الحديث للشافعي / ٤٨٠، ومسند الشافعي / ٢٤٢، وسنن البيهقي: ٥ / ٢٨٠، والآحاد والمثاني للضحاك: ٣ / ٤٣٠، ومسند الشاميين للطبراني : ١ / ٢١٨، والمحصول للرازي: ٤ / ٣٧٥، والإحكام للآمدي: ٢ / ٦٦)!! لقد غطى هؤلاء جميعا على معاوية! وكان ضحيتهم كبار الصحابة الذين وقفوا في وجهه، خاصة عبادة بن الصامت الصحابي المجمع على جلالته ووثاقته فهو أحد نقباء الأنصار في بيعة العقبة، وأحد قادة فتوحات العراق والشام! وقد رفع راية العداء لمعاوية وبني أمية بسبب ما رأى منهم وما سمع من النبي صلى الله عليه وآله فيهم، وآلى على نفسه عندما رد معاوية سنة النبي صلى الله عليه وآله أن لا يساكنه في بلد! ولم تنحل مشكلته معه في عهد عمر، ولا عهد عثمان، بل عزله عثمان عن قضاء فلسطين إكراما لمعاوية! وعاد إلى المدينة فتضامن معه كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين! وصمد على موقفه حتى صار معاوية (خليفة) ودخل المدينة فأمر معاوية بالقبض عليه، فأخذوه وهو غير مكترث ينفخ استهزاء بمعاوية ويقول: (ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخافك في الله عز وجل)! (تاريخ دمشق: ٢٦ / ٢٠٠)!

فالقضية ليست رد معاوية لرواية، بل رد قول النبي صلى الله عليه وآله وتمرد على الإسلام!! والقضية هي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في معاوية وبني أمية التي سمعها الصحابة ومنهم عبادة ورووها عن رسول الله صلى الله عليه وآله! وقد تقدم أن أحد قادة الفتح وهو عبد الرحمن بن سهل الأنصاري رحمه الله لما رأى معاوية على المنبر، سل سيفه ليقتله تنفيذا لأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتله وبقر بطنه إن رأوه على منبره!

٤ - استهزاء معاوية بقول النبي صلى الله عليه وآله للأنصار: ستلقون بعدي أثرة!

روى عبد الرزاق في مصنفه: ١١ / ٦٠: (أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري، فقال: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، فما منعكم أن تلقوني؟! قال: لم تكن لنا دواب! قال معاوية: فأين النواضح؟ (وهذه إهانة للأنصار بأنهم عندهم جمال تسقي الزرع وليس عندهم خيول)! قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر! قال: ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله (ص) قال لنا: إنا لنرى بعده أثرة! قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه!!

قال: فقال عبد الرحمن بن حسان حين بلغه ذلك:

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير المؤمنين ثنا كلامي

فإنا صابرون ومنظروكم * إلى يوم التغابن والخصام)

(ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٦ / ٥٦، وابن عبد البر في الإستيعاب: ٣ / ١٤٢١، والأزدي في الجامع: ٢ / ٦٠، وتاريخ دمشق: ٢٦ / ٢٠١، و: ٣٤ / ٢٩٦، و: ٦٧ / ١٥١، والتحفة اللطيفة: ٢ / ١٢٣).

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٦ / ٣٢: (ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تقدموا علي الحوض)، وهذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالإستهزاء به، وذلك أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم وقالوا لقد صدق رسول الله (ص) في قوله لنا:

ستلقون بعدي أثرة، فقد لقيناها! قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا: فاصبروا حتى تردوا علي الحوض. قال: فافعلوا ما أمركم به، عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم!! وحرمهم ولم يعطهم شيئا). انتهى.

(ملاحظة: ذكر ابن أبي الحديد هنا شعرا لخالد بن سعيد بن العاص قاله ردا على ابن العاص في أحداث السقيفة، ولا علاقة له بالموضوع، مما يدل على أن في نسخته الموجودة سقطا كثيرا).

ويظهر أن معاوية كان يردد كلامه الإستهزائي للأنصار في كل مناسبة يطلبون فيه عطاءهم، أو إنصافهم ورفع الظلم عنهم! ففي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٣: (ثم كلمه الأنصار، فأغلظ لهم في القول.... قالوا: أوصانا بالصبر. قال: فاصبروا. ثم أدلج معاوية إلى الشأم، ولم يقض لهم حاجة)!

وفي مروج الذهب / ٧٦١ في ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري: (وقد كان قدم إلى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما، فلما أذن له قال: يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم القيامة يوم فاقته وحاجته! فغضب معاوية وقال له: سمعته يقول: إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا علي الحوض، أفلا صبرت؟! قال: ذكرتني ما نسيت! وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه إليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب إليه... أبياتا، وقال لرسوله: قل له وار يا ابن آكلة الأكباد! لا وجدت في صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا)! وفي أنساب الأشراف / ٨٩٨: أن أبا أيوب الأنصاري قال لمعاوية: (فإن رسول الله قال لنا: إنكم ستلقون بعدي أثرة يا معاشر الأنصار فاصبروا حتى تلقوني، قال: فاصبر يا أبا أيوب! قال أقلنها يا معاوية! والله لا أسألك بعدها شيئا أبدا)!

قال ابن عقيل في النصائح الكافية / ١٢٦: (يشم من لم يصبه زكام التعصب من كلام معاوية تهكمه بالنبي صلى الله عليه وآله واستخفافه بوصاياه بالأنصار! نعوذ بالله من

الخذلان! وبغض معاوية للأنصار ومعاكسته لمصالحهم أمر مشهور، تشهد به كتب السير والتأريخ لا يحتاج إلى تجشم الإستدلال عليه، وقد قال عليه وآله الصلاة والسلام: إستوصوا بالأنصار خيرا. وقال أيضا: حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق! وفي صحيح البخاري: لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق). انتهى.

أقول: من السهل أن تلمس عند معاوية ويزيد وبني أمية تجاه الأنصار، نفس المشاعر العدائية التي كانت عند أبي سفيان ومشركي قريش تجاههم! فقد اعتبروهم مسؤولين عن حماية النبي صلى الله عليه وآله ونصرته، وتحقيق النصر له عليهم!

وأكثر ما غاض معاوية من الأنصار، أنهم كانوا جميعا مع علي عليه السلام! وكانوا من أشد المجموعات القتالية عليه في صفين، فحقدها عليهم إلى آخر عمره، ثم أوصى ابنه يزيد بالشدة معهم إن لم يبايعوه، أو ثاروا عليه، فبطش فيهم يزيد في وقعة الحرة، بطش الجبارين الملحدين!

روى نصر ابن مزاحم في كتابه وقعة صفين / ٤٤٥: (وإن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: يا هذان، لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار. أما والله لألقينهم بحدي وحديدي، ولأعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش، رجال لم يغذهم التمر والطفيشل (طعام يعمل من الحبوب كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك) يقولون نحن الأنصار! قد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم. فغضب النعمان فقال: يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية.

فأما دعاؤهم الله فقد رأيتهم مع رسول الله (ص) يفعلون ذلك كثيرا. وأما لقاؤك إياهم في أعدادهم من قريش، فقد علمت ما لقيت قريش منهم قديما، فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفا فافعل. وأما التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا فلما أن ذقتموه شاركتمونا فيه! وأما الطفيشل فكان لليهود، فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة! (طعام من دقيق وسمن أو تمر، كانت قريش تكثر من أكله فعيرت به، حتى سموا قريشا: سخينة). ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال: يا معاوية إن الأنصار لاتعاب أحسابها ولا نجداتها، وأما غمهم إياك فقد والله غمونا، ولو رضينا ما فارقونا وما فارقنا جماعتهم، وإن في ذلك لما فيه من مباينة العشيرة، ومباعدة الحجاز وحرب العراق، ولكن حملنا ذلك لك ورجونا منك عوضه. وأما التمر والطفيشل فإنهما يجران عليك نسب السخينة والخرنوب! وانتهى (وصل) الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد الأنصار ثم قام خطيبا فيهم فقال: إن معاوية قد قال ما بلغكم، وأجاب عنكم صاحباكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام فقد وترتموه في الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه، فجدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس، وجدوا غدا جدا تنسونه به ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب. وأما التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه. وأما الطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به إسما كما سميت قريش السخينة. ثم قال قيس بن سعد في ذلك:

يا ابن هند دع التوثب في الحرب إذا نحن في البلاد نأينا
نحن من قد رأيت فادن إذ شئت بمن شئت في العجاج إلينا

إلى آخر الأبيات، وفيها تذكير لمعاوية ببدر وأحد والخندق وفتح مكة)!
أقول: والرواية طويلة، تكشف عن بصيرة الأنصار في قريش وبني أمية! وقد تضمنت مفاوضاتهم مع معاوية، وقد ركزوا في اليوم التالي على قتله، ووصلوا في هجومهم إلى مركز قيادته وقتل قيس بن سعد شخصا تصور أنه معاوية! ولو أن الأنصار لم يضعفوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ووفوا ببيعتهم له في العقبة على أن يحموا أهل بيته عليهم السلام كما يحمون أنفسهم وذراريهم ولا ينازعوا الأمر أهله لتغير تاريخ الإسلام والعالم! لكن كل إنسان ميسر لما خلق له ولله أمر هو بالغه!
٥ – سكوت معاوية عن حاخام اتهم النبي صلى الله عليه وآله بالغدر!
كان الحاخام كعب بن الأشرف رئيس يهود بني النضير عدوا لدودا للنبي صلى الله عليه وآله وقد تحمل النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون أذاه، لأنه دخل في عهد المواطنة الذي عقده النبي صلى الله عليه وآله عند قدومه إلى المدينة بين أهل المدينة واليهود.
ولم يكتف كعب بإتصالاته المستمرة مع أبي سفيان، فكان يهجو النبي صلى الله عليه وآله بالشعر! بل خطط لقتله صلى الله عليه وآله فدعاه إلى بيته فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله بذلك وأنجاه!
ثم أمعن كعب في عدائه فذهب في وفد من أربعين راكبا أو أكثر من حاخامات اليهود ورؤسائهم إلى مكة، ونزلوا في بيت صديقهم أبي سفيان، وتحالفوا معه ومع رؤساء قريش على قتال النبي صلى الله عليه وآله في حملة الأحزاب! وبذلك نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وأعلنوا عليه الحرب! فبادر بعد هزيمة الأحزاب إلى تأديبهم ومحاصرة حصونهم فخافوا وطلبوا تجديد عهد المواطنة فجدده لهم!
قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١ / ٥٧: (لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير عمل على حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء. فلما أقبل الليل

رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلى السفح وأحاط به المهاجرون والأنصار. فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرى عليا؟ فقال: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقال له عزورا، فطرحه بين يدي النبي فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئا شجاعا، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غرة، فأقبل مصلتا سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريبا، فابعث معي نفرا فإني أرجو أن أظفر بهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير. وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف. وكانت غزاة الأحزاب بعد بني النضير). انتهى.

أقول: غرضنا هنا أن الحاخام اليهودي يامين بن يامين صديق كعب الأشرف وصديق أبي سفيان، وهو رأس اليهود (السيرة الحلبية: ٢ / ٣٢٧) وزعموا أنه: (أسلم وأحرز ماله وحسن إسلامه وهو من كبار الصحابة). (أسد الغابة: ٥ / ٩٩)! كان يامين هذا في مجلس معاوية فجرى ذكر كعب فأقسم يامين أنه قتل غدرا! ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله معاذ الله ظالم غادر! فثارت ثائرة محمد بن مسلمة الأنصاري الذي كان في المجموعة التي قتلته بأمر النبي صلى الله عليه وآله وطالب معاوية بمعاقبة يامين، فلم يفعل معاوية ولم يحرك ساكنا ومعناه أنه أقره! فغضب ابن مسلمة، وحلف أن لا يجالس معاوية وأن يقتل يامين إن قدر عليه!

وقد تكررت هذه القصة في مجلس مروان في المدينة! واعترف بها ابن تيمية وابن قيم! وسكتا عن فعل معاوية وإقراره افتراء يامين على رسول الله صلى الله عليه وآله!
قال ابن قيم في أحكام أهل الذمة / ٥٦٨ وفي طبعة: ٣ / ١٤٤٨: (قال شيخنا (ابن تيمية): وقد عرض لبعض السفهاء شبهة في قتل ابن الأشرف فظن أن دم مثل هذا معصوم بذمة أو بظاهر الأمان. وذلك نظير الشبهة التي عرضت لبعض الفقهاء حين ظن أن العهد لا ينتقض بذاك، فروى ابن وهب: أخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد أخي سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عباية قال: ذكر قتل ابن الأشرف عند معاوية فقال ابن يامين: كان قتله غدرا! فقال محمد بن مسلمة: يا معاوية أيغدر عندك رسول الله (أي يتهم بالغدر) ولا تنكر؟! والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبدا، ولا يخلو لي دم هذا إلا قتلته! قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري: كيف كان قتل ابن الأشرف؟ فقال ابن يامين: كان غدرا! ومحمد بن مسلمة جالس وهو شيخ كبير فقال: يا مروان، أيغدر رسول الله عندك؟ والله ما قتلناه إلا بأمر رسول الله (ص) والله لا يؤويني وإياك سقف بيت إلا المسجد! وأما أنت يا بن يامين فلله علي إن أفلت وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك، فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة حتى يبعث رسولا ينظر محمد بن مسلمة، فإن كان في بعض ضياعه نزل فقضى حاجته، وإلا لم ينزل.
فبينما محمد في جنازة وابن يامين بالبقيع، فرأى محمدا يغشي عليه جرائد يظنه لا يراه فعاجله فقام إليه الناس فقالوا: يا أبا عبد الرحمن ما تصنع نحن نكفيك! فقام إليه فجعل يضربه بها جريدة جريدة، حتى كسر ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مصحا، ثم أرسله ولا طباخ به (لا قوة به) ثم قال: والله لو قدرت

على السيف لضربتك به). (والتفصيل في: دلائل النبوة للبيهقي: ٣ / ١٩٣، وتاريخ دمشق: ٥٥ / ٢٧٥، وإمتاع الأسماع: ١٢ / ١٨٥، والواقدي: ١ / ١٩٢، وفي طبعة / ١١٠، والصارم المسلول: ١ / ١٨٢ و ٣٨٥ و: ٢ / ٧٩٨، والصحيح من السيرة: ٦ / ٤٦ عن مشكل الآثار: ١ / ٧٧، وكنز العمال: ١٠ / ٦٣١، وغيرها).
لذلك، ينبغي أن نبحث عن موت الصحابي محمد بن مسلمة، هل مات طبيعيا أو بالسم الأموي اليهودي!!
ملاحظات
١ - صحح عدد منهم رواية يامين، وذكر بعضهم أنه أقسم بالله أن كعبا قتل ظلما وغدرا! وقد تكررت القصة بين ابن محمد بن مسلمة وشخص من بني حارثة قد يكون يهوديا قال: (والله ما قتل إلا غدرا)! وذكر وكيع في أخبار القضاة / ٧٥، أن قاضي المدينة سعد بن إبراهيم أقام عليه حد الجلد. (ورواه في تهذيب الكمال: ١٠ / ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء: ٥ / ٤٢٠، عن تاريخ البخاري الكبير: ٤ / ٥١).
٢ - بحث ابن تيمية وابن قيم الحكم الشرعي لقتل كعب بن الأشرف، ودافعا عن النبي صلى الله عليه وآله بأن كعبا نقض الذمة لأنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وآله ويحرض قريشا على قتاله، وحكم ساب النبي صلى الله عليه وآله القتل! لكن العجيب أنهما لم يذكرا الحكم الشرعي لقول يامين مع أنه افتراء وسب صريح! ولا تعرضا لحكم معاوية ومروان اللذين سكتا ولم يردعاه ولم يقيما حد الله عليه! وهذه عادة أتباع بني أمية أن غيرتهم تموت على النبي صلى الله عليه وآله إذا كان المنتقص له أمويا!

ج
٣ - روت مصادرهم أن القصة نفسها وقعت في مجلس علي عليه السلام فأمر بقتل المفتري على النبي صلى الله عليه وآله لأن اتهامه للنبي بقتل أحد ظلما يعني كفره بنبوته!
ففي فقه الإرهاب للشيخ المقدسي / ١٠: (قال القرطبي في الجامع: ٨ / ٨٤: وقد روي أن رجلا قال في مجلس علي عليه السلام: ما قتل كعب بن الأشرف إلا غدرا! فأمر علي

بضرب عنقه. قال علماؤنا هذا يقتل ولا يستتاب إن نسب الغدر للنبي؛ لأن ذلك زندقة.
وفي الشفا للقاضي عياض: من أضاف إلى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به، أو شك في صدقة، أو سبه، أو قال إنه لم يبلغ، أو استخف به، فهو كافر بالإجماع.
(الشفا للقاضي عياض / ٥٨٢ و ٦٠٨).
وفي المحلى لابن حزم: ١٢ / ٤٣٨ قال: إن كل من آذى رسول الله (ص) فهو كافر مرتد يقتل ولا بد. قال الخطابي: لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.
وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) يقول: من شتم النبي (ص) أو تنقصه، مسلما كان أو كافرا فعليه القتل وأرى أنه يقتل ولا يستتاب). انتهى.
وقال العيني في عمدة القاري: ١٣ / ٧١: (وقد قال رجل في مجلس علي رضي الله عنه: إن قتله كان غدرا فأمر بقتله فضربت عنقه، لأن الغدر إنما يتصور بعد أمان صحيح، وقد كان كعب مناقضا للعهد). انتهى.
٤ - كان في يهود خيبر والمدينة وأم القرى ونجران واليمن والحيرة، أكثر من مئة حاخام، وكانت لهم مدارس متعددة، وفي المدينة كان لهم مدرستان، أكبرهما بيت المدراس أو بيت المدراش، وكان يحضر فيها عمر بن الخطاب وبعض الصحابة (تدوين القرآن / ٤١٥) وكان أكثر الحاخامات زعماء أقوامهم وكان بينهم تواصل ولهم صداقة خاصة مع أبي سفيان وبنيه، فكان يزورهم في المدينة وخيبر وأم القرى واليمن والحيرة، وربما زاروه في مكة، وقد توطدت صلتهم معه في حروبه مع النبي صلى الله عليه وآله ووصلت إلى تحالف على قتال النبي صلى الله عليه وآله في هجوم موحد في غزوة الأحزاب! ومعاوية وفي لأصدقاء أبي سفيان وتحالفاته، ومن أعزهم عليه كعب بن الأشرف حاخام بني النضير وزعيمهم، لكنه مضطر للسكوت وإن كان يرى الحق مع يامين صديقه وصديق كعب!!

٥ - كتبت في نقد الفتاوى المتطرفة ما خلاصته: لاحقت فتاويهم ومعاولهم الآثار المباركة في المدينة المنورة، حتى النخلات التي غرسها النبي صلى الله عليه وآله بيده، والتي حرص المسلمون في أجيالهم أن يغرسوا مكانها من فسلانها كلما هرمت، فبقيت أثرا مباركا يستشفي المسلمون بتمرها، وكانت إلى مدة قريبة في بستان سلمان الفارسي رحمه الله، وقد أكلت من رطبها للتبرك قبل أكثر من عشرين سنة، قبل أن يحرقها المتطرفون بنيرانهم، ثم قلعوها وحرثوا أرضها بالماكنات! ولا يتسع المجال لتعداد أفاعيلهم في آثار النبي وآله صلى الله عليه وآله وأصحابه التي نفرت منهم العالم! لكن من عجائب هؤلاء المشايخ أن معاولهم وألسنتهم خرست أمام حصن زعيم اليهود كعب بن الأشرف العدو اللدود للنبي صلى الله عليه وآله فها هو وآثاره في المدينة سليمة معافاة! كأنهم أفتوا بوجوب المحافظة عليها؟!

ففي كتاب تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، لأحمد ياسين الخياري مع (تعليق عبيد الله محمد أمين كردي، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي، طبع دار العلم في السعودية) كتب مؤلفه / ٢٢: (بقية حصن كعب بن الأشرف بأعلى بطحان وليس بالعوالي قبل سد العوالي للصاعد إليه من العوالي، وترى آثاره على اليمين بعد حديقة البلدية بخس مأة متر تقريبا، وعليها لافتة من إدارة الآثار تمنع تغيير المعالم)! واليك ما جاء في موقع: http: / / www. al - madinah. org / arabic / ١٣٧. htm:

(فارع، حصن كعب بن الأشرف: وهو قلعة صغيرة مبنية على هضبة صخرية في المنطقة الجنوبية الشرقية للمدينة، يبلغ طول الحصن ٣٣ مترا وعرضه ٣٣ مترا، وارتفاع ما بقي من جدرانه ٤ أمتار وسمكها متر، وله باب واحد من الجهة الغربية وثمانية أبراج ضخام مبنية من حجارة ضخمة، طول بعضها ١٤٠ سم، وعرضها ٨٠ سم، وسمكها ٤٠ سم. وبوسطه رحبة واسعة مربعة تبلغ مساحتها ألف متر.

وبجوانب الحصن من الداخل ١٠ غرف، وبداخله بئر، وقد خرب هذا الحصن عندما أجلى الرسول (ص) بني النضير عن المدينة، وسمح لهم بحمل ما يستطيعون حمله من أمتعة دون السلاح. وصاحب هذا الحصن كعب بن الأشرف وهو يهودي عربي من قبيلة نبهان! أمه من بني النضير، وكان يؤلب المشركين على حرب المسلمين بشعره ويؤذي المسلمين، فأمر النبي (ص) بقتله، فذهب بعض الصحابة واحتالوا عليه وأخرجوه من حصنه ليلا، وقتلوه سنة ٢ للهجرة. للتوسع: آثار المدينة المنورة / عبد القدوس الأنصاري / ٦١). انتهى.

لاحظ قولهم: (وهو يهودي عربي من قبيلة نبهان)! فهي مقولة الحزب القرشي الذي كان يزعم أن رئيس بني قريظة عربي! ليبرروا تحالفهم معه ضد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله! فمتى سمح اليهود لعربي أن يترأس فيهم، خاصة بنو النضير أكثر اليهود تعصبا؟! قال البيهقي في سننه: ٩ / ١٨٣: (بعث رسول الله (ص) حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة، زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف فقال: ويلك أحق هذا؟! هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس يعني قتلى قريش، ثم خرج إلى مكة فجعل يبكى على قتلى قريش ويحرض على رسول الله)! وفي فتح الباري: ٧ / ٢٥٩: (باب قتل كعب بن الأشرف أي اليهودي، قال ابن إسحاق وغيره... وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر، وخرج إلى مكة فنزل على بن وداعة السهمي.... كان شاعرا وكان يهجو رسول الله (ص) ويحرض عليه.... قدم على مشركي قريش فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين... صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبي (ص) إلى الوليمة فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه، فقام فستره جبريل

بجناحه فخرج فلما فقدوه تفرقوا! فقال حينئذ: من ينتدب لقتل كعب). انتهى.
فليت مشايخهم عاملوا آثار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كما عاملوا آثار حصن اليهود! وهاهم هدموا مسجد السقيا وهو أحد المساجد السبعة المشهورة، ومسجد رد الشمس وجعلوه محل حدادة كما رأيته! وأقفلوا مسجد الغمامة، ومنعوا الزوار من الصلاة فيه، ولعل ذلك مقدمة لهدمه!
٦ - التنقيص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله بتسمية معاوية رسول الله!
روى الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٤٤، هذه القصة: (أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو: أنظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة، فإنه أعظم لكم في عينه وصغروه ما استطعتم، فلما قدموا عليه قال معاوية: لحجابه إني كأني أعرف ابن النابغة وقد صغر أمري عند القوم، فانظروا إذا دخل الوفد فتعتعوهم أشد تعتعة تقدرون عليها، فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همته نفسه بالتلف! فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط: فدخل وقد تعتع فقال: السلام عليك يا رسول الله! فتتابع القوم على ذلك! فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلموا عليه بالامارة، فسلمتم عليه بالنبوة!). انتهى. (والنهاية: ٨ / ١٤٩) وسواء كان اللعب في القصة من معاوية أو من ابن العاص أو من كليهما، فإنه يصدق عليها تعليق الحافظ محمد بن عقيل في النصائح الكافية قال في / ١٢٥: (فانظر كيف لم ينكر عليهم معاوية تسليمهم عليه بالرسالة، وأقرهم على هذا الفعل الفظيع! حبا في التعاظم واستخفافا بالرسول ومقامه! ومنه تعلم أن معاوية وعمرا لا دين لهما، كما أخبر الصادق الخبير علي عليه السلام وأنهما غادران كما شهد النبي صلى الله عليه وآله، فقد أخرج الطبراني في الكبير وابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن

العاص جميعا ففرقوا بينهما فوالله ما اجتمعا إلا على غدر)!
٧ – ألا فخمته كما فخمه الله تعالى؟!
روى ابن عساكر في تاريخه قصة المعمر اليماني مع معاوية: ٩ / ٢٢٠، عن أبي الفرج غيث بن علي الخطيب قال: (قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلا قد أتت عليه سن وقد رأى الناس يخبرنا عما رأى، فقال بعض جلسائه ذلك رجل بحضرموت! فأرسل إليه فأتي به فقال له: ما اسمك؟ قال أمد. قال: ابن من؟ قال: ابن أبد، قال: ما أتى عليك من السن؟ قال: ستون وثلاثمائة. قال: كذبت! قال: ثم إن معاوية تشاغل عنه، ثم أقبل عليه فقال: ما اسمك؟ قال أمد، قال: ابن من؟ قال: ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ثلاثمائة وستون سنة. قال: فأخبرنا عن ما رأيت من الأزمان أين زماننا هذا من ذاك؟ قال: وكيف تسأل من يكذب؟ قال: إني ما كذبتك ولكني أحببت أن أعلم كيف عقلك؟ قال قال: يوم شبيه بيوم وليلة شبيهة بليلة، يموت ميت ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض!
قال فأخبرني هل رأيت هاشما؟ قال: نعم رأيته رجلا طوالا حسن الوجه، فقال: إن بين عينيه بركة أو غرة بركة. قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيته رجلا قصيرا أعمى، يقال إن في وجهه لشرا أو شؤما!
قال: فهل رأيت محمدا؟ قال: من محمد؟ قال: رسول الله، قال: ويحك ألا فخمته كما فخمه الله فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله؟!
قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلا تاجرا. قال: فما بلغت تجارتك؟ قال: كنت لا أشتري عيبا، ولا أرد ربحا.
قال له معاوية: سلني. قال: أسألك أن تدخلني الجنة! قال: ليس ذاك بيدي ولا

أقدر عليه! قال: أسألك أن ترد علي شبابي! قال: ليس ذاك بيدي ولا أقدر عليه! قال: لا أرى بيديك شيئا من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة! قال فردني حيث جئت. قال: أما هذا فنعم! ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهدا فيما أنتم فيه راغبون. كذا جاء اسمه والله أعلم هل هو اسمه الذي سمي به أو هو اسم سمى به نفسه عند طول عمره). (وكنز الفوائد / ٢٦٠). والمرجح أن هذا المعمر سمى نفسه (أمد بن أبد) وأنه صادق ومن أولياء الله تعالى.

٨ – معاوية يجعل دوره في الوحي أساسيا كدور النبي صلى الله عليه وآله!

وهذا هو هدف معاوية النهائي من رفعه شعار (كاتب الوحي)! فقد صور لأهل الشام أن الله اختاره كاتبا للوحي شريكا للنبي صلى الله عليه وآله وأمينا على وحيه! فالنبي صلى الله عليه وآله كان لا يقرأ ولا يكتب، فلابد له من وزير أمين من أهل بيته يكتب الوحي فاختار الله معاوية وزيرا! ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله يعلم ما يكتبه معاوية، فكان هو الأمين على الوحي الذي وصل من الله تعالى بواسطته إلى الناس!

قال الواقدي: (إن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن واجتماع الناس إليه، خطب فقال: أيها الناس، إن رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال! وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب. فلعنوه! فلما كان من الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم وفيه: هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية، صاحب وحي الله الذي بعث محمدا نبيا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فاصطفى له من أهله! وزيرا كاتبا أمينا، فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه، وهو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه! فقال له الحاضرون كلهم: صدقت يا أمير المؤمنين)! (شرح

النهج: ٤ / ٧٢، وأضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبو ريه / ١٣٠، وقال: لم يكن معاوية في كتاب الوحي، ولا خط بقلمه لفظة واحدة من القرآن). انتهى.
فلاحظ كيف زين لمعاوية سوء عمله فرآه حسنا، وصور له الشيطان أن يدعي الشراكة للنبي صلى الله عليه وآله! وأنه يستطيع أن ينشر لعن علي عليه السلام ويمحوه من الإسلام!

٩ – تعظيم معاوية لنفسه بادعائه أنه كان مقربا من النبي صلى الله عليه وآله

يعمل معاوية لتحقيق خيالاته بكل طريق، فهو كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته لزياد بن أبيه: (وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثم احذره ثم احذره. والسلام). (المناقب والمثالب: ٢٠٤، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٨، وأنساب الأشراف / ١٢١٩، وشرح النهج: ٦ / ٢٨٤).

ولم يستفد زياد من هذه النصيحة، فغره معاوية وفضح أمه وألحقه بنسبه، واستخدمه في قتل عشرات الألوف، ثم طمع زياد في ولاية العهد فقتله معاوية!

وبتعبير عصرنا إن معاوية يلعب على كل الحبال ويصدق عليه مثل السياسي الذي سألوه: لماذا تلعب على حبلين؟ فأجاب: لأنه لا يوجد ثلاثة حبال! ففي الوقت الذي كان يعمل لدفن ذكر النبي صلى الله عليه وآله بالتنقيص من مقامه والتشكيك فيه، ويلعن عترته المعصومين عليهم السلام على المنابر، وينشر إدعائاته لنفسه في مقابل النبوة، زاعما أنه وأباه معدن الحق في قريش، وأنه إن كان محمد رسول الله فمعاوية خليفة الله في أرضه.. في نفس الوقت تجده يعظم نفسه بادعاء القرب من النبي صلى الله عليه وآله حتى كأنه وصيه وخليفته! وقد ثبت أنه كذب على النبي صلى الله عليه وآله بأنه مدحه في أحاديث، حيث شهد العلماء بأنها مكذوبة!

أ – بعد قتله الإمام الحسن عليه السلام أراد نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله إلى الشام!

فمنبر النبي صلى الله عليه وآله رمز العلم والتوجيه وعصاه صلى الله عليه وآله رمز الحكم والقوة، ويجب أن

تكونا لمعاوية، فيقول للناس: أنا وارث نبيكم محمدا، وأنا كاتب وحيه ومبلغه إلى الناس، وأنا وارث منبره! ففي تاريخ الطبري: ٤ / ١٧٧: (وفي هذه السنة (خمسين هجرية) أمر معاوية بمنبر رسول الله (ص) أن يحمل إلى الشام، فحرك فكسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية يومئذ، فأعظم الناس ذلك)! انتهى.
وفي النجوم الزاهرة: ١ / ١٣٨: (وفيها أراد معاوية نقل منبر النبي (ص) من المدينة وأن يحمل إلى الشام، وقال: لا يترك هو وعصا النبي (ص) بالمدينة وهم قتلة عثمان! فطلب العصا وهي عند سعد القرظ، وحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية! فأعظم الناس ذلك فتركه).
وفي شرح السيوطي لسنن النسائي: ٢ / ٥٩: (بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل المنبر إليه، فقلع فأظلمت المدينة! وفي رواية فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم! فخرج مروان فخطب فقال: إنما أمرني أمير المؤمنين أن أرفعه! فدعا نجارا وكان ثلاث درجات فزاد ست درجات، وقال: إنما زدت فيه حين كثر الناس).
(والنجوم الزاهرة: ١ / ١٣٨, والوجيز للواحدي: ١ / ١٣٠).
ومعنى هذا أن محاولته كانت بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، غير أن مصادرنا روت أنها كانت في سنة إحدى وأربعين، أي بعد الصلح مباشرة، وأنه أراد أن يجعله على شكل منبره في الشام تماما، وأنه فعل ذلك رغم الآية الربانية!
ففي الكافي: ٤ / ٥٥٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لما كان سنة إحدى وأربعين أراد معاوية الحج فأرسل نجارا وأرسل بالآلة، وكتب إلى صاحب المدينة أن يقلع منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ويجعلوه على قدر منبره بالشام! فلما نهضوا ليقلعوه انكسفت الشمس وزلزلت الأرض، فكفوا وكتبوا بذلك إلى معاوية، فكتب عليهم يعزم عليهم لما فعلوه، ففعلوا ذلك!! فمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله المدخل الذي

رأيت). انتهى. ولعلهما كانتا محاولتين، في الأولى غير المنبر بحجة تجديده فجعله مثل منبره في الشام، وفي الثانية أراد نقله.

ب – معاوية على منبر النبي صلى الله عليه وآله.. أجمل من ملكة جمال المدينة!

قال ابن قيم الجوزية في روضة المحبين / ٢٢٤: (وكانت عائشة بنت طلحة من أجمل أهل زمانها أو من أجملهم، فقال أنس بن مالك: والله ما رأيت أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله (ص)! فقالت: والله لأنا أحسن من النار في عين المقرور في الليلة القارة! ودخل عليها أنس يوما في حاجة فقال: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك فينظروا إلى جمالك! قالت: أفلا قلت لي فألبس ثيابي!). وفي العقد الفريد / ١٦٣٧: (ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك! والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله (ص)! وكان معاوية من أحسن الناس). (وتاريخ دمشق: ٦٩ / ٢٥٠ و ٢٥١، والأغاني / ٢٥٢٨، وطبائع النساء: ١ / ٥٩).

أقول: إعجب لمن شئت من هؤلاء المشاركين في هذه المنقبة!

لابن القيم الحنبلي الذي رواها في كتاب روضة المحبين بالحلال!

أو لأنس بن مالك الذي ينظر إلى ملكة جمال المدينة ويتغزل بها، ثم يأتي لها بصحابة أو غيرهم ليتفرجوا على جمالها!

أو لأبي هريرة الذي يسأل ملكة الجمال عن سبب جمالها، ويقدر أنه الغذاء!

أو لمعاوية الذي يصعد على منبر النبي صلى الله عليه وآله الذي بناه له مروان وزاده ست درجات، ويوجه الصحابيين أبا هريرة وأنسا، ليصفا للمسلمين جماله!

أو لغرض معاوية من هذا التشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وابتذال شخصيته ومنبره!

وغرض أنس وأبي هريرة من التقرب إلى معاوية، وبنت طلحة!

ج - أراد أن يثبت لأهل المدينة أنه يعتقد بالنبي صلى الله عليه وآله وليس كما يقولون! في صحيح بخاري: ١ / ٩٨ و: ٧ / ٤١: (عن عائشة أن النبي (ص) صلى في خميصة لها أعلام (ثوب صيفي فيه خطوط ملونة) فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: إذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وائتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي). (والأنبجانية: ثوب منسوب إلى موضع اسمه إنبجان، وهو ثوب شتوي من الصوف غير ملون له خمل - راجع تاج العروس، والفائق / ٢٠٥، والتمهيد: ٢٢ / ٣١٤).

وفي تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٣: (قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة أن أرسلي إلي بأنبجانية رسول الله (ص) وشعره. فأرسلت به معي أحمله حتى دخلت به عليه، فأخذ الأنبجانية فلبسها، وأخذ شعره، فدعا بماء فغسله فشربه وأفاض على جلده). (والنهاية: ٨ / ١٤٠، وسير النبلاء: ٣ / ١٤٨، وسمت النجوم / ٩٠٠).

د - وزعموا أنه مات على الإيمان وأن النبي صلى الله عليه وآله أعطاه قميصا لكفنه! في تاريخ الطبري: ٤ / ٢٤١: (أن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه: إن رسول الله كساني قميصا فرفعته، وقلم أظفاره يوما فأخذت قلامته فجعلتها في قارورة، فإذا مت فألبسوني ذلك القميص، وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها في عيني وفي في، فعسى الله أن يرحمني ببركتها). (وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣٦٩، ونحوه في فتوح ابن الأعثم: ٤ / ٣٥١، ونهاية ابن كثير: ٨ / ١٥١، والتعازي والمراثي للمبرد / ١٠٢).

أقول: لا يوجد في كلام معاوية ولا عمله ما يدل على اعتقاده بالنبي صلى الله عليه وآله والتبرك بآثاره، وأنه يأمل بشفاعته وبركته! فلابد أن تكون هذه الرواية موضوعة بعد موته! خاصة مع وجود رواية أنه مات وفي عنقه الصليب ليسكن وجعه!

* *

الفصل العاشر
دين معاوية التزوير والتحريف

نماذج من تزويرات معاوية وكذبه!
يحس من يقرأ معاوية أن شخصيته قائمة على التزوير! وقد اتضح ذلك بما عرضناه من صفاته وأقواله وأفعاله! ونورد هنا نماذج من كذبه وتزويره الصريح ليتضح لك أن التزوير منهجه ودينه، وليس حالات مفردة!
١ – ابن قائد المشركين يدعي أنه أحق بخلافة النبي صلى الله عليه وآله!
فهو ابن أبي سفيان الذي عادى النبي صلى الله عليه وآله من أول بعثته حتى آخر نفس، وقاد المشركين في حروبهم للنبي صلى الله عليه وآله إلى أن انهزم في فتح مكة، فاستسلم وخلع سلاحه وصار أسيرا للنبي صلى الله عليه وآله مع مشركي مكة! فمن عليهم النبي صلى الله عليه وآله بالحياة ولم يقتلهم، وأطلقهم ولم يعتقهم فظلوا على ملكيته!
وها هو معاوية يعمل ليحكم دولة النبي صلى الله عليه وآله! وكل مصدر حقه في خلافته ادعاؤه المطالبة بدم عثمان الأموي! مع أن مشكلة عثمان طالت شهورا وتفاقمت وطلب منه النصرة فلم يفعل! وطال حصاره أكثر من شهر واستنصره فأرسل جيشا من الشام وأمرهم أن يرابطوا قرب المدينة ولا يدخلوها وقال لقائدهم: (إذا أتيت ذا خشب (قرب المدينة) فأقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأنا الشاهد وأنت الغائب)! (تاريخ المدينة لعمر بن شبة: ٢ / ١٢٨٨). وعندما قتل المحاصرون عثمان سحب جيشه وأعلن المطالبة بدمه! وحارب بهذه الحجة الواهية إمامه الخليفة الشرعي للنبي صلى الله عليه وآله! وعندما انتصر نسي دم عثمان! وأعلن للمسلمين: (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم)!
* *

٢ - تزويره معنى قاتل عمار في حديث النبي صلى الله عليه وآله!
من الأحاديث المتواترة عند المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله مدح عمار بن ياسر رحمه الله، وأخبر بأنه ستقتله الفئة الباغية، وروى بخاري: ١ / ١٢٢ قول النبي صلى الله عليه وآله: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار).
وفي: ١١٥، و: ٣ / ٢٠٧، عن أبي سعيد الخدري قال: (كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين فمر به النبي (ص) ومسح عن رأسه الغبار وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار). وقال العجلوني في كشف الخفاء: ٢ / ٣٤٦: (متفق عليه عن أبي سعيد، ولفظ البخاري: يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار).
وفي شرح الأخبار: ١ / ٤١٠: (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله قد ملأ قلب عمار وسمعه وبصره إيمانا، لا يعرض عليه أمر حق إلا قبله، ولا أمر باطل إلا رده، تقتله الفئة الباغية، آخر زاده من الدنيا ضياح من لبن، وقاتلاه وسالباه في النار). انتهى.
وكان هذا الحديث مشهورا بين المسلمين، وكان عمرو بن العاص يرويه قبل صفين ويكرره، فطالبه ذو الكلاع أحد قادة جيش معاوية في صفين قائلا: هذا عمار مع علي عليه السلام! فأجابه بأنه سوف يترك عليا ويكون معنا! ثم أصر عليه وجمع بينه وبين عمار، وكانت بينهما مناظرة، أوردناها في المجلد الأول!
وعندما استشهد عمار رحمه الله أفحم معاوية فسارع إلى القول: نحن لم نقتله إنما قتله علي لأنه جاء به وألقاه بين سيوفنا! ففي مسند أحمد: ٤ / ١٩٩: (فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار! فقال معاوية: قد قتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله يقول: تقتله الفئة الباغية! فقال له معاوية: دحضت في بولك أو نحن قتلناه؟ إنما قتله

علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا. أو قال بين سيوفنا)!!
وفي مجمع الزوائد: ٧ / ٢٤٤: (عن عبد الله بن عمرو أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار وسلبه فقال: خليا عنه فإني سمعت رسول الله يقول: إن قاتل عمار وسالبه في النار!.... فقيل لعمرو فإنك هو ذا تقاتله؟! قال: إنما قال قاتله وسالبه!! ورجال أحمد ثقات).
وقال الجصاص في أحكام القرآن: ٣ / ٥٣١: (وقال النبي (ص) لعمار: " تقتلك الفئة الباغية " وهذا خبر مقبول من طريق التواتر حتى إن معاوية لم يقدر على جحده لما قال له عبد الله بن عمر، فقال: إنما قتله من جاء به فطرحه بين أسنتنا).
وقال المناوي في فيض القدير: ٦ / ٤٧٤: (قال القرطبي: وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحها، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من أخرجه! فأجابه علي بأن رسول الله (ص) إذن قتل حمزة حين أخرجه؟! قال ابن دحية: وهذا من علي إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها. وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الإمامة: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين، أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، لكن لا يكفرون ببغيهم).
(راجع في فضل عمار وتحريف معاوية: مسند أحمد: ٢ / ١٦٤ و ٢٠٦، و: ٣ / ٢٢، و ٩١، و: ٤ / ١٩٧، و: ٦ / ٢٨٩، والحاكم: ٢ / ١٤٩، و ١٥٥، و: ٣ / ٣٨٦، والزوائد: ٧ / ٢٤٤، و ٢٤٧. ومصنف عبد الرزاق: ١١ / ٢٤٠, وابن أبي شيبة: ٨ / ٧٢٣، وسنن النسائي: ٥ / ١٥٥، و ١٥٧، وخصائص أمير المؤمنين علي عليه السلام للنسائي / ١٣٢ بعدة أحاديث، ومسند أبي يعلى: ١١ / ٤٠٣، و: ١٢ / ٤٥٥، و: ١٣ / ١٢٣، و ٣٣١، وصحيح ابن حبان: ١٥ / ٥٥٣، وأوسط الطبراني: ٦ / ٢٤٩، و: ٨ / ٤٤، وكبير الطبراني: ١٩ / ٣٣٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠ / ٣٣٤، ومن مصادرنا: شرح الأخبار
: ١ / ٤٠٨، وأمالي الصدوق ٤٨٩).

وفي الإحتجاج: ١ / ٢٦٦ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لما قتل عمار بن ياسر رحمه الله ارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال: لماذا؟ قال: قتل عمار! فقال: قتل عمار فماذا؟ قال: أليس قال رسول الله (ص): تقتله الفئة الباغية؟! فقال معاوية: دحضت في بولك أنحن قتلناه! إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا! فاتصل ذلك بعلي عليه السلام قال: فإذن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين)!!

٣ - تزويره معنى " الفئة الباغية " في حديث النبي صلى الله عليه وآله!

قال الحافظ محمد بن عقيل في النصائح الكافية / ٣٩: (وقد حاول معاوية التملص من هذا الحديث بالاحتيال لكيلا ينتقض عليه أحد من أصحابه، حيث لم يقدر على إنكاره فقال: إنما قتله من أخرجه! فأجابه الإمام علي بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يكون قاتل حمزة حيث أخرجه لقتال المشركين! وهذا من الإفحام الذي لا جواب عنه. ثم رجع معاوية وتأوله بالطلب وقال: نحن الفئة الباغية أي الطالبة لدم عثمان. من البغاء بضم الباء الموحدة والمد، وهو الطلب!

ولا يخفى سقوط التأويلين وخطأهما، أما الأول فظاهر، وأما الثاني فإن قول الرسول صلى الله عليه وآله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، كالنص الصريح في أن الباغية من البغي المذموم المنهي عنه كما في قوله تعالى: وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، لامن البغاء الذي هو الطلب). انتهى.

وفي مقتل الشهيد عثمان للمالقي / ٢٢٤: (وقال ابن عقيل في كتاب الإرشاد: إن الباغية هي الطالبة بدم عثمان. وحكاه عن أحمد! ومنه قوله تعالى: قالوا يا أبانا ما نبغي، أي ما نطلب وقد سماهم الله مؤمنين). (راجع للتوسع: نفحات الأزهار: ٣ / ٤٥).

٤ – تزويره في قتله مالك الأشتر!
دبر معاوية قتل مالك الأشتر رحمه الله على أبواب القاهرة كما سيأتي! ولكنه استعمل الكذب والتزوير على أهل الشام، فقال لهم كما في تاريخ دمشق: ٥٦ / ٣٧٦: (يا أهل الشام إنكم منصورون ومستجاب لكم الدعاء، فادعوا الله على عدوكم! فرفع أهل الشام أيديهم يدعون عليه، فلما كانت الجمعة الأخرى خطب فقال: يا أهل الشام إن الله قد استجاب لكم وقتل عدوكم! وإن لله جنودا في العسل، فرفع أهل الشام أيديهم حامدين الله على كفايتهم إياه). (وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٩).
٥ – تزويره في قتله حجر بن عدي وأصحابه!
قال في الغدير: ٩ / ١١٩: (قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل (أي علي عليه السلام)! قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلا وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة). راجع الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢، تاريخ الطبري: ٦ / ١٤١، تاريخ ابن عساكر: ٢ / ٣٧٠، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٠٢، تاريخ ابن كثير: ٧ / ٤٩). انتهى.
وقد اعترض على معاوية الإمام الحسين عليه السلام وعائشة وعامة الصحابة والأبرار. قالت له عائشة: (يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم، إنما قتلهم من شهد عليهم!). (تاريخ الطبري: ٤ / ٢٠٨، والاستيعاب: ١ / ٣٣١، وفي طبعة ٢٣٨، والسيرة الحلبية: ٣ / ١٦٣، والروض الأنف: ٣ / ٣٦٦، وفي طبعة / ٦٤٣ وفيه: (فقال أو أنا؟! إنما قتلهم من شهد عليهم)! ونحوه: أنساب الأشراف / ١٢٦٥). وفي الطبقات: ٦ / ٢١٩ أن عائشة بعثت رسالة إلى معاوية، واعتذروا لمعاوية بأنها وصلت بعد تنفيذه الإعدام!

٦ - تزويره رسالة من قيس بن سعد!
تقدم أن قيس بن سعد بن عبادة كان قائد اثني عشر ألفا من جند الإمام الحسن عليه السلام وكان موقفه صلبا ضد معاوية، وقد تواصلت مراسلات معاوية له واشتد الكلم بينهما فكتب اليه قيس: (فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرها وأقمت فيه فرقا، وخرجت منه طوعا، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حربا لله ولرسوله، وحزبا من أحزاب المشركين، وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده. وذكرت أبي، فلعمري ما أوتر إلا قوسه، ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره، ولا يبلغ كعبه! وزعمت أني يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه). (شرح النهج: ١٦ / ٣٣ ومقاتل الطالبيين / ٤١، وأنساب الأشراف / ٧٣٨، والخرائج: ٢ / ٥٧٤: وغيرها).
فزور معاوية رسالة من قيس غش بها أهل الشام، وصفها الثقفي في الغارات فقال: ١ / ٢١٧: (لما أتى معاوية كتاب قيس بن سعد أيس منه وثقل مكانه عليه، وكان أن يكون بالمكان الذي هو به غيره أعجب إليه، واشتد على معاوية لما يعرف من بأسه ونجدته، فأظهر للناس قبله أن قيسا قد بايعكم فادعوا الله له! وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه، واختلق معاوية كتابا فقرأه على أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد، أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثا في الإسلام عظيما، وقد نظرت لنفسي وديني لم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا، ونستغفر الله لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، ألا وإني قد ألقيت إليك بالسلم وأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فعول علي فيما أحببت من الأموال والرجال أعجله إليك إن شاء الله تعالى. والسلام

عليك)! انتهى. وهي جرأة عجيبة في التزوير على شخص موجود!
ويظهر أنه كان زور رسالة عن لسان قيس عندما كان واليا لعلي عليه السلام على مصر، ففي سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٠٩: (ثم نادى معاوية: الصلاة جامعة، فخطب وقال: يا أهل الشام، إن الله ينصر خليفته المظلوم ويخذل عدوه. أبشروا هذا قيس بن سعد ناب العرب قد أبصر الأمر وعرفه على نفسه، ورجع إلى الطلب بدم
خليفتكم وكتب إلي، فأمر بالكتاب فقرئ، وقد أمر بحمل الطعام إليكم فادعوا الله لقيس وارفعوا أيديكم، فعجوا وعج معاوية ورفعوا أيديهم ساعة)!!
٧ - كذبه على الإمام الحسن عليه السلام وهو حاضر في المجلس!
كذب معاوية على الإمام الحسن عليه السلام في حضوره فزعم أنه يراه أحق منه بالخلافة! (تكلم معاوية فقال: أيها الناس، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة، رآنا للخلافة أهلا، ولم ير نفسه لها أهلا، وقد أتانا ليبايع طوعا. ثم قال: قم يا حسن! فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال... وإن معاوية بن صخر زعم أني رأيته للخلافة أهلا ولم أر نفسي لها أهلا، فكذب معاوية! وأيم الله لأنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنا لم نزل أهل البيت مخافين مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا ونزل على رقابنا وحمل الناس على أكتافنا). (أمالي الطوسي / ٥٦١).
٨ - قبوله شروط الإمام الحسن عليه السلام ثم إعلانه عدم الوفاء بها!
ومنها إعطاؤه الأماني بالأمان والرفاهية لأهل العراق في عهد الصلح، وقد حلف عليه بأغلظ الإيمان والمواثيق، ثم نكث ذلك وبطش بهم بطش جبار!
* *

٩ – نقضه لتعهده بأن لا يسب أمير المؤمنين عليه السلام!
وقد نقض تعهده والتزامه بذلك، وواصل سبه وشتمه ولعنه لعلي عليه السلام على المنابر، وتعمد الكذب والافتراء عليه، لطمس مناقبه وإطفاء نوره، وتشويه صورته! وقد أمر بذلك ولاته وشدد عليهم فيه، وأعطى الجوائز لمن لعنه وشتمه ونشر الأحاديث الموضوعة في ذمه! وكان لا يسميه إلا أبا تراب، وأشاع أنه قاتل العرب، وقاطع طريق، وأنه لا يصلي، وأنه أغضب النبي صلى الله عليه وآله حيث أراد أن يتزوج على ابنته! كما عاقب من روى شيئا من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في فضائله ومناقبه! وشن حملة إبادة على كل من عرف بالتشيع له! وحرم من بقي منهم من الحقوق المدنية، في برنامج اضطهاد وإبادة قل مثيله في التاريخ!
١٠ – كذبه على الله تعالى بنسبته أفعاله اليه!
حتى اخترع مذهب الجبرية الذي ينسب أفعاله إلى الله تعالى ويعطيه العصمة! ومذهب الإرجاء، الذي يزعم أن الإيمان الواجب قول بدون عمل! وقد تقدم.
١١ – تعظيمه لعمر ووصفه بأنه مفرق الأمة وسافك دمائها!
ومن تزويره تعظيمه الظاهر لأبي بكر وعمر وعثمان، وإهانته لأبنائهم، واضطهاد العديد منهم وقتلهم. واتهامه الصريح لعمر بأنه شق عصا الأمة وسفك دماءها. وكذا تعظيمه ظاهريا للنبي صلى الله عليه وآله، وانتقاصه وقتل عترته عليهم السلام!
١٢ – استلحاقه زيادا وجعله أخاه، ثم قتله!
مع علمه بالقاعدة الإسلامية المجمع عليها: الولد للفراش وللعاهر الحجر. لكنه قدم رغبة أبي سفيان على قول النبي صلى الله عليه وآله، وقال لعائشة (وأما زياد فإن أبي

عهد إلي فيه). (شرح الأخبار: ٢ / ١٧٢). ثم قضى بغيرها لموالي بني المغيرة، ولما اعترضوا قال: (قضاء رسول الله خير لكم من قضاء معاوية). (تاريخ الطبري: ٦ / ٣٦٥).

* *

وكذلك أقواله المتناقضة في إجبار المسلمين على البيعة لابنه يزيد! فبينما هو يقول لعائشة: (وأما يزيد فإني رأيته أحق الناس بهذا الأمر فوليته). (شرح الأخبار: ٢ / ١٧٢). وإذا به يكرر ويبكي: (ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي)! (تاريخ دمشق ٥٩ / ٦١). وسيأتي تزويره غزوة القسطنطينية لتلميع صورة يزيد!

ومن تزويراته منعه رواية السنة النبوية وكتابتها، ووضعه الأحاديث في مدح نفسه وأهل الشام! (خطب فقال: أيها الناس إن رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة....)! (شرح النهج: ٤ / ٧٢، عن الواقدي).

وكذلك تحريمه رواية الأحاديث التي تمدح أهل البيت عليهم السلام! ففي الإحتجاج: ٢ / ١٦: (ثم إن معاوية مر بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس فقال له: يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك، إلا لموجدة أني قاتلتكم بصفين؟! فلا تجد من ذلك يا ابن عباس فإن ابن عمي عثمان قد قتل مظلوما! قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما، قال: إن عمر قتله كافر. قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون. قال: فذلك أدحض لحجتك! قال: فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك! فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا.

قال: أتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟

ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت

وأهل بيتك! قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان؟!!
يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟! فإن لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف.
قال: إقرؤا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئا مما أنزل الله فيكم وارووا ما سوى ذلك!
قال: فإن الله يقول في القرآن: يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون! قال: يا ابن عباس إربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرا لا يسمعه أحد علانية! ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم!!). انتهى.

* *

هذا، ولا يتسع المجال لاستقراء كذباته وتزويراته العديدة، فلو تتبعنا منها موضوعا واحدا منها كعمله لتشويه شخصية علي عليه السلام وطمس مناقبه، وفي مقابلها اعترافه بأنه ظلمه ونازعه حقه.. لوجدنا العجائب!

* *

الفصل الحادي عشر
الذين قتلهم معاوية

شعار معاوية: أجمل ما في الحياة قتل المعارضين!
شعار معاوية المعروف: (إن لله جنودا من عسل)! قاله عندما نجح في دس السم في العسل لمالك الأشتر حاكم مصر رحمه الله. كما في المستطرف / ٣٥٢، وغيره، ونسبه بعضهم خطأ إلى صاحبه عمرو بن العاص، كما في تاريخ بخاري: ٧ / ٣١١.
لكن الشعار الأكثر تعبيرا عن نفسيته هو: (لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره)! ومعناه: لا يوجد في الدنيا حظ تفرح به، أو عمل جدي، مثل أن تقتل عدوك وتخمده في مكانه، فتزيحه من طريقك! فذلك أجمل ما في الحياة!
ففي جمهرة الأمثال: ٢ / ٣٧٦ و ٣٨٥: (لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره)! يقول: الجد ما قتل من تعاديه فاسترحت منه. والمثل لمعاوية رضي الله عنه! أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري، عن أبي زيد، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: لما أراد معاوية أن يعقد ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبر ودنا من أجله فما ترون، وقد أردتم أن أولي رجلا بعدي؟ فقالوا: عليك عبد الرحمن بن خالد فأضمرها! واشتكى عبد الرحمن فأمر ابن أثال طبيبا كان له من عظماء الروم فسقاه شربة فمات، فبلغ معاوية فقال: ما الجد إلا ما أقعص عنك من تكره. وبلغ حديثه ابن أخيه خالد بن المهاجر فورد دمشق مع مولى له يقال له نافع، فقعد لابن أثال، فلما طلع منصرفا من عند معاوية شد عليه وضربه خالد، فطلبهما معاوية فوجدهما فقال معاوية: قتلته لعنك الله قال: نعم قتل المأمور وبقي الآمر)! (وفي طبعة لجمهرة الأمثال / ٦٢٧، والمجالسة وجواهر العلم: ١ / ٣١٦ والأمثال للميداني: ١ / ٦٣٠، وفي طبعة / ٦٧١، وفي طبعة: ٢ / ٢٥٢، والمستقصى في

أمثال العرب للزمخشري / ٣٣٤، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ١ / ١٥٤: وفيه: فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأخرقته. ثم ذكر سمه للأشتر رحمه الله وللإمام الحسن عليه السلام بشئ من التفصيل. والمنمق في أخبار قريش لابن حبيب: ١ / ١٧٢، روى قصته بتفصيل وذكر أن المهاجر بن أخ خالد كان شيعيا شهد صفين مع علي عليه السلام والتذكرة الحمدونية / ١٤٩٧، وذكر قوله عندما قتل الأشتر: لله جنود من عسل. والمستطرف / ١٥٤، روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام: سمه لعبد الرحمن بن خالد ومالك الأشتر والمثلين. وتاريخ دمشق: ١٩ / ١٨٩).
وفي مجمع الأمثال: ٢ / ٢١٥: (يقال ضربه فأقعصه أي قتله مكانه. يقول: جدك الحقيقي ما دفع عنك المكروه، وهو أن تقتل عدوك دونك! قاله معاوية حين خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأخرقته، فعند ذلك قال معاوية هذا القول)!
وفي محاضرات الأدباء للراغب: ١ / ٥٣١ وفي طبعة ٤٧٢: (قال معاوية لما أتاه خبر موت أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: لا جد إلا ما أقعص عنك). انتهى.
وهذا يدل على أن لمعاوية يدا في قتل أمير المؤمنين عليه السلام ولا غرابة في ذلك، فإن عميله الأشعث بن قيس استضاف ابن ملجم نحو شهر وساعده على جريمته!
ثقافة القتل اليهودية الأموية!
بدأ التعقيد في اليهود بحالات شخصية، ثم وصل إلى حالة تعقيد اجتماعي فصارت ثقافة المجتمع أن أول ما يفكر فيه أحدهم في شأن خصمه: أن يقتله! ومن هنا نشأ تفنن اليهود في القتل وسفك الدماء، وتنويعهم لأساليب الإغتيال المباشرة وغير المباشرة! وقد وصفهم الله تعالى بأنهم قتلة الأنبياء عليهم السلام والأخيار: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون. (المائدة: ٧٠) سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق. (آل عمران: ١٨١) قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين. (البقرة: ٩١).

إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.... (آل عمران: ٢١). قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين. (الأعراف: ١٥٠).
ولو تأملت بني أمية في قريش لوجدتهم نسخة عن هؤلاء اليهود القتلة! فهم يحملون نفس التفكير المادي والنفعية، والتلذذ بقتل الخصوم بالسم وغير السم!
لذلك لا عجب إذا وجدت لهم علاقة أخوية مع اليهود، قبل الإسلام وبعده!
وأنها توطدت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله حتى صارت تحالفا! وبعد الإسلام حتى صارت خدمات متبادلة! وهذه الحقيقة الخطيرة تحتاج إلى دراسة لفعالية اليهود وبني أمية في محاولاتهم قتل النبي صلى الله عليه وآله، ثم في قتل أبي بكر بالسم، ثم دورهم الذي يقال في قتل عمر! ثم في قتل علي عليه السلام بدفع الخوارج اليه!
(راجع في سم أبي بكر: الطبقات: ٣ / ١٩٨، وتاريخ دمشق: ٣٠ / ٤٠٩، والإصابة: ٤ / ١٤٩، والرياض النضرة: ٢ / ٢٤٣، ومسائل الإمام أحمد / ٧٥، والصواعق المحرقة: ١ / ٢٥٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ٦١).
لذلك لا نستغرب إذا رأينا ثقافة القتل مركوزة في ذهن معاوية وأن قتل من يخالفه من أول ما يخطر بباله! فقد روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ٤٩، أنه جرى في دار الخلافة حديث انتقاد الصحابة والأمصار لعثمان وكان معاوية عنده: (فقال عثمان لمعاوية: ما ترى فإن هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر، ولا بد لهم مما في أنفسهم؟ فقال معاوية: الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم! قال: من؟ قال: علي وطلحة والزبير! قال عثمان: سبحان الله! أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه؟! قال معاوية: فإن لم تقتلهم فإنهم سيقتلونك! قال عثمان: لا أكون أول من خلف رسول الله في أمته بإهراق الدماء). انتهى.
أقول: لن تجد احتراما لحقوق الناس ودمائهم إلا عند النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام،

أما بنو أمية وبنو العباس وغيرهم، فالناس عندهم عبيد لهم، وإراقة دمائهم (حق شرعي) لهم ولعله أسهل عليهم من إراقة الماء!

وقد أسرف معاوية في القتل حتى انتقد نفسه! فكان يقول إنه لا يعرف لماذا قتل الصحابي القائد في الفتوحات حجر بن عدي رحمه الله وأصحابه الستة بشكل فجيع: (ما قتلت أحدا إلا وأنا أعلم فيم قتلته إلا حجر بن عدي)! (فيض القدير: ٤ / ١٦٦).

ويصف النص التالي تفكير زياد بن أبيه الدموي، ولعل ذلك أحسن ما أعجب معاوية فيه فجعله أخاه! ففي تاريخ دمشق: ١٩ / ١٧١: عن (الهجيع بن قيس قال: كتب زياد إلى الحسن والحسين وعبد الله بن عباس يعتذر إليهم في شأن حجر وأصحابه، فأما الحسن فقرأ كتابه وسكت، وأما الحسين فأخذ كتابه ولم يقرأه (بل مزقه كما في مختصر ابن منظور)، وأما ابن عباس فقرأ كتابه وجعل يقول كذب كذب، ثم أنشأ يحدث قال: إني لما كنت بالبصرة كبر الناس بي تكبيرة ثم كبروا الثانية ثم كبروا الثالثة، فدخل علي زياد فقال: هل أنت مطيعي يستقم لك الناس؟ فقلت: ماذا؟ قال: أرسل إلى فلان وفلان وفلان، ناس من الأشراف تضرب أعناقهم يستقم لك الناس! فعلمت أنه إنما صنع بحجر وأصحابه مثل ما أشار به علي)!! انتهى.

وقد كان زياد كاتبا عند ابن عباس ثم حاكم البصرة وإيران من قبل علي عليه السلام، ومعنى كبر الناس أنهم صاحوا بشعار الخوارج ضد علي عليه السلام، وكان شعارهم (لاحكم إلا لله الله أكبر) لأنهم قالوا إنهم وعليا عليه السلام كفروا بتحكيم حكمين ويجب أن يتوب علي عليه السلام من التحكيم ويقاتل معاوية!

فأشار زياد على ابن عباس أن يرسل شرطته فيحضر رؤساءهم ويقتلهم ليسكت الباقون ويطيعوه! يقول ابن عباس هذا تفكير زياد! فهو من النوع الذي يفكر أول ما يفكر بقتل معارضيه! وهذا هو نفس تفكير معاوية!

كم عدد الذين قتلهم معاوية؟!
كان معاوية حاكم الشام لمدة عشرين سنة، ثم تسلط على الأمة عشرين سنة! فكم عدد الذين قتلهم في الأربعين سنة؟! وكم عدد الذين لم يصلنا خبرهم؟!
١ - بلغ عددهم في حرب صفين وحدها أكثر من سبعين ألفا!
منهم نحو خمسين ألفا من جيشه، ونحو خمس وعشرين ألفا من جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وفيهم أكثر من مئة من الصحابة، منهم خمس وعشرون بدريا.
وقد صرح معاوية عن هدفه من قتاله بقوله: (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون! ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشئ منها له)! قال الأعمش رحمه الله: (هل رأيتم رجلا أقل حياء منه؟ قتل سبعين ألفا فيهم عمار، وخزيمة، وحجر، وعمرو بن الحمق، ومحمد بن أبي بكر، والأشتر، وأويس، وابن صوحان، وابن التيهان وعائشة، وأبي حسان، ثم يقول هذا؟!!) (الصراط المستقيم: ٣ / ٤٧).
٢ - ثلاثين ألفا في غارة بسر بن أرطاة على الحرمين واليمن!
أفظع غارات معاوية على بلاد المسلمين في عهد أمير المؤمنين عليه السلام غارة بسر بن أرطاة على المدينة ومكة واليمن، وقد تقدم أن معاوية قال له: (سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها، وأخف من مررت به، وأنهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم، وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي

صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم! فخرج بسر، فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية حتى قدم المدينة). (تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٧).
ومن فظائعه في هذه الغارة أنه سبى النساء المسلمات! ففي الإستيعاب: ١ / ١٦١: (ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق)! أي باعوهن! (والإكمال للخطيب / ٢٨، ونهاية الإرب / ٤٤١٩).
وفي الغارات للثقفي / ٦٤٠: أن بسرا قال لمعاوية بعد عودته من مهمته الإجرامية: (أحمد الله يا أمير المؤمنين أني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جائيا، لم ينكب رجل منهم نكبة، فقال معاوية: الله قد فعل ذلك لا أنت! وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا، وحرق قوما بالنار! فقال يزيد ابن مفرغ:

تعلق من أسماء ما قد تعلقا * ومثل الذي لاقى من الشوق أرقا
إلى حيث سار المرء بسر بجيشه * فقتل بسر ما استطاع وحرقا

ثم ذكر الثقفي أن عليا عليه السلام دعا على بسر بن أبي أرطاة فقال: (اللهم إن بسرا باع دينه بدنياه وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك! اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله! اللهم العن معاوية وعمرا وبسرا أما يخاف هؤلاء المعاد؟! فاختلط بسر بعد ذلك فكان يهذي ويدعو بالسيف، فاتخذ له سيف من خشب، فإذا دعا بالسيف أعطي السيف الخشب فيضرب به حتى يغشى عليه، فإذا أفاق طلبه فيدفع إليه، فيصنع به مثل ذلك! حتى مات لا رحمه الله)! انتهى.
٣ – قتل الألوف المؤلفة من أولياء الله، وزعماء العرب وشخصياتهم!
وقد استعمل أساليب القتل العلني والسري، المباشر وغير المباشر، بالسيف والسم، ووسائل أخرى، وشملت أوامره بالقتل والتنكيل الأصناف التالية:
الذين لا يبايعونه، أو يبايعونه ولا يشهدون أنه أمير المؤمنين.

الذين يتصور أنهم قد يثورون عليه.
الذين لا يرضون أن يتبرؤوا من علي عليه السلام ويسبوه علنا، حتى لو بايعوا معاوية.
الذين ارتبطت أسماؤهم بعلي عليه السلام ارتباطا جعلهم جزءا منه.
الذين بارزوا فرسانا في حرب صفين وقتلوهم، أو كان لهم مواقف مميزة فيها.
الذين كان يشعر تجاههم بحقد خاص، يدفعه إلى قتلهم على أي حال.
الذين يلتفون حول أولاد علي عليهم السلام ولا يقطعون ارتباطهم بهم.
الذين يعترضون على ولاته، ويعكرون خضوع الأمة له.
الذين عارضوا أو يمكن أن يعارضوا توليته لابنه يزيد.
الذين يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أو غيره شيئا في فضائل علي عليه السلام.
الذين يروون شيئا في الطعن بأبي سفيان أو معاوية أو عثمان أو أبي بكر أو عمر.
وإذا أردنا أن نقدر عدد من قتلهم من هذه الأصناف وأخذنا نموذجا سمرة بن جندب واليه على البصرة، وزياد بن أبيه في الكوفة، فربما وصل العدد إلى مليون مسلم! لأن سمرة قتل في البصرة في ستة أشهر فقط ثمانية آلاف وأكثر!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٧٦: (حدثني محمد بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحدا؟ قال وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب؟!
استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحدا بريئا؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت! أو كما قال!... عن أبي سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلا، قد جمع القرآن!). انتهى.
وكان غياب زياد ستة أشهر، ففي أنساب الأشراف للبلاذري / ١٢٣٠: (وكان يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة ستة أشهر، وكان سمرة يحدث أحداثا عظيمة من

قتل الناس وظلمهم.... كنت واقفا على رأس سمرة بن جندب فقدم إليه بضعة عشر رجلا، فكان يسأل الرجل منهم ما دينك؟ فيقول الإسلام ديني، ومحمد نبيي! فيقول: قدماه فاضربا عنقه، فإن يك صادقا فهو خير له!!

أقبل سمرة من المربد فخرج رجل من بعض الأزقة فتلقى الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة، ثم مضت الخيل، ومر به سمرة وهو يتشحط في دمائه، فقال: ما هذا؟ فقيل: رجل أصابته أوائل خيل الأمير، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا)! (وكامل ابن الأثير: ٣ / ٣١٨، والعسكري في الأوائل ١٧٠، ونهاية الإرب / ٤٤٥١، وابن خلدون: ٣ / ١٠).

أقول: ويعلم الله كم قتل سمرة قبل أن يعزله معاوية عن ولاية البصرة، ويصير بعد سنة نائبا لزياد في غيابه! فقد قال سمرة لما عزله معاوية: (لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذبني أبدا)! (تاريخ الطبري: ٤ / ٢١٧).

وسمرة هذا، هو الذي حكم عليه النبي صلى الله عليه وآله بأنه مضار مؤذ! ففي من لا يحضره الفقيه: ٣ / ١٠٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (كان لسمرة بن جندب نخلة في حائط بني فلان، فكان إذا جاء إلى نخلته نظر إلى شئ من أهل الرجل يكرهه الرجل، قال فذهب الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكاه فقال: يا رسول الله إن سمرة يدخل علي بغير إذني، فلو أرسلت إليه فأمرته أن يستأذن حتى تأخذ أهلي حذرها منه! فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه فقال: يا سمرة ما شأن فلان يشكوك ويقول: يدخل بغير إذني فترى من أهله ما يكره ذلك، يا سمرة استأذن إذا أنت دخلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يسرك أن يكون لك عذق في الجنة بنخلتك؟ قال: لا، قال: لك ثلاثة؟ قال: لا، قال: ما أراك يا سمرة إلا مضارا، إذهب يا فلان فاقطعها واضرب بها وجهه). ورواه في الكافي: ٥ / ٢٩٢، وفيه: (إن أردت الدخول

فاستأذن، فأبى! فلما أبى ساومه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى أن يبيع! فقال: لك بها عذق يمد لك في الجنة، فأبى أن يقبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصاري: إذهب فاقلعها وارم بها إليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار). انتهى.
وسمرة هذا هو (الصحابي) الذي اشترى معاوية دينه بأربع مئة ألف درهم ليكذب له على الله ورسوله صلى الله عليه وآله ويطعن في علي عليه السلام: (قال أبو جعفر الإسكافي: وروي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله. فلم يقبل، فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل أربعمائة فقبل، وروى ذلك!
وقال: إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، فاختلقوا ما أرضاه! منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير). (شرح النهج: ٤ / ٧٣، والغارات: ٢ / ٨٤٠).
* *
أما عدد قتلى زياد في الكوفة فهم أكثر من قتلى سمرة! ففي الإحتجاج: ٢ / ١٧: (وكتب زياد بن أبيه إليه في حق الحضرميين: إنهم على دين علي وعلى رأيه! فكتب إليه معاوية: أقتل كل من كان على دين علي ورأيه! فقتلهم ومثل بهم! وكتب كتابا آخر: أنظروا من قبلكم من شيعة علي واتهموه بحبه فاقتلوه. وإن لم تقم عليه البينة فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة! فقتلوهم تحت كل حجر حتى لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه، حتى لو كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرم ويعظم ولا يتعرض له بمكروه، والرجل من الشيعة لا

يأمن على نفسه في بلد من البلدان، لا سيما الكوفة والبصرة، حتى لو أن أحدا منهم أراد أن يلقي سرا إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه، فلا يحدثه إلا بعد أن يأخذ عليهم الإيمان المغلظة ليكتمن عليه، ثم لا يزداد الأمر إلا شدة حتى كثر وظهرت أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليه الصبيان يتعلمون ذلك).

وقال محمد بن حبيب البغدادي في المحبر / ٤٧٩: (وصلب زياد بن أبيه مسلم بن زيمر، وعبد الله بن نجي الحضرميين على أبوابهما أياما بالكوفة، وكانا شيعيين وذلك بأمر معاوية! وقد عدهما (أي اعترض بسببهما) الحسين بن علي رضي الله عنهما على معاوية، في كتابه إليه: ألست صاحب حجر والحضرميين اللذين كتب إليك ابن سمية إنهما على دين علي ورأيه، فكتبت إليه: من كان على دين على ورأيه فاقتله ومثل به فقتلهما ومثل بأمرك بهما؟ ودين علي وابن عم علي الذي كان يضرب عليه أباك ويضربه عليه أبوك، أجلسك مجلسك الذي أنت فيه! ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا من الله عليك بوضعهما عنكم.... في كتاب طويل يوبخه فيه بادعائه زيادا، وتوليته إياه العراقين). انتهى.

* *

النوعية في قتلى معاوية أخطر من الكمية!
ما دام أحد قتلى معاوية الإمام الحسن عليه السلام، سبط النبي صلى الله عليه وآله وحبيبه، وسيد شباب أهل الجنة، فكل الدنيا لا تعدله!
وقد كان معاوية يرى أن وجود الإمام الحسن والحسين عليهما السلام على قيد الحياة يشكل تهديدا لخلافته، كما يشكل عقبة أمام أخذ البيعة بعده لابنه يزيد، فقد شرط على نفسه في عقد الصلح أن تكون الخلافة بعده للإمام الحسن عليه السلام! والأمة مهما خضعت لبني أمية بسبب كفاءته ودهائه، لا تعدل بابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام يزيدا أو أي شخص من بني أمية! فلا يؤمن إذن أن تحدث في المدينة أو الكوفة أو مصر حركة ضد بني أمية كما في زمن عثمان، ويهتف المسلمون باسم الحسنين كما هتفوا باسم أبيهما من قبل!
والخطر الثاني في رأي معاوية أبناء الخلفاء السابقين، الذين يطمحون للخلافة، وهم: عبد الرحمن بن أبي بكر وتسانده أخته عائشة، وعبد الله بن عمر وتسانده أخته حفصة، وسعيد بن عثمان، ويسانده آل العاص من بني أمية! وعبد الله بن الزبير وتسانده أيضا خالته عائشة. وقبل الجميع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد صاحب الشعبية القوية في الشام! فبدأ بهذا وقتلهم جميعا!
والخطر الثالث، من بقي من أعضاء الشورى، فهؤلاء برأيه عينهم عمر أعضاء في شورى شكلية لإرجاع الأمر إلى بني أمية، ففتح شهيتهم على الخلافة، وقد بقي منهم سعد بن أبي وقاص، فقتله بالسم بعد قتله الإمام الحسن عليه السلام بأيام!
إن كل واحد من هؤلاء مشكلة برأيه أمام حفظ الأمبراطورية الأموية! فلا بد من العمل والعلاج، و (لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره)!

قال ابن الأثير في الكامل: ٣ / ٣٥٣: (ثم دخل (معاوية) على عائشة وقد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا (ليزيد) فشكاهم إليها فوعظته)!
وقد قام معاوية بقتل هؤلاء جميعا وأضعافهم معهم، بعضهم نص المؤرخون والمحدثون على أنه قتله أو سمه، وبعضهم دلت عليه الأدلة أو المؤشرات.
* *

١ - قتله الصحابي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد!
ما أن تسلط معاوية على الأمة حتى بدأ بالتمهيد لأخذ البيعة لابنه يزيد، وكان يزيد دون العشرين من عمره، معروفا بالتهتك وعدم الكفاءة! لكن معاوية كان مصرا على استخلافه مهما كان الثمن! وكان شرسا فيه لا يسمع لنصيحة أحد!
رووا أنه بدأ في طرح مشروعه سنة خمس وأربعين هجرية وربما قبلها، واتفق المؤرخون والمحدثون على أنه: (لما أراد معاوية أن يعقد ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبر ودنا من أجله فما ترون، وقد أردتم أن أولي رجلا بعدي؟ فقالوا: عليك عبد الرحمن بن خالد فأضمرها! واشتكى عبد الرحمن فأمر ابن أثال طبيبا كان له من عظماء الروم، فسقاه شربة فمات). (الأوائل للعسكري / ١٣٢، وأنساب الأشراف / ١١٦٤، وتقدم من جمهرة الأمثال: ٢ / ٣٧٦ وغيره).
وقال في تاريخ دمشق: ١٦ / ١٦٣: (فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص! فلما قدم عبد الرحمن حمص منصرفا من بلاد الروم، دس ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها، فمات بحمص، فوفى معاوية بما ضمن له، وولاه خراج حمص ووضع عنه خراجه). انتهى.
وقال ابن حبيب في المنمق / ٣٦٠: (فقال حين بلغه موته: لا جد إلا من أقعص

عنك من تكره، فبلغ ابن أخيه خالد بن مهاجر بن خالد بن الوليد الخبر، فقال لمولى له يقال له نافع وكان روميا، وكان من أشد الناس قلبا، وخالد بن المهاجر يومئذ بمكة، وكان سئ الرأي في عمه عبد الرحمن، وذلك أن المهاجر كان مع علي كرم الله وجهه فقتل يوم صفين، وكان خالد بن المهاجر مع بني هاشم في الشعب زمن ابن الزبير، فقال لمولاه نافع: انطلق معي، فخرجا حتى أتيا دمشق ليلا وسألا عن أبن أثال، فقيل هو عند معاوية، وإنما يخرج في جوف الليل، فجلسا له حتى خرج في جماعة، فشد خالد فانفرجوا عنه فضربه بالسيف فقتله، وانصرفا فاستخفيا، فلما أصبح معاوية قصوا عليه القصة فقال: هذا والله خالد بن المهاجر! وأمر بطلبه فطلبوه حتى وجدوه هو ونافع، فلما أدخل على معاوية قال: أقتلته لا جزاك الله من زائر خيرا! فقال خالد: قتل المأمور وبقي الآمر! فقال معاوية: والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك (أي لو كان مسلما لقتلتك به)! فقال خالد: أما والله لو كنا على السواء! فقال معاوية: أما والله! لو كنا على السواء كنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وكنت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة، وكانت داري بين المأزمين ينشق عنها الوادي، وكانت دارك بأجياد أسفلها حجر وأعلاها مدر! وأمر بنافع فضرب مائة سوط ولم يضرب خالدا، ثم أمر بهما فأخرجا من دمشق وقضى في ابن أثال باثني عشر ألفا فودتها بنو مخزوم، فأخذ معاوية منها ستة آلاف فأدخلها بيت المال).

(ونحوه في الإستيعاب: ٢ / ٣٩٦، وأسد الغابة: ٣ / ٢٨٩، والأوائل للعسكري / ١٣٢، والأغاني / ٣٦٣٤، وخزانة الأدب / ٤٥٧، والفرج بعد الشدة / ٤٦١, ونهاية الإرب / ٤٤٦٥، والغدير: ١٠ / ٢٣٣. وابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء / ١٥٢، وأورد له ست أبيات قالها في السجن مخطوءة، وكذلك أوردها في الأغاني / ٣٦٣٦، وفي خزانة الأدب ٤٥٧، وصحيحها في أعيان الشيعة للسيد الأمين: ٦ / ٢٩٩).

وفي تاريخ دمشق: ١٦ / ٢١٥: (وذكر الواقدي أن خالدا قتل ابن أثال بدمشق وأن

معاوية ضربه مئتين سوطا وحبسه وأغرمه ديتين ألفي دينار، فألقى ألفا في بيت المال وأعطى ورثة ابن أثال ألفا، ولم يخرج خالد بن المهاجر من الحبس حتى مات معاوية). ويفهم من الأخبار الطوال / ١٧٢، أن المهاجر قتل ابن أثال في حمص كما أن عفو معاوية عنه وإطلاقه من السجن لابد أن يكون بضغط بني مخزوم!

وهكذا أقعص معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ولم يشفع له أنه كان القائد العام لقواته في صفين، وأنه عرض نفسه لسيف علي عليه السلام! (ودفع اللواء الأعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد). (الأخبار الطوال / ١٧٢)!

ولا شفع له أنه كان أول الداعين إلى بيعته بالخلافة: (فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين فبايع له أهل الشام). (أنساب الأشراف / ٤٨٩).

ولا شفعت لعبد الرحمن شيطنته يوم التحكيم في دومة الجندل لمساعدة ابن العاص! (قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: حضرت الحكومة، فلما كان يوم الفصل جاء عبد الله بن عباس فقعد إلى جانب ابن أبي موسى وقد نشر أذنيه، حتى كاد أن ينطق بهما، فعلمت أن الأمر لا يتم لنا ما دام هناك، وأنه سيفسد على عمرو حيلته، فأعملت المكيدة في أمره، فجئت حتى قعدت عنده، وقد شرع عمرو وأبو موسى في الكلام، فكلمت ابن عباس كلمة استطعمته جوابها فلم يجب، فكلمته أخرى فلم يجب، فكلمته ثالثه، فقال: إني لفي شغل عن حوارك الآن، فجبهته وقلت: يا بني هاشم، لا تتركون بأوكم وكبركم أبدا! أما والله لولا مكان النبوة لكان لي ولك شأن قال: فحمى وغضب واضطرب فكره ورأيه وأسمعني كلاما يسوء سماعه فأعرضت عنه، وقمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص، فقلت: قد كفيتك التقوالة، إني قد شغلت باله بما دار بيني

وبينه، فأحكم أنت أمرك، قال: فذهل والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين، حتى قام أبو موسى، فخلع عليا). (شرح النهج: ٢ / ٢٦١).

* *

٢ - قتله الصحابي عبد الرحمن بن أبي بكر!

قال بخاري: ٦ / ٤٢: (كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا! فقال: خذوه! فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: والذي قال لوالديه أف لكما أتعداننني فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري).

وقال ابن حجر في شرحه: ٨ / ٤٤٢: (قال بعض الشراح: وقد اختصره فأفسده! والذي في رواية الإسماعيلي فقال عبد الرحمن: ما هي إلا هرقلية!... فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر! ولابن المنذر من هذا الوجه: أجئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم؟!.... قوله: فقال خذوه! فدخل بيت عائشة فلم يقدروا: أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظاما لعائشة. وفي رواية أبي يعلي: فنزل مروان عن المنبر حتى أتى باب عائشة، فجعل يكلمها وتكلمه ثم انصرف!.... في رواية أبي يعلى: فقال مروان: أسكت، ألست الذي قال الله فيه، فذكر الآية، فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعنه رسول الله؟!... فقالت عائشة: كذب والله ما نزلت فيه.... ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه)! انتهى.

وقد اختصر ابن حجر وغيره الرواية أيضا وأفسدوها كما فعل بخاري! فهي حدث صارخ يكشف موقف أولاد أبي بكر من معاوية، وموقفه منهم!

ففي سنن النسائي: ٦ / ٤٥٩ أن عائشة قالت لمروان: (فمروان فضض من لعنة الله)! وقد روت تعبير عائشة هذا عامة مصادرهم!

وفي تاريخ ابن خياط / ١٦٠ وفي طبعة / ١٠٩: (عن الزهري عن ذكوان مولى عائشة قال: لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد، حج فقدم مكة في نحو من ألف رجل، فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر! فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد فقال: من أحق بهذا الأمر منه؟!! ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافه ودخل منزله فبعث إلى ابن عمر... وذكر ابن خياط تهديد معاوية له وخوفه.. ثم قال: (وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فتشهد وأخذ في الكلام، فقطع عليه كلامه فقال: إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل! والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنعيدنها عليك جذعة! (أي نقاتلك) ثم وثب فقام! فقال معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رسلك أيها الرجل، لا تشرفن بأهل الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبرهم العشية أنك قد بايعت! ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك)! (والعواصم من القواصم / ٢٢٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١ / ١٥٤).

ومعنى قول معاوية: (لا تشرفن بأهل الشام.. الخ.) إحذر أن يراك أهل الشام الذين هم متعصبون لي فيقتلوك! وسأسكتهم عنك مساء، وأقول لهم إنه بايع!

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٢٢٥: (بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عباس. فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي فقال: يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم! يا ابن أخي فما إربك إلى الخلاف؟

قال: أنا أقودهم؟! قال: نعم أنت تقودهم؟! قال فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلا منهم، وإلا لم تكن عجلت علي بأمر...! ثم أرسل بعده إلى ابن عمر فكلمه بكلام هو ألين من كلام صاحبه فقال: إني أرهب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها! وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم!.... فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: يا ابن أبي بكر بأية يد أو رجل تقدم على معصيتي! قال: أرجو أن يكون ذلك خيرا لي! فقال: والله لقد هممت أن أقتلك! قال: لو فعلت لأتبعك الله به لعنة في الدنيا وأدخلك به في الآخرة النار).

وفي تاريخ بخاري: ١ / ١٢٩: (أن معاوية قدم المدينة حين أخبر أن ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير خرجوا عائذين بالكعبة من بيعة يزيد! فلم يلبث ابن أبي بكر إلا يسيرا حتى توفي، بعدما خرج معاوية من المدينة)!!

وفي أسد الغابة: ٣ / ٣٠٦: (وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان اسمه حبشي! على نحو عشرة أميال من مكة). انتهى!

والذي يفهم هذا الكلام وإشارات عائشة، يعرف أن معاوية قتله!

* *

٣ - هل قتل معاوية عائشة بنت أبي بكر؟!

توالت المصائب على عائشة من معاوية، وكانت أول مصيبة قتله أخاها محمد بن أبي بكر رحمه الله الذي كان حاكم مصر من قبل علي عليه السلام. وكانت عائشة إلى آخر حرب الجمل تبغض أخاها محمدا رحمه الله لتشيعه، لكن عليا عليه السلام أجبرها على أن تحبه! فبعد هزيمتها في الحرب أمره أن يأخذها إلى أحسن بيت في البصرة، ويتحمل سبها وشتمها وهمزها ولمزها، ويخدمها ويوسع عليها، ولا يمنعها إذا

أرادت تجميع الفارين والجرحى من أصحابها!
ثم أمره أن يرافقها ويوصلها المدينة، وكانت لها قصص طريفة مع محمد رحمه الله وقد استطاع أن يستوعب توترها، ويهدئ من غلوائها! فوجدت عائشة فيه أخا وفيا خدوما يتحمل منها، رغم أنه يوالي عدوها ويتبرأ منها ومن خطها العقائدي والسياسي! ولذلك جزعت عليه عندما جاءها خبر قتله وأخذت تدعو على معاوية وابن العاص! قال الثقفي في الغارات: ١ / ٢٨٥: (فلما بلغ ذلك عائشة أم المؤمنين جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج! وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها).
ثم وروى الثقفي عن أسماء بنت عميس أم محمد بن أبي بكر أن عائشة: (لما أتاها نعي محمد بن أبي بكر وما صنع به، كظمت حزنها، وقامت إلى مسجدها، حتى تشخبت دما). انتهى. وفي رواية تشخب ثدياها دما، وقد يفسر ذلك إن صحت روايته بارتفاع ضغط الجسم من الحزن!
وقد زاد في ارتفاع ضغط عائشة أن ضرتها رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة أم المؤمنين) اخترعت للتعبير عن فرحتها بقتل معاوية معاوية لأخ ضرتها محمد بن أبي بكر بأسلوب عامي أموي خشن! (لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شوي أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت)! (الغارات: ٢ / ٧٥٧، وحياة الحيوان للدميري: ١ / ٤٠٤). (حلفت عائشة لا تأكل شواء أبدا فما أكلت شواءا بعد مقتل محمد (سنة ٣٨) حتى لحقت بالله (سنة ٥٧) وما عثرت قط إلا قالت:
تعس معاوية بن

أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج). (الغارات: ١ / ٢٨٧، وأنساب الأشراف / ٤٠٣).
وفي سير الذهبي: ٢ / ١٨٦: (إن معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولى عائشة فقالت لمعاوية: أأمنت أن أخبئ لك رجلا يقتلك بأخي محمد؟! قال: صدقت! وفي رواية أخرى قال لها: ما كنت لتفعلي). (ونحوه في الطبري: ٤ / ٢٠٥، والاستيعاب: ١ / ٢٣٨، وشرح الأخبار: ٢ / ١٧١). والصحيح أن معاوية لا يخاف منها لأن معه جيشه من الشام، ولأنه يرضيها والمال! بل عليها هي أن تحذر منه!
قال أحمد في مسنده: ٤ / ٩٢: (فقالت له: أما خفت أن أقعد لك رجلا فيقتلك؟ فقال: ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان، وقد سمعت النبي (ص) يقول: الإيمان قيد الفتك. كيف أنا في الذي بيني وبينك، حوائجك؟ قالت: صالح. قال: فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا). (والطبراني في المعجم الكبير: ١٩ / ٣١٩). وقد روت المصادر عطاءات معاوية المليونية لعائشة! لكنها كانت تعيش في جو المدينة وكله ضد معاوية وبني أمية، وحولها أصحاب مشاريع للخلافة، وهي نفسها صاحبة ثلاثة مشاريع: لأخيها عبد الرحمن، ولابن أختها ابن الزبير، ولابن عمها موسى بن طلحة الذي ادعى له آل تيم أنه المهدي الموعود! (تاريخ دمشق: ٦٠ / ٤٣١).
لذلك روت المصادر استنكارها لتسمية معاوية نفسه أمير المؤمنين وخليفة، ثم معارضتها لأخذه البيعة لابنه يزيد، ووقفت بقوة إلى جانب أخيها عبد الرحمن!
ففي كامل ابن الأثير: ٣ / ٣٥١: (فقام مروان فيهم (في المسجد النبوي) وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية! ما الخير أردتما لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل! فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: والذي قال لوالديه أف لكما.. الآية، فسمعت عائشة

مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: يا مروان يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن! كذبت والله ما هو ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله)! انتهى.
وبهذا فتحت عائشة الحرب على مصراعيها مع معاوية، بعد سنوات المداراة! وصدرت عنها فيه أقوال شديدة، لم ينقل التاريخ إلا يسيرا منها!
قال البلاذري في أنساب الأشراف / ١١٥٩: (عن الهيثم بن عدي قال: دخل الحسن بن علي عليه السلام على معاوية، فلما أخذ مجلسه قال معاوية: عجبا لعائشة تزعم أني في غير ما أنا أهله، وأن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق، ما لها ولهذا يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبوك، وقد استأثر الله به).
وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٢٥٠: (عن الأسود قال قلت لعائشة: إن رجلا من الطلقاء يبايع له يعني معاوية! قالت: يا بني لا تعجب هو ملك الله يؤتيه من يشاء)! انتهى. ولم تقل خلافة، بل روي أنها شبهته بفرعون فقالت: (لا تعجب فإن فرعون قد ملك بني إسرائيل أربعمائة سنة والملك لله يعطيه البر والفاجر). (شرح الأخبار: ٢ / ١٥٩).
* *

ولم تفصح مصادر الخلافة كيف توفيت عائشة، لكن المؤشرات ورواية الأعمش وغيرها، تذكر أن معاوية قتلها بعد قتل أخيها عبد الرحمن!
فقد نقل في الصراط المستقيم: ٣ / ٤٧، تعليق الأعمش على قول معاوية: (ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون! ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشئ منها له!
قال الأعمش رحمه الله: (هل رأيتم رجلا أقل حياء منه؟ قتل سبعين ألفا فيهم عمار، وخزيمة، وحجر، وعمرو بن الحمق، ومحمد بن أبي بكر، والأشتر، وأويس،

وابن صوحان، وابن التيهان وعائشة، وأبي حسان، ثم يقول هذا؟!). انتهى. فهذا تصريح من الأعمش بأن معاوية قتل عائشة!

وقال الحاكم: ٣ / ٧٦، إنها قالت عند موتها: (الحمد لله الذي يحيي ويميت. إن في هذه لعبرة لي في عبد الرحمن بن أبي بكر! رقد في مقيل له قاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات! فدخل نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شر، أو عجل عليه فدفن وهو حي! فرأت أنه عبرة لها). (وشعب الإيمان: ٧ / ٢٥٦، وتاريخ دمشق: ٣٥ / ٣٨). وهذا يعطي ضوءا على ظروف سم عبد الرحمن وظروف موت عائشة!

قال البياضي العاملي في الصراط المستقيم: ٣ / ٦٣٠، ونحوه في: ٣ / ٤٥: (وقال صاحب المصالت: كان (معاوية) على المنبر يأخذ البيعة ليزيد (في المدينة) فقالت عائشة: هل استدعى الشيوخ لبنيهم البيعة؟ قال: لا. قالت: فبمن تقتدي؟ فخجل، وهيأ لها حفرة فوقعت فيها وماتت). انتهى. ومعنى خجل معاوية أنه أفحم!

على أن معاوية لا يحتاج لأن يحفر لها حفرة ويغطيها لتسقط فيها، إلا أن يكون ذلك مساعدا لمجموعته المتخصصة في السم، بإدارة طبيب يهودي!

كما لا نستبعد نقمة مروان الذي اصطدم بها وبأخيها عبد الرحمن بشدة وهددته بقولها: (يا مروان أفينا تتأول القرآن وإلينا تسوق اللعن! والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاما تود أني لم أقمه)! (الأغاني: ١٧ / ٣٧٥). لكن عائشة ماتت قبل أن تقف وتخطب يوم الجمعة، كما مات أبي بن كعب يوم الأربعاء قبل أن يقوم يوم الجمعة ويفضح أهل الصحيفة والعقدة!

وفي الطبقات: ٨ / ٧٨: (أن عبد الله بن الزبير دفن عائشة ليلا، قال محمد بن عمر: توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت من ليلتها بعد الوتر، وهي يومئذ بنت ست وستين سنة... حمل معها جريد

ألقوا عليها الخرق وغمسوها في زيت، وأشعلوا فيها نارا فحملوها معها). انتهى.
وإنما فعل ذلك ابن الزبير لأن والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ابن أخ معاوية، كان مسافرا (تاريخ خليفة بن خياط / ١٧٠) فأسرع في دفنها قبل أن يرجع الوليد فيصلي عليها، ويستفيد من جنازتها لمعاوية!
بل لعل معاوية نفسه كان في المدينة وكان ذلك اليوم خارجها! فقد رووا أنه استنكر على ابن عمر بكاءه عليها! كما في وفيات الأعيان: ٣ / ١٦، ونسخة نبيط / ٤: (ولما ماتت بكى عليها ابن عمر فبلغ ذلك معاوية فقال له: أتبكي على امرأة؟ فقال: إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها، وأما من ليس لها بابن فلا). انتهى. يقول له معاوية، وما عائشة حتى تبكي عليها؟! فيجيبه إنك يا معاوية من المنافقين، ولست من المؤمنين لتبكي عليها! ومهما يكن، فالمتفق عليه عند الجميع أن عائشة ماتت وهي مغاضبة لمعاوية وليس لها إمام!
٤ - قتله الصحابي سعد بن أبي وقاص!
في فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٩٨٨: (دخل سعد بن مالك (وهو أبو وقاص) على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك! فقال معاوية: أو غير ذلك؟ أنتم المؤمنون وأنا أميركم! فقال سعد: نعم إن كنا أمرناك! فقال معاوية: لا يبلغني أن أحدا زعم أن سعدا ليس من قريش إلا فعلت به وفعلت)! (ورواه الأزدي في الجامع: ١٠ / ٣٩٠، وعبد الرزاق في المصنف: ١٠ / ٣٩١، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٧ / ٣٢٤، وأحمد في فضائل الصحابة: ٢ / ٩٨٨، واليعقوبي: ٢ / ٢١٧، وابن الأثير في الكامل: ٣ / ٢٧٥).
وهذا من خبث معاوية فقد كشف ما كان يقال سرا من الطعن في نسب سعد، فقال له إنك لست من قريش! ولذلك قال الرواة بعد نقلهم كلام معاوية: (فقال محمد بن علي: لعمري إن سعدا لوسط من قريش أو من وسط قريش، ثابت

النسب). يردون بذلك على معاوية! وفي نسب سعد وابنه عمر قاتل الحسين عليه السلام كلام، وهو خارج عن موضوعنا.
وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ١١١١ والكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٥: (فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق رحمك الله لو قلت: يا أمير المؤمنين! فقال: أتقولها جذلان ضاحكا، والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به)! انتهى.
يقصد سعد إنك دفعت ثمنها غاليا من دماء المسلمين، وهذا ما لا أقبله لنفسي!
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٧: (فغضب معاوية فقال: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنا أمرناك، إنما أنت منتز). أي قافز غاصب للخلافة! ورواية اليعقوبي أقرب إلى منطق القصة، والى حرص معاوية على أن يعترفوا له بلقب (أمير المؤمنين)!
وفي مقاتل الطالبيين / ٤٨: (وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شئ أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدس إليهما سما فماتا منه). (ونحوه شرح النهج: ١٦ / ٤٩).
وفي البدء والتاريخ: ٥ / ٨٥: (وروى شعبة أن سعدا والحسن بن علي ماتا في يوم واحد قال: ويرون أن معاوية سمهم). (ونحوه في أنساب الأشراف للبلاذري: ١ / ٤٠٤).
وفي الآحاد والمثاني للضحاك: ١ / ١٦٩: (ومات سعد بن أبي وقاص (في قصره) بالعقيق وحمل فدفن بالمدينة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة).
وأعجب من الجميع رواية البيهقي في لباب الأنساب والألقاب والأعقاب / ٤٠: (وأمروا والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين، فمات الحسن رضي الله عنه مسموما بعد يومين، وسعد بن أبي وقاص في يومه). انتهى.

فهي تدل على أن أوامر معاوية بالقتل بالسم شملت عددا من المهاجرين، ولم تشمل الأنصار مع أن عدائهم للنظام الأموي أشد من المهاجرين القرشيين، وذلك لأن الذين يطمعون بالخلافة ويقفون ضد بيعة يزيد هم من قريش، أما الأنصار فقد انقطع أملهم بالخلافة بعد قتل سعد بن عبادة!

والبيهقي المذكور هو علي بن زيد البيهقي الشافعي توفي سنة ٥٦٥، وهو من العلماء المشهورين وله مصنفات عديدة أدبية وتاريخية وهندسية. (راجع: إيضاح المكنون: ١ / ١٥٤، مجلة تراثنا عدد ٥٨ / ١٢٨، والذريعة: ١٨ / ٢٧٧) وهو غير البيهقي المشهور صاحب السنن، واسمه علي بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى ٤٨٣.

* *

٥ – هلك زياد بن أبيه بدعاء الإمام الحسين عليه السلام وسم معاوية!
اتفقت المصادر على أن زيادا بن أبيه مات وهو بكامل صحته عن ثلاث وخمسين سنة، وذكر أكثرهم أن موته سنة ثلاث وخمسين هجرية، أي بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام بأكثر من سنتين. قال في تاريخ دمشق: ١٩ / ٢٠٧: (سنة ثلاث وخمسين فيها مات زياد بن أبي سفيان بالكوفة، ومات زياد وهو ابن ثلاث وخمسين). وفي تاريخ دمشق: ١٩ / ١٦٦: (ولي العراق سنة ثمان وأربعين ومات سنة ثلاث وخمسين، وكانت ولايته خمس سنين واليا على المصرين). انتهى.
كما اتفقوا على أنه كان معارضا لبيعة يزيد بالخلافة، وكان يأمل أن يكون هو لأنه صار أخ معاوية وابن أبي سفيان!
قال ابن كثير في النهاية: ٨ / ٨٦ وفي طبعة ٧٩: (وكتب معاوية إلى زياد يستشيره في ذلك، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك، وهو عبيد بن كعب بن النميري وكان صاحبا أكيدا لزياد، فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولا، فكلمه عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك
، فإن تركه خير له من السعي فيه، فانزجر يزيد عما يريد من ذلك واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك في هذا الوقت، فلما مات زياد وكانت هذه السنة، شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة لولده يزيد، وكتب إلى الآفاق بذلك). انتهى.
وهذا النص الذي اختاره ابن كثير، المحب لمعاوية ويزيد من أكثر النصوص تشذيبا وتهذيبا، وابتعادا عن الصراع الخفي بين معاوية و (أخيه) زياد!
وذكر ابن عساكر وغيره، أن عبيد بن كعب النميري قام بمهمته على أحسن

وجه فأقنع يزيدا ومعاوية بتأخير الموضوع فعلا، وتحسين سلوك يزيد!
قال في تاريخ دمشق: ٣٨ / ٢١٣: (وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة). انتهى.
وفي الطبري: ٤ / ٢٢٥ أن زيادا قال لمبعوثه النميري: (ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد، فالق أمير المؤمنين مؤديا عني فأخبره عن فعلات يزيد! فقل له: رويدك بالأمر فأقمن أن يتم لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركا في تأخير، خير من تعجيل عاقبته الفوت... وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة وألا يعجل فقبل ذلك معاوية وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة)! انتهى.
أقول: هذه سذاجة من عبيد وزياد ومن الرواة، لأن معاوية نمرود لا يتحمل مخالفة زياد له واتصاله من ورائه بيزيد لثنيه عن الموضوع بحجة سوء سيرته! فهو يعتبر ذلك تدخلا في أخص أموره وأهمها عنده! لذلك نقول إن معاوية أسرها في نفسه، وقرر أن يحبط خطة زياد ولا يدعه يستغل شهادته فيه بأنه أكفأ أولاد أبي سفيان بعده! فأهانه عندما وفد عليه وأصدر أمره إلى مجموعة الإغتيال بالتخلص منه! ففي تاريخ دمشق: ١٩ / ١٩٧: (وفد زياد إلى معاوية ومعه أشراف أهل العراق فزجر به ابن حنيق العبادي (أي تفاءل بهذه السفرة) فقال:
قد علمت ضامرة الجياد * أن الأمير بعده زياد
فلم يصل زياد إلى معاوية حتى أتاه الخبر وما قال ابن حنيق وإقرار زياد بذلك ومعاوية يربص لابنه ما يربص من الخلافة، ثم أذن للناس فأخذوا مجالسهم، ثم دخل زياد فلم يدعه إلى مجلس حتى قام له رجل من أهل العراق فجلس في مجلس، فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال: هذه الخلافة أمر من أمور الله،

وقضاء من قضاء الله، وإنها لا تكون لمنافق ولا لمن صلى خلف إمام منافق! يعرض بزياد حتى عرف زياد). انتهى. يقصد معاوية: أن زيادا لا يصلح للخلافة لأنه صلى خلف علي عليه السلام! وقوله: (هذه الخلافة أمر من أمور الله وقضاء من قضاء الله) محاولة لتركيز مذهبه الجبري الذي يجعل الخليفة الأموي خليفة الله تعالى في أرضه، ويجعل فعله فعل الله تعالى ويرفع عنه الحساب والعقاب!

وتدل الرواية على أن زيادا جاء إلى الشام بوفد (عراقي) ليطرح موضوع ولايته للعهد بدل يزيد! وأن جواسيس معاوية عليه أوصلوا أخباره قبل وصوله فعامله معاوية باستهانة، وأجاب على أمنيته بالرد والتوبيخ!

ولا يبعد أن يكون مجئ زياد بعد رسالة معاوية اليه يستشيره في إعلان يزيد وليا لعهده، وهذا يجعل قتله واجبا حسب قوانين معاوية!

وقد روى اليعقوبي اندفاع زياد الذي كان فيه حتفه فقال في: ٢ / ٢٢٠: (وكتب معاوية إلى زياد وهو بالبصرة، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد. فلما بلغ زيادا وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه، فقال: إني أريد أن أئتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحائف، إيت معاوية فقل له: يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر! ولكن تأمره أن يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا وحولين، فعسانا أن نموه على الناس. فلما صار الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة قال:

ويلي على ابن عبيد! لقد بلغني أن الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد، والله لأردنه إلى أمه سمية، وإلى أبيه عبيد). انتهى.
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٢٢٥: (لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد، إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد، فاستوثق له الناس على البيعة). (ومثله سمط النجوم: ٣ / ١٤٨، والطبري: ٣ / ٢٤٧، ومنتظم ابن الجوزي: ٥ / ٢٨٥، وتاريخ خليفة / ١٦٥، وفي الكامل نحو رواية ابن كثير: ٣ / ٣٥٠).
وقد اتفقت رواياتهم على أن زيادا أصيب بطاعون بدأ بإبهامه اليمنى فورمت وتآكل لحمها، ثم انتشر بسرعة في كل يده! قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٢١٥: (فخرجت طاعونة على إصبعه، فأرسل إلى شريح وكان قاضيه.... يستشيره في قطع يده فقال: لا تفعل، إنك إن عشت صرت أجذم، وإن هلكت إياك جانيا على نفسك! قال: أنام والطاعون في لحاف؟! فعزم أن يفعل فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وترك ذلك). انتهى.
ولم يطل أمره حتى هلك، وروي أن المرض انتشر في بدنه في أسبوع.
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣٥: (وروي أنه كان أحضر قوما بلغه أنهم شيعة لعلي ليدعوهم إلى لعن علي والبراءة منه أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلا، فصعد المنبر وجعل يتكلم بالوعيد والتهديد.... فبينا زياد يتكلم على المنبر إذ قبض على إصبعه، ثم صاح: يدي! وسقط عن المنبر مغشيا عليه فأدخل القصر وقد طعن في خنصره اليمنى، فجعل لا يتغاذ، فأحضر الطبيب فقال له: اقطع يدي! قال: أيها الأمير! أخبرني عن الوجع تجده في يدك، أو في قلبك؟ قال: والله إلا في
قلبي. قال: فعش سويا). انتهى. أي لا تقطع يدك فقد قرب أجلك!
أما دعوة الإمام الحسين عليه السلام على زياد، فنقلتها مصادرنا ونسبتها إلى الإمام الحسن عليه السلام، ويظهر أن ذلك تصحيف في الاسم أو اشتباه، لأن الإمام الحسن

عليه السلام استشهد في سنة خمسين للهجرة، باتفاق مصادرنا وأكثر مصادرهم! بينما هلك زياد بن أبيه سنة ثلاث وخمسين.
قال في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٧٤: (واستغاث الناس من زياد إلى الحسن بن علي عليه السلام فرفع يده وقال: اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلا إنك على كل شئ قدير. قال: فخرج خراج في إبهام يمينه يقال لها السلعة، وورم إلى عنقه فمات). انتهى.
أما رواية مصادر الخلافة فنسبت هذه الكرامة إلى عبد الله بن عمر، وقالت إنه دعا على زياد فأصيب بالطاعون! قال في تاريخ دمشق: ١٩ / ٢٠٣: (عن ابن شوذب قال: بلغ ابن عمر أن زيادا كتب إلى معاوية: إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، يسأله أن يوليه الحجاز والعروض يعني بالعروض اليمامة والبحرين، فكره ابن عمر أن يكون في سلطانه فقال: اللهم إنك تجعل في القتل كفارة لمن شئت من خلقك، فموتا لابن سمية لا قتلا. قال: فخرج في إبهامه طاعونة فما أتت عليه إلا جمعة حتى مات، فبلغ ابن عمر موته فقال: إليك يا ابن سمية، لا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركت)!
(ونحوه في تاريخ الطبري: ٤ / ٢١٤، وأنساب الأشراف / ١٢٢٨، وفوات الوفيات / ٢٨٨، والنجوم الزاهرة: ١ / ٢١٩، وفيه: فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم أرحنا من يمين زياد وأرح أهل العراق من شماله فكان أول خبر جاءه موت زياد). والأوائل للعسكري / ١٧٢
وفي نهاية الأرب: ٤٤٦٠: (فقال: ادعوا الله عليه يكفيكموه فاستقبل القبلة واستقبلوها فدعوا ودعا، وكان من دعائه أن قال: اللهم اكفنا يمين زياد! فخرجت طاعونة على إصبع يمينه، فمات منها). (ونحوه في الطبري: ٤ / ٢١٥، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٢).
وفي التمهيد لابن عبد البر: ٦ / ٢١٢: (فقال: مروا العجائز يدعون الله

عليه، ففعلن فخرج بإصبعه طاعون...). وفي البدء والتاريخ: ٦ / ٢ و ٤٤٦: (فاجتمع أهل المدينة في مسجد رسول الله (ص) ودعوا عليه، فخرجت في يده الآكلة فشغله عن ذلك. وكان ينال من علي رضي الله عنه فضربه النقاد ذو الرقبة يعني الفالج، فقتله بالكوفة).

أما الذهبي فقد روى الروايتين! قال في سيره: ٣ / ٤٩٦: (وقال ابن شوذب: بلغ ابن عمر أن زيادا كتب إلى معاوية: إني قد ضبطت العراق بيميني وشمالي فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز. فقال ابن عمر: اللهم إنك إن تجعل في القتل كفارة، فموتا لابن سمية لا قتلا، فخرج في إصبعه طاعون، فمات.

قال الحسن البصري: بلغ الحسن بن علي أن زيادا يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم فدعا عليه. وقيل: إنه جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن فأصابه حينئذ طاعون في سنة ثلاث وخمسين). انتهى.

وكلام الذهبي الأخير اعتراف بحشد زياد شخصيات الشيعة في الكوفة ليعرض عليهم البراءة من علي عليه السلام فمن لم يفعل قطع رأسه! قال في تاريخ دمشق: ١٩ / ٢٠٣ ونحوه ٢٠٤: عن (عبد الرحمن بن السائب قال: جمع زياد أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي! قال عبد الرحمن: فإني لمع نفر من الأنصار والناس في أمر عظيم فهومت تهويمة فرأيت شيئا أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدب أهدل فقلت: ما أنت؟ قال: أنا النقاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر! فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا، فأخبرتهم! قال: ويخرج علينا خارج من القصر فقال: إن الأمير يقول لكم انصرفوا عني، فإني عنكم مشغول، وإذا الطاعون قد ضربه! فأنشأ عبد الرحمن بن السائب يقول:

ما كان منتهيا عما أراد بنا حتى تناوله النقاد ذو الرقبه
فأثبت الشق منه ضربة ثبتت كما تناول ظلما صاحب الرحبه). انتهى.
وصاحب الرحبة علي عليه السلام بسكون الحاء وفتحه لضرورة الشعر. ورواه من مصادرهم: النهاية: ٨ / ٣٢ وفي طبعة ٦٢، ونهاية ابن الأثير: ٢ / ٣١٥، ولسان العرب: ٢ / ٢٩١،, ٤٦٩، والبلد والتاريخ: ٦ / ٣، وفي طبعة ٤٤٦، والفائق: ٤ / ١٢٠، والروض المعطار للحميري: ٢٥٦، والمحاسن للبيهقي / ٣٩، ومروج الذهب / ٦٨٢، وأنساب الأشراف / ١٢٧١، وشرح النهج: ٣ / ١٩٩، وجمهرة اللغة لابن دريد / ٨٠٩، وفي طبعة: ٢ / ٦٧٧، وتاج العروس: ٦ / ٤٤٢، وتذكرة ابن حمدون / ٢١٣٩، وسمط النجوم العوالي: ٣ / ١٢٢، وفي طبعة / ٨٧١، وغريب الحديث للخطابي: ٣ / ٦٥، والمحتضرين / ١٠٢، و ١٠٣).
ومن مصادرنا: الطوسي في الأمالي / ٢٣٣ و ٦٢٠، وكنز الفوائد / ٦١، والمناقب: ٢ / ١٦٩، وتاريخ الكوفة للبراقي / ٧٣، و ١٠٤، وغيرها).
ومعنى رؤيا عبد الرحمن السائب: أنه رأى حيوانا عنقه طويل كالبعير، أهدب أي على رأسه وعينيه شعر، وأهدل أي مدلى الشفتين، وقال له إن اسمه (النقاد ذو الرقبة) أي الذي ينقد الشخص كنقد الديك، وهو رمز للبلاء والموت.
* *

فتلخص أن سبب طاعون زياد وموته حسب الروايات هو: دعاء الإمام الحسن عليه السلام أو دعاء ابن عمر، أو دعاء أهل المدينة، أو دعاء أهل الكوفة، أو سم معاوية!
والذي نرجحه أن يكون موته استجابة لدعاء الحسن والحسين عليهما السلام متقارنا مع سم معاوية له، وأن السم ظهر في يده وانتشر بعد أسبوع في جسمه فهلك.
وقد استبعدنا دعاء ابن عمر عليه، لما ثبت من خوفه الشديد من معاوية، فهو لا يجرؤ أن يدعو على (أخيه) زياد! ولأن روايات دعاء ابن عمر متضاربة في نفسها
ونص الدعاء فيها نص دعاء الإمام الحسن عليه السلام، ويبدو أنهم نسبوه إلى ابن عمر بعد موت زياد ومعاوية! ففي تاريخ دمشق: ١٩ / ٢٠٢: (بلغ الحسن بن علي أن زيادا يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، فقال: اللهم لا تقتلن زيادا، وأمته حتف

أنفه، فإنه كان يقال إن في القتل كفارة.... عن ابن أبي مليكة قال: إني لأطوف مع الحسن بن علي فقيل له: قتل زياد، فساءه ذلك! فقلت: وما يسوءك؟ قال: إن القتل كفارة لكل مؤمن.... عن أبي عبيدة بن الحكم عن الحسن بن علي قال أتاه قوم من الشيعة فجعلوا يذكرون ما لقي حجر وأصحابه وجعلوا يقولون: اللهم اجعل قتله بأيدينا، فقال: الحسن: مه لا تفعلوا فإن القتل كفارات! ولكن أسأل الله أن يميته على فراشه).
وفي تذكرة ابن حمدون / ٢١٣٩: (بلغ الحسن بن علي ما كان يصنع زياد بشيعة علي فقال: اللهم تفرد بموته، فإن في القتل كفارة).
وقد رجحنا تصحيف اسم الحسين في الرواية إلى الحسن عليهما السلام، لأن دعاء الإمام الحسن ورد بصيغة عامة ليس فيها تحديد وقت، بينما المروي عنه في المناقب: ٣ / ١٧٤، دعاء فوري معجل: (اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلا إنك على كل شئ قدير). ومثل هذا الدعاء من المعصوم عليه السلام لا يتأخر إلى سنوات. ولذا رجحنا أن يكون للإمام الحسين عليه السلام.

* *

٦ – قتله ابن خاله الصحابي محمد بن أبي حذيفة!
لله في خلقه شؤون.. فقد كان أبو أحيحة سعيد بن العاص الأموي من كبار زعماء قريش وأثريائها، ومن أئمة الشرك والعداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله، لكن ابنه خالدا هداه الله تعالى برؤيا رآها، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم، وتحمل من أبيه ما تحمل، حتى اضطر للهجرة مع زوجته إلى الحبشة، ثم كان قائدا مع النبي صلى الله عليه وآله، وشيعيا مخلصا لعلي عليه السلام، وقائدا بطلا في فتح الشام! وهدى الله معه أخويه أبانا وعمروا.

كما كان عتبة بن ربيعة الأموي والد هند آكلة الأكباد من شيوخ قريش، ورئيس حربها للنبي صلى الله عليه وآله وقد قتل هو وابنه الوليد وأخوه شيبة في بدر! لكن ابنه أبا حذيفة واسمه قيس، هداه الله تعالى فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم وتحمل من أبيه ما تحمل، حتى اضطر للهجرة إلى الحبشة، وولد له هناك ابنه محمد، وقد استشهد أبو حذيفة في اليمامة، وكان ابنه محمد كأبيه شيعيا.

وكان هو ومحمد بن أبي بكر من القادة في فتح مصر، وفي معركة ذات الصواري البحرية الشهيرة مع الروم. (أنساب الأشراف للبلاذري / ٣٨٧).

وشارك محمد بن أبي حذيفة رحمه الله في فتح الشام، وصادف أن ركب سفينة مع كعب الأحبار الذي كان المستشار الثقافي والمفتي لعمر وعثمان، وكان كعب يرافق جيش الفتح أحيانا إلى المناطق الآمنة ويزعم أنه يعرف المغيبات ويحدثهم بها! فأخذ محمد بن أبي حذيفة رحمه الله يسخر منه ومن توراته المحرفة!

قال عمر ابن شبة في تاريخ المدينة: ٣ / ١١١٧: (عن محمد بن سيرين قال: ركب كعب الأحبار ومحمد بن أبي حذيفة في سفينة قبل الشام، زمن عثمان في غزوة غزاها المسلمون، فقال محمد لكعب: كيف تجد نعت سفينتنا هذه في التوراة تجري غدا في البحر؟! فقال كعب: يا محمد لا تسخر بالتوراة، فإن التوراة كتاب الله. قال: ثم قال له (محمد) ذاك ثلاث مرات)!!

وقد وصفه الذهبي في سيره: ٣ / ٤٧٩ بأنه متعلم من أهل القرآن: (فخرج محمد بن أبي حذيفة فاستوى على المنبر فخطب وقرأ سورة، وكان من أقرأ الناس). انتهى.

لكنك أكثر ما تجد في مصادرهم ذم محمد بن أبي حذيفة رحمه الله وتحليل دمه لمعاوية، مع أنه صحابي، أموي، وذلك لأنه حرض أهل مصر على الذهاب إلى عثمان، لمعالجة واليهم الأموي الفاسد! وجاء مع وفدهم وكانوا خمس مائة

فارس بقيادة الصحابي عبد الرحمن بن عديس البلوي، وانتهى أمرهم بلعب عثمان عليهم ومحاصرته مع وفد البصرة والكوفة. (تاريخ دمشق: ٣٩ / ٤٢٣، والطبري: ٣ / ٣٤١).

أعطاه معاوية الأمان ثم حبسه، ثم قتله!

قال الطبري في تاريخه: ٣ / ٥٤٨: (وفي هذه السنة أعني سنة ٣٦ قتل محمد بن أبي حذيفة، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر أقام بمصر، وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وضبطها، فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان وبويع لعلي، وأظهر معاوية الخلاف وبايعه على ذلك عمرو بن العاص، فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة، قبل قدوم قيس بن سعد مصر فعالجا دخول مصر فلم يقدرا على ذلك، فلم يزالا يخدعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله)!

وقال الطبري في: ٤ / ٨٠: (اختلف أهل السير في وقت مقتله فقال الواقدي: قتل في سنة ٣٦، وذكر خبر تحصنه في العريش ثم قال: وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن محمد بن أبي حذيفة إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر ودخل عمرو بن العاص مصر وغلب عليها، وزعم أن عمرا لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبي حذيفة، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين فحبسه في سجن له، فمكث فيه غير كثير ثم إنه هرب من السجن، وكان ابن خال معاوية). انتهى. وهذا هو المرجح لأنهم رووا عنه عدة قصص في السجن.

فر من السجن فلحقه مبعوث معاوية وقتله في فلسطين!

في تاريخ دمشق: ٥٢ / ٢٧٢: (كان رجال من أصحاب النبي (ص) يحدثون أن

رسول الله (ص) قال: يقتل في جبل الجليل والقطران من أصحابي أو من أمتي ناس، فكان أولئك النفر الذين قتلوا مع محمد بن أبي حذيفة وأصحابه بجبل الجليل والقطران هناك). وأضاف في الإصابة: ٦ / ١١: (وذكر خليفة بن خياط في تاريخه أن عليا لما ولي الخلافة أقر محمد بن أبي حذيفة على إمرة مصر، ثم ولاها محمد بن أبي بكر. واختلف في وفاته فقال بن قتيبة: قتله رشدين مولى معاوية، وقال بن الكلبي: قتله مالك بن هبيرة السكوني).

وفي أنساب الأشراف / ٤٠٨ أن معاوية أخذه أسيرا فحبسه: (فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذه أخذا، فبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه عنده، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة، أمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تصنع له طعاما وترسل به إليه وهو في السجن، فلما سار معاوية إلى صفين أرسلت ابنة قرظة بشئ فيه مساحل من حديد إلى ابن أبي حذيفة، فقطع بها الحديد عنه، ثم جاء فاختبأ في مغارة بجبل الذيب بفلسطين فدل نبطي عليه رشدين مولى أبي حذيفة أبيه، وكان معاوية خلفه على فلسطين، فأخذه فقال له محمد: أنشدك الله خليت سبيلي! فقال له: أخلي سبيلك فتذهب إلى ابن أبي طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاوية، وقد كنت فيمن شايع عليا على قتل عثمان. فقدمه فضرب عنقه)! وقال البلاذري / ٤٠٧: (وقوم يقولون: أن ابن أبي حذيفة حين أخذ لم يزل حبس معاوية إلى بعد مقتل حجر بن عدي، ثم إنه هرب فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السكوني، ووضع الأرصاد عليه فلما ظفر به قتله غضبا لحجر). انتهى.

أقول: رووا أ، مالك بن هبيرة الكندي توسط لحجر بن عدي الكندي، فلم يقبل معاوية وساطته فغضب، ثم أرضاه بالمال! وهذه الرواية تدعي أنه قتل

محمد بن أبي حذيفة ثأرا بحجر! فلا بد أن تكون إشاعة من معاوية لإبعاد قتل ابن خاله عن نفسه اتقاء لنقمة بني أمية! لأن آل عتبة الذين منهم محمد، وأولاد أبي أحيحة الذين منهم خالد بن سعيد، أشرف فيهم من آل حرب.
وآل حرب الذين منهم معاوية أشرف فيهم من آل العاص الذين منهم عثمان!
* *

٧ - قتله الصحابي سعيد بن عثمان بن عفان!
في تاريخ دمشق: ٢١ / ٢٢٣: (كان أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون:
والله لا ينالها يزيد * حتى ينال هامه الحديد * إن الأمير بعده سعيد
يعنون لا ينال يزيد الخلافة، والأمير بعد معاوية هو سعيد بن عثمان، وكانت أمه أم عبد الله بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. فقدم سعيد على معاوية فقال: يا ابن أخي ما شئ يقوله أهل المدينة؟ قال: وما يقولون؟ قال: قولهم: والله لا ينالها يزيد.. الخ.! قال: ما تنكر من ذلك يا معاوية؟! والله إن أبي لخير من أبي يزيد، ولأمي خير خير من أم يزيد، ولأنا خير منه، وقد استعملناك فما عزلناك بعد، ووصلناك فما قطعناك، ثم صار في يديك ما قد ترى فحلأتنا عنه أجمع!
فقال له معاوية: يا بني أما قولك إن أبي خير من أبي يزيد فقد صدقت، عثمان خير من معاوية. وأما قولك أمي خير من أم يزيد فقد صدقت، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، ولحسب امرأة أن تكون من صالح نساء قومها. وأما قولك إني خير من يزيد فوالله ما يسرني أن حبلا بيني وبين العراق ثم نظم لي فيه أمثالك به! ثم قال معاوية لسعيد بن عثمان: إلحق بعمك زياد بن أبي سفيان فإني قد أمرته أن يوليك خراسان، وكتب إلى زياد أن وله ثغر خراسان، وابعث على

الخراج رجلا جلدا حازما! فقدم عليه فولاه وتوجه سعيد إلى خراسان على ثغرها وبعث زياد أسلم بن زرعة الكلابي معه على الخراج!
ثم أورد ابن عساكر رواية جاء فيها: (فوالله ما يسرني أن الغوطة ملئت رجالا مثلك! فقال يزيد: يا أمير المؤمنين إنه ابن من تعرف وحقه الحق الواجب الذي لا يدفع، فانظر له وتعطف عليه ووله!). ونحوه تاريخ الطبري: ٤ / ٢٢٠، والتذكرة الحمدونية / ١٤٩٧، والنهاية: ٨ / ٨٧).
أقول: يظهر أن سعيدا هذا كان قليل العقل، مع أنهم يسمونه: (شيطان قريش ولسانها)! (الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٤) فقد جاء مطالبا بولاية العهد، فلعب عليه معاوية وأرضاه بمنصب شكلي وأرسله إلى منطقة عسكرية خطرة لم يستقر فتحها، وجعله تحت إمرة زياد، وجعل ميزانية منطقته بيد غيره: (وكتب إلى زياد أن وله ثغر خراسان، وابعث على الخراج رجلا جلدا حازما)! ولا بد أنه رتب أمره مع ابن زياد ليجعله في معرض القتل!
وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٦٥: (فقال معاوية: لك خراسان. قال سعيد: وما خراسان؟ قال: إنها لك طعمة وصلة رحم، فخرج راضيا، وهو يقول:
ذكرت أمير المؤمنين وفضله * فقلت جزاه الله خيرا بما وصل)... الخ..
وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٢٢٧: (وأما فضلك عليه، فوالله ما أحب أن الغوطة دحست بيزيد رجالا مثلك! فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر في أمره، وقد عتب عليك لي، فأعتبه! قال: فولاه حرب خراسان)!!
وفي تاريخ دمشق: ٨ / ٢٣١: (فولاه حرب خراسان وولى إسحاق بن طلحة خراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمه أم أبان ابنة عتبة بن ربيعة، فلما صار بالري مات إسحاق بن طلحة فولي سعيد خراج خراسان وحربها، وكان

ذلك في سنة ست وخمسين على ما ذكر الطبري). (ومنتظم ابن الجوزي: ٥ / ٢٨٧)
وتجهز سعيد من البصرة فجهزه ابن زياد بسخاء! وساعده أخوه أبو بكرة بأربع مئة ألف فتعجب سعيد من هذا السخاء! قال ابن الأعثم في الفتوح: ٤ / ٣٠٨: (فعرض عليه أهل السجون والدعار ومن يصلح للحرب، فانتخب سعيد بن عثمان منهم أربعة آلاف رجل، كل رجل يعد برجال.... وقواه زياد بأربعة آلاف ألف درهم، فقبضها سعيد وفرقها في أصحابه).
وتوجه سعيد بجيشه وقيل في اثني عشر ألفا (تاريخ دمشق: ٢٣ / ٤٧٥) وعبر نهر بلخ وحاصر مدينة بخارى (معجم البلدان: ١ / ٣٥٥) أشهرا فلم يستطع فتحها!
وفي فتوح ابن الأعثم: ٤ / ٣١٠: (وببخارا ملكة يقال لها يومئذ خيل خاتون.... فأرسلت إليه فصالحته على ثلاثمائة ألف درهم، وعلى أنها تسهل له الطريق إلى سمرقند! قال: فقبل سعيد ذلك منها وأخذ منها ما صالحته عليه وأخذ منها رهائن أيضا عشرين غلاما من أبناء ملوك بخارا كأن وجوههم الدنانير، ثم بعثت إليه بالهدايا ووجهت معه الأدلاء يدلونه على طريق سمرقند. فسار سعيد بن عثمان من بخارا والأدلاء بن يديه يدلونه على الطريق الذي يوصله إلى سمرقند، فنزل على سمرقند وبها يومئذ خلق كثير من السغد). انتهى.
والرهائن ضمانة لسعيد حتى لا يغدر بهم البخاريون!
وفي فتوح البلاذري: ٣ / ٥٠٨: (فنزل على باب سمرقند وحلف أن لا يبرح أو يفتحها ويرمى قهندزها (أي قلعتها داخل الحصن. الأربعين البلدانية لابن عساكر / ٤١٩) فقاتل أهلها ثلاثة أيام، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث. ففقئت عينه وعين المهلب بن أبي صفرة)! وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣٧: (وسار إلى سمرقند فحاصرها فلم يكن له طاقة بها فظفر بحصن فيه أبناء الملوك، فلما صاروا في يده طلب القوم

الصلح، فحلف ألا يبرح حتى يدخل المدينة، ففتح له باب المدينة فدخلها، ورمى القهندز بحجر! وكان معه قثم بن العباس بن عبد المطلب، فتوفي بسمرقند). وفي فتوح ابن الأعثم: ٤ / ٣١٢: (فأنشأ مالك (بن الريب المازني) وجعل يقول:

سعيد بن عثمان أمير مروع * تراه إذا ما عاين الحرب أخزرا
وما زال يوم السغد يرعد خائفا * من الروع حتى خفت أن يتنصرا
فلولا بنو حرب لهدت عروشكم * بطون العظايا من كسير وأعورا
وما كان من عثمان شئ علمته * سوى نسله في عقبه حين أدبرا

قال: فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فهم بقتله، ثم إنه راقب فيه عشيرته، فأكرمه ووصله بصلة سنية واعتذر إليه، فقبل مالك ذلك. أقام سعيد على سمرقند لا يفتر من حرب القوم، وعلم أنه لا يقدر على فتحها بالسيف فعزم على صلحهم، قال: وطلب أهل سمرقند أيضا الصلح فصالحهم على خمسمائة ألف درهم وعلى أنهم يفتحون له باب المدينة، فيدخل من باب ويخرج من باب، ثم ينصرف عنهم فرضي القوم بذلك! وأعطاه أخشيد ملك سمرقند ما صالحه عليه، ثم فتح له باب المدينة فدخلها سعيد في ألف فارس، وسار في شارع واحد حتى خرج من الباب الآخر ثم صار إلى عسكره! ووافته هدايا أهل سمرقند فقبلها، ثم وضع العطاء لأصحابه فأعطاهم، وتزود القوم ورحل سعيد بن عثمان عن باب سمرقند إلى بخارا فأقام على بابها أياما، ثم بعثت إليه ملكة بخارا أنك قد صرت إلى حاجتك وقد وفيت لك بمال الصلح، فرد علي رهائني فإنهم غلمان من أبناء ملوك بخارا، فأبى سعيد أن يردهم عليها! ثم رحل حتى صار إلى نهر بلخ فنزل عليه، وعقدت له الأطواف فعبر وعبر أصحابه وسار حتى صار إلى مرو فنزلها.... ونفل (رجع) سعيد بن عثمان من بلاد خراسان وقد ملأ يديه من الأموال، حتى إذا

صار إلى المدينة مدينة رسول الله (ص) كتب إلى معاوية يستعفيه من ولاية خراسان فعلم معاوية أنه استظهر بالأموال فأعفاه!
قال: وعمد سعيد إلى الرهائن الذين حملهم من بخارا فجعلهم فلاحين في نخل له وحرث بالمدينة، فغضبوا لذلك واتفقوا وأجمعوا على قتل سعيد، قال: وجاءهم سعيد يوما لينظر إلى نخلة، فوثبوا عليه فقتلوه بخناجر كانت معهم، ثم هربوا فصاروا إلى جبل هناك فتحصنوا فيه، وبلغ ذلك أهل المدينة وساروا إليهم وحاصروهم في ذلك الجبل حتى ماتوا فيه جوعا وعطشا). انتهى.
أقول: معنى قوله: وما كان من عثمان شئ علمته.... سوى نسله في عقبه حين أدبرا أن عثمان لم يورث أبناءه إلا فراره يوم أحد! قال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب / ٧٧٢: (وكان ممن ولى دبره يومئذ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان، أخوان من الأنصار من بني زريق، حتى بلغوا الجلعب فرجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم رسول الله: لقد ذهبتم بها عريضة! قال الله تعالى: إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم). انتهى. (ورواه الإستيعاب: ٣ / ١٠٧٤، وغيره والجلعب مكان قرب الأعوص قيل يبعد عن المدينة بريدان – معجم ما استعجم: ٢ / ٣٨٩).
واستعفاء سعيد غير صحيح، فقد صرح المؤرخون بأن معاوية عزله بعد فراره من خراسان! ففي تاريخ دمشق: ٣٧ / ٤٤٣ و: ٢١ / ٢٢٣: (وفيها يعني سنة سبع وخمسين عزل معاوية سعيد بن عثمان عن خراسان). (وتاريخ ابن خياط / ١٧٠، وغيرهما).
وهذه ملاحظات على روايات سعيد بن عثمان:
الأولى: لا تصدق عندما تقرأ بطولات شخصيات السلطة مثل سعيد وأنه حارب وفتح الفتوحات! فرواة الخلافة يستحلون الكذب لمصلحة من يتولونهم

ويرونه دينا يدينون به! لاحظ قول الذهبي الشركسي (الأموي) في سير أعلام النبلاء: ٣ / ٤٤٢: (وسعيد بن عثمان بن عفان أبو عبد الرحمن الأموي، غزا خراسان فورد نيسابور في عسكر منهم جماعة من الصحابة والتابعين، ثم خرج منها إلى مرو، ومنها إلى جيحون، وفتح بخارى وسمرقند)!!
ولاحظ قول ابن عساكر في تاريخه: ٢١ / ٢٢٢: (سعيد بن عثمان بن عفان القرشي المدني استعمله معاوية على خراسان فغزا سمرقند، وفتح الله على يديه فتحا عظيما وأصيبت عينه بها، وأخذ الرهون). انتهى. وقارن ما كتباه بما كتبه ابن الأعثم غير المتعصب لبني أمية قال في فتوحه: ٤ / ٣١٢: (ذكر فتوح خراسان أيضا بعد سعيد بن عثمان. قال: وبقيت خراسان ليس بها نائب! فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه بالبصرة يأمره أن يوجه إلى خراسان رجلا يقوم بأمرها)! انتهى.
واقرأ قول الحموي في معجم البلدان: ١ / ٣٥٥، عما حدث بعد سعيد بن عثمان: (ثم لم يبلغني من خبرها شئ إلى سنة ٨٧ في ولاية قتيبة بن مسلم خراسان، فإنه عبر النهر إلى بخارى فحاصرها فاجتمعت الصغد وفرغانة والشاش وبخارى، فأحدقوا به أربعة أشهر ثم هزمهم... وفتحها... ثم مضى منها إلى سمرقند). انتهى.
ومعناه أن حملة سعيد سنة ٥٦ فشلت وسببت هزيمة للمسلمين وفراغا سياسيا في خراسان ما وراء النهر، التي تعني بخارى وسمرقند والشيشان، وما إليها!
ثم، لا تعجب إذا قرأت في روايات الحكومات عن بلد أنه فتح عشرين مرة! وأن من أنواع الفتح البطولية للخلفاء وأمرائهم أن يدخل القائد ببعض جنوده من باب من المدينة ويخرج من باب آخر! فيكون فتحها وشقها نصفين!
واعلم أن البطل في رواياتهم قد يكون هو المنهزم الجبان! فعليك أن تبذل الجهد لتعرف الفاتح الحقيقي، الذي قد يكون معارضا طمسوا اسمه! وهذا

يؤكد رأينا في أن الفتوحات الأساسية تحققت بجهود قادة الفتوح الشيعة، بقيادة علي عليه السلام، وأن قريشا نسبتها إلى تدبير ولاتها، على حد تعبيره عليه السلام.
الملاحظة الثانية: أن منطقة ما وراء النهر من خراسان، استمرت مقاومة أهلها المجوس والوثنيين طيلة حكم بني أمية، فكانت عند معاوية منفى نموذجيا للمعارضين، ولذلك تقرأ موت عدد كبير من الصحابة والشخصيات فيها، باسم الجهاد والفتح، سوى الذين عينوهم قادة وولاة، وقتلوهم قبل أن يصلوا إليها!
ولا بد أن سعيد بن عثمان أدرك أن منصبه خطة لقتله، فكان حذرا من السم وسارع في جمع ما أمكنه من ثروة بالصلح والغارة، وعاد في أقل من سنة!
الملاحظة الثالثة: أن عزل سعيد بمجرد رجوعه إلى المدينة يعني أن معاوية خاف أن يستعمل ثروته التي جمعها للقيام بحركة ضده، وقد صرح بذلك البلاذري فقال في فتوح البلدان: ٣ / ٥٠٩: (وكان معاوية قد خاف سعيدا على خلعه، ولذلك عاجله بالعزل! ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان). انتهى.
وهذا يلقي الضوء على زعمهم أن الغلمان البخاريين قتلوا سعيدا، بل هو كمين معاوية! وقد رافقه أحد عيونه ولم يدافع عن سعيد! ثم قتلوا الغلمان كلهم!
قال في تاريخ دمشق: ٢١ / ٢٢٧: (قدم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غلمان جاء بهم من الصغد، وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حليف بني حرب بن أمية.... فقال خالد بن عقبة بن أبي معيط يرثي سعيد بن عثمان بن عفان:
يا عين جودي بدمع منك تهتانا * وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودته * وفر عنه ابن أرطأة بن سيحانا).
وابن أرطاة: (له اختصاص بآل سفيان... ضرب في الخمر وهو حليف بني حرب) (تاريخ دمشق: ٣٤ / ١٧٨) و (أكثر شعره في الشراب والغزل والفخر). (الأعلام: ٣ / ٢٩٩).

وفي أنساب الأشراف / ١٥٠٨: (قال: فبينا سعيد في حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعملون بالمساحي، إذا أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه، فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده! وقتل السغد أنفسهم! وتسورت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيدا)! انتهى.

فاعجب لكون مروان والي المدينة حضر عند وقوع الجريمة في بستان خارج البلد، ولم يجد مفتاح باب البستان ولم يستطع الشرطة دخوله اليه! أما ابن أرطاة فقالوا هرب، لكنه كان مشغولا مع أعوانه بتكميل مهمتهم بقتل الغلمان!

واعجب أكثر لإخفاء خيوط الجريمة فقد تقدم قولهم إن العشرين شابا الذين قتلوا سعيدا فروا إلى جبل فحاصرهم أهل المدينة، فماتوا عطشا وجوعا! ثم قالوا إنهم قتلوا أنفسهم حتى لم يبق منهم أحد! قال اليعقوبي: ٢ / ٢٣٧: (وصار سعيد إلى المدينة ومعه أسراء من أولاد ملوك السغد فوثبوا عليه وقتلوه، وقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم أحد)! انتهى. وهذا كقول بعضهم إنه رأى ذئبين أكلا بعضهما فلم يبق منهما إلا ذنباهما!

* *

واعجب أكثر، لمحاولة المغفلين من آل عثمان أن يبعدوا التهمة عن معاوية، ويقولوا إن الإمام الحسين عليه السلام أصاب سعيدا بالعين، لأنه جمع ثروة وغلمانا!

روى (المدائني عن سحيم بن حفص قال: لقي الحسين بن علي سعيدا وأبناء السغد معه، فقال متمثلا: أبا عمارة أما كنت ذا نفر * فإن قومك لم تأكلهم الضبع. وكان قوم من بني عثمان: يقولون: ما قتله إلا عين الحسين)! (أنساب الأشراف / ١٥٠٨).

مع أن الإمام الحسين عليه السلام حذره من هؤلاء الغلمان وقال له: أين قومك؟ أليس لك أحد من أقاربك تمشي معهم بدل هؤلاء؟! ولعل سعيدا فهمها!

وأصل البيت: أبا خراشة أما أنت ذا نفر * فإن قومي لم تأكلهم الضبع.
ولكن الإمام عليه السلام غيره من التفاخر إلى التعجب من مشي سعيد وحده مع غرباء مع أن قومه لم تأكلهم الضبع، أي لم تفنهم السنين! (لسان العرب: ٦ / ٢٩٤، ومغني اللبيب لابن هشام: ١ / ٣٥، وجمهرة الأمثال للعسكري: ٢ / ١٠٥، ومجمع الأمثال للنيسابوري: ٢ / ٨٤).
* *

٨ - قتله محمد بن أبي بكر رحمه الله
تربى محمد رحمه الله في حجر علي عليه السلام وكان من خاصة أصحابه، لأن أمه أسماء بنت عميس كانت صحابية جليلة محبة لأهل البيت عليهم السلام ومن خواص الصديقة الزهراء عليها السلام فتزوجها علي عليه السلام بعد وفاة أبي بكر، فمحمد ربيب أمير المؤمنين عليه السلام.
وكان أهل مصر يحبون محمدا لأنه شارك في فتح مصر، وفي معركة ذات الصواري مع صديقه محمد بن أبي حذيفة.
وعندما جاء وفد مصر إلى عثمان يشكون واليهم ابن أبي سرح الأموي الذي هدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه، ونزل فيه قوله تعالى: ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)! (الأنعام: ٩٣) (أسباب النزول للواحدي / ١٤٨). طلبوا من عثمان أن يبعث بدله محمد بن أبي بكر واليا عليهم، فكتب له عثمان مرسوما بولاية مصر وأرسله معهم، لكنهم تفاجؤوا في الطريق برسول عثمان إلى الوالي ابن سرح يأمره أن يعاقبهم ويستمر في عمله! فأمسكوه ورجعوا وشاركوا في محاصرة عثمان!
* *

وكان علي عليه السلام بعث قيس بن سعد بن عبادة واليا على مصر، فتجمع بقايا الأمويين في معسكر ضد علي عليه السلام مطالبين بدم عثمان، وكانوا بقيادة معاوية بن

حديج الكندي، فأمدهم معاوية من الشام وشجعهم، فأمر علي عليه السلام قيسا أن يناجزهم القتال قبل أن يتعاظم أمرهم فأبى قيس بحجة أنهم عاهدوه على عدم الخروج عليه! فعزله الإمام عليه السلام وأرسل بدله محمد بن أبي بكر حاكما على مصر ثم تفاقم أمر أتباع معاوية ووصل ابن العاص بجيش من ثلاث فرق من الشام والأردن وفلسطين، ليحتل مصر وتكون طعمة له كل حياته! فقاتلهم محمد فغلبوه، وقتلوه قتلة فجيعة رحمه الله، وسيطروا على مصر!

وفي أثناء هذه الأحداث أرسل أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر رحمه الله إلى مصر لكن معاوية دبر له السم وقتله على أبواب القاهرة قبل أن يتسلم عمله من محمد!

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٣: (فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسناة فحاربهم محاربة شديدة، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناة، وقد كان محمد استذم إلى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية، فخلفوا محمد بن أبي بكر وحده! فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خرابة، واتبعه ابن حديج الكندي فأخذه وقتله، وأدخله جيفة حمار، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف! وبلغ عليا ضعف محمد بن أبي بكر ومممالأة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال: ما أوتي محمد من حرض)! انتهى. ومعناه: ما أتي من ضعف في دينه أو عقله أو بدنه، ولكنها المقادير.

وقد تقدم شئ عن شهادته رحمه الله في المجلد الأول، وفي موت أخته عائشة!

وهذا ملخص من رواية الطبري في تاريخه: ٤ / ٧٦: غزا ابن العاص مصر بجيش من ثلاثة فرق واجتمعت اليه العثمانية في عريش مصر، وأرسل إلى محمد بن أبي بكر رسالة معاوية يتهدده ويتهمه بالتحريك على عثمان، فطوى محمد كتابيهما وبعثهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلب منه الرأي والمدد، فكتب له

عليه السلام أن يثبت ويجاهد: (وذكرت أنك قد رأيت في بعض ممن قبلك فشلا فلا تفشل وإن فشلوا، حصن قريتك واضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس فإني نادب إليك النابغي على الصعب والذلول فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجاهدهم صابرا محتسبا....
فقام محمد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد معاشر المسلمين والمؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة وينعشون الضلال، ويشبون نار الفتنة ويتسلطون بالجبرية، قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود. عباد الله فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله. انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر.
قال: فانتدب معه نحو من ألفي رجل وخرج محمد في ألفي رجل. واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، فأقبل عمرو نحو كنانة، فلما دنا سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يقربها بعمرو بن العاص، ففعل ذلك مرارا!
فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن خديج السكوني فأتاه في مثل الدهم فأحاط بكنانة وأصحابه، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانة بن بشر نزل عن فرسه ونزل أصحابه وكنانة يقول: وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين. فضاربهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله.
وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر وقد تفرق عنه أصحابه، لما بلغهم قتل كنانة، حتى بقي وما معه أحد! فلما رأى ذلك خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق فآوى إليها.... فاستخرجوه وقد

كاد يموت عطشا، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر. قال ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده فقال: أتقتل أخي صبرا؟! ابعث إلى معاوية بن خديج فانهه، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر! فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر (وهو سكوني من قبيلته) وأخلي أنا عن محمد بن أبي بكر هيهات؟! أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر. فقال لهم محمد: أسقوني من الماء، قال له معاوية بن حديج: لا سقاه الله إن سقاك قطرة أبدا، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما، فتلقاه الله بالرحيق المختوم! أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار! فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك فطالما فعل ذلك بأولياء الله! فقدمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار! فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت
عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو). وفي الغارات للثقفي: ٢ / ٧٥٦:
(فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار! ودفن في الموضع الذي قتل فيه فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس، فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة... ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دما. ووجد (حزن) عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وجدا عظيما وقال: كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا ولبني أخا). ثم ذكر الثقفي شماتة رملة والكبش الذي شوته وأرسلته هدية إلى عائشة!
وفي المواعظ والاعتبار للمقريزي / ١٦٧٢: (فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة أشهر ومقتله لأربع عشرة خلت من صفر، سنة ثمان وثلاثين). (وكامل ابن الأثير: ٣ / ٢٢٩، والبدء والتاريخ: ٥ / ٢٢٦، ولآلئ الأخبار: ١ / ١٦٩، وتاريخ دمشق: ٤٩ / ٤٢٦، وتهذيب

الكمال: ٢٤ / ٥٤٢، والنهاية: ٧ / ٣٤٨، و: ٨ / ١٠٩، والغدير: ١١ / ٦٦:، والأوائل / ١٦٥، والنجوم الزاهرة: ١ / ١١٠، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٤، وفيه: أن جيش معاوية كان ثلاث فرق من الشام وفلسطين والأردن. وأنه حرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف).

وفي تاريخ دمشق: ٤٩ / ٤٢٧: (وقدم عمرو بن العاص على معاوية بعد فتحه مصر فعمل معاوية طعاما فبدأ بعمرو وأهل مصر فغداهم، ثم خرج أهل مصر واحتبس عمروا عنده، ثم أدخل أهل الشام فتغدوا، فلما فرغوا من الغداء قالوا: يا أبا عبد الله بايع! قال: نعم، على أن لي عشرا يعني مصر! فبايعه على أن له ولاية مصر ما كان حيا. فبلغ ذلك عليا فقال ما قال). انتهى.

ويقصد بذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: (كر على العاصي بن العاصي فاستماله فمال إليه، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر! وحرام عليه أن يأخذ من الفئ دون قسمه درهما). (الخصال: ٣٧٨) أو قوله: (إنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة)! (نهج البلاغة: ١ / ١٤٨).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢١: (وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طعمة شرطها له يوم بايع! ونسخة الشرط: هذا ما أعطى معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر أعطاه أهلها فهم له حياته ولا تنقص طاعته شرطا. فقال له وردان مولاه: فيه الشعر من بدنك، فجعل عمرو يقرأ الشرط ولا يقف على ما وقف عليه وردان! فلما ختم الكتاب وشهد الشهود قال له وردان: وما عمرك أيها الشيخ إلا كظمئ حمار (مثل لقصر المدة)! هلا شرطت لعقبك من بعدك؟ فاستقال معاوية فلم يقله، فكان عمرو لا يحمل إليه من مالها شيئا، يفرق الأعطية في الناس، فما فضل من شئ أخذه لنفسه)!

وفي تاريخ الطبري: ٤ / ٧٤: (بايعه على قتال علي بن أبي طالب على أن له مصر طعمة ما بقي). انتهى.

أقول: ولم يتمتع ابن العاص بحكم مصر وواردتها إلا سنتين وكسرا!

* *

٩ – قتله الصحابي البطل مالك الأشتر رحمه الله
(مالك الأشتر بن الحارث... بن سعد بن مالك بن النخع). (معجم الشعراء: ١ / ١٧٢).
(قدس الله روحه ورضي الله عنه، جليل القدر عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي عليه السلام أظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين عليه السلام لموته وقال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله). (الخلاصة للعلامة الحلي / ٢٧٦).
(ذكر أنه لما نعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى أمير المؤمنين عليه السلام تأوه حزنا وقال: رحم الله مالكا وما مالك، عز علي به هالكا! لو كان صخرا لكان صلدا، ولو كان جبلا لكان فندا، وكأنه قد مني قدا). (معجم رجال الحديث: ١٥ / ١٦٨).
وكان مالك من شجعان العالم، قوي الروح والبنية طويل القامة، وكان هو وعدي بن حاتم (يركب الفرس الجسام فتخط إبهاماه في الأرض). (المحبر: ١١٣).
لا يحبونه، فحذفوه من الصحابة وعدوه في التابعين!
ألف بعض العلماء رسالة في إثبات صحبته للنبي صلى الله عليه وآله (الذريعة: ٧ / ٣٧) وتدل عليه نصوص عديدة، منها قوله رحمه الله في جواب بطل الروم الذي برز اليه في اليرموك: (فقال له ماهان: أنت صاحب خالد بن الوليد؟ قال: لا أنا مالك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله)! (فتوح الواقدي: ٢ / ٢٢٤ وابن الأعثم: ١ / ٢٠٨) وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث: ١٥ / ١٦٧: (وعده ابن شهرآشوب في المناقب من وجوه الصحابة وخيار التابعين) انتهى. لكن أكثر رواة الخلافة عدوه في التابعين ولم يذكروه في وفادة النخع على النبي صلى الله عليه وآله ودعائه لهم. (أسد الغابة: ١ / ٦١)!
طمسوا دوره في حرب مسيلمة!
ذكر له أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار / ٢٦، دورا حاسما في قتال مسيلمة

الكذاب والمرتدين معه من بني حنيفة، حيث قتل فارسهم أبا مسيكة قال: (فكان أبو مسيكة الأيادي مع بني حنيفة وكانوا أشد العرب شوكه، وكان مالك الأشتر في جيش أبي بكر، فلما تواقفوا برز مالك بين الصفين، وصاح: يا أبا مسيكة! فبرز له فقال: ويحك يا أبا مسيكة! بعد الإسلام وقراءة القرآن، رجعت إلى الكفر؟! فقال: إياك عني يا مالك! إنهم يحرمون الخمر ولا صبر لي عنها! قال: هل لك في المبارزة؟ قال: نعم. فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف، فضربه أبو مسيكة فشق رأسه وشتر عينه، وبتلك الضربة سمي الأشتر. فرجع وهو معتنق رقبه فرسه إلى رحله، واجتمع له قوم من أهله وأصدقائه يبكون، فقال لأحدهم: أدخل يدك في فمي، فأدخل إصبعه في فمه فعضها مالك فالتوى الرجل من الوجع! فقال مالك: لا بأس على صاحبكم، يقال: إذا سلمت الأضراس سلم الرأس! إحشوها يعني الضربة،
سياقا (نبات) وشدوها بعمامة، فلما حشوها وشدوها قال: هاتوا فرسي. قالوا: إلى أين قال إلى أبي مسيكة! فبرز بين الصفين وصاح يا أبا مسيكة! فخرج إليه مثل السهم، فضربه مالك بالسيف على كتفه فشقها إلى سرجه فقتله! ورجع مالك إلى رحله فبقي أربعين يوما لا يستطيع الحراك، ثم أبل وعوفي من جرحه). انتهى.
أقول: لم يذكروا تأثير قتل بطلهم أبي مسيكة على المعركة، لأنهم لا يريدون أن ينسبوا إلى مالك تحقيق النصر! وقال ابن الكلبي في كتابه نسب معد واليمن / ٥٢: (أبو مسيكة، الذي شتر عين الأشتر النخعي يوم اليرموك). انتهى.
لكن المرجح عندي أن لقب (الأشتر) جاءه من اليرموك، من ضربة بطلهم ماهان الذي كان كعمرو بن ود في العرب، فبرز اليه الأشتر فقتله أو هزمه، فوقعت الهزيمة في الروم، وستأتي روايته.

طمسوا دوره في معركة القادسية واليرموك!
تدل النصوص المتناثرة في المصادر على دور مالك البطولي والقيادي في المعارك الفاصلة من تاريخنا! ويظهر أنه رحمه الله كان يتحرى بطل العدو أو قائدهم فيبرز اليه ويجندله، فتتغير المعادلة لصالح المسلمين وتقع في عدوهم الهزيمة، وهذا ما فعله في معركة مسيلمة الكذاب، وفي معركة اليرموك، وغيرهما!
وأنه بعد مشاركته في حرب مسيلمة توجه إلى الشام وشارك في معارك الفتح، ثم عاد إلى العراق وشارك في بعض معاركها، وبعد فتح عين التمر وحاجة جبهة الشام إلى مدد، بادر إلى معركة اليرموك وكان بطل النصر فيها، وبعد اليرموك كان قائدا فعالا ففتح عدة مدن وحصون في بلاد الشام، ثم طارد الروم إلى جبال اللكام، وعندما احتاجت اليه جبهة العراق بادر إلى معركة القادسية!
وقد ادعت رواية الطبري التالية: ٢ / ٥٩٧، أنه لم يحضر القادسية: (عن أرطأة بن جهيش قال كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية، فخرج يومئذ رجل من الروم فقال من يبارز؟ فخرج إليه الأشتر فاختلفا ضربتين فقال للرومي خذها وأنا الغلام الأيادي! فقال الرومي: أكثر الله في قومي مثلك، أما والله لولا أنك من قومي لآزرت الروم، فأما الآن فلا أعينهم). (وتاريخ دمشق: ٥٦ / ٣٧٩).
أقول: معنى أن هذا البطل الرومي أيادي، أنه من الغساسنة المتنصرين، لأنهم يرجعون مع النخع إلى أياد، وقد أعجب ذلك الفارس ببطولة ابن عمه مالك النخعي الأيادي وعاهده أن لا يقاتل مع الروم ضد المسلمين.
وأما قول الرواية إن مالكا لم يشهد القادسية، فيرده ما رواه الطبري نفسه ومصادر أخرى من أنه جاء من معركة اليرموك مددا للمسلمين في القادسية

وشهدها. فقد روى له أبو تمام في ديوان الحماسة: ١ / ٣٩ شعرا قاله في القادسية، قال: (وتلقني يشتد بي أجرد * مستقدم البركة كالراكب. هو مالك بن الحارث أحد بني النخع والأشتر لقب له، كان شاعرا يمانيا من شعراء الصحابة، شهد حرب القادسية أيام عمر بن الخطاب التي كانت بين المسلمين والفرس، وكان لعلي في حروبه مثل ما كان علي لرسول الله صلى الله عليه وآله).

وفي طبقات ابن سعد: ٦ / ٤٠٥: (أخبرنا طلق بن غنام قال: شهد جدي مالك بن الحارث القادسية... ثم قال عن طلق بن غنام: وكان ثقة صدوقا).

وفي الأغاني: ١٥ / ٢٠٨: (قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بن شبة: شهد عمرو بن معدي كرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين، وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر، قال: ولما قتله العلج (كان) عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المرادي ومالك بن الحارث الأشتر). (ومعاهد التنصيص للعباسي: ٢ / ٢٤٤).

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٧١٨: (عن الأعمش عن مالك بن الحارث أو غيره قال: كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي، إلا سمعته).

وفي ابن أبي شيبة: ٨ / ١٤، (فقال عمر: ما شأن النخع، أصيبوا من بين سائر الناس أفر الناس عنهم؟ قالوا: لا، بل ولوا أعظم الأمر وحدهم). (ونحوه في الإصابة: ١ / ١٩٦).

وذكر ابن أبي شيبة: ٨ / ١٥، أن النخع كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة، أي ربع جيش المسلمين، وأن ثقل المعركة كان عليهم!

وفي تاريخ الطبري: ٣ / ٨٢، أنهم هاجروا من اليمن مع عوائلهم، وزوجوا سبع مائة بنت إلى المسلمين وخاصة الأنصار. (ونحوه في تاريخ دمشق: ٦٥ / ١٠٠).

وتدل رواية الحافظ الأصبهاني في ذكر أخبار إصبهان: ٢ / ٣١٨، على أن الأشتر وفرسان النخعيين توغلوا في فتح إيران وشاركوا في فتح أصفهان، قال: (مالك

الأشتر بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع، كان بإصبهان أيام علي بن أبي طالب فيما ذكر عن عمير بن سعيد قال: دخلت على الأشتر بإصبهان في أناس من النخع نعوده).

ونحوها رواية السمعاني في الأنساب: ٥ / ٤٧٦، قال: (ومات بالقلزم مسموما سنة سبع وثلاثين من الهجرة، سمه معاوية في العسل، ولما بلغه الخبر قال: إن لله جنودا من العسل! قال عمير بن سعيد: دخلت على الأشتر بأصبهان في أناس من النخع نعوده، فقال: هل في البيت إلا نخعي؟ قلنا: لا).

فاتضح أن الروايات التي تنفي مشاركته في القادسية وفتح إيران، وضعها رواة الخلافة المتعصبون ضده وضد قومه النخعيين، بسبب تشيعهم!

* *

وقال الواقدي: ١ / ٦٨، عن مشاركة مالك في فتوح الشام زمن أبي بكر: (فما لبثوا حتى أقبل مالك بن الأشتر النخعي... وقد عزم على الخروج مع الناس إلى الشام.. واجتمع بالمدينة نحو تسعة آلاف، فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا إلى خالد بن الوليد... وقد تقدم إليك أبطال اليمن وأبطال مكة، ويكفيك بن معد يكرب الزبيدي، ومالك بن الأشتر).

وقال في ٤٦٢، في فتح الموصل: (والتقى مالك الأشتر بيورنيك الأرمني فلما عاين زيه علم أنه من ملوكهم، فطعنه في صدره فأخرج السنان من ظهره).

وقال ابن الأعثم: ١ / ٢٥٨ في فتح آمد وميافارقين في تركية: (ثم أرسل عياض مالك الأشتر النخعي وأعطاه ألف فارس، وأرسله إلى ناحية آمد وميافارقين، وحين وصل مالك مع الجيش إلى آمد تبين له أن القلعة حصينة جدا فأخذ يفكر بالأمر وأن مقامه سيطول هناك، ولما اقترب من آمد وعاين بنفسه قوة الحصن، أمر الجيش بأن يكبروا معا تكبيرة واحدة بأعلى صوت! فخاف أهل آمد وتزلزلت

أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف، وأنهم لا قبل لهم بحربهم، فأرسلوا شخصا إلى الأشتر فأجابهم الأشتر إلى الصلح، وتقرر أن يدفعوا خمسة آلاف دينار نقدا، وعلى كل رجل أربعة دنانير جزية، ورضي حاكم البلد بهذا الصلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسلمون صباح يوم الجمعة، فطافوا فيها ساعة ثم خرجوا، وأقاموا على بوابة البلدة).

مالك الأشتر بطل معركة اليرموك

عندما بدأ الروم يحشدون جيوشهم لاسترجاع ما فتحه المسلمون من بلاد الشام كان مالك في العراق، فحشدوا نحو مئة ألف مقاتل، وكان عدد المسلمين مقابلهم أقل من ثلاثين ألفا. ففي تاريخ دمشق: ٢ / ١٤٣: (أن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفا وعليهم أبو عبيدة بن الجراح، والروم عشرون ومائة ألف عليهم ماهان وسقلان يوم اليرموك). وفي فتوح ابن الأعثم: ١ / ١٧٣: (ثم جعل ماهان أميرا على جميع أجناده، وأمر الوزراء والبطارقة والأساقفة أن لا يقطعوا أمرا دونه).

ومن النصوص التي تحدد تاريخ معركة اليرموك، ما رواه في تاريخ دمشق: ٢ / ١٦٢ قال: (ثم بلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن واسع المطرد، ضيق المهرب... فنزلوا الواقوصة على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقا لهم وهو لهب لا يدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن يستفيق الروم... ومخرجهم صفر سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على شئ، ولا يخلصون إليهم واللهب وهو الواقوصة من ورائهم، والخندق من ورائهم، ولا يخرجون خرجة إلا أديل المسلمون منهم... وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر، فكتب إلى خالد ليلحق بهم وأمره أن يخلف على العراق المثنى، فوافاهم في ربيع). انتهى.

أقول: وبعد وصول خالد إلى دمشق توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر، فبادر إلى عزل خالد وتأمير أبي عبيدة مكانه، وخاف عمر أن يؤثر عزل خالد على سير المعركة، ولكن الله لطف على المسلمين ببطولة مالك الأشتر رحمه الله.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤١: (وجمع أبو عبيدة إليه المسلمين وعسكر باليرموك... وجعل أبو عبيدة خالد بن الوليد على مقدمته فواقع المشركين، ولقي ماهان صاحب الروم... وكانت وقعة جليلة الخطب فقتل من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين... وأوفد أبو عبيدة إلى عمر وفدا فيهم حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه إلى الخبر، فلما ورد عليه الخبر خر ساجدا وقال: الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة، فوالله لو لم يفتح لقال قائل: لو كان خالد بن الوليد).

خوف المسلمين وعمر من جيش الروم في اليرموك

نورد خلاصة بعبارة الواقدي وابن الأعثم، قال الواقدي في: ١ / ١٦٣: (ثم إن الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الأرمن، وأمره بالنهوض إلى قتال المسلمين وركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل، وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره... وسار ماهان في أثر القوم بجيوشه والرجال أمامه ينحتون له الأرض ويزيلون من طريقهم الحجارة، وكانوا لا يمرون على بلد ولا مدينة الا أضروا بأهلها، ويطالبونهم بالعلوفة والإقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون: لا ردكم الله سالمين. قال وجبلة بن الأيهم (رئيس غسان ومن معها) في مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام.... وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا إلى الجابية وحضروا بين يدي الأمير أبي عبيدة وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر، فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر

لديه وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبات قلقا لم تغمض له عين خوفا على المسلمين.... قال عطية بن عامر: فوالله ما شبهت عساكر اليرموك إلا كالجراد المنتشر إذ سد بكثرته الوادي! قال: ونظرت إلى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون عن قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأبو عبيدة يقول: ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

ثم ذكر / ١٧٨ رسالة أبي عبيدة إلى عمر فقال عمر: (ما تشيرون به علي رحمكم الله تعالى؟ فقال له علي بن أبي طالب: أبشروا رحمكم الله تعالى، فإن هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله.... قال لعمر: يا أمير المؤمنين أكتب إلى عاملك أبي عبيدة كتابا وأعلمه فيه أن نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا).

وقال ابن الأعثم في: ١ / ١٧٩: (وبلغ أبا عبيدة بأن ماهان وزير هرقل أقبل في عساكره حتى نزل مدينة حمص في مائة ألف، فاغتم لذلك... قال ثم تكلم قيس بن هبيرة المرادي فقال: أيها الأمير هذا وقت رأي نشير به عليك، أترانا نرجع إلى بلادنا ومساقط رؤوسنا، وتترك لهؤلاء الروم حصونا وديارا وأموالا قد أفاءها الله علينا ونزعها من أيديهم فجعلها في أيدينا، إذن لا ردنا الله إلى أهلنا أبدا إن تركنا هذه العيون المتفجرة والأنهار المطردة والزرع والنبات والكروم والأعناب والذهب والفضة والديباج والحرير، والحنطة والشعير! ونرجع إلى أكل الضب ولبوس العباءة، ونحن نزعم أن قتيلنا في الجنة يصيب نعيما مقيما، وقتيلهم في النار يلقى عذابا أليما! أثبت أيها الأمير وشجع أصحابك وتوكل على الله، وثق به ولا تيأس من النصر والظفر. قال فقال أبو عبيدة: أحسنت يا قيس، ما الرأي إلا ما رأيت، وأنا زعيم لك، ولا أبرح هذه الأرض حتى يأذن الله لي). انتهى.

أقول: يدل هذا النص على أن خوف بعض المسلمين من الروم قد بلغ مداه! وأن المعادلة الدنيوية كانت غالبة عليهم، لكن بعضهم غلبت عليه الطمأنينة والمعادلة الدينية، كما رأيت في اطمئنان علي عليه السلام بالوعد النبوي بهزيمة الروم.

وقال الواقدي عن نجدة مالك وخالد إلى اليرموك قال: ٢ / ١٩٢: (فلما وصلوا إلى عين التمر استعجل للنصرة، فترك الجيش وسار في سبعين فارسا، وأتت بقية السبعمائة بعد ذلك، وكان معه قيس بن عبد يغوث وقيس بن أبي حازم وسعيد بن نزار ومالك الأشتر النخعي، فتقدم هاشم وقيس معه في السبعين).

* *

وقال الواقدي: ١ / ٢٢٤ يصف المعركة ونصيحة البطاركة لبطلهم ماهان: (أيها الملك لا تخرج إلى الحرب حتى نخرج نحن إلى القتال قبلك، فإذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت. قال: فحلف ماهان بالكنائس الأربع لا يبرز أحد قبله! قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته، ثم إنه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال: قف مكاني! وقدم لماهان عدة فأفرغت عليه، قال الواقدي: وبلغنا أن عدته التي خرج بها إلى الحرب تقومت بستين ألف دينار، لأن جميعها كان مرصعا بالجوهر، فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال: أيها الملك ما أرى لك إلى البراز سبيلا ولا أحبه لك. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز. فقال ماهان: لست أفعل والقتل أحب إلي من العار! قال فبخروه وودعوه. وخرج ماهان إلى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق، وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا إلى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال: هذا ماهان، هذا صاحب القوم قد خرج! ووالله ما عندهم شئ من الخير! قال وماهان يرعب باسمه، فخرج اليه غلام من الأوس وقال:

والله أنا مشتاق إلى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه إلى الجنة! قال أبو هريرة: فنظرت إلى الغلام عندما سقط وهو يشير بإصبعه نحو السماء ولم يهله ما لحقه، فعلمت أن ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين. قال: فجال ماهان على مصرعه وقوي قلبه ودعا إلى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدي (!) وكان أول من برز مالك النخعي الأشتر وساواه في الميدان فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له: أيها العلج لا تغتر بمن قتلته وإنما اشتاق صاحبنا إلى لقاء ربه، وما منا إلا من هو مشتاق إلى الجنة، فإن أردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية وإلا فأنت هالك لا محالة! فقال له ماهان: أنت صاحب خالد بن الوليد؟ قال: لا أنا مالك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال ماهان: لا بد لي من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة فاجتهدا في القتال، فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكا على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينه فمن ذلك اليوم سمي بالأشتر، قال: فلما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع، ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم أن الله ناصره، قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن أنه قتل مالكا، وهو ينظره متى يقع عن ظهر فرسه! وإذا بمالك قد حمل وأخذته أصوات المسلمين يا مالك استعن بالله يعنك على قرينك، قال مالك: فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله صلى الله عليه وآله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن فعلمت أن الأجل حصين، فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل في عسكره! قال الواقدي: ولما ولى ماهان بين يدي مالك الأشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين: يا أهل النصر والبأس احملوا على القوم ما داموا في دهشتهم، ثم

حمل خالد ومن معه من جيشه، وحمل كل الأمراء بمن معهم، وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر، حتى إذا غابت الشمس وأظلم الأفق انكشف الروم منهزمين بين أيديهم، وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاءوا). انتهى.

أقول: يفهم من الرواية أن مالكا ضرب قائدهم ماهان ففر جريحا، فذهل الروم وتغيرت كفة المعركة لصالح المسلمين! لكن المرجح أنه قتله فبرز اليه آخران فقتلهما، ثم ثمانية من قادة جيش الروم، أو بطاركتهم كما يسمونهم!

فقد روى الكلاعي في الاكتفاء: ٣ / ٢٧٣، واصفا الأشتر: (كان من جلداء الرجال وأشدائهم، وأهل القوة والنجدة منهم، وأنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلا من بطارقتهم، وقتل منهم ثلاثة مبارزة)! انتهى.

بل تشير رواية الطبري: ٣ / ٧٤، التالية إلى أن ماهان قتل من ضربة الأشتر: (عن عبد الله بن الزبير قال: كنت مع أبي الزبير عام اليرموك فلما تعبأ المسلمون..... فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع فأصيب من الروم أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفا وقتل الله الصقلار وباهان، وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار). انتهى.

وستعرف أن رواة السلطة يحرصون على طمس بطولات من لا يحبونهم أو سلبها منهم ونسبتها إلى أتباع السلطة، وهذا هو السبب في نسبتهم قتل ماهان إلى مجهول! أو قولهم إنه اختلف في الذي قتله! وكذلك طمسهم مبارزات الأشتر الأخرى، وأسماء قادة الروم الأحد عشر الذين قتلهم رحمه الله.

جهاد مالك الأشتر بعد اليرموك!

وصف ابن العديم في تاريخ حلب: ١ / ٥٦٩، توغل الأشتر بعد اليرموك في أرض الروم فقال: (وحدثني الحسن بن عبد الله أن الأشتر قال لأبي عبيدة: ابعث معي

خيلا أتبع آثار القوم وأمضي نحو أرضهم، فإن عندي جزاء وغناء. فقال له أبو عبيدة: والله إنك لخليق لكل خير). وفي: ١ / ١٥٦: (وأول من قطع جبل اللكام وصار إلى المصيصة مالك بن الحارث الأشتر النخعي من قبل أبي عبيدة بن الجراح).
ولا يتسع المجال للتفصيل، فنكتفي بتسجيل نقاط مختصرة عن بطولاته في فتح بلاد الشام، التي حكمها قاتله معاوية!
قال الكلاعي في الاكتفاء: ٣ / ٢٧٣: (وتوجه مع خالد في طلب الروم حين انهزموا فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق وعليها جماعة من الروم عظيمة، أقبلوا يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر، فتقدم إليهم الأشتر في رجال من المسلمين وإذا أمام الروم رجل جسيم من عظمائهم وأشدائهم، فوثب إليه الأشتر لما دنا منه فاستويا على صخرة مستوية فاضطربا بسيفيهما فضرب الأشتر كتف الرومي فأطارها، وضربه الرومي بسيفه فلم يضره شيئا، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا والأشتر يقول وهما يتدحرجان: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. فلم يزل يقول هذا وهو في ذلك ملازم العلج لا يتركه حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل، فلما استقرا فيه وثب الأشتر على الرومي فقتله، ثم صاح في الناس أن جوزوا! فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس، ثم انهزموا)! انتهى.
ثم ذكر هزيمة الروم العامة بعد اليرموك، وفرار هرقل من أنطاكية مودعا لها: (فقال: السلام عليك يا سورية، سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدا)!
وذكر البلاذري في فتوحه: ١ / ١٩٤، أن مالك الأشتر كان قائدا في فتح أنطاكية.
وذكر في / ٦٣٠ أبا ذر والأشتر في القادة، في محاصرة مدينة ساحلية.. الخ.

وذكر في: ١ / ٣٠٢، وما بعدها كيف خطط مالك لفتح حلب، ثم كيف فتح حصن عزار، واستخلف عليه سعيد بن عمرو الغنوي ورجع إلى أبي عبيدة، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالنصر).
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤١ أن أبا عبيدة أرسله إلى: (جمع إلى الروم، وقد قطعوا الدرب، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انصرف وقد عافاه الله وأصحابه).
وذكر الواقدي في: ١ / ٢٢٣ مبارزته لجرجيس أحد قادة الروم في منطقة عمورية، قال: (وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليبا كان في عنقه وقال: هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك، فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس أنه عربي من المتنصرة، فخرج اليه ضرار بن الأزور كأنه شعلة نار فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي أثقلته فقال في نفسه: وما عسى يغني هذا اللباس إذا حضر الأجل، ثم رجع موليا فظن الناس أنه ولى فزعا، فقال قائل منهم: إن ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط أنه انهزم! وهو لا يكلم أحدا حتى صار إلى خيمته ونزع ثيابه وبقي بالسراويل، وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد إلى الميدان كأنه الظبية الخمصاء، فوجد مالكا النخعي قد سبقه إلى البطريق وكان مالك من الخطاط إذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الأرض!
فنظر ضرار فإذا بمالك ينادي العلج: تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب إلى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب، فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه!
قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد، فقصد جواده وطعنه في خاصرته فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة، وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لأنه قد اشتبك

في ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك لأنه مزرر في ظهر الجواد بزنانير إلى سرجه، فنظر المسلمون إلى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه، فأتاه مالك وقال: ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي؟! فقال ما أنا بشريكك وإنما أنا صاحب السلب وهو لي، فقال مالك: أنا قتلت جواده! فقال ضرار: رب ساع لقاعد، آكل غير حامل! فتبسم مالك وقال: خذ صيدك هنأك الله به! قال ضرار: إنما أنا مازح في كلامي، خذه إليك فوالله ما آخذ منه شيئا وهو لك وأنت أحق به مني. ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشي به وهو يتصبب عرقا. قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك! فقال أبو عبيدة: بأبي وأمي والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا). انتهى.

أقول: لا أظن أن ضرار بن الأزور طان حيا في معركة اليرموك، ولو كان فغرض الرواية التغطية على هزيمته، وأن تجعله شريكا لمالك الأشتر، فضرار هذا من أتباع السلطة، وهو قاتل مالك بن نويرة رحمه الله وكان مدمن خمر حتى شكاه أبو عبيدة إلى عمر (الطبري: ٣ / ١٩١، وتاريخ دمشق: ٢٤ / ٣٩٠) وكان في مهمة في حي من قومه بني أسد فرأى عروسا جميلة تزف إلى زوجها فغصبها! فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يرجمه فوصل الكتاب بعد وفاة ضرار، ففرح بذلك خالد! (مجموع النووي: ١٩ / ٣٣٨، وسنن البيهقي: ٩ / ١٠٤، وتاريخ البخاري: ٤ / ٣٣٨، والجرح والتعديل: ٤ / ٤٦٤، وتاريخ دمشق: ٢٤ / ٣٨٨، وقد وثق في مجمع الزوائد: ٦ / ٢٢١، رواية قتله لمالك بن نويرة رحمه الله، وبحث ذلك في النص والاجتهاد / ١٢١).

* *

دور مالك الأشتر في فتح مصر
وقد روته عدة مصادر، منها ما رواه الواقدي: ٢ / ٦٦: (فقال يزيد بن أبي سفيان: أنا والله رأيت مالكا الأشتر النخعي، وعرفته بطول قامته وركبته على فرسه...).
وذكر في: ٢ / ٢٢١، كتاب عمر إلى ابن العاص يذكر فيه مالكا في القادة.
وذكر في: ٢ / ٢٤٠: نداء مالك في المسلمين في مصر يثبتهم ويشجعهم قال: (لا تولوا فرارا من الموت! أتريدون أن تكونوا عارا عند العرب! فما عذركم غدا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أما سمعتم قول الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير).
وذكر في: ٢ / ٢٤٢، أنه كان في قلب جيش الفتح المصري مقابل الروم، وفي: ٢ / ٢٧٢ مشاركته في فتح البهنسا، وقال: (ونزل المسلمون بجانب الجبل عند الكثيب الأصفر قريبا من البياض الذي على المغارة نحو المدينة.... فلما أصبحوا خرج أعداء الله للقائهم فقال مالك الأشتر: يا قوم إن أعداء الله خرجوا للقائكم فاشغلوهم بالقتال وأرسلوا جماعة منكم يملكون الجسر واستعينوا بالله). انتهى.
* *

نفي عثمان للأشتر وزعماء الكوفة إلى الشام
كان مالك الأشتر رئيس قبيلة النخع في الكوفة، وكان له نفوذ على عامة قبائل اليمن، ولم يكن أحد أكثر منه نفوذا إلا الأشعث بن قيس زعيم قبائل كندة.
وكان الأشتر الناطق الرسمي باسم زعماء الكوفة إلى دار الخلافة في زمن عمر وعثمان، وقد وفد شاكيا مظالم الوالي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، الذي كان صاحب خمارة ومبغى في مكة وعدوا لدودا للنبي صلى الله عليه وآله، وكان مدمن خمر حتى صلى الصبح ثمان ركعات وتقيأ في محراب المسجد!
ففي صحيح مسلم: ٥ / ١٢٦: (قال شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ! فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها فكأنه وجد عليه فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد). (والأم للشافعي: ٧ / ١٩٢، ومجموع النووي: ٢٠ / ١١٦، وفتح الوهاب: ٢ / ٢٨٧، ومغني الشربيني: ٤ / ١٨٩، ومسند أحمد: ١ / ٨٢، و ١٤٠، و ١٤٥، وسنن الدارمي: ٢ / ١٧٥، و ابن ماجة: ٢ / ٨٥٨، وأبي داود: ٢ / ٣٥٩، وسنن البيهقي: ٨ / ٣١٨، والسيرة الحلبية: ٢ / ٥٩٢، والغدير: ٨ / ١٢٠).
أقول: لا يمكن قبول قولهم إن الإمام الحسن خالف أمر أبيه عليهما السلام، لأنه يدين الله تعالى بإمامة أبيه عليهما السلام، ولأنهما معصومان.
* *
استبدل عثمان واليه على الكوفة ابن أبي معيط الأموي بسعيد بن العاص الأموي فطهر سعيد منبر مسجد الكوفة من ابن معيط! وحاول أن يتألف المسلمين، لكن تعصبه الأموي واستهتاره بالمسلمين أغضب أهل الكوفة عليه!

قال الطبري: ٣ / ٣٦٥: (قدم سعيد بن العاص الكوفة فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده، وأنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس النخعيان، وفيهم مالك الأشتر في رجال، فقال سعيد: إنما هذا السواد (العراق) بستان لقريش! فقال الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟! والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا إلا أن يكون كأحدنا)!

وقال الطبري: ٣ / ٣٦٥، إن سعيد بن العاص كتب إلى عثمان: (إن رهطا من أهل الكوفة سماهم له عشرة، يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا! وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى معاوية ومعاوية يومئذ على الشام، فسيرهم وهم تسعة نفر إلى معاوية، فيهم مالك الأشتر، وثابت بن قيس بن منقع، وكميل بن زياد النخعي، وصعصعة بن صوحان... أن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم قال فيما يقول: وإني والله ما آمركم بشئ إلا قد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي وخاصتي! وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة (ص)... وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازما! قال صعصعة: كذبت! قد ولدهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر والأحمق والكيس!

فخرج تلك الليلة من عندهم، ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا، ثم قال: أيها القوم ردوا علي خيرا أو اسكتوا، وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم. فقال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله!

فقال: أوليس ما ابتدأتكم به إن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه (ص) وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا؟ قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي (ص)! قال: فإني آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه (ص) ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقروا أئمتكم وتدلوهم على كل حسن ما قدرتم وتعظوهم في لين ولطف... فقال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن في المسلمين من هو أحق به منك! قال: من هو؟ قال من كان أبوه أحسن قدما من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدما منك في الإسلام!

فقال: والله إن لي في الإسلام قدما ولغيري كان أحسن قدما مني، ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة... الخ.)! (وكشف الخفاء: ٢ / ٢٧٥ بعضه).

وذكر البلاذري أن معاوية حبس الأشتر وأصحابه فتحرك لذلك بعض رؤساء القبائل فأخرجهم من السجن، فاحتف بهم المسلمون يستمعون إلى أحاديثهم:

(وبلغ معاوية أن قوما من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه، فكتب إلى عثمان: إنك بعثت إلي قوما أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبل ويعلموهم ما لا يحسنونه حتى تعود سلامتهم غائلة واستقامتهم اعوجاجا). (أنساب الأشراف / ١٤٤٨).

أقول: يدل هذا النص على تدني مستوى الوعي الديني لأهل الشام، وأنهم لا يعرفون إلا القليل القليل من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسيرته وموقفه من قريش وبني أمية، ومكانة عترته الطاهرين عليهم السلام التي نص عليها القرآن والنبي صلى الله عليه وآله! ولذلك كان معاوية وبنو أمية حريصين على منع التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، يخافون أن لا يختلط أهل الشام بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله فيزيلوا عن قلوبهم التعتيم

والتجهيل الأموي، ويفتحوا عقولهم على الإسلام كما أنزل!
وقد وصف الطبري في: ٣ / ٣٦٥، آخر مناقشة لهم مع معاوية: (فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته! فقال: مه إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشأم ما صنعتم بي وأنا إمامهم، ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضا! ثم قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت! ثم كتب إلى عثمان: لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إلي أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس زعموا من قبل القرآن، فيشبهون على الناس! وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة ويقربون فتنة! قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم! فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشأم أن يغروهم بسحرهم وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دراهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.
فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا! وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميرا على حمص، وكتب إلى الأشتر وأصحابه: أما بعد، فإني قد سيرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فأخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شرا، والسلام. فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظرا للرعية، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة! فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل).

وقال الطبري: ٣ / ٣٦٧: (فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام وألزمهم الدروب...). انتهى.
أقول: تدل هذه الروايات على قوة شخصياتهم ومنطقهم واسترخاصهم لمعاوية وبني أمية، وأنهم كانوا مؤمنين أصحاب ثقافة قرآنية وحديثية عبر عنها معاوية بقوله الجاهلي: (قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم)! ومعنى قول عثمان لابن خالد: ألزمهم الدروب، أي ضعهم في الطرق التي يغير منها الروم على المسلمين، وهي مناطق خطرة، لعلهم يقتلون!
ولهم قصص مع عبد الرحمن بن خالد كقصصهم مع معاوية في التبعيد الأول، مما اضطر الخليفة لإرجاعهم إلى الكوفة! فعادوا وهم أقوى بالتفاف المسلمين حولهم، ثم ذهب وفد الكوفة إلى المدينة برئاسة مالك الأشتر يطالبون عثمان بإصلاح الوضع وتغيير الوالي سعيد بن العاص فلم يستجب لهم، وكان سعيد في المدينة، فرجع مالك قبله إلى العراق: (فسبق سعيدا، وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد، ثم قال: أما بعد فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث! فبايعوني على أن لا يدخلها، فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة، وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة، فلقي سعيدا بواقصة فأخبره بالخبر فانصرف إلى المدينة! وكتب الأشتر إلى عثمان: إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك، ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه، فابعث إلى عملك من أحببت! فكتب إليهم: أنظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعري فولوه). (مروج الذهب / ٥٨٢).

قوم صالحون يجهزون جنازة أبي ذر رحمه الله
كان الأشتر رحمه الله مع مئتي راكب من اليمانيين عائدين من الحج، فشاهدوا امرأة على قارعة الطريق عند الربذة، تلوح بثوب أسود، وإذا بها زوجة أبي ذر الذي نفاه عثمان إلى الربذة، فأخبرتهم أنه توفي ودعتهم إلى القيام بمراسم دفنه.
في اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٨٣: (مكث أبو ذر رحمه الله بالربذة حتى مات فلما حضرته الوفاة قال لامرأته: إذبحي شاة من غنمك واصنعيها فإذا نضجت فاقعدي على قارعة الطريق، فأول ركب ترينهم قولي: يا عباد الله المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد قضى نحبه ولقي ربه فأعينوني عليه وأجيبوه! فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أني أموت في أرض غربة، وأنه يلي غسلي ودفني والصلاة علي رجال من أمتي صالحون... محمد بن علقمة بن الأسود النخعي قال: خرجت في رهط أريد الحج، منهم مالك بن الحارث الأشتر، وعبد الله بن الفضل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي حتى قدمنا الربذة، فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله هلك غريبا، ليس لي أحد يعينني عليه! قال: فنظر بعضنا إلى بعض وحمدنا الله على ما ساق إلينا، واسترجعنا على عظم المصيبة، ثم أقبلنا معها فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء (أي من مال الجميع) ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى بنا عليه ثم دفناه، فقام الأشتر على قبره ثم قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر، ثم مات وحيدا غريبا، اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسولك! قال: فرفعنا أيدينا جميعا وقلنا: آمين. ثم قدمت الشاة التي صنعت،

فقالت: إنه قد أقسم عليكم ألا تبرحوا حتى تتغدوا، فتغدينا وارتحلنا). انتهى.
(في الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر: ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين. وفي البلاذري: يلي دفنه رهط صالحون، وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيون (أنساب الأشراف: ٥ / ٥٥، وحلية الأولياء: ١ / ١٧، والحاكم: ٣ / ٣٣٧، والاستيعاب: ١ / ٨٣. وقال في شرح النهج: ٣ / ٤١٦: هذا
الحديث يدل فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعة من النبي بأنه مؤمن). (الغدير: ٩ / ٤١، بتصرف).
أقول: بخل رواة الخلافة على مالك الأشتر وصحبه بهذا التوفيق في تجهيز أبي ذر، فزعموا أن الذي صلى عليه عبد الله بن مسعود! لأنهم لا يريدون الاعتراف بشهادة النبي صلى الله عليه وآله بأنه سيتولى دفن أبي ذر قوم صالحون، بل يريدون مدح عثمان بأنه تأثر لموت أبي ذر وضم ابنته إلى عياله كما في الطبري: ٣ / ٣٥٤.
أو يريدون الهرب من الموضوع كما في أسد الغابة: ٥ / ١٨٨، قال: (وفي ذكر موته وصلاة عبد الله بن مسعود عليه، ومن كان معه في موته، ومقامه بالربذة، أحاديث لا نطول بذكرها). (راجع مستدرك الحاكم: ٣ / ٥١).
خطبة الأشتر عند بيعة أمير المؤمنين عليه السلام
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٩: (وقام صعصعة بن صوحان فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.
ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال: أيها الناس: هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنة الرضوان. من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل). انتهى.
ثم كان مالك الأشتر رحمه الله عضد أمير المؤمنين عليه السلام في حربه وسلمه، وقد تقدم

شئ عن دوره العظيم في حرب الجمل وصفين، ويكفي فيه قول أمير المؤمنين المتقدم: رحم الله مالكا وما مالك.. لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهي كلمة عظيمة تدل على دور مالك العظيم في حروب أمير المؤمنين عليه السلام.
وبعد صفين عينه أمير المؤمنين عليه السلام واليا على الجزيرة والموصل، فبقي فيها حتى أرسل اليه أن يستخلف أحدا ويحضر اليه، فأرسله إلى مصر فاستخلف شبيب بن عامر على الجزيرة. (أنساب الأشراف / ٤٧١).
رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل مصر، وعهده إلى مالك الأشتر
في أمالي المفيد / ٨١: (فخرج مالك الأشتر رضي الله عنه فأتى رحله وتهيأ للخروج إلى مصر، وقدم أمير المؤمنين عليه السلام أمامه كتابا إلى أهل مصر:
بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله الصلاة على نبيه محمد وآله، وإني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، من أشد عبيد الله بأسا، وأكرمهم حسبا، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشتر، لا نابي الضرس ولا كليل الحد، حليم في الحذر، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفير فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري، فقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم، وشدة شكيمة على عدوكم. عصمكم الله بالهدى وثبتكم التقوى، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته). انتهى.
أما عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر، فهو يقع في نحو ثلاثين صفحة، وهو وثيقة سياسية إدارية حقوقية فريدة، ترسم للحاكم برنامجه في إدارة الدولة. وقد عرف قيمته بعض الحقوقيين الغربيين كما قرأت، فجعلوه مصدرا قانونيا لما لا نص عندهم فيه!

قتل معاوية مالك الأشتر بالسم

ذكرنا في مصادر قتل معاوية لعبد الرحمن بن خالد أن العديد من المحدثين والمؤرخين نصوا على أن معاوية سمه وقول معاوية لما بلغه نجاح خطته في قتله: (إن لله جنودا من عسل)! ففي أنساب السمعاني: ٥ / ٤٧٦: (سمه معاوية في العسل، ولما بلغه الخبر قال: إن لله جنودا من العسل). وفي مستقصى الزمخشري: ١ / ٤١٣: (إن لله جنودا منها العسل: قاله معاوية حين سقى الأشتر عسلا). وفي التمثيل والمحاضرة للثعالبي / ١٩: (قاله معاوية لما أمر بسم الأشتر النخعي).

وقال الطبري في تاريخه: ٤ / ٧١: (وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية علي الأشتر فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث معاوية إلى الجايستار (لعله لفظ رومي معناه مسؤول الخراج) رجل من أهل الخراج فقال له: إن الأشتر قد ولي مصر فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف، وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سما، فسقاه إياه فلما شربها مات. وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن عليا وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه! قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر!

وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر)! (ونحوه في الغارات: ١ / ٢٦٣، وتاريخ دمشق: ٥٦ / ٣٧٦ وجمهرة خطب العرب: ١ / ٤٣٠، وشرح النهج: ٦ / ٧٦، وأمالي المفيد / ٨٢، وفيه: وبلغ معاوية خبره فجمع أهل الشام وقال لهم: أبشروا فإن الله تعالى قد أجاب دعاءكم وكفاكم الأشتر وأماته، فسروا بذلك واستبشروا به. والبدء والتاريخ: ٥ / ٢٢٦، وطبعة ٤٤٠، وفيه: (فلما شربه الأشتر يبس مكانه! فقال معاوية لما بلغه: ما أبردها على الفؤاد! إن لله جنودا من عسل)!

وفي ثقات ابن حبان: ٢ / ٢٩٨: (وكتب إلى دهقان بالعريش إن احتلت في الأشتر فلك علي أن أخرج خراجك عشرين سنة). (ونحوه في طبقات الأطباء / ١٥٤، ونهاية الإرب / ٤٤٦٥، والأوائل للعسكري / ١٦٥، وآثار البلاد للقزويني / ١٨٠ وفيه: (فأهدى إليه عسلا وكان الأشتر صائما فتناول منه شربة، فما استقر في جوفه حتى تلف! فأتى من كان معه على الدهقان وأصحابه وأفنوهم).

مصادر حاولت التجهيل أو التشكيك أو التبرير!

تاريخ البخاري: ٧ / ٣١١، قال: (فشرب شربة من عسل كان فيها حتفه! فقال عمرو بن العاص: إن لله جنودا من عسل). وفي المستطرف / ١٥٤: (ومعاوية أيضا حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات: إن لله جنودا منها العسل). ونحوه في / ٣٥٢، ومجمع الأمثال للميداني: ٢ / ٣٦٢، وفيه: (واها كلمة يقولها المسرور. يحكى أن معاوية لما بلغه موت الأشتر قال: واها ما أبردها على الفؤاد). وفي مجمع الأمثال للنيسابوري: ١ / ١١: (إن لله جنودا منها العسل. قاله معاوية لما سمع أن الأشتر سقي عسلا فيه سم).

أما ابن كثير الأموي فقال في النهاية: ٧ / ٣٤٦: (وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقتله، ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك، وفي هذا نظر، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان. والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحا شديدا

بموت الأشتر النخعي، ولما بلغ ذلك عليا تأسف على شجاعته وغنائه، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر غير أنه ضعف جأشه).

أقول: لاحظ أن ابن كثير دافع دفاعا ضعيفا عن جريمة معاوية في قتله لمالك، ثم أفتى بأن مالكا كان من قتلة عثمان، وأن معاوية الذي هو إمام الفئة الباغية على الخليفة الشرعي باعترافه، له الحق في أن يقتل كل الصحابة الذين شاركوا في محاصرة عثمان! وهذا خبط عشواء يعطي لكل أحد الحق في أن يقتل مئات الصحابة الذين شاركوا في حصار عثمان، بحجة أنهم شاركوا في قتله!

* *

شخصية معاوية الخاوية أمام مناقبية مالك وفتوحاته!

قارن إذا شئت بين شخصية معاوية الخاوية وسلوكيته المادية! وبين شخصية مالك المؤمنة وسلوكيته المناقبية رحمه الله! فأين الثريا من الثرى، وأين معاوية من وزير علي عليه السلام وعضده وتلميذه؟!

قارن بين معاوية الذي كان معاون أخيه يزيد القائد الرسمي لجيش فتح الشام، فلم يعهد عنهما أنهما برزا إلى فارس، ولا قاتلا يوما في معركة بضربة سيف!

بل كان عملهما أن ينتظرا حتى يفتح الأبطال والجنود البلاد، فيجبيا خراجها، ويتحكما في أهلها ويغصبا الجارية الجميلة!

ثم مات أخوه يزيد أو سمه معاوية نفسه وبكى عليه، وتولى عمله! وواصل أسلوبه خاتلا خاملا طيلة أيام حروب الفتح وقعقعة السلاح وزمجرة الأبطال! لكنه نشط في السلم لقطف الثمار وحكم المناطق المفتوحة!

فأين كان معاوية في صولات مالك وجولاته في لهب المعارك، من جنوب

الجزيرة في حرب مسيلمة الكذاب، إلى العراق مقابل جيش الفرس، فالشام مقابل جيش الروم، فالعراق ثانية، فأصفهان، والموصل وآمد، فالشام في معركة اليرموك، فحلب وأنطاكية وجبال اللكام، ثم مصر في جبهتها البرية والبحرية مع الروم، ثم في الكوفة موجها لجيوش البعوث، ومراقبا للحاكم وجهاز الدولة، ثم منفيا من عثمان عند معاوية وعند ابن خالد في نفس المناطق التي فتحها بسيفه! ثم وزيرا لأمير المؤمنين عليه السلام وعضده في سلمه وحربه، وبطل صفين الذي وصل إلى قاب قوسين من خيمة معاوية وتحقيق النصر، فدبروا له رفع المصاحف لتضليل المسلمين وتضييع ثمرة النصر!

قال ابن الأعثم: ٣ / ١٨٨: (فكان معاوية بعد ذلك يقول: والله لقد رجع عني الأشتر يوم رفع المصاحف وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من علي، وقد هممت ذلك اليوم بالهرب، ولكن ذكرت قول عمرو بن الأطنابة حيث يقول...:

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي).

* *

وما أسهل أن تلاحظ حقد معاوية الذي لم يستطع أن يكتمه على مالك! فقد دخل في نسيجه بغض عديم القيم لصاحبها، وعداوة المنافق للمؤمن، وكره الجبان للبطل، وحسد القزم للعملاق!

قال الموفق الخوارزمي في المناقب / ٢٣٢: (ونادى (الأشتر): ليبرز إلي معاوية، فقال: لست بكفوي! قال الأشتر: فابرز إلى صاحبي فإنه سيد قريش والعرب كلهم فدع التعلل! ثم دعا معاوية جندب بن ربيعة وكان خطب إلى معاوية ابنته فرده، فقال له عمرو بن العاص: إن قتلت الأشتر زوجك معاوية ابنته رملة! فبرز إليه جندب فقال له الأشتر: من أنت وكم ضمن لك معاوية على مبارزتي؟ قال: يزوجني ابنته بقتلك، فأنا الآن آتيه برأسك، فضحك الأشتر! وحمل عليه جندب

برمحه فأخذه الأشتر تحت إبطه، فجعل جندب يجتهد في جذبه فلم يمكنه، حتى ضرب الأشتر رمحه فقده نصفين! وهرب جندب فضربه الأشتر بسيفه فصرعه! ثم حمل الأشتر فضاربهم حتى أزال عمرو بن العاص عن موقفه وانكشف أهل الشام، وأفضى الأشتر إلى معاوية، فخرج رجل من بني جمع فضارب عن معاوية حتى أنقذه، وكاد الأشتر يصل إليه وحجز بينهم الليل)!

وقال ابن مزاحم في وقعة صفين / ٤٣٩: (إن معاوية دعا مروان بن الحكم فقال: يا مروان إن الأشتر قد غمني وأقلقني فأخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب (قبيلتان) فالقه فقاتل بها. فقال له مروان: أدع لها عمرا فإنه شعارك دون دثارك. قال: وأنت نفسي دون وريدي. قال: لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء، أو ألحقته بي في الحرمان، ولكنك أعطيته ما في يديك، ومنيته ما في يدي غيرك، فإن غلبت طاب له المقام، وإن غلبت خف عليه الهرب). (والإمامة لابن قتيبة: ١ / ٩٩).

ولا يتسع المجال لأن نستعرض المفردات الكثيرة التي تدل على بطولة مالك ويقينه ونبله وسمو إيمانه، وخواء معاوية وانحطاطه!

* *

ألم علي عليه السلام على قتل مالك الأشتر رحمه الله!

في الغارات للثقفي: ١ / ٢٦٤: (عن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان قال: فلما بلغ عليا عليه السلام موت الأشتر قال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا فقد وفى بعهده، قضى نحبه ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنها أعظم المصائب...

عن مغيرة الضبي قال: لم يزل أمر علي شديدا حتى مات الأشتر، وكان الأشتر

بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة... عن أشياخ النخع قالوا: دخلنا على علي عليه السلام حين بلغه موت الأشتر فجعل يتلهف ويتأسف عليه ويقول: لله در مالك! وما مالك! لو كان جبلا لكان فندا، ولو كان حجرا لكان صلدا، أما والله ليهدن موتك عالما وليفرحن عالما، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كمالك؟! قال: فقال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وقد عرف ذلك في وجهه أياما). (وشرح النهج: ٦ / ٧٧).

* *

مشهد مالك الأشتر رحمه الله في القاهرة

(لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدم المدينة.... فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا، وسقاه نافع العسل فمات. وهذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الواقع، وتؤكد صحة موضع قبره بمنطقة القلج الآن بالقرب من بلدة الخانكة، وهذه المنطقة واقعة ضمن حدود مدينة عين شمس القديمة. وأكثر زوار مرقد مالك الأشتر من العرب والأجانب، فشهرته محدودة وسط المصريين، ولذلك يلقبونه بالشيخ العجمي! وقد تم تجديد مرقده مؤخرا على أيدي طائفة البهرة الإسماعيليين ودفن إلى جواره شقيق شيخ البهرة. ويقع مرقده وسط بستان تحيط به مناطق زراعية بدأ الزحف السكاني يطغي عليها). (الشيعة في مصر للأستاذ صالح الورداني / ١٠٨).

* *

١٠ - قتله الصحابي حجر بن عدي الكندي رحمه الله
حجر بن عدي الكندي رحمه الله صحابي جليل، وفارس من كبار قادة الفتوحات، كان كثير العبادة حتى وصفوه براهب الصحابة، قال الحاكم في المستدرك: ٣ / ٤٦٨: (ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه، وهو راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله).
وفد على النبي صلى الله عليه وآله هو وأخوه هانئ بن عدي وشهد القادسية، وشارك في فتح الشام وهو الذي فتح مرج عذراء الذي قتل فيه! (تاريخ الطبري: ٣ / ١٣٥، والغارات للثقفي: ٢ / ٨١٢، والمحبر / ٢٩٢، وأخبار الشعراء / ٤٩، و مذيل الطبري / ١٤٩، والطبقات: ٦ / ٢١٧).
وكان قائد ميمنة المسلمين في معركة جلولاء. (الأخبار الطوال / ١٢٧).
* *

وكان في صفين قائد ميمنة علي عليه السلام: (تاريخ الطبري: ٤ / ٦٣). وقائد قوات كندة (تاريخ خليفة ١٤٦، والغارات: ١ / ٥١). وكان من عظماء أصحاب علي، وأراد أن يوليه رئاسة كندة ويعزل الأشعث بن قيس، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار، فأبى حجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حي). (الأخبار الطوال: / ٢٢٤).
* *

وكان بارا بأمه محبا لها: فكان يرتب لها مكان نومها بيديه، ثم ينام فيه ليطمئن أنه ممهد! (تاريخ دمشق: ١٢ / ٢١٢، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا / ٧٦).
* *

وهو أول من خرج لرد غارات معاوية على مسالح العراق: وطارد الضحاك بن قيس فلحقه في تدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان، وحال بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه) (تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٤).
* *

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام بقتل حجر ظلما: ففي تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٢٦: (عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل حجر

وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين أني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وأن بقاءهم فساد للأمة! فقالت سمعت رسول الله (ص) يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم أهل السماء). (وفيض القدير: ٤ / ١٦٦، والغارات: ٢ / ٨١٢).

وفي تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٢٧: (عن ابن زرير الغافقي عن علي بن أبي طالب قال: يا أهل الكوفة سيقتل فيكم سبعة نفر خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود).

وفي بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٢٤: عن حجر رحمه الله قال: (قال لي علي عليه السلام: كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال: إلعني ولا تبرأ مني فإني على دين الله).

يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك

في بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٩٩: (وروى نصر عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال: بلى. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتبرؤون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر. وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءهم ودماءنا وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لج به، لكان أحب إلي وخيرا لكم. فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك).

وكان حجر يكتب عن أمير المؤمنين عليه السلام: (قال: ناولني الصحيفة من الكوة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت علي بن أبي طالب يذكر أن

الطهور نصف الإيمان). (الغارات: ٢ / ٨١٢).
* *

وكان معتمد الإمام الحسن عليه السلام: (فلما بلغ (معاوية) جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خف معه أخلاط من الناس). (الإرشاد: ٢ / ١٠، ومقاتل الطالبيين / ٣٩).
* *

وقد فضح حجر دور الأشعث بن قيس في قتل أمير المؤمنين عليه السلام: ففي مقاتل الطالبيين / ٢٠: (والأشعث في بعض نواحي المسجد، فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح، فقال له حجر: قتلته يا أعور وخرج مبادرا إلى علي).
* *

وكان أحد الذين يحسب معاوية حسابهم: (فكتب معاوية إلى المغيرة خذ زيادا وسليمان بن صرد وحجر بن عدي وشبث بن ربعي وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه في الصلاة). (تاريخ الطبري: ٤ / ١٣٧)
* *

وقتل مع عدد من أصحابه الأربعة عشر: قتل منهم خمسة مع حجر في مرج عذراء، هم: شريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي ثم المنقري، وكدام بن حيان العنزي.
أما السابع فهو عبد الرحمن بن حسان العنزي، وقد بعث به معاوية إلى زياد بن أبيه فدفنه في الكوفة حيا! وقد توسط لهم الصحابة وزعماء القبائل والشخصيات عند معاوية، فلم يقبل وساطتهم إلا في سبعة فقط فأطلقهم، وهم: كريم بن عفيف الخثعمي، وعبد الله بن حوية التميمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، والأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، وسعيد بن نمران الهمداني). (تاريخ دمشق: ٨ / ٢٧)

* *

وقال حجر قبل موته: الموت في حب علي عليه السلام شهادة: ففي مختصر أخبار الشعراء للمرزباني / ٤٩: (ولما قدم حجر عذراء قال: ما هذه القرية؟ فقيل: عذراء فقال: الحمد لله، أما والله إني لأول مسلم ذكر الله فيها وسجد، وأول مسلم نبح عليه كلابها في سبيل الله، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصفدا في الحديد! ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصلي ركعتين خفيفتين، فلما سلم انفتل إلى الناس فقال: لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفس مما كانتا، وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتي شيئا، ثم أخذ ثوبه فتحزم به، ثم قال لمن حوله من أصحابه: لا تحلوا قيودي فإني أجتمع ومعاوية على هذه المحجة! ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف، فشخص إليه حجر فقال: ألم تقل إنك لم تجزع من الموت؟ فقال: أرى كفنا منشورا، وقبرا محفورا، وسيفا مشهورا، فما لي لا أجزع! أما والله لئن جزعت لا أقول ما يسخط الرب! فقال له: فابرأ من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما تريد إن فعلت! فقال: ألم أقل إني لا أقول ما يسخط الرب! والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله بيومي هذا! ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه، فقيل له: تعجلت الثكل! فقال: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي عليه السلام فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين! ولما حمل عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي وكانا من أصحابه قال: العنزي: يا حجر لا تبعد ولا يبعد ثوابك، فنعم أخو الإسلام كنت وقال الخثعمي: يا حجر لا تبعد ولا تفقد فلقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم ذهب بهما فأتبعهما حجر بصره، وقال:

كفى بشفاة القبر بعدا لهالك * وبالموت قطاعا لحبل القرائن

ثم التفت إلى بقية أصحابه، فرأى منهم جزعا فقال: قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حجر تقتل في محبة علي صبرا، فإذا وصل رأسك إلى الأرض مادت وأنبعت عين ماء فتغسل الرأس! فإذا شاهدتم ذلك فكونوا على بصائركم وقدم فضربت عنقه فلما وصل رأسه إلى الأرض مادت من تحته وأنبعت عين ماء فغسلت الرأس! قال: فجعل أصحابه يتهافتون إلى القتل فقال لهم أصحاب معاوية: يا أصحاب علي ما أسرعكم إلى القتل! فقالوا: من عرف مستقره سارع إليه).

* *

وظهرت له كرامات في حروبه وشهادته: منها أنه طال اصطفاف المسلمين والفرس بعد القادسية، وكان الفرس على الضفة الأخرى لدجلة، فتقدم حجر وقرأ: وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين. وأقحم فرسه وهو يقول باسم الله، فعبر وعبر المسلمون على أثره! فلما رآهم العدو قالوا: ديوان ديوان! يعني شياطين شياطين (ديوان: فارسية جمع ديو: الغول) فهربوا فدخلنا عسكرهم). (كرامات الأولياء اللالكائي / ١٥٢، وتفسير ابن كثير: ١ / ٤١٩)

وعندما كان محبوسا في بستان في مرج عذراء أصابته جنابة، فقال للسجان: أعطني من الماء شرابي اليوم وغدا لأتطهر به ولا أطلب منك شيئا. قال: أخاف أن تموت عطشا فيقول معاوية أنت قتلته! قال: فبنى حجر حجارا (حوضا) ودعا الله فأسكبت سحابة فصبت من الماء ما أراد، فتطهر حجر! فقال له بعض أصحابه: لو دعوت الله أن يخلصنا لفعل! فقال حجر: اللهم خر لنا، ثلاثا).

(فيض القدير: ٤ / ١٦٦ عن ابن الجنيد، والغارات: ٢ / ٨١٢، ومختصر أخبار شعراء الشيعة / ٤٩):

وقيل إن شجر ذلك البستان جفت من يوم شهادته! (شرح الأخبار: ٢ / ١٧١).

* *

وكان له أصحاب كثيرون محبون، من شخصيات الإسلام وفرسانه: (سعيد

بن نمران الهمداني الناعطي كان كاتبا لعلي عليه السلام وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله أعواما وشهد اليرموك وسار إلى العراق مددا لأهل القادسية، وكان من أصحاب حجر بن عدي، وسيره زياد مع حجر إلى الشام، فأراد معاوية قتله مع حجر، فشفع فيه حمزة بن مالك الهمداني فخلى سبيله). (أسد الغابة: ٢ / ٣١٦).

* *

وقتله معاوية بيد أحد كبار المجرمين! ففي تاريخ الطبري: ٤ / ١٩٠: (فشد في الحديد ثم حمل إلى معاوية، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له معاوية: أمير المؤمنين! أما والله لا أقيلك ولا أستقيلك، أخرجوه فاضربوا عنقه! فأخرج من عنده، فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين فقالوا: صله، فصلى ركعتين خفف فيهما، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه، لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير. ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما فإني ألاقي معاوية غدا على الجادة، ثم قدم فضربت عنقه). (سمعت أبا داود قال: قتل حجر بن عدي على يدي أبي الأعور السلمي). (سؤالات الآجري: ١ / ٣٣١، وبغية الطلب: ٥ / ٢١٠٨)

* *

وقتل حجر في صفر سنة إحدى وخمسين هجرية: (تاريخ خليفة بن خياط / ١٦٠، وتاريخ دمشق: ٨ / ٢٧، وقيل سنة ٥٣: مستدرك الحاكم: ٣ / ٤٦٨، ومعارف ابن قتيبة / ١٧٨).

واعترف معاوية بقتل حجر: فكان يقول: (ما قتلت أحدا إلا وأنا أعرف فيم قتلته وما أردت به! ما خلا حجر بن عدي، فإني لا أعرف فيما قتلته). (تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٣١) وأصيب بالهذيان قبل موته والهلوسة باسم علي عليه السلام وحجر وعمرو بن الحمق.

* *

ولم حجر يلعن عليا عليه السلام رغم التهديد: ففي شرح النهج: ٤ / ٥٨: (وأمر المغيرة

بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية، حجر بن عدي أن يقوم في الناس فليلعن عليا! فأبى ذلك فتوعده فقام فقال: أيها الناس، إن أميركم أمرني أن ألعن عليا فالعنوه! فقال أهل الكوفة: لعنه الله وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد). وفي اختيار معرفة الرجال: ١ / ٣١٩، أنه قال مثل ذلك عندما طلب منه حاكم اليمن أن يلعن عليا عليه السلام في صنعاء!

* *

ولم يبرأ من علي عليه السلام رغم السيف: في الغدير: ٩ / ١١٩: (قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلا وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة). (تاريخ الطبري: ٦ / ١٤١، تاريخ دمشق: ٢ / ٣٧٠، كامل ابن الأثير: ٣ / ٢٠٢، نهاية ابن كثير: ٧ / ٤٩، والأغاني: ٢ / ١٦).

* *

وغضب لقتله الإمام الحسين عليه السلام، وعائشة، والصحابة، وأخيار الأمة.
ففي الإحتجاج: ٢ / ١٩: (عن صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم! فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم! ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيبا فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك، ولا ترمين غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلا ما قدم إسلامه ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك! فانظر لنفسك أو دع). يقصد الإمام عليه السلام عمرو العاص، الذي له دور أساسي في خطط معاوية!

وقالت له عائشة: (يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم، إنما قتلهم من شهد عليهم)! (تاريخ الطبري: ٤ / ٢٠٨، والاستيعاب: ١ / ٣٣١، وفي طبعة ٢٣٨، والسيرة الحلبية: ٣ / ١٦٣، والروض الأنف: ٣ / ٣٦٦، وفي طبعة / ٦٤٣ وفيه: (فقال أو أنا؟! إنما قتلهم من شهد عليهم)!! ونحوه: أنساب الأشراف / ١٢٦٥. وفي الطبقات: ٦ / ٢١٩، أن عائشة بعثت رسالة إلى معاوية وأنها وصلت بعد تنفيذه الإعدام! (وكان ابن عمر في السوق فنعي له حجر فأطلق حبوته وقام وغلبه النحيب). (تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٢٨).

وقال ابن سيرين: (أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة! واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله (ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجرا وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر! ويا ويلا له من أصحاب حجر!). انتهى.

وقالوا: ذلت العرب بعد قتل حجر صبرا! ففي تاريخ الطبري: ٤ / ٢١٦: (أن الربيع بن زياد ذكر يوما بخراسان حجر بن عدي فقال: لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا، ولكنها أقرت فذلت)!

* *

وهدم زياد دار حجر بأمر معاوية: فقد ذكر الطبري: ٤ / ٥٣٦، أن المختار طلب محمد بن الأشعث لأنه من قتلة الحسين عليه السلام فهرب (فبعث إلى داره فهدمها وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، وكان زياد بن سمية قد هدمها).

* *

وأوصى حجر أن يدفنوه بثيابه ودمائه: ففي مصنف ابن أبي شيبة: ٣ / ١٣٩: (قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا تغسلوا عني دما ولا تطلقوا عني حديدا، وادفنوني في ثيابي، فإني ألتقي أنا ومعاوية على الجادة غدا!). (ونحوه

في تاريخ دمشق: ١٢ / ٢٢٥، والطبقات: ٦ / ٢١٩).
* *

وقال الشعراء كثيرا في رثاء حجر الشهيد: ففي الطبقات: ٦ / ٢٢٠: (وقد كانت هند بنت زيد الأنصارية وكانت شيعية، قالت حين سير بحجر إلى معاوية:
ترفع أيها القمر المنير * ترفع هل ترى حجرا يسير
يسير إلى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الخبير
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيها يوما مطير.. الخ
(والبحار: ٣٢ / ٥٧٨، و: ٣٨ / ٢٢، وتجد كثيرا من الشعر في أمهات المصادر كالطبري وابن عساكر)
* *

كانت له شعبية واسعة ولكنها ضعفت عن مقاومة السلطة
يتساءل المتأمل في شخصية حجر المحبوبة عند كبار الصحابة والتابعين، ونفوذه على قبائل كندة الكبيرة، المنتشرة في العراق والشام! فكيف استطاع زياد بن أبيه أن يعتقله مع بضعة عشر زعيما من وسط قبائلهم، ويرسلهم مقيدين إلى معاوية، ثم كيف استطاع معاوية أن يقتل نصفهم، ولم يقبل فيهم الوساطات الواسعة؟ ولم تحدث لذلك ردة فعل تذكر؟!
والجواب: أنه كانت توجد عوامل متعددة ونقاط ضعف في موقف قبائل كندة لا يتسع المجال لبحثها، وقد روى الطبري في تاريخه: ٤ / ١٩١، والبلاذري في أنساب الأشراف / ١٢٥٦، وغيرهما، مواقفه مع حاكم الكوفة المغيرة بن شعبة، ثم مع ابن زياد، وتفاصيل عن حملة اعتقاله وأصحابه، وتسفيرهم إلى الشام.
هذا، وينبغي الإشارة إلى دور حجر في الفتوحات شبيه بدور مالك الأشتر!
* *

١١ – قتله الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي رحمه الله
قال ابن منظور في لسان العرب: ١٠ / ٦٩: (والحمق: الخفيف اللحية، وبه سمي عمرو بن الحمق، قتله أصحاب معاوية، ورأسه أول رأس حمل في الإسلام).
وفي تاج العروس: ٦ / ٣٢٣: (والحمق ككتف: الخفيف اللحية. عن ابن دريد، وبه سمي الرجل عمرو بن الحمق صحابي، وهو ابن الكاهن (الكاهل) بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب الخزاعي رضي الله عنه، هاجر بعد الحديبية. يقال إنه هرب في زمن زياد إلى الموصل فنهشته حية فمات وفي اللسان: قتله أصحاب معاوية، ورأسه أول رأس حمل في الإسلام). انتهى.
أقول: ما قرأته من الزبيدي يمثل خلاصة موقفهم من هذا الصحابي الجليل، فلم يقتله معاوية، بل نهشته حية فمات، وقيل قتله أصحاب معاوية! ولو أمكنهم أن يقولوا إن الحية أكلت رأسه، وإن الرأس الذي أرسله زياد إلى معاوية ونصبه في سوق دمشق وطاف به في دمشق وقراها، ليس رأسه، لفعلوا!
والسبب أن عمرو بن الحمق رحمه الله شيعي متشدد، ومن قبيلة خزاعة الحليفة لبني هاشم قبل الإسلام وبعده! وأنه مع الأشتر وحجر بن عدي من المعترضين على ولاة عثمان في الكوفة، وقد أبعده عثمان إلى الشام، ثم إلى حمص!
وسكن عمرو في مصر وكان أهلها يحبونه، ولعله شارك في فتحها وفي معركة ذات الصواري البحرية مع الروم، فقد روى حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله يمدح مصر فلم يقبلوه منه، لأنه يعارض أحاديث معاوية في حصر المدح بالشام!
خزاعة الخير حلفاء بني هاشم ولا يحبهم بنو أمية
(كانت خزاعة حلفاء بني هاشم بن عبد مناف إلى عهد النبي (ص) وكان بنو

بكر حلفاء قريش). (فتح الباري: ١٢ / ١٨١) أي حلفاء بني أمية وقريش المشركة!
(وكان الأصل في موالاة خزاعة للنبي (ص) أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة، فاستمروا على ذلك في الإسلام). (فتح الباري: ٥ / ٢٤٦).
وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ٤٦: (وكانت نسخة كتابهم: باسمك اللهم، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة، تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بل بحر صوفة، حلفا جامعا غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب. وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد، ولا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، وحن بفلاة بعير، وما قام الأخشبان، وعمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدا، وظلام الليل سدا، وإن عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة، ورجال خزاعة، متكافئون متضافرون متعاونون. فعلى عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وتر، في بر أو بحر أو سهل أو وعر. وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم، على جميع العرب، في شرق أو غرب، أو حزن أو سهب. وجعلوا الله على ذلك كفيلا، وكفى به حميلا....
هذا الحلف هو الذي عناه عمرو بن سالم الخزاعي حين قال لرسول الله (ص):
لا هم إني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا). انتهى.
وكانت خزاعة إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله ثم إلى جانب أهل بيته عليهم السلام وكان دورها بارزا في حروب علي عليه السلام. ولما رأى معاوية زعيمهم الصحابي الجليل بديل بن ورقاء حمل في فرسان خزاعة على مركز قيادة معاوية بصفين، وهو لابس درعين وحامل سيفين، خاف معاوية وتراجع وغير مكان قيادته وقال: (والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها)! (تاريخ الطبري: ٤ / ١٦، وأسد الغابة: ٣ / ١٢٤

). فقاتل بديل بن ورقاء رحمه الله حتى جرح فأخذ الراية ابنه عبد الله فتقدم وهو يقول:
أضربكم ولا أرى معاويه * الأبرج العين العظيم الحاويه
هوت به في النار أم هاويه * جاوره فيها كلاب عاويه
فهجموا عليه فقتلوه، فأخذها عمرو بن الحمق قائلا:
جزى الله فينا عصبة أي عصبة * حسان وجوه صرعوا حول هاشم
وقاتل أشد قتال). (مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٥٧) وكان عمرو بن الحمق من الصحابة المميزين عند النبي صلى الله عليه وآله! ومن رؤساء خزاعة، لكن كل ذلك لا يغفر له عندهم لمعارضته لعثمان في الكوفة ومصر، ومجيئه في الوفد المصري للضغط على عثمان لتغيير واليه الفاسد الظالم! بل اتهموه كذبا بالمشاركة في قتل عثمان! وهذا هو سبب ما تراه في مصادرهم من غمزهم ولمزهم فيه، أو حذفه من تراجم الصحابة، كما فعل إمامهم الذهبي!!
عمرو بن الحمق رحمه الله من أولياء الله الخاصين!
اتفق الرواة على أن إسلام عمرو بن الحمق كان بمعجزة من النبي صلى الله عليه وآله، وأنه أرسل سرية وأخبرهم أنهم سيصادفونه، وأوصاهم أن يبلغوه أنه من أهل الجنة! فتأمل في مقام شخص يخبره سيد المرسلين صلى الله عليه وآله قبل إسلامه بأنه من أهل الجنة!
روى الطبراني في الأوسط: ٤ / ٢٣٩: (سمعت عمرو بن الحمق يقول: بعث رسول الله (ص) بسرية فقالوا يا رسول الله إنك تبعثنا وليس لنا زاد ولا لنا طعام، ولا علم لنا بالطريق! فقال: إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب، ويدلكم على الطريق، وهو من أهل في الجنة!
فلما نزل القوم علي جعل يشير بعضهم إلى بعض وينظرون إلي فقلت: ما بكم يشير بعضكم إلى بعض وتنظرون إلي؟ فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله فإنا نعرف

فيك نعت رسول الله (ص) فأخبروني بما قال لهم! فأطعمتهم وهريقوا وزودتهم، وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق ثم رجعت إلى أهلي فأوصيتهم بإبلي، ثم خرجت إلى رسول الله (ص) فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان.
فقلت: إذا أجبناك إلى هذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال: نعم، فأسلمت ورجعت إلى قومي فأخبرتهم بإسلامي فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثم هاجرت إلى رسول الله (ص) وبينما أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية الجنة يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟ قلت: بلى نعم بأبي أنت وأمي، قال: هذا وقومه آية الجنة وأشار إلى علي بن أبي طالب. وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النار، يأكل الطعام ويشرب الشراب، ويمشي في الأسواق؟ قلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: هذا وقومه آية النار وأشار إلى رجل! فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله ففررت من آية النار إلى آية الجنة! وترى بني أمية قاتلي بعد هذا؟ قلت: الله ورسوله أعلم.
قال: والله لو كنت في جحر في جوف جحر لاستخرجني بنو أمية حتى يقتلوني! حدثني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن رأسي تحتز في الإسلام وتنقل من بلد إلى بلد)! قال عنه في مجمع الزوائد: ٩ / ٤٠٥: (وفيه عبد الله بن عبد الملك المسعودي وهو ضعيف)! انتهى. وسبب تضعيفهم له قول العقيلي: ٢ / ٢٧٥: (كان من الشيعة وفي حديثه نظر) فتحولت كلمته إلى (فيه كلام) كما في الميزان: ٢ / ٤٥٧، ولسانه: ٣ / ٣١٢، وصارت عند الهيثمي (وهو ضعيف)! وكل خوفهم من قول النبي صلى الله عليه وآله: (هذا وقومه آية النار وأشار إلى رجل)! وهو معاوية وبنو أمية! ولكنهم إذا تخلصوا من هذا الحديث لأن فيه راويا شيعيا من أبناء عبد الله بن

مسعود، فماذا يصنعون بما رووه بسند آخر ليس فيه المسعودي، كما في تاريخ دمشق: ٤٥ / ٥٠٢؟! بل ماذا يصنعون بحديث بخاري الذي يصف معاوية بالفئة الباغية الداعية إلى النار، وغيره من صحاحهم في ذم بني أمية؟!
أما مصادرنا فأفصحت عما أخفاه غيرها: كما في شرح الأخبار للقاضي النعمان: ١ / ٢٠٨، والاختصاص / ١٦، وأمالي المفيد / ٣٣٣.
وفي أمالي الطوسي / ٨٦ و ١١٢ بمعناه عن حذيفة وفيه: (فقال لي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إن آية الجنة والهداة إليها إلى يوم القيامة وآية الحق إلى يوم القيامة لآل محمد. وإن آية النار وآية الكفر والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة لغيرهم).
وروى ابن حمدان في الهداية / ١٥٤ والبحراني في مدينة المعاجز: ٣ / ١٧٩ قصة إسلام عمرو بن الحمق رحمه الله في حديث طويل عن جابر بن عبد الله الأنصاري جاء فيه: (أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فقال لهم: تصلون ساعة كذا وكذا من الليل أرضا لا تهتدون فيها سيرا، فإذا وصلتم إليها فخذوا ذات الشمال فإنكم تمرون برجل فاضل خير في ساقية، فتسترشدونه فيأبى أن يرشدكم حتى تأكلوا من طعامه، ويذبح لكم كبشا فيطعمكم، ثم يقوم معكم فيرشدكم الطريق! فاقرؤوه مني السلام، وأعلموه أني قد ظهرت في المدينة! فمضوا فلما وصلوا إلى الموضع في الوقت ضلوا فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله صلى الله عليه وآله خذوا ذات الشمال ففعلوا فمروا بالرجل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله لهم فاسترشدوه الطريق فقال: إني لا أرشدكم حتى تأكلوا من طعامي، فذبح لهم كبشا فأكلوا من طعامه، وقام معهم فأرشدهم الطريق، وقال لهم: أظهر النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة؟ فقالوا: نعم، فأبلغوه سلامه فخلف في شأنه من خلف ومضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو عمرو بن الحمق) رحمه الله.
* *

عاش ثمانين سنة ولم تشب منه شعرة!
في مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٤٣٧: (عن يوسف بن سليمان عن جده عن عمرو بن الحمق أنه سقى النبي (ص) لبنا فقال: اللهم أمتعه بشبابه. فلقد أتت عليه ثمانون سنة لا يرى شعرة بيضاء). (وتاريخ دمشق: ٤٥ / ٤٩٦ و ٤٩٧، وأسد الغابة: ٤ / ١٠٠، والأذكار النووية / ٢٣٨، وتهذيب الكمال: ٢١ / ٥٩٨. ومن مصادرنا: الخرائج والجرائح: ١ / ٥٢، ومناقب آل أبي طالب: ١ / ٧٤). وكانت شهادته رحمه الله سنة إحدى وخمسين، فيكون عمره عند البعثة ١٦ سنة، وعندما أسلم في غزوة الحديبية كما روي ستا وثلاثين سنة.
رووا عنه قليلا وأبهموا ما رووه؟!
في مجمع الزوائد: ٦ / ٢٨٥: (عن عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله (ص) يقول: من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافرا رواه الطبراني بأسانيد كثيرة، وأحدها رجاله ثقات). (ورواه الحاكم: ٤ / ٣٥٣ وصححه وكذا الطيالسي / ١٨١، وأحمد: ٥ / ٢٢٣ و ٤٣٦، وغيرها).
أقول: رووا عنه هذا الحديث وأكثروا روايته ولم يذكروا مناسبته، وأنها كانت عند نكثهم للمواثيق والأمان الذي أعطوه له! كما نصت رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية!
لم يقبل رواة السلطة حديثه في مدح مصر!
روى الحاكم في المستدرك: ٤ / ٤٤٨: (عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ستكون فتنة أسلم الناس فيها أو قال: لخير الناس فيها الجند الغربي فلذلك قدمت مصر. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).
ورواه الطبراني في الأوسط: ٨ / ٣١٥، والبخاري في تاريخه الكبير: ٦ / ٣١٣، ومجمع

الزوائد: ٥ / ٢٨١، وقال: (رواه البزار والطبراني من طريق عميرة بن عبد الله المغافري وقال الذهبي لا يدرى من هو). انتهى. وطبيعي أن لا يعجبهم تفضيل مصر وجندها على الشام، لأن جند مصر اعترضوا على عثمان وحاصروه! والصحيح عندهم ما يحبونه من رواية معاوية وكعب الأحبار في تفضيل الشام وأهلها على العالمين!

لكن السيوطي المصري قال في شرحه لمسلم: ٤ / ٥١٣: (لا يبعد أن يراد بالمغرب مصر فإنها معدودة في الخط الغربي بالاتفاق، وقد روى الطبراني والحاكم وصححه، عن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله (ص): تكون فتنة أسلم الناس فيها الجند الغربي. قال ابن الحمق: فلذلك قدمت عليكم مصر. وأخرجه محمد بن الربيع الجيزي في مسند الصحابة الذين دخلوا مصر، وزاد فيه: وأنتم الجند الغربي، فهذه منقبة لمصر في صدر الملة، واستمرت قليلة الفتن معافاة طول الملة، لم يعترها ما اعترى غيرها من الأقطار، وما زالت معدن العلم والدين، ثم صارت في آخر الأمر دار الخلافة ومحط الرحال، ولا بلد الآن في سائر الأقطار بعد مكة والمدينة يظهر فيها من شعائر الدين ما هو ظاهر في مصر). انتهى.

جريمة عمرو عندهم أنه خرج على عثمان!

من ظواهر تعصبهم أنهم عندما يذكرون الخارجين على علي عليه السلام يخترعون لهم الأعذار ويبررون شقهم لعصا الأمة، وإشعالهم الحروب الداخلية فيها، وقتلهم عشرات الألوف، لأنهم صحابة أبرار متأولون ولهم أجر! بل تراهم يعذرون من قاتل عليا عليه السلام وقتله بأنهم مجتهدون متأولون وإن لم يكونوا صحابة! وكذلك من يلعن عليا عليه السلام هم عندهم مجتهدون متأولون ولهم أجر! ثم يهاجمون أحاديث ذم بني أمية وكفر من حارب عليا عليه السلام بمعاول التأويل!

أما عندما يذكرون الخارجين على عثمان أو اللاعنين له أو قاتليه، فيحكمون

عليهم بالأحكام المشددة ولا يقبلون لهم عذرا، بحجة أن عثمان من الصحابة ومن أهل بيعة الرضوان! وأهل بيعة الرضوان ألف وأربع مئة بايعوا النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة فأنزل الله تعالى فيهم: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. الآية. فتراهم يتسلحون بهذه الآية ضد من خالف عثمان حتى من أهل بيعة الرضوان أنفسهم! فعبد الرحمن بن عديس البلوي وعمرو بن الحمق الخزاعي من أهل بيعة الرضوان! على أن الآية لا تدل على أكثر من الرضا الظرفي المشروط بالثبات على الإيمان، حيث قال تعالى رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك، ولم يقل (لقد رضي الله عن الذين يبايعونك).

لقد جاء عمرو وابن عديس في الوفد المصري شاكين ظلم الوالي الأموي، فذهب عثمان إلى بيت علي عليه السلام طالبا منه التوسط معهم، فحلوا المشكلة بأن كتب لهم عثمان مرسوما بتولية محمد بن أبي بكر رحمه الله على مصر بدل ابن أبي سرح الأموي المتهتك. وغادر الوفد لكنه فتفاجأ في الطريق ببريد سري من دار الخلافة إلى الوالي الأموي أن يبقى واليا ويقتلهم أو يحبسهم! فرجعوا غاضبين وحاصروا عثمان طالبين منه الإستقالة، فتسلق بعض الجنود المصريين وقتلوه!

وكان عدد الوفد المصري نحو ست مئة أو سبع مئة (وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وابن البياع، وعمرو بن الحمق الخزاعي). (تاريخ الطبري: ٣ / ٤٠٥ والطبقات: ٣ / ٦٥).

لقد كذب الرواة الأمويون واتهموا من يبغضونه بقتل عثمان، كمحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق، ومحمد بن أبي حذيفة الأموي، ففي شرح النهج: ٣ / ٦٧، وغيره: (المتولي للقتل على ما صحت به الرواية كنانة بن بشير التجيبي، وسودان بن حمران المرادي). كما كذبوا على عمرو بن الحمق بأنه جلس على صدر

عثمان بعد قتله وأنه طعنه تسع طعنات، وعلى محمد بن أبي بكر بأنه قبض على لحيته قبل قتله! وذلك لتبرير قتل معاوية لهم! بينما لم يثبت عليهم أكثر من خروجهم على عثمان بعد أن كتب مرسوم ولاية محمد بن أبي بكر على مصر، ثم أرسل سرا إلى قرابته الوالي أوامر تنقضه!

بعدك يا علي.. جاءت سنوات المطاردة والتشرد!

كان من شروط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية بند العفو العام، الذي ينص على أن الناس جميعا آمنون على دمائهم وكراماتهم وأموالهم، وقد أكدت نصوص الصلح على أمان أصحاب علي عليه السلام خاصة.

لكن معاوية نقض شروط الصلح، وأعلن أنه يضعها تحت قدميه، وبدأ بحملة مطاردة لشخصيات الشيعة! قال ابن طيفور في بلاغات النساء / ٥٩: (حدثنا العباس بن بكار قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن الزهري وسهل بن أبي سهل التميمي، عن أبيه قالا: لما قتل علي بن أبي طالب بعث معاوية في طلب شيعته فكان في من طلب عمر بن الحمق الخزاعي فراغ منه، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين)! انتهى.

ويبدو أن هذا سجنها الأول في ولاية المغيرة بن شعبة، فقد اتفقت الروايات على أن مدة سجنها كانت سنتين حتى قتل زوجها فأرسل إليها معاوية برأسه إلى السجن! وكان قتله في سنة إحدى وخمسين هجرية، أي بعد عشر سنوات من حكم معاوية! بينما تذكر هذه الرواية سجنها بعد قتل علي عليه السلام وتسلط معاوية! فلعله طارد زوجها في ولاية المغيرة وسجنها مدة ثم أطلقها! ثم سجنها ثانية وبقيت في السجن حتى قتل زوجها!

ومن الطريف أن زيادا كان مشمولا بالتضييق مع عمرو في زمن المغيرة، لأنه

كان محسوبا من شيعة علي عليه السلام حتى تبناه معاوية وجعله أخاه، وجلاده!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٣٧: (فكتب معاوية إلى المغيرة: خذ زيادا، وسليمان بن صرد، وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وابن الكواء، وعمرو بن الحمق
، بالصلاة في الجماعة! فكانوا يحضرون معه في الصلاة). انتهى. وبعد بضع سنوات صار زياد أخ معاوية وابن أبي سفيان! وصار والي الكوفة سنة ٤٨، فتولى هو التضييق على عمرو بحجة كثرة تردد الناس عليه، وأراد القبض عليه ففر منه فاعتقل زوجته وأرسلها إلى سجن معاوية في الشام!
(لما قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة بن أبي معيط (الأموي) فقال: إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب! فقال له عمرو بن حريث (ثقفي من رجال السلطة): ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقنه ولا تدري ما عاقبته؟! فقال زياد: كلاكما لم يصب! أنت حيث تكلمني في هذا علانية، وعمرو حين يردك عن كلامك! قوما إلى عمرو بن الحمق فقولا له: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك! من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد)! (تاريخ الطبري: ٤ / ١٧٥، وتاريخ دمشق: ٤٥ / ٤٩٨).
أسروه وقتلوه، ثم قالوا لدغته حية ومات!
في تاريخ دمشق: ٤٥ / ٤٩٦: (كان أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق، أصابته لدغة فتوفي، فخافت الرسل أن يتهموا به فقطعوا رأسه فحملوه إلى معاوية)! (ونحوه في: ٤٥ / ٥٠٣، وأسد الغابة: ٤ / ١٠٠) لكنهم لما انكشف أمرهم كذبوا أنفسهم وقالوا إنهم قتلوه بأمر معاوية بتهمة أنه طعن عثمان: قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٩٧: (فحبس (زياد حجرا) عشر ليال وزياد ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل فأتيا جبلا فكمنا فيه، وبلغ عامل ذلك

الرستاق أن رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بلتعة، فسار إليها في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد فلما انتهى إليهما خرجا! فأما عمرو بن الحمق فكان مريضا وكان بطنه قد سقي، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شداد وكان شابا قويا فوثب على فرس له جواد فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقاتل؟ أنج بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم فأفرجوا له، فخرج تنفر به فرسه وخرجت الخيل في طلبه وكان راميا، فأخذ لا يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره فانصرفوا عنه! وأخذ عمرو بن الحمق فسألوه من أنت فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر لكم! فسألوه فأبى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية إنه زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدي عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان! فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو الثانية)!

عمرو بن الحمق من نوع أويس القرني

من المتفق عليه بين المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله بشر أمته بأويس القرني رحمه الله وشهد بأنه من كبار الشفعاء في الآخرة، وقالت أكثر المصادر إنه سكن الكوفة حتى إذا تسلم علي عليه السلام الخلافة بايعه على الموت وشارك في حرب الجمل، ثم بايعه على الموت في صفين واستشهد معه! وهذا يفتح الباب على نوعية معينة من عباد الله وجنوده، لهم برنامجهم وتكليفهم الخاص، ومنهم حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ورشيد الهجري، وميثم التمار! وبه نفسر تعامل النبي

صلى الله عليه وآله الخاص مع عمرو بن الحمق، وإراءته آية الجنة وآية النار!
والمعجزات التي ظهرت للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فيه، والكرامات التي ظهرت له.
قال المفيد في الاختصاص / ٣: (ومن أصفياء أصحابه: عمرو بن الحمق الخزاعي عربي، وميثم التمار وهو ميثم بن يحيى، مولى، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر). انتهى.
وفي / ١٤: (قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين عليه السلام: والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري، إلا لأنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام وأبو الذرية التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وأعظم سهما للإسلام من المهاجرين والأنصار. والله لو كلفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبدا حتى يأتي علي يومي وفي يدي سيفي أهز به عدوك وأقوي به وليك، ويعلو به الله كعبك ويفلج به حجتك، ما ظننت أني أديت من حقك كل الحق الذي يجب لك علي! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم نور قلبه باليقين واهده إلى الصراط المستقيم، ليت في شيعتي مائة مثلك). انتهى.
وهذا يشبه قول أويس رحمه الله لأمير المؤمنين عليه السلام عندما جاءه في صفين: (عليه قباء صوف متقلد سيفين فقال: هلم يدك أبايعك فقال عليه السلام: على م تبايعني؟ قال: على بذل مهجة نفسي دونك)! (خصائص الأئمة ٥٣).
وفي الهداية لابن حمدان / ١٥٥، ومدينة المعاجز: ٣ / ١٧٩: (فبينا أمير المؤمنين عليه السلام جالس وعمرو بين يديه فقال له: يا عمرو ألك دار؟ قال: نعم، قال: بعها واجعلها في الأزد، فإني غدا لو قد غبت عنكم لطلبت فتتبعك الأزد، حتى تخرج من الكوفة متوجها نحو الموصل، فتمر برجل نصراني مقعد فتقعد عنده فتستسقيه

الماء فيسقيك ويسألك عن شأنك فتخبره، فادعه إلى الإسلام فإنه يسلم فإذا أسلم فامرر بيدك على ركبتيه فإنه ينهض صحيحا مسلما ويتبعك!
وتمر برجل محجوب جالس على الجادة فتستسقيه الماء فيسقيك، ويسألك عن قصتك وما الذي أخافك ومم تتوقى؟ فحدثه بأن معاوية طلبك ليقتلك ويمثل بك لإيمانك بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وطاعتك في ولايتي، ونصحك لله تعالى في دينك فادعه إلى الإسلام فإنه يسلم، فامرر يدك على عينيه فإنه يرجع بصيرا بإذن الله تعالى، فيتبعانك ويكونا معك، وهما اللذان يواريان جثتك في الأرض.
ثم تصير إلى الدير على نهر يدعى بدجلة، فإن فيه صديقا عنده من علم المسيح عليه السلام تجده لك أعون الأعوان على سرك، وما ذاك إلا ليهديه الله لك، فإذا أحست بك شرطة ابن أم الحكم وهو خليفة معاوية بالجزيرة، ويكون مسكنه بالموصل، فاقصد إلى الصديق الذي في الدير في أعلى الموصل فناده فإنه يمتنع، فاذكر اسم الله الذي علمتك إياه فإن الدير يتواضع لك حتى تصير في ذروته، فإذا رآك ذلك الراهب الصديق قال لتلميذ معه: ليس هذا أوان المسيح هذا شخص كريم، ومحمد قد توفاه الله، ووصيه قد استشهد بالكوفة، وهذا من حواريه! ثم يأتيك ذليلا خاشعا فيقول لك: أيها الشخص العظيم قد أحلتني لما لم أستحقه فبم تأمرني؟ فتقول له: أستر تلميذي هذين عندك وتشرف (إصعد) على ديرك هذا فانظر ماذا ترى، فإذا قال لك: إني أرى خيلا غائرة نحونا فخلف تلميذيك عنده، وانزل واركب فرسك... ثم ينزل صاحبك المحجوب والمقعد فيواريان جسدك في موضع مصرعك، وهو من الدير والموصل على مائة وخمسين خطوة من الدير). انتهى.
وتدل هذه القصة على أنه رحمه الله آوى إلى دير في قلة جبل، ثم نزل وقاتل حتى

قتل. لكن الصحيح ما جاء في رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية ورواية الطبري وأنه سلم نفسه إلى خيل حاكم الموصل بأمان، فقد جاء فيها: (أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح، الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه؟ بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل! ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد؟!). (اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٥٢). فالإمام عليه السلام يوبخ معاوية لأنه نكث الأمان والعهود التي أعطوها لعمرو! وهذا يكذب رواية أتباع السلطة بأنه لدغته حية فمات، أو أنهم قبضوا عليه بدون عهد ولا أمان! وأما زعم معاوية بأن عمروا طعن عثمان تسع طعنات، فهو من أكاذيبه لتبرير قتله لهذا الصحابي الجليل!

بعث زياد برأسه إلى معاوية فصلبه، وطافوا به في الشام وقراها!

روت مصادر الجميع مستفيضا أنه أول رأس حمل في الإسلام، كما في اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٤٨ وغيره وبعض طرقه صحيحة عندهم. ففي الطبقات: ٦ / ٢٥: (عن الشعبي قال أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق). (ونحوه في تاريخ خليفة / ١٤٦، والتاريخ الصغير للبخاري: ١ / ١٣١، والثقات لابن حبان: ٣ / ٢٧٥، وتاريخ دمشق: ٤٥ / ٤٩٦ و ٥٠٣ و: ٦٩ / ٤٠، وأسد الغابة: ٤ / ١٠٠، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣١، ومذيل الطبري / ٤٦، وابن أبي شيبة: ٨ / ٣٥٧، وأوائل ابن أبي عاصم / ٧١، وشرح النهج: ٢ / ٢٨٩).

وفي الغدير: ١١ / ٤٤: (قال النسابة أبو جعفر محمد بن حبيب في كتاب المحبر / ٤٩٠: ونصب معاوية رأس عمرو بن الحمق الخزاعي وكان شيعيا، ودير به في السوق. وكان عبد الرحمن بن أم الحكم أخذه بالجزيرة! وقال ابن كثير: فطيف به في الشام وغيرها)!!

وقال في مجمع الزوائد: ٩ / ٤٠٦: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن عبد الملك المسعودي وهو ضعيف). لكن هل فات الهيثمي أن الطبراني رواه في كتاب

الأوائل / ١٠٧، بسند موثق، قال: (باب أول من أهدي في الإسلام: حدثنا إبراهيم بن شريك الأسدي، حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن هنيدة بن خالد الخزاعي قال: أول رأس أهدي في الإسلام رأس عمرو بن الحمق أهدي إلى معاوية. إسناد حسن رجاله ثقات غير شهاب بن عباد، قال الدارقطني: صدوق زائغ). انتهى. ويقصد بقوله زائغ: أنه شيعي! لكن لا عذر لمحبي بني أمية، فقد رواه غير شهاب من الرواة غير الزائغين!

وقد اهتم الصالحي في كتابه في السيرة (سبل الهدى) بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله التي ظهرت في إسلام عمرو بن الحمق رحمه الله واستجابة دعائه له بدوام شبابه وعدم شيبه، وإخباره بأن بني أمية تقتله! فعقد عنوانا في: ١٠ / ١١٢: (في إخباره (ص) بأشياء تتعلق بعمرو بن الحمق رضي الله عنه فكان كما أخبر). وروى حديث أن آية الجنة علي عليه السلام وأن آية النار (رجل). وعنوانا في: ١٠ / ١٥٦: (في إخباره (ص) بقتل عمرو بن الحمق رضي الله تعالى عنه). لكنه تجنب أن يذكر معاوية! أما في: ٤ / ٨٧، فاعترف بأن رأسه أول رأس حمل في الإسلام! لكنه خالف الروايات الصحيحة المستفيضة من أجل معاوية، فقال: (وأول مسلم حمل رأسه عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه. وأما ما رواه أبو داود في مراسيله عن الزهري قال: لم يحمل). انتهى. يقصد الصالحي أن الذي ينفي ذلك ليس هو بل رواية أبي داود، عن الزهري الموظف عند بني أمية!

زاهر صاحب عمرو بن الحمق من شهداء كربلاء

قال السيد الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث: ٨ / ٢٢١: (زاهر صاحب عمرو بن الحمق: من أصحاب الحسين عليه السلام (رجال الشيخ) استشهد معه عليه السلام في واقعة كربلاء ذكره أرباب المقاتل، ومسلم عليه في الزيارة التي خرجت من الناحية المقدسة

للشهداء وفي الزيارة الرجبية. وهو جد محمد بن سنان، ذكره النجاشي في ترجمة محمد بن سنان. وعد ابن شهرآشوب زاهر بن عمرو مولى بن الحمق من المقتولين من أصحاب الحسين عليه السلام في الحملة الأولى (المناقب: جزء ٤، باب إمامة أبي عبد الله عليه السلام، أوائل الثلث الأخير من فصل في مقتله عليه السلام) أقول: الظاهر أن في النسخة تحريفا والصحيح: زاهر مولى عمرو بن الحمق). انتهى.

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٧ / ٤١: (زاهر صاحب عمرو بن الحمق استشهد بكربلاء سنة ٦١. ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الحسين عليه السلام. وقال النجاشي وغيره في ترجمة محمد بن سنان الزاهري إنه من ولد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي. وفي أبصار العين زاهر بن عمرو الكندي كان بطلا مجربا وشجاعا مشهورا ومحبا لأهل البيت عليهم السلام معروفا. قال أهل السير إن عمرو بن الحمق لما قام على زياد، قام زاهر معه وكان صاحبه في القول والفعل ولما طلب معاوية عمروا طلب معه زاهرا فقتل عمرا وأفلت زاهر، فحج سنة ستين فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه وحضر معه كربلاء).

* *

١٢ – قتله الصحابية المجاهدة زوجة عمرو بن الحمق
أرسل زياد بن أبيه شرطته في الكوفة للقبض على عمرو بن الحمق الخزاعي ففر منه، فألقى القبض على زوجته آمنة بنت الشريد الثقفية، وأرسلها إلى معاوية فحبسها، حتى أرسل إليها برأس زوجها إلى السجن بعد سنتين! وعاش عمرو هاتين السنتين متخفيا في منطقة الموصل وجبالها، عملا بوصية أمير المؤمنين عليه السلام له! وقد رجحنا أن يكون هذا هو الحبس الثاني لآمنة كما يفهم من بعض النصوص، وهو يدل على أن شخصية آمنة كانت مميزة بقوة إيمانها وفصاحة كلامها، فخاف معاوية أن تؤثر في الناس! ولا يبعد أن يكون رآها وكلمها فأجابته بكلامها البليغ القاطع، فأمر أن تلقى في السجن، ثم أراد أن ينتقم منها فأرسل إليها رأس زوجها وأمر أن يلقوه دفعة واحدة في حجرها!!
وهذا الأسلوب في معاملة النساء مستنكر عند العرب، مخالف كل أصول تعاملهم مع المرأة، ومع جثمان المقتول! ولكنه عرق يهودي في معاوية، يكذب ما يحاول أن يظهره من حلم أو تحلم!
قال الزركلي في الأعلام: ١ / ٢٦: (آمنة بنت الشريد، زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي: فصيحة من أهل الكوفة. اشتهرت بخبر لها مع معاوية وكان قد حبسها في سجن دمشق سنتين لفرار زوجها، ثم قتل زوجها وجئ برأسه إليها فألقوه في حجرها، فدعت على معاوية، فطلبها وسألها فلم تنكر ما قالت، فأمرها بالخروج فخرجت، وقال: يحمل إليها ما يقطع به لسانها عني ويخف بها إلى بلدها. فلما أعطيت ما أمر لها به قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إلي بالجوائز! ورحلت تريد الكوفة فماتت بالطاعون بحمص). (الديارات / ١١٤ وأعلام النساء: ١ / ٤).

وفي نهاية ابن كثير: ٨ / ٥٢: (فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها فكان أول رأس طيف به. ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد وكانت في سجنه، فألقي في حجرها، فوضعت كفها على جبينه ولثمت فمه وقالت: غيبتموه عني طويلا، ثم أهديتموه إلي قتيلا، فأهلا بها من هديه، غير قالية ولا مقلية). انتهى.

وقال ابن طيفور في بلاغات النساء / ٥٩: (فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى آمنة في السجن، وقال للحرسي: إحفظ ما تتكلم به حتى تؤديه إلي واطرح الرأس في حجرها! ففعل هذا فارتاعت له ساعة، ثم وضعت يدها رأسها وقالت: واحزنا لصغره في دار هوان، وضيق من ضيمة سلطان! نفيتموه عني طويلا، وأهديتموه إلي قتيلا! فأهلا وسهلا بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسيه! إرجع به أيها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك! فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت، فأرسل إليها فأتته وعنده نفر فيهم أياس بن حسل أخو مالك بن حسل، وكان في شدقيه نتوء عن فيه لعظم كان في لسانه، وثقل إذا تكلم! فقال لها معاوية: أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟ قالت:

نعم غير نازعة ولا معتذرة منه ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الإجتهاد، وإن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئا من جزائك! وإن الله بالنقمة من ورائك! فأعرض عنها معاوية، فقال أياس: أقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها! فالتفتت إليه فلما رأته ناتئ الشدقين ثقيل اللسان قالت: تبا لك! ويلك بين لحييك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس! إن تريد إلا أن تكون جبارا في

الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين. (القصص: ١٩) فضحك معاوية ثم قال: لله درك أخرجي، ثم لا أسمع بك في شئ من الشام! قالت: وأبي لأخرجن ثم لا تسمع بي في شئ من الشام، فما الشام لي بحبيب، ولا أعرج فيها على حميم وما هي لي بوطن، ولا أحن فيها إلى سكن! ولقد عظم فيها ديني وما قرت فيها عيني! وما أنا فيها إليك بعائدة ولا حيث كنت بحامدة! فأشار إليها ببنانه أخرجي، فخرجت وهي تقول: وا عجبي لمعاوية يكف عني لسانه، ويشير إلى الخروج ببنانه! أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد سديد، أوجع من نوافذ الحديد! أو ما أنا بابنة الشريد! فخرجت وتلقاها الأسود الهلالي وكان رجلا أسود أصلع أسلع أصعل، فسمعها وهي تقول ما تقول فقال: لمن تعني هذه لأمير المؤمنين تعني عليها لعنة الله؟! فالتفتت إليه فلما رأته قالت: خزيا لك وجدعا، أتلعنني واللعنة بين جنبيك، وما بين قرنيك إلى قدميك! إخسأ يا هامة الصعل ووجه الجعل، فأذلل بك نصيرا، وأقلل بك ظهيرا!

فبهت الأسلع ينظر إليها، ثم سأل عنها فأخبر، فأقبل إليها معتذرا خوفا من لسانها، فقالت: قد قبلت عذرك وإن تعد أعد، ثم لا أستقيل ولا أراقب فيك! فبلغ ذلك معاوية، فقال: زعمت يا أسلع أنك لا تواقف من يغلبك! أما علمت أن حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام، عند مواقف الخصام! أفلا تركت كلامها قبل البصبصة منها والاعتذار إليها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين لم أكن أرى شيئا من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة، حالستها فإذا هي تحمل قلبا شديدا ولسانا حديدا وجوابا عتيدا، وهالتني رعبا وأوسعتني سبا. ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس فقال: ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها. وقال: اللهم اكفني شر لسانها!

فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إلي بالجوائز! فليت أبي كرب سد عني حر صلته، خذ من الرضعة ما عليها! فأخذت ذلك وخرجت تريد الجزيرة، فمرت بحمص فقتلها الطاعون! فبلغ ذلك الأسلع فأقبل إلى معاوية كالمبشر له فقال له: أفرخ روعك يا أمير المؤمنين، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها!

قال: وكيف ذلك؟ قال: مرت بحمص فقتلها الطاعون! فقال له معاوية: فنفسك فبشر بما أحببت، فإن موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك! ولعمري انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوبا وبيلا! فقال الأسلع: ما أصابني من حرارة لسانها شئ إلا وقد أصابك مثله أو أشد منه). (ونحوه في تاريخ دمشق: ٦٩ / ٤٠، والاختصاص / ١٥ وأسد الغابة: ٤ / ١٠١، مختصرا، ومواقف الشيعة للأحمدي: ١ / ٤٠٥، وغيرها).

أقول: الأصعل صغير الرأس (غريب الحديث للحربي: ٣ / ٤٥٤) والأسلع الذي فيه حروق في وجهه وبدنه (لسان العرب: ٨ / ١٦٠). وفي كل نسخ الرواية (فليت أبي كرب سد عني حره صله، خذ من الرضعة ما عليها)! وقد سمت معاوية بأبي كرب وهو كنية ملك اليمن تبع الذي غضب على أهل المدينة، فأرسل على زعمائها وكان كل منهم اسمه (زيد): (جاء رسوله قال الأزياد: إنما أرسل إلينا ليملكنا على أهل يثرب فقال أحيحة: والله ما دعاكم لخير! وقال:

ليت حظي من أبي كرب * أن يرد خيره خبله

فذهبت مثلا). (الأغاني / ٣٣٢٢، وجمهرة الأمثال / ٣١٦، ومجمع الأمثال / ٦٤٩، وابن هشام: ١ / ١٢ والمعاني لابن قتيبة / ٣١٠). والمعنى: ليت معاوية أبا المصائب والكرب سد عني حر صلته ولم يبعثها! لكن خذ في الجدب الحليب ولو قل ومن البخيل صلته القليلة.

هذا، ومن المؤكد أن معاوية هو الذي قتل آمنة بنت الشريد! فقد دعا على

الأشتر بنحو دعائه عليها، بعد أن دبر من يسقيه السم! ثم زعم أن الله استجاب دعاءه! ودعا بنحو ذلك على عبد الرحمن بن أبي بكر وقتله بعد مدة وجيزة! وقال له جلاوزه هنا: (قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها)! وهذا يدل على أزمة معاوية من لسانها! فقد حبسها عندما كان زوجها مطاردا، خوفا من تأثير كلامها في الناس، فكيف يطلق سراحها بعد أن قتل زوجها وصارت أكثر حرقة وبلاغة! بل أطلقها ليرسل إليها السم في الشام إن أمكن، وإلا ففي حمص بلد واليه الطبيب ابن أثال وأولاده وقومه، المختصين بالقتل بالسم! وقد اتفق الرواة على أن أبن أثال قتل ابن خالد بالسم!

رحم الله آمنة بنت الشريد وحشرها مع مولاتها الصديقة الزهراء عليها السلام لأنها استشهدت في الدفاع عن زوجها أمير المؤمنين وذريتها المعصومين عليهم السلام.

* *

١٣ - قتله الصحابي رشيد بن عقبة الهجري
في مناقب آل أبي طالب: ٢ / ١٠٦: (وكذلك أخبر (أمير المؤمنين عليه السلام) بقتل جماعة، منهم حجر بن عدي، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وميثم التمار، ومحمد بن أكثم، وخالد بن مسعود، وحبيب بن مظاهر، وجويرية (السعدي)، وعمرو بن الحمق، وقنبر، ومذرع، وغيرهم، ووصف قاتليهم وكيفية قتلهم)!
رشيد الهجري صحابي من فرسان أحد
ترجم له ابن عبد البر في الإستيعاب: ٢ / ٤٩٦ فقال: (رشيد الفارسي الأنصاري مولى لبني معاوية بطن من الأوس، كناه النبي (ص) يوم أحد أبا عبد الله. قال الواقدي في غزوة أحد: وكان رشيد مولى بني معاوية الفارسي لقي رجلا من المشركين من بني كنانة مقنعا في الحديد يقول: أنا ابن عويف، فتعرض له سعد مولى حاطب فضربه ضربة جزله باثنتين! ويقبل عليه رشيد فيضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله باثنتين ويقول: خذها وأنا الغلام الفارسي، ورسول الله يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله (ص): هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري؟ فتعرض له أخوه (أخو المقتول) يعدو كأنه كلب قال أنا ابن عويف، ويضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه ويقول: خذها وأنا الغلام الأنصاري! فتبسم رسول الله وقال: أحسنت يا أبا عبد الله، فكناه يومئذ ولا ولد له).
وترجم له أيضا في: ٣ / ١٠٧٢ باسم أبي عقبة وذكر نفس القصة في أحد. وترجم له في: ٤ / ١٧١٦، فقال: (أبو عقبة الفارسي من أبناء فارس، ذكره خليفة في موالي بني هاشم من الصحابة. وقال إبراهيم بن عبد الله الخزاعي هو مولى جبير بن عتيك وذكر عنه أنه قال: شهدت أحدا مع مولاي جبير بن عتيك فضربت رجلا، وقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي، فقال رسول الله (ص)... الخ.). انتهى.

أقول: المرجح عندي أنه صار مولى للنبي صلى الله عليه وآله بعد أحد وقد يكون اشتراه كما اشترى سلمان الفارسي، ولذلك ذكروه في موالي بني هاشم من الصحابة!
وفي تهذيب التهذيب: ١٢ / ١٨٩: (د. ق. أبي داود وابن ماجة. أبو عقبة الفارسي مولى الأنصار، وقيل مولى بني هاشم، وقيل اسمه رشيد، له صحبة روى حديثه بن إسحاق عن داود بن الحصين.. وقيل إنه أبو عقبة واسمه رشيد ووقع مسمى كذلك في رواية الواقدي). (ونحوه في تقريب التهذيب / ٦٥٨. وفي تهذيب الكمال: ٣٤ / ٩٤: روى له أبو داود وابن ماجة، وقد وقع لنا حديثه عاليا جدا.
وروى قصة رشيد في أحد: أحمد بن حنبل: ٥ / ٢٩٥، وابن ماجة: ٢ / ٩٣١، وأبو داود: ٢ / ٥٠٣، وعون المعبود: ١٤ / ٢٠، وابن أبي شيبة: ٧ / ٧١٨ و: ٨ / ٤٨٨، وشرح النهج: ١٥ / ٥٣، والجرح والتعديل للرازي: ٩ / ٤١٦، وأسد الغابة: ٣ / ٣١٠، وغيرهم).
ما يؤكد أن رشيد الهجري هو أبو عقبة عبد الرحمن بن عقبة
تدل مجموع الروايات المتعلقة برشيد رحمه الله على أن اسمه عبد الرحمن بن عقبة وكنيته أبو عقبة على اسم والده، فغيرها النبي صلى الله عليه وآله وكناه بأبي عبد الله.
١ - فهو مولى جبير بن عتيك الأنصاري ومولى بني معاوية، لأن جبيرا زعيم بني معاوية من الأوس: (جبير بن عتيك بن قيس أبو عبد الله شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله، وكانت معه راية بني معاوية يوم الفتح. وتوفي في هذه السنة وهو ابن إحدى وسبعين سنة). (المنتظم: ٥ / ٣٤٨). وقد نص على ذلك بخاري في تاريخه: ٥ / ٣٢٨ قال: (عبد الرحمن بن عقبة مولى جبير بن عتيك الأنصاري - روى عنه داود بن حصين - المدني المعاوي). وقال في: ٣ / ٣٣٤: (رشيد الهجري.... قاله آدم، عن شعبة، عن الحكم عن سيف بياع السابري: يتكلمون في رشيد).
٢ - روى بخاري في تاريخه: ٤ / ١٧١ عن سيف بياع السابري عن رشيد الهجري

عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو حديث: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). انتهى. وحذف منه سخرية الراوي بإسرائيليات عبد الله بن عمرو ووسقه، أي الكتب التي أتى بها من الشام! فهذا الحديث نفسه الذي رواه أحمد: ٢ / ١٩٥: (شعبة عن الحكم سمعت سيفا يحدث عن رشيد الهجري عن أبيه، أن رجلا قال لعبد الله بن عمرو: حدثني ما سمعت من رسول الله (ص) ودعني وما وجدت في وسقك يوم اليرموك! قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). (ومسند الشهاب: ١ / ١٣٢، عن رشيد الهجري عن أبيه).

ورواه أحمد في: ٢ / ٢٠٩، عن هلال الهجري، ثم نبه على خطأ ذلك وقال: (قال أبو عبد الرحمن: هذا خطأ إنما هو الحكم عن سيف عن رشيد الهجري). انتهى.

فرشيد الهجري هو الذي يروي عنه سيف بياع السابري. وهو نفسه مولى بني معاوية الأنصاريين كما في مسائل الإمام أحمد / ١٣٨ قال: (رشيد الهجري وقيل الفارسي، مولى بني معاوية، في صحبته نظر)!

٣ - وهو نفسه رشيد الذي قتله زياد كما في الإكمال للحسيني / ١٤٣: (رشيد الهجري كوفي، روى عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن عمرو، فحدثه بحديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رواه عنه سيف بياع السابري. قال ابن معين: ليس بشئ، وقال ابن حبان: كان يؤمن بالرجعة، فقطع زياد لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث).

٤ - وهو نفسه الذي ترجم له في الإستيعاب: ٤ / ١٧١٦ فقال: (أبو عقبة الفارسي من أبناء فارس، ذكره خليفة في موالي بني هاشم من الصحابة. وقال إبراهيم بن عبد الله الخزاعي: هو مولى جبير بن عتيك، وذكر عنه أنه قال شهدت أحدا مع مولاي جبير بن عتيك فضربت رجلا وقلت: خذها.. الخ.).

وترجم له ابن حجر في تعجيل المنفعة / ١٣٠ فقال: (رشيد الهجري كوفي، روى عن أبيه، روى عنه سيف بياع السابري، قال الدوري عن ابن معين: ليس يساوى حديثه شيئا، وقال البخاري يتكلمون فيه. وقال النسائي ليس بالقوي. وقال الجوزجاني كذاب. وقال ابن حبان: كان يؤمن بالرجعة. وأسند عن الشعبي أنه قال: زعم لي أنه دخل على علي بعد ما مات فأخبره بأشياء ستكون، قال فقلت له: إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله).

وترجم له في أسد الغابة: ٥ / ٢٥٥، باسم (أبو عقبة، وقيل عقبة مولى الأنصار وهو فارسي ذكره خليفة في موالي بنى هاشم من الصحابة.... ونقل قصة أحد ثم قال: وقد تقدم أخرجه الثلاثة وقال أبو عمر اسمه رشيد). (والجرح والتعديل: ٥ / ٢٥٧).

٥ - عدهما الواقدي وابن إسحاق وابن عبد البر واحدا. بينما تحير ابن حجر فحكم بتعددهما في الإصابة: ٢ / ٤٠٤ ثم تحير! قال: (رشيد بالتصغير الفارسي مولى بني معاوية من الأنصار. ومن قال فيه رشيد الهجري فقد وهم لأنه آخر متأخر من صغار التابعين وأتباعهم. روى حديثه البغوي من طريق خالد بن مخلد، عن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن عبد الرحمن بن ثابت، عن رشيد الفارسي مولى بني معاوية. وقال بن منده روى حديثه أبو عامر العقدي، عن بن أبي حبيبة، عن عبد الرحمن بن ثابت، عن رشيد الهجري مولى بني معاوية أنه ضرب رجلا يوم أحد فقال: خذها وأنا الغلام الفارسي، فقال رسول الله (ص): ما منعك أن تقول الأنصاري، فإن مولى القوم منهم. ووقع في روايته رشيد الهجري فقال: رشيد يروي حديثا مرسلا. وقد ذكر الواقدي هذه القصة فقال: كان رشيد الفارسي مولى بني معاوية لقي رجلا من المشركين فذكر القصة. قال فقال له النبي (ص): أحسنت يا أبا عبد الله فكناه يومئذ ولم يولد له. وروى نحو هذه

القصة بن إسحاق لكنه قال عقبة الفارسي، وسيأتي في العين. وقد جزم بعضهم بأنه أبو عقبة رشيد. فالله أعلم). ثم قال ابن حجر في: ٤ / ٤٣٦: (عقبة الفارسي مولى جبر بن عتيك الأنصاري ذكره خليفة في موالي بني هاشم من الصحابة... وقد مضى النقل عن الواقدي أنه جعل هذه القصة لرشيد الفارسي، فإن لم يكونا اثنين وإلا فالصواب مع بن إسحاق. وقد روى بن أبي خيثمة وأبو داود وابن ماجة وابن منده من طريق هذا الحديث من رواية جرير بن حازم عن بن إسحاق فقال: عبد الرحمن بن أبي عقبة. والذي في المغازي عبد الرحمن بن عقبة اسم لا كنية، فإن كان جرير ضبطه فيحتمل أن يكون رشيد اسمه وأبو عقبة كنيته. والله أعلم). ثم قال في: ٧ / ٢٣٢، بعد نقل قصة أحد: (هذا وفي المغازي لابن إسحاق قال فيه عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبيه). وفي تهذيب التهذيب: ١٢ / ١٥٣: (أبو عقبة الفارسي مولى الأنصار وقيل مولى بني هاشم، وقيل اسمه رشيد. له صحبة.... قلت: وقال فيه بعضهم عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبيه. وهذا هو الذي وقع في المغازي لابن إسحاق وغيره. وقيل إنه أبو عقبة واسمه رشيد، ووقع مسمى كذلك في رواية الواقدي بسند ضعيف. والله تعالى أعلم).

أقول: إن اتحاد المواصفات المتقدمة، توجب القول بوحدة المترجمين، فلا يصح معها قول ابن حجر وغيره بتعددهما، كما لاوجه لتحيره مع وحدة الصفات والروايات والراوي، ووجود ثلاثة من كبار علمائهم يقولون بوحدهما.

وأخيرا قد تقول: إن ذلك يثبت وحدة رشيد مع ابن صاحب القصة في أحد، لأنه يروي القصة عن أبيه عقبة، فكيف اعتبرنا رشيدا نفسه صاحب القصة؟

والجواب: أن أصل الرواية عن رشيد أبي عقبة بن عقبة، فتصحف (رشيد

أبي عقبة برشيد عن أبيه عقبة) وهناك مؤشرات على هذا التصحيف، ومنها أن رشيدا كان شابا في مقتبل عمره فقد نصوا على أن النبي صلى الله عليه وآله كناه أبا عبد الله ولم يكن له ولد، كان فمعناه أنه كان في مقتبل عمره، وهو يتناسب مع شهادته سنة خمسين وهو شيخ. ولا يتسع المجال للتفصيل.

لماذا جعلوا رشيد الهجري اثنين؟!

يبدو أن السبب هو التفاوت في اسمه فقد كان عبد الرحمن بن عقبة، ويعرف بأبي عقبة فغير النبي صلى الله عليه وآله كنيته، ثم صار مولى بني هاشم، ولعل النبي صلى الله عليه وآله سماه رشيدا، ثم سكن في محلة الهجريين في البصرة فعرف باسم (رشيد الهجري) فقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١ / ٨٣، عن الشعبي أن قيس الأرقب قال له: (فهل تعرف رشيد الهجري؟ قال الشعبي: نعم بينما أنا واقف في الهجريين إذ قال لي رجل: هل لك في رجل يحب أمير المؤمنين؟ قلت: نعم، فأدخلني على رشيد). (وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٣١٠، وغيره). وفي اشتقاق ابن دريد / ١٤٤: (فبنو عبد الله هم الذين بهجر، قدموا البصرة مع عبد قيس، فسموا الهجريين). انتهى.

كما ينبغي أن نذكر أن رشيدا رحمه الله كان شخصية خاصة، مجهولا في الأرض معروفا في السماء! فهو بواب أمير المؤمنين عليه السلام وحواريه الذي يأتمنه على بعض علومه. فطبيعي أن يكون له برنامج خاص. (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٣٢ ودلائل الإمامة ١٨١).

لماذا لم يعجبهم رشيد؟

هذا الصحابي العالم البطل لم يعجبهم، لا لأنه فارسي، فسالم غلام حذيفة الأموي فارسي أيضا وليس له بطولة رشيد في الإسلام، ومع ذلك كان عمر معجبا به حتى قال: لو كان سالم حيا لاستخلفته وما جعلتها شورى! (تاريخ المدينة: ٣ / ١٤٠ ومجمع الزوائد: ٤ / ٢٢٠، وتاريخ دمشق: ٥٨ / ٤٠٤، والطبري: ٣ / ٢٩٢، والشافي: ٣ / ١٩٦، ومنهاج

الكرامة / ١٠٦). بل سبب كرههم له أن معاوية يكرهه! ففي الغارات: ٢ / ٨٤٣: (وقد كان معاوية يسب عليا ويتتبع أصحابه مثل ميثم التمار، وعمرو بن الحمق، وجويرية بن مسهر، وقيس بن سعد، ورشيد الهجري، ويقنت بسبه في الصلاة، ويسب ابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن، والحسين). انتهى.

ولذلك أمر جلاده زيادا بقتل رشيد! (عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد وقد أتي برشيد الهجري وكان من خواص أصحاب علي فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني... الخ.). (الغارات: ٢ / ٧٩٩).

ورواه بصيغة أكمل في الإختصاص / ٧٧: (عن أبي حسان العجلي، عن قنواء بنت رشيد الهجري قال قلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك؟ قالت: سمعت من أبي يقول: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك الجنة؟ قال: بلى يا رشيد، أنت معي في الدنيا والآخرة، قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعي زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يتبرأ منه، فقال له الدعي: فبأي ميتة قال لك تموت؟ قال: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ منه فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك، قدموه فاقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه، فحملت طوائفه لما قطعت يداه ورجلاه فقلت له: يا أبه كيف تجد ألما لما أصابك؟ فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس! فلما حملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى أن تقوم الساعة، فإن للقوم بقية لم يأخذوها مني بعد! فأتوه بصحيفة فكتب الكتاب: بسم الله الرحمن

الرحيم... وذهب لعين فأخبره أنه يكتب للناس ما يكون إلى أن تقوم الساعة، فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات في ليلته تلك! وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسميه رشيد البلايا! وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان في حياته إذا لقي الرجل قال له: يا فلان تموت بميتة كذا وكذا، وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا وكذا، فيكون كما يقول رشيد! وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول له: أنت رشيد البلايا، إنك تقتل بهذه القتلة، فكان كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه). انتهى.

حرفوا حديثا عن رشيد ليتهموه.. وساعدوا معاوية في قتله!

أصل الحديث كما رويناه في الخرائج والجرائح: ٢ / ٨١٠: (عن يحيى بن أم الطويل عن رشيد الهجري قال: دخلنا على أبي محمد عليه السلام بعد مضي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام فتذاكرنا له شوقنا إليه، فقال الحسن: أتريدون أن تروه؟ قلنا: نعم، وأنى لنا بذلك وقد مضى لسبيله؟! فضرب بيده إلى ستر كان معلقا على باب في صدر المجلس، فرفعه فقال: أنظروا من في هذا البيت فإذا أمير المؤمنين عليه السلام جالس كأحسن ما رأيناه في حياته! فقال: هو هو ثم خلى الستر من يده فقال بعضنا: هذا الذي رأيناه من الحسن كالذي نشاهد من دلائل أمير المؤمنين ومعجزاته). انتهى.

وهذا يعني أن الإمام الحسن أراهم عليا عليهما السلام بعد أيام من موته، جالسا في غرفة كان يجلس فيها، وهذا قليل من كرامة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى، وله تفسير في خلق الأرواح وتسجيل حياة الميت، ولكن أتباع بني أمية اعتبروه كفرا لأنه يقول برجعة علي بن أبي طالب، وساعدوا زيادا ومعاوية على قتل رشيد رحمه الله!

قال البسوي في المعرفة / ٨٩٠: (وحدثني علي بن صالح عن ابن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي عن رشيد الهجري مذهب سوء). (ونحوه ميزان الإعتدال: ٣ / ٨٨).

وهذا المذهب يقول عنه ابن حبان في المجروحين: ١ / ٢٩٨: (رشيد الهجري يروي عن أبيه عداده في أهل الكوفة، كان يؤمن بالرجعة. قال الشعبي: دخلت عليه يوما فقال: خرجت حاجا فقلت لأعهدن بأمير المؤمنين عهدا، فأتيت بيت علي فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين. قال: أوليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم! والله إنه ليتنفس الآن تنفس الحي! فقال: أما إذ عرفت سر آل محمد فادخل. قال: فدخلت على أمير المؤمنين وأنبأني بأشياء تكون! فقال له الشعبي: إن كنت كاذبا فلعنك الله. وبلغ الخبر زيادا فبعث إلى رشيد الهجري فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث). (وتذكرة الحفاظ: ١ / ٨٣، وتاريخ دمشق: ١٩ / ٢٠٠، و: ٢٤ / ١٠٠، وغيرها).

فانظر إلى تحريفهم للحديث، ولاحظ أن رشيدا باعترافهم حدث به الشعبي فوصل كلامه إلى زياد فقتله! ومعناه أنهم كانوا شركاء في قتله استجابة لرغبة معاوية، وأنهم تحججوا بحجج واهية! فمتى كان الإيمان بمعجزة لأهل البيت عليهم السلام كفرا يستوجب القتل، ومتى كان ادعاء المعجزات لأعدائهم إيمانا يتوجب التبجيل والتكريم؟!

استدلوا بقصة رشيد في أحد وأنكروا صحبته!

من تعصبهم أنهم رووا قصة الغلام الفارسي في أحد، وروى عدد منهم أن اسمه رشيد، ففي إعلام الموقعين لابن قيم: ٤ / ٣١٦: (وسئل صلى الله عليه وسلم عن رجل من المسلمين طعن رجلا من المشركين في الحرب فقال: خذها وأنا الغلام الفارسي! فقال: لا بأس في ذلك، يحمد ويؤجر).

وروى ابن تيمية القصة في كتابه اقتضاء الصراط / ٧٢، وجعلها عن أبي عقبة، وقال: (حضه رسول الله على الانتساب إلى الأنصار وإن كان بالولاء، وكان

إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبة حق ليست محرمة). (وعون المعبود: ١٤ / ٢٠، ومعجم الصحابة لابن قانع: ٢ / ١٥٧، وسماه عبد الرحمن الأزرق الفارسي مولى الأنصار، والسيرة الحلبية: ٢ / ٥٢٦، ومغازي الواقدي / ١٥١، سماه رشيد الفارسي، وسمى المشرك الذي قتله ابن عويم لا عويف، وغيرهم).

ثم إذا وصلوا إلى رشيد الهجري صاحب علي عليه السلام الذي قتله زياد بأمر معاوية، قالوا نشك في صحبته! وهذا يشبه جعلهم إياه مولى معاوية بدل بني معاوية الأنصاريين! فقد ترجم له في أسد الغابة: ٤ / ١٨٩، باسم (القاسم أبو عبد الرحمن مولى معاوية أورده عبدان في الصحابة... وروى ابن الأثير قصة أحد، ثم قال: رأيت في النسخ التي نقلت منها لما ذكر القاسم مولى معاوية، كتب النساخ فيها بعد معاوية رضي الله عنه ظنا منهم أنه معاوية بن أبي سفيان أو غيره ممن اسمه معاوية وله صحبة! والذي أظنه أنه مولى معاوية بن مالك بن عوف بطن من الأنصار، ثم من الأوس وسياق الحديث يدل عليه. والله أعلم).

استهزاء رشيد رحمه الله بابن العاص وإسرائيلياته!

من الثابت أن عمر منع تدوين حديث النبي والتحديث عنه صلى الله عليه وآله، وجعل كعب الأحبار مستشاره الثقافي، وجعل له مجلسين أسبوعيا يقص على المسلمين في مسجد النبي صلى الله عليه وآله قصص بني إسرائيل! ففتح بذلك باب الإسرائيليات بأوسعه!

ونتيجة لهذا المرسوم الخلافي راجت رواية الإسرائيليات، وجاء عبد الله بن عمرو بن العاص بوسقين أو عدلين أي كيسين كبيرين، أو بزاملتين أي حمل بعيرين، من كتب اليهود من الشام، وكان يحدث الناس منهما!

ففي النهاية لابن كثير: ٢ / ٢٩٨: (كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيرا! وليعلم أن كثيرا من السلف كانوا يطلقون

التوراة على كتب أهل الكتاب، فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث)! (ونحوه: ٢ / ١٢٧).
وفي فتاوى ابن تيمية: ١٣ / ٣٦٦: (قال (ص): بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو، ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك). انتهى.
يقصد ابن تيمية أن ابن العاص فهم الإذن من النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين بأحاديث الإسرائيليات! فكان يحدث بها على أنها أحاديث نبوية! وبذلك تعرف أن أتباع الخلافة حرفوا قول النبي صلى الله عليه وآله: حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج! ومعناه إن صح: قولوا في انحرافهم ما شئتم فهو صحيح، فجعلوا معناه: خذوا الحديث منهم ولاحرج عليكم وانسبوه إلي ولاحرج عليكم!
ولذلك كان الواعون في الأمة كرشيد يستهزئون بالإسرائيليات ورواتها كابن العاص وأبي هريرة وابن وهب وكعب ولا يثقون بنسبتهم ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله!
روى أحمد بن حنبل: ٢ / ١٩٥، عن رشيد الهجري رحمه الله (أن رجلا قال لعبد الله بن عمرو: حدثني ما سمعت من رسول الله (ص) ودعني وما وجدت في وسقك يوم اليرموك! قال: سمعت رسول الله يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).
وفي: ٢ / ٢٠٢: (إنما أسألك عما سمعت من رسول الله ولا أسألك عن التوراة!)
وفي / ٢٠٩: (ولا تحدثني عن التوراة والإنجيل). (وأبو داود: ١ / ٥٥٦ وعلو المعرفة: ٣ / ٢٤٤).
علم علي عليه السلام رشيد الهجري علم المنايا والبلايا!
كان علي عليه السلام ينادي في المسلمين: (هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون

ما بقي الدهر! أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. ها، إن ههنا لعلما جما (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة! بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه.
أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة. ألا لا ذا ولا ذاك!
أو منهوما باللذة، سلس القياد للشهوة! أو مغرما بالجمع والإدخار! ليسا من رعاة الدين في شئ! أقرب شئ شبها بهما الأنعام السائمة! كذلك يموت العلم بموت حامليه!
اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته. وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عددا والأعظمون قدرا). (نهج البلاغة: ٤ / ٣٦).
وفي الكافي: ١ / ٤٨٤: (عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) ينعى إلى رجل نفسه فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته!؟ فالتفت إلي شبه المغضب فقال: يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا، والإمام أولى بعلم ذلك! ثم قال: يا إسحاق إصنع ما أنت صانع فإن عمرك قد فني، وإنك تموت إلى سنتين وإخوتك و أهل بيتك لا يلبثون بعدك إلا يسيرا، حتى تتفرق كلمتهم ويخون بعضهم بعضا حتى يشمت بهم عدوهم! فكان هذا في نفسك! فقلت: فإني أستغفر الله بما عرض في صدري فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيرا حتى مات، فما أتى عليهم إلا قليل حتى قام بنو عمار بأموال الناس فأفلسوا). (وبصائر الدرجات / ٢٨٤).
(وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج يوما إلى بستان البرني موضع في ظهر الكوفة (لعله من أملاك الدولة) ومعه أصحابه فجلس تحت نخلة ثم أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم، فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين: ما

أطيب هذا الرطب؟ فقال: يا رشيد أما إنك تصلب على جذعها! قال رشيد: فكنت أختلف إليها طرفي النهار أسقيها! ومضى أمير المؤمنين عليه السلام! قال رشيد: فجئتها يوما وقد قطع سعفها، قلت اقترب أجلي! ثم جئت يوما فجاء العريف فقال: أجب الأمير فأتيته، فلما دخلت القصر إذا بخشب ملقى، ثم جئت يوم آخر فإذا النصف الآخر قد جعل زرنوقا يستقى الماء عليه، فقلت: ما كذبني خليلي! فأتاني العريف فقال: أجب الأمير فأتيته، فلما دخلت القصر إذا الخشب ملقى وإذا فيه الزرنوق، فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ثم قلت: لك غذيت ولي أنبت! ثم أدخلت على زياد فقال: هات من كذب صاحبك! قلت: والله ما أنا بكذاب ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني! فقال إذا نكذبه! اقطع يده ورجله وأخرجوه! فلما حمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظائم وهو يقول: سلوني فإن للقوم عندي طلبة لم يقضوها! فدخل رجل على زياد فقال له: ما صنعت قطعت يده ورجله، وهو يحدث الناس بالعظائم؟! قال: فأرسل إليه فردوه وقد انتهى إلى بابه فردوه، فأمر بقطع لسانه ويديه ورجليه وأمر بقتله وصلبه على جذع تلك النخلة، فكان هذا من دلائله عليه السلام). (اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٩٢ والهداية الكبرى / ١٦٧، وروضة الواعظين / ٢٨٧). والزرنوق: الخشبتان تنصبان على باب البئر وتعلق بهما البكرة للإستقاء. (نهاية ابن الأثير: ٢ / ٣٠١، ولسان العرب: ١٠ / ١٤٠). ومعناه أنهم قصوا جذع النخلة نصفين واستعملوهما زرنوقا ثم أخذوا أحدهما لصلب رشيد رحمه الله! وصدق أمير المؤمنين عليه السلام!

ابن تيمية يتوتر من علم علي عليه السلام وعلم رشيد الهجري!

نقل ابن تيمية في كتابه (الرد على الرافضي) الذي سموه (منهاج السنة): ٨ / ١٣١، نقل قول العلامة الحلي رحمه الله في منهاج الكرامة فقال: (وأخبر (علي عليه السلام) وهو بذي قار جالس

لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون يبايعونني على الموت، وكان كذلك وكان آخرهم أويس القرني. وأخبر بقتل ذي الثدية وكان كذلك. وأخبره شخص بعبور القوم في قصة النهروان فقال: لن يعبروا! ثم أخبره آخر بذلك فقال لم يعبروا وإنه والله لمصرعهم! فكان كذلك. وأخبر بقتل نفسه الشريفة. وأخبر شهربان بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه ففعل به معاوية ذلك. وأخبر ميثم التمار بأنه يصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عاشرة، وهو أقصرهم خشبة، وأراه النخلة التي يصلب عليها، فوقع كذلك. وأخبر رشيد الهجري بقطع يديه ورجليه وصلبه وقطع لسانه، فوقع.

وأخبر كميل بن زياد أن الحجاج يقتله، وأن قنبرا يذبحه الحجاج فوقع. وقال للبراء بن عازب: إن ابني الحسين يقتل ولا تنصره فكان كما قال... الخ.

ثم قال ابن تيمية: والجواب: أن يقال: أما الإخبار ببعض الأمور الغائبة فمن هو دون علي يخبر بمثل ذلك، فعلي أجل قدرا من ذلك! وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك! وليسوا ممن يصلح للإمامة، ولا هم أفضل أهل زمانهم. ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا. وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك، وأبو هريرة يسنده إلى النبي (ص) وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده، وإن كان في حكم المسند.

وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي (ص) وقد يكون مما كوشف هو به. وعمر قد أخبر بأنواع من ذلك. والكتب المصنفة في كرامات الأولياء وأخبارهم مثل ما في كتاب الزهد للإمام أحمد، وحلية الأولياء، وصفوة الصفوة، وكرامات الأولياء لأبي محمد الخلال، وابن أبي الدنيا، واللالكائي، فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر كالعلاء بن الحضرمي نائب أبي

بكر، وأبي مسلم الخولاني بعض أتباعهم، وأبي الصهباء، وعامر بن عبد قيس، وغير هؤلاء ممن علي أعظم منه، وليس في ذلك ما يدل على أنه يكون هو الأفضل من أحد من الصحابة، فضلا عن الخلفاء). انتهى.

أقول: كلامه مكابرة واضحة، فإنه لم ينقل أحد عن كل الصحابة عشر ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام من الإخبار بالمغيبات، هذا من ناحية الكمية، أما النوعية فإن ما أخبر به الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وتلامذتهم لم يكن أمورا ظنية وادعاءات، بل كان واضحا كفلق الصبح، وقد عرف ذلك عنهم واشتهر حتى عند أعدائهم وقاتليهم، كما رأيت في كلام زياد مع رشيد رحمه الله! بل رووا عن معاوية أنه كان يهمه أن يعرف رأي علي عليه السلام في مستقبله الشخصي وأنه استعمل أسلوب إشاعة موته هو في صفين ثم في الكوفة، ودس جواسيس ليشيعوا ذلك ليعرفوا ردة فعل علي عليه السلام! روى ذلك الإربلي في كشف الغمة: ١ / ٢٨٧، عن كتاب لطف التدبير لمحمد بن عبد الله الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١، ونقله في شرح إحقاق الحق: ٨ / ١٢١، عن أرجح المطالب / ٦٨٧، وفي: ١٧ / ٥٧١، عن كتاب لطف التدبير / ١٨٤ المطبوع بمكتبة الخانجي بالقاهرة: أن معاوية وجلساءه كانوا يتساءلون عن مستقبلهم فقال معاوية: (فأنا أستخرج علم ذلك من علي فإنه لا يقول الباطل! فدعا ثلاثة رجال من ثقاته فقال لهم: إمضوا حتى تصيروا جميعا من الكوفة على مرحلة، وتواطؤا على أن تنعوني بالكوفة، وليكن حديثكم واحدا في ذكر العلة واليوم والوقت والقبر، ومن تولى الصلاة علي وغير ذلك، حتى لا تختلفوا في شئ! ثم ليدخل أحدكم وليخبر بوفاتي، فإذا كان من الغد فليدخل الثاني فيخبر بمثل خبر صاحبه، ثم ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه، وانظر ما يقول علي فعجلوه علي). وقال المسعودي في مروج الذهب: ٢ /

٤٢٩: (وقد كان معاوية دس أناسا من أصحابه إلى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا...).
فكشف علي عليه السلام حيلة معاوية ولكنه مع ذلك أخبر المسلمين بما سيكون فقال: (أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن، يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه! ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة). (نهج البلاغة: ١ / ١٠٥).
بل كان أعداء علي وأهل البيت عليهم السلام من الصحابة وغيرهم يتسقطون الخبر الصغير من تلاميذ أهل البيت عليهم السلام وتلاميذهم وأطفالهم، بل من خدمهم لأنهم يعرفون أن عندهم من الله الكثير! ونكتفي بنموذج واحد منها يتصل بموضوعنا، روته أقدم مصادرنا: (عن فضيل بن الزبير قال: مر ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدثا حتى اختلف أعناق فرسيهما. ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الزرق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليه السلام ويبقر بطنه على الخشب! فقال ميثم: وإني لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيه عليه السلام فيقتل ويجال برأسه بالكوفة! ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحدا أكذب من هذين! قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما؟ فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا. فقال رشيد: رحم الله ميثما نسي: ويزاد في عطاء الذي يجئ بالرأس مائة درهم! ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم! فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوبا على باب دار عمرو بن حريث، وجئ برأس حبيب بن

مظاهر قد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا)! (اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٩٢).

أولاد رشيد رحمه الله: قنواء وسلم وأبو سعيد

ذكروا لرشيد رحمه الله ثلاثة أولاد، أشهرهم ابنته القنواء، وقد مر ذكرها في حديث شهادته، وروى عنها في المحاسن: ١ / ٢٥١: (قلت لأبي: ما أشد اجتهادك! فقال يا بنية: سيجئ قوم بعدنا بصائرهم في دينهم أفضل من اجتهاد أولهم).

وفي الإختصاص / ٧٧: (عن أبي الجارود قال: سمعت القنوا بنت رشيد الهجري تقول: قال أبي: يا بنية أميتي الحديث بالكتمان واجعلي القلب مسكن الأمانة). وقد ترجم لها علماؤنا في كتب الرجال وعدوها من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. (معجم رجال الحديث: ٨ / ١٢٨). وذكر الطوسي في اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٧٠٨، ابنه أبا سعيد بن رشيد الهجري في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٦ / ٣١٤، ابنه سلم وأن إبراهيم بن سلم بن رشيد الهجري يروي عن عبد العزيز بن قيس بن عبد الرحمن القرشي البصري).

* *

عشرات الشخصيات من كل نوع قتلهم معاوية!!
هذا، ولا يتسع المجال لاستكمال الشخصيات الإسلامية من خيار الصحابة الأبرار، والتابعين لهم بإحسان، الذين قتلهم معاوية! فحياة كل واحد منهم وشهادته مليئة بالدروس والعبر، وأكثرهم من الأبطال الشجعان، الذين قامت الفتوحات الإسلامية على تضحياتهم وجهودهم! وقد وصل الينا من أسمائهم وسيرتهم القليل، لكنه مادة مهمة للدراسة تكشف عن سموهم، وضآلة معاوية القاتل المتعطش للدماء.
وممن لم نذكره منهم: ابن حسان العنزي، وجويرية بن مسهر العبدي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وجميل بن كعب الثعلبي.
وممن نظن أنه قتلهم: عبد الله بن عامر بن كريز الأموي، وكان واليا على البصرة لمعاوية ولعله كان يطمع في الخلافة، فقد طلق هندا بنت معاوية أو أجبر على طلاقها، ثم مات قبيل مبايعة يزيد بولاية العهد.
وسعيد بن العاص الأموي، فقد كان طامعا بالخلافة ويرى نفسه أحق من معاوية لمكان جده في بني أمية!
ومحمد بن مسلمة الأنصاري، الذي اعترض على معاوية في مجلسه لأنه سكت على اتهام الحاخام يامين للنبي صلى الله عليه وآله بأنه غدر بصاحبه كعب بن الأشرف كما تقدم.. وغيرهم.. وغيرهم!
* *
هدم البيوت والاضطهاد والتشريد.. لا يقل عن القتل!
فقد شن معاوية على أهل البيت عليه السلام وشيعتهم حربا سياسية واجتماعية

واقتصادية! وقام عماله بمطاردتهم وتشريدهم وهدم بيوتهم، وحرمانهم من الحقوق المدنية لإفقارهم وتجويعهم! وأصدر المراسيم بذلك وعممها على كل المناطق، وشدد على عماله في تنفيذها! وقد تقدم بعضها.

وفي مختصر البصائر / ١٤: (وكتب معاوية إلى عماله في جميع البلدان، أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي عليه السلام وأهل بيته شهادة. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع الأقطار: أنظروا من قامت عليه البينة، أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطائه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به وأهدموا داره!

وفي الإحتجاج: ٢ / ١٧: (ونادى منادي معاوية (في الحج): أن قد برئت الذمة ممن يروي حديثا من مناقب علي وفضل أهل بيته عليهم السلام! وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد ابن أبيه وضم إليه العراقين الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشردهم، حتى نفوا عن العراق، فلم يبق بها أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس، أو طريد أو شريد!

وكتب معاوية إلى جميع عماله في جميع الأمصار: أن لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي أهل بيته وأهل ولايته، والذين يروون فضله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته. ففعلوا، حتى كثرت الرواية في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصلات والخلع والقطايع، من العرب والموالي، وكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال

والدنيا، فليس أحد يجئ من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلا كتب اسمه وأجيز). انتهى.
وفي شرح النهج: ١١ / ٤٣: (وقد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا؟! وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس؟! إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده! فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه! ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخاف! ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا! ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس! وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا، سجن أو نهب ماله أو هدمت داره! ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام!

ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال شيعة علي عليه السلام! وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا، يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئا منها، ولا كانت ولا وقعت! وهو يحسب أنها حق، لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع)!

* *

الفصل الثاني عشر
القتل المعنوي لا يقل عن القتل الجسدي

خطة معاوية في إجبار الناس على سب علي عليه السلام ولعنه!
لماذا اختار معاوية وهو السياسي المحنك، سياسة إجبار الناس على سب علي عليه السلام ولعنه والبراءة منه؟ وهو يعرف أنه مشروع حاد عنيف، باهض التكاليف؟ فمهما يكن علي بن أبي طالب عليه السلام في رأيه، فهو ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وعضده، ومناقبه وأحاديث النبي فيه لا يمكن أن ينساها المسلمون، فهم يحبونه، ومنهم من يعتقدون أنه إمام رباني، ووصي النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى.
فما الداعي لمعاوية أن يجعل لعنه والبراءة منه (فريضة دينية) على الناس بمرسوم خلافي، ويشدد على ولاته في تنفيذها على منابر الجمعة وقصور الحكام، ويأمرهم أن يمتحنوا بها الناس ويقتلوا من لا ينفدها، أو يعترض عليها؟!
لقد بذل معاوية لمشروعه جهودا كبيرة وأموالا طائلة، وسخر له أجهزة الدولة وأئمة المساجد، وشغل به الناس وامتحنهم، وقتل بموجبه الألوف المؤلفة!
فلماذا كان يرى ذلك أمرا ضروريا حتى لو بلغت نفقاته المالية ملايين، وبلغت كلفته السياسية توترات في البلاد ومشكلات، وسفك دماء.
قبل أن نصل إلى السبب الحقيقي عند معاوية، فلنقرأ الأولوية المطلقة التي أعطاها لمشروعه هذا فجعله أهم من كل مشاريع الأمن والإعمار والفتوحات!
قال الطبري في تاريخه: ٤ / ١٨٧: (إن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١، دعاه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا... وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي،

ولست تاركا إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن شتم علي وذمه! والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم! وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم.
فقال المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم. قال: بل نحمد إن شاء الله). (وتاريخ الكوفة / ٣١٥ وجمهرة خطب العرب: ٢ / ١٨٤، والمنتظم: ٥ / ٢٤١، رواه مبتورا، والنصائح الكافية / ١٠٠).
وقال أحمد بن حنبل في مسنده: ١ / ١٨٩: (لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي، قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (ابن عم عمر بن الخطاب) قال: فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه، الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة فاشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم! قال قلت: وما ذاك؟ قال قال رسول الله (ص): أثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، قال قلت: من هم؟ فقال رسول الله: وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة و عبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك. قال: ثم سكت، قال قلت: ومن العاشر؟ قال: قال أنا). انتهى.
أقول: بقطع النظر عن رأينا في هذا الحديث المعروف باسم (حديث العشرة المبشرة) فإن مقدمته تدلك على شدة حرص معاوية على تنفيذ مشروعه، وسرعة إطاعة المغيرة لأمره، وابتدائه بتعيين خطباء من العلماء والرواة، برواتب من بيت المال، وكل عملهم أن يجلسوا في المساجد والبيوت والساحات، ويخطبوا في الناس، ويدرسوهم، ويرووا لهم أي شئ فيه سب علي عليه السلام وذمه وشتمه، وأي شئ مدح عثمان ومعاوية وبني أمية!
وقد روى هذا الحديث عدد من مصادرهم وصححوه: كالنسائي في فضائل الصحابة

/ ٣٢، كما في رواية أحمد، وفي / ٢٧، بنحوه، وفيه: (فقلت ألا تعجب من هذا الظالم أقام خطباء يشتمون عليا! فقال: أوقد فعلوها؟!) وفي سننه: ٥ / ٥٥، بنحوه، وفي / ٥٩، كرواية أحمد. وابن أبي عاصم في السنة / ٦٠٤، بنحو رواية أحمد. وأبو يعلى: ٢ / ٢٥٨، بنحوه. وخيثمة الأطرابلسي في مسنده / ٢٠١، كما في أحمد. وابن حبان: ١٥ / ٤٥٧، بنحوه، وكنز العمال: ١٣ / ٢٤٩، وتاريخ دمشق: ٢١ / ٧٥، و: ٣٥ / ٢٧٣،, و: ٦٠ / ٢٥٣، وتهذيب الكمال: ١٥ / ١٣٦، والنهاية: ٧ / ٣٩٣).

هدف معاوية: رد اللعن على بني هاشم!

كيف ينسى معاوية أن نبي بني هاشم صلى الله عليه وآله كان حتى الأمس يلعن أبا سفيان وبني أمية، وزعماء قريش المتحالفين معه ضد بني هاشم ويسميهم أئمة الكفر!

لقد أعلن محمد بن عبد الله أنه نبي مرسل من ربه، وأن على الجميع الإيمان به وطاعته، فكذبه زعماء قريش، فأقنع محمد أهل يثرب اليمانيين بدعوته، وتحالف معهم ضد قومه، ونزل قرآنه بلعن زعماء قومه وسبهم، وربى من اتبعه على ذلك، في قنوت صلواته وفي آيات قرآنه!

كيف ينسى معاوية آيات القرآن التي كان يتلوها النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون فتدوي بها جنبات المدينة، ويكتبها العرب فيرددونها في أحيائهم وحدائهم لإبلهم! وفيها الحملات الشعواء على المكذبين لمحمد ووصفهم بأبشع الأوصاف! حتى الطعن في نسبهم وأمهاتهم فقال: (فلا تطع المكذبين. ودوا لو تدهن فيدهنون. ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم. أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. سنسمه على الخرطوم). (القلم: ٨ - ١٥).

وكيف ينسى معاوية أن محمدا جرأ العوام على الخروج على طاعة أبي سفيان وبقية زعماء القبائل فقال: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا. يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا

الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا. (الأحزاب: ٥٧ - ٦٨)
وحتى بعد أن انتصر محمد صلى الله عليه وآله وفتح مكة وخضع له أبو سفيان وزعماء قريش لم يقنعه ذلك، فنزلت عليه سورة التوبة وهاجمتهم وسمتهم منافقين: (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون. وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم). (التوبة: ٦٧ - ٦٨).
وسمتهم (أئمة الكفر) وجعلت قتالهم فريضة دينية، فقال: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين). (التوبة: ١٢ - ١٤).
وبعد أن غلبهم في مكة سماهم الطلقاء أي أسرى حرب عبيد له ولأهل بيته، ثم أطلقهم ولم يعتقهم، ومعناه أنهم بقوا على ملكيته، بينما سمى أسرى أهل الطائف العتقاء فهم أحسن منهم درجة، وجعل ولاء الطلقاء والعتقاء لبعضهم وفصلهم عن المسلمين إلى يوم القيامة! فقال: (المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)! (مسند أحمد: ٤ / ٣٦٣، وهو صحيح على شرط الشيخين. راجع بحث المؤلفة قلوبهم والطلقاء)
وسمى بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن، وهم برأي معاوية معدن الحق والملك في قريش والعرب، ووصفهم بأنهم كإبليس يحسدون النبي وبني هاشم! (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. وإذ قلنا للملائكة

اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال اسجد لمن خلقت طينا. قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا. (الإسراء: ٦٠ - ٦٣).
ثم ادعى القرآن أن بني أمية إذا استعادوا حقهم وحكموا من بعده سيفسدون ويقطعون رحمهم مع بني هاشم فقال: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. (محمد: ٢٢ - ٢٣)
وقد تقدم قول معاوية لابن عباس: (فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف لسانك! فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا. قال: أتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم.... إقرؤا القرآن وتأولوه ولا تروا شيئا مما أنزل الله فيكم واروا ما سوى ذلك)! (الإحتجاج: ٢ / ١٦).
وكيف ينسى معاوية أن النبي صلى الله عليه وآله واجهه وأباه وأخاه، فلعنهم مباشرة في أكثر من مناسبة، ومنها على رؤوس الأشهاد في مسجده، فتحملوا وكظموها!
وهذا أبو ذر الغفاري والحسن بن علي وأمثالهم يواجهون معاوية بأن النبي لعنه ودعا عليه! ويروون أنه لعن أبا في سبعة مواطن حفظها الناس ورووها! يوم هاجر النبي وجاء أبو سفيان من الشام، فسب النبي وأوعده وهم أن يبطش به. ويوم بدر. ويوم أحد. ويوم حنين حيث ائتمر مع هوازن واليهود، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا... ويوم الحديبية إذ صدوا النبي والمسلمين عن العمرة. ويوم الأحزاب إذ جاء أبو سفيان بجمع قريش فلعن رسول الله القادة والأتباع والساقة إلى يوم القيامة. فقيل له: يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تعيب اللعنة مؤمنا من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج. ويوم العقبة في رجوع النبي صلى الله عليه وآله من تبوك إذ تآمر لقتله اثنا عشر رجلا ليقتلوه،

سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله ورسول الله من حل الثنية غير النبي صلى الله عليه وآله وسائقه وقائده. (ورواه أيضا في الإحتجاج: ١ / ٤٠١، مختصرا)

وفي الترمذي: ٤ / ٢٩٥ عن عمر: (قال رسول الله يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية).

وفي البخاري: ٥ / ٣٥، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول في قنوت صلاته: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا). انتهى. وتقدمت أحاديث لعن النبي صلى الله عليه وآله لأبي سفيان ومعاوية وبني أمية.

قد تسأل: كيف يكون لعن علي عليه السلام برأي معاوية ردا على النبي صلى الله عليه وآله والقرآن في لعنهم لأبي سفيان وأئمة المشركين؟

والجواب: إن عليا عليه السلام يمثل تحدي الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله للمكذبين، فهو سيف محمد صلى الله عليه وآله الذي جندل أبطال قريش وزعماءها وأذاقها مرارات الثكل والهزيمة! وكل ثأر قريش مجتمع فيه؟! إن قريشا لا تستطيع أن تعلن تأزمها وبغضها للنبي صلى الله عليه وآله صراحة لذلك تعلنه على علي وبني هاشم! ألم تسمع قول عثمان لعلي عليه السلام: (ما أصنع بكم إن كانت قريش لا تحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب، تشرب آنافهم قبل شفاههم)! (تاريخ دمشق: ٣ / ١١٦، والمنمق / ٣٥، وشرح النهج: ٩ / ٢٢، وتذكرة ابن حمدون / ١٥٦٧، ونثر الدرر للآبي / ٢٥٩).

لاحظ جيدا قوله: (لا تحبكم... قتلتم..) ومعناه أن الجريمة في بني هاشم وهم المسؤولون عنها لافرق بين أن يكون القاتل علي أو النبي صلى الله عليه وآله!

فالموضوع بنو هاشم والقبائل تعرف في ثأرها القبيلة أكثر من أشخاصها، فالثأر عند بني هاشم والموجود منهم ورئيسهم الآن هو علي عليه السلام الذي مثل في عهد النبي صلى الله عليه وآله كل التحدي العسكري لزعامة قريش بقتل عشرات زعمائها وصناديدها!

لذا كان من الضروري عند معاوية تدمير شخصية علي بن أبي طالب وأهل

بيته! فأعطى لمشروع تسقيطه الأولوية على كل مشاريع الأمبراطورية الأموية، وكان يسميه أبا تراب، ويصفه بأقذع الأوصاف!
وقد تسأل: وهل معنى هذا أن معاوية كان يخطط معا لإسقاط شخصية النبي صلى الله عليه وآله وضرب الإسلام؟!
الجواب: لماذا لا؟ ألم تسمعه وأبا سفيان صرحا برفضهما للأذان لأن النبي صلى الله عليه وآله بزعمهما وضع اسمه مع اسم الله تعالى! فقال أبوه: أنظروا إلى أخي بني هاشم أين وضع اسمه! وقال معاوية: وهل يبقى لأحد مع هذا ذكر، لا والله إلا دفنا دفنا!
وهل يكون الدفن إلا بدفن علي أولا؟!
قد تقول: معنى هذا أننا نتهم معاوية في عقله لأنه لا يمكنه دفن ذكر النبي صلى الله عليه وآله الذي يقوم ملك معاوية على اسمه ودينه!
والجواب: ولماذا تبرئ معاوية من التصورات الخيالية والعمل لها؟! أنظر إلى تصوراته الخيالية عن ولده يزيد ووصيته له لتعرف أنه كان يفكر في الفراغ، فالذي يتعب نفسه أربعين سنة في تأسيس إمبراطورية ويسفك لأجلها دماء عشرات الألوف، ثم يسلمها إلى ولد أهوج كيزيد فيقضي على ذكر آل أبي سفيان في سنتين ويمسح بهم الأرض! إنما يعيش في خيال العظمة الكاذب، ويتصور أن بإمكانه أن يرفع شخصية أبي سفيان وشخصيته إلى الأسرة المختارة لخلافة الله في أرضه، وأن ينقص من شخصية محمد وبني هاشم، حتى ينساهم الناس ويصير القرآن نازلا على معاوية!
أليس هو كاتب الوحي وأمين الله عليه، وكان محمد لا يقرأ ولا يكتب؟!
اختار معاوية اللعن بالذات لأنه سلاح ديني!
اللعن سلاح ديني، استعمله الله تعالى ضد إبليس وأتباعه منذ أهبط آدم عليه السلام

إلى الأرض. وهو يعني غضب الله على الملعون وطرده من رحمته!
وبعد آدم عليه السلام كان الأنبياء يستعملونه بتوجيه ربهم ضد الكافرين المطرودين من رحمة الله. وقد استعمله النبي صلى الله عليه وآله بأمر ربه ضد أنواع من المكذبين والمنافقين والعاصين. فكان له وقع عظيم عليهم، لأن اللعن في ثقافة العرب الوثنية اليهودية أمر شديد يثير أعصابهم!
ويصعب أن نحدد بالضبط من أين جاءت هذه العقيدة للعرب في اللعن، لكن يكفي دليلا على عمقها في ثقافتهم أنهم اختاروا عبارة: (أبيت اللعن) تحية لملوكهم، أي أبيت أن تفعل ما يوجب لك اللعن، بينما اختاروا تحية لعامتهم: عم صبحا، أي أنعم صباحا! قال ابن منظور في لسان العرب: ١٤ / ٥: (كانت العرب يحيي أحدهم الملك يقول أبيت اللعن. وفي حديث ابن ذي يزن: قال له عبد المطلب لما دخل عليه: أبيت اللعن، هذه من تحايا الملوك في الجاهلية والدعاء لهم، معناه: أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه وتذم بسببه).
وفي لسان العرب: ١٣ / ٣٨٧: (واللعن: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء... وقوله تعالى: بل لعنهم الله بكفرهم، أي أبعدهم. وقوله تعالى: ويلعنهم اللاعنون، قال ابن عباس: اللاعنون كل شئ في الأرض إلا الثقلين... قال الأزهري: اللعين المشتوم المسبب، واللعين: المطرود.. واللعين: الشيطان، صفة غالبة لأنه طرد من السماء، وقيل: لأنه أبعد من رحمة الله. واللعنة: الدعاء عليه). انتهى. وتعميمهم اللاعنين لا دليل عليه، بل الصحيح أن اللاعنين هم الذين لهم من الله حق اللعن، ابتداء أو إمضاء.
وفي لسان العرب: ١٢ / ٦٤١: (عن ابن الأعرابي، قال: ويقال أنعم صباحا وعم صباحا بمعنى واحد. قال الأزهري: كأنه لما كثر هذا الحرف في كلامهم حذفوا

بعض حروفه لمعرفة المخاطب به، وهذا كقولهم: لا هم، وتمام الكلام اللهم). وفي فتح الباري: ٦ / ٣٩١: (وقيل إن قحطان أول من قيل له أبيت اللعن وعم صباحا). وقد استبدلها الإسلام بالأمس بالسلام، ففي كنز الفوائد للكراجكي / ٧٥: (ومن ذلك أن صفوان بن أمية وعمرو بن وهب الجعفي قالا: من لنا بمحمد؟ فقال عمرو بن وهب: لولا دين علي لخرجت إلى محمد حتى أقتله! فقال صفوان: علي دينك ونفقة عيالك إن قتلته! فخرج حتى قدم المدينة فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنعم صباحا، أبيت اللعن. فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد أبدلنا الله بها خيرا منها. قال: إن عهدك بها حديث. قال: أجل، ثم أكرمنا الله بالنبوة. ثم قال: يا عمرو ما جاء بك؟ قال ابني أسير عندكم! قال: لا، ولكنك جلست مع صفوان، ثم قص عليه الذي قال! فقال عمرو: والله ما حضرنا أحد، وما أتاك بهذا إلا الذي يأتيك بأخبار السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله). انتهى.

فمعاوية إذن أمام سلاح استعملته الأديان، واعتقدت به العرب وحرصت على تنزيه ملوكها عنه، فهدفه أن يرد على بني هاشم السلاح الذي استعملوه، فيجعل لعن علي عليه السلام وأهل بيته، دينا يتربى عليه المسلمون، ويترسخ في ثقافتهم وأجيالهم، ويقابله مدح بني أمية وأنهم أهل لشعار (أبيت اللعن)!

* *

مفهوم معاوية وقريش للعن يختلف عن المفهوم الإسلامي
المفهوم الإسلامي للعن أنه حكم إلهي بطرد شخص شرير من رحمة الله تعالى، وهو كأي حكم لا يثبت إلا بإخبار وتبليغ من النبي صلى الله عليه وآله، فلا يكون إلا بوحي الله تعالى، فيكون معنى قوله صلى الله عليه وآله: لعن الله فلانا، أن الله أخبرني أنه صدر فيه حكم الطرد من رحمته، وها أنا أخبركم. فاللعن لا يتحقق إلا بإخبار معصوم.
أما إنشاء اللعن بقولك: لعن الله فلانا، فمعناه أني ألعن من لعنه الله تعالى، فإن كان الشخص صدر لعنه من الله تعالى فقد وقع لعنك في محله، وإلا فهو مجرد ادعاء منك، ليس له أي أثر!
أما في مفهوم معاوية وقريش، فاللعن إنشاء، وله تأثير وضعي (أتوماتيكي) من أي شخص صدر! وقد أخذوه من ثقافتهم الوثنية وثقافة اليهود!
وقد أصر القرشيون على ذلك وادعى رواتهم أن لعن النبي صلى الله عليه وآله لزعماء قريش المشركين كان عملا من عند نفسه، وأن الله تعالى وبخه على ذلك وأنزل عليه آية (ليس لك من الأمر شئ) فندم النبي صلى الله عليه وآله ودعا الله أن يجعل لعنته لقريش وظلمه لهم (صلاة وقربة، وزكاة وأجرا، وزكاة ورحمة، وكفارة له يوم القيامة، وقربة تقربه بها يوم القيامة، ومغفرة وعافية، وكذا وكذا.. وبركة ورحمة ومغفرة وصلاة.. على حد تعابيرهم)! في عشرات الروايات في أصح كتبهم (البخاري: ٧ / ١٥٧)! فصار الملعونون على لسان النبي صلى الله عليه وآله بهذه الأدعية أربح وأفضل من غيرهم!
لكن مع كل ما قاله القرشيون لتهوين اللعن، بقيت حساسيتهم منه عالية متأثرة بالمفهوم الجاهلي، حتى لو أن شخصا لعن بعيرا لنفروا منه، لأنه حلت فيه اللعنة وصار مشؤوما، وسقط عن الاستفادة! بل لم يرافقوه مع حاجتهم الشديدة اليه!
وقد فعل ذلك عمر! ففي مصنف ابن أبي شيبة: ٦ / ١٦٣ بسند صحيح عندهم: (بينما

عمر يسير في أصحابه وفي القوم رجل يسير على بعير له من القوم يضعه حيث يشاء فلا أدري بما التوى عليه فلعنه، فقال عمر: من هذا اللاعن؟ قالوا: فلان، قال: تخلف عنا أنت وبعيرك، لا تصحبنا راحلة ملعونة)! (وكنز العمال: ٣ / ٨٧٧).

ثم نسبوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فرووا في صحيح مسلم: ٨ / ٢٣: (بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي (ص) وتضايق بهم الجبل فقال: حل، اللهم العنها! قال فقال النبي (ص): لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة)! وقال النووي: (وفي رواية: لا تصاحبنا راحلة عليها لعنة من الله تعالى) (الأذكار النووية / ٣٥٢).

وفي مجمع الزوائد: ٨ / ٧٦: (وعن أنس بن مالك قال سار رجل مع النبي فلعن بعيره فقال النبي (ص): يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون. رواه أبو يعلي والطبراني في الأوسط بنحوه ورجال أبي يعلي رجال الصحيح. وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ص) في مسير فلعن رجل ناقة فقال: أين صاحب الناقة؟ فقال الرجل: أنا. فقال: أخرها فقد أجبت فيها. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

وفي فيض القدير للمناوي: ١ / ٤٤١: لكن يقويه رواية الديلمي له بلفظ: إذا أحرم أحدكم فليؤمن على دعائه إذا قال اللهم اغفر لنا، فليقل آمين ولا يلعن بهيمة ولا إنسانا، فإن دعاءه مستجاب). انتهى.

فهذه أربعة أحاديث (صحيحة عندهم) كذبوها لتأييد فعل عمر! تجعل اللعن أمرا إنشائيا، وأن الجارية أو الرجل إذا لعنا شخصا أو حيوانا، فقد حلت عليه اللعنة الإلهية وسكنت في دمه وروحه، وصار مشؤوما! وكل لعنة مستجابة، ولعنة المحرم خاصة كما في الحديث الرابع، فلعنته لشخص تجعله شرا محضا!

قال الطبراني في كتاب الدعاء / ٥٧٦ في حديث خامس كذبوه: (عن عمران بن حصين قال: لعنت امرأة ناقة لها فقال النبي (ص) إنها ملعونة فحلوا عنها! (أي حلوا

رباط حملها وخذوه عنها) قال: فلقد رأيتها تتبع المنازل ما يعرض لها أحد ناقة ورقاء)! وهكذا صارت الناقة الورقاء الجميلة ملعونة يجب تركها والابتعاد عنها! حتى لا يتعرض الشخص لشر اللعنة الإلهية التي حلت فيها!

هذا هو الإسلام القرشي! وانظر إلى أباعه: قال ابن رجب الحنبلي في شرح حديث لبيك / ٤٧: (وكان بعض السلف لا يدخل بيته بشئ ملعون، ولا يأكل من بيض دجاجة يلعنها، ولا يشرب من لبن شاة لعنها! قال بعضهم: ما أكلت شيئا ملعونا قط. وذكر ابن حامد من أصحابنا عن أحمد قال: من لعن عبده فعليه أن يعتقه، أو شيئا من ماله أن عليه أن يتصدق به! قال: ويجئ في لعن زوجته أنه يلزمه أن يطلقها). انتهى.

ولذلك مدحوا رواتهم وعلماءهم بأنهم لا يلعنون شيئا! فروى ابن سعد: ٧ / ٢٢٣: أن النكري: (حدث أن أبا الجوزاء لم يلعن شيئا قط ولم يأكل شيئا لعن قط قال: حتى إن كان ليرشو الخادم في الشهر الدرهم والدرهمين حتى لا تلعن الطعام إذا أصابها حر التنور)! (وحلية الأولياء: ٣ / ٧٩).

وهكذا يمكنك أن تشتري مصيرك من الطباخة بدرهمين، حتى لا تطعمك طعاما أو خبزا ملعونا، فيجري في دمك وتكون ملعونا أو نصف ملعون أو ربعه!

وهكذا يتهمون الله تعالى بأنه عابث غير عادل، لأنه جعل مصير الناس على كف عفريت! وعلى ألسنة كل الناس، وكم فيها من ألسنة حداد!

ما أدري كيف يتعقل علماؤهم أن الله الحكيم الحليم، يجعل رضاه وغضبه ومصير إنسان أو حيوان، لعبة بيد رجل عامي أو امرأة؟! فما أسهل أن يقوم شخص بلعن كل طعامهم وشرابهم فيحرمهم منه، أو يلعن أشخاصهم فتحل فيها اللعنة! ولو سألنا من يعتقد بهذه العقيدة اليهودية كإمامهم ابن رجب: لو أن أحدا

لعن إمامه ابن تيمية فهل يتركه ويهرب منه؟! ليته!
إن مشكلتهم الذهنية أنهم أخذوا من اليهود فخلطوا الإنشاء الإمضائي للعن، الذي يتحدث عنه القرآن، والإنشاء المحض وجعلوه كافيا لوقوع اللعنة!
ومشكلتهم قبل ذلك سياسية، فهم يريدون أن يكون اللعن إنشاء، ولا يقبلونه إخبارا فقط، لأنهم لا طريق لهم لتخليص الملعونين القرشيين المحبوبين عندهم، إلا بإعطاء قيمة دينية لإنشاء اللعن!
وهذا العنصر القرشي الجاهلي في اللعن، مهم عند معاوية، فهو يريد أن يصدر من الناس إنشاء لعن متواصل على علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته بني هاشم، ليؤثر فيهم تأثيرا وضعيا وتحل عليهم اللعنة الإلهية، وينظر لهم الناس بهذا المنظار! وقد بحثنا ذلك في كتاب ألف سؤال وإشكال على المخالفين: ٢ / مسألة ١٤٥
**

المفهوم الإسلامي للعن في مذهب أهل البيت عليهم السلام
اللعن في مذهب أهل البيت عليهم السلام في أصله إخبار، لأنه قرار إلهي تابع لقوانين يعلمها الله تعالى وحده، وقد يعلمها لنبيه والأوصياء من آله عليهم السلام.
وهو قرار يتضمن ثلاثة أحكام: الحكم على صاحبه بأنه يستحق النار، والحكم عليه بأنه لا يؤمل منه الخير، والحكم عليه بالطرد من مجتمع المؤمنين في الدنيا.
أما إنشاء اللعن من غير المعصوم عليه السلام فهو تصديق له صلى الله عليه وآله في إخباره بلعن الملعونين، واتباع له بالبراءة ممن لعنه الله تعالى، أو رسوله صلى الله عليه وآله أو أوصياؤه عليهم السلام.
فاللعن حق محصور بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام لأنه لا يمكن لغيرهم أن يعرف موجبات استحقاقه، وأن فلانا ملعون عند الله أو غير ملعون؟!
* *

إن اللعن ككل أفعال الله الحكيمة العادلة له قانون استحقاق، فلا تتصور أنه فوضى، وأن كل إنسان يمكنه أن يلعن فيزرع اللعنة في دم إنسان أو حيوان! وهذا معنى ما رواه الجميع عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما فإن وجدت مساغا وإلا رجعت على صاحبها). (الكافي: ٢ / ٣٦٠، وشبيهه في تفسير الطبري: ١٣ / ٢٧٨، وقريب من معناه في مجمع الزائد: ٨ / ٧٤، ووثقه وقال رواه أحمد). ومساغها هو الملعون من الله تعالى ورسوله وأوصيائه عليهم السلام فقط، وإلا كان لعنه سبا وشتما للناس لا يؤثر عليهم شيئا بل يرجع على صاحبه، فينال جزاءه!
لقد طمأن أهل البيت عليهم السلام المسلمين بقاعدة عقلية تقول إن الله تعالى لا يمكن أن يلعن المؤمن واستدلوا بقوله تعالى: إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. (الأحزاب: ٦٤) وأن المؤمن الذي يرتكب جريمة توجب لعنه، يكون خرج عن الإيمان. ففي الكافي: ٢ / ٢٧: عن الإمام الباقر عليه السلام قال من حديث: (لما أذن الله لنبيه صلى الله عليه وآله في

الخروج من مكة إلى المدينة، أنزل عليه الحدود وقسمة الفرائض، وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها وبها النار لمن عمل بها، وأنزل في بيان القاتل: ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. ولا يلعن الله مؤمنا قال الله عز وجل: إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا).

أما لعن المعصوم لأحد فمعناه: أن الله تعالى لعنه وأخرجه من الإيمان وحكم عليه باستحقاق العذاب، ولذا قد يهدد المعصوم أناسا باللعن ليردعهم بذلك عن معصيتهم، كما هدد الإمام الصادق عليه السلام تاركي الأمر بالمعروف! (الكافي: ٨ / ١٥٨)

ولذلك لا تجد في مصادرنا لعنا غير منطقي، فلا امرأة تلعن ناقتها فتصير ملعونة، فيأمر النبي صلى الله عليه وآله بطردها من الخدمة! ولا رجل يلعن بعيره كذلك!

ولا أثر للعن الناس على حيوان أو إنسان أو طعام، ولو أتعب اللاعن نفسه من الصباح إلى المساء! بل لعنه لغو أو عبث، أو ظلم يرجع على صاحبه، إلا أن يكون لمن ثبت استحقاقه للعن بنص الله تعالى ورسوله وآله صلى الله عليه وآله فيقع في محله.

وعليه، فإن لعن معاوية وبني أمية لعلي وأهل بيته عليهم السلام ليس أكثر من ظلامة يرجع اللعن فيها على فاعليها والآمرين بها، ويرجع ثوابه للمظلومين الطاهرين.

وفي المقابل، فإن الملعون بحق كزعماء قريش وبني أمية، وكافة من صدر فيهم لعن في القرآن أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، أو لسان أحد من المعصومين من عترته عليهم السلام، لا ينفعه أن يمدحه الناس ويعظموه ويقدسوه! فهو ملعون من قرنه إلى قدمه، شاء أم أبى، وشاء الخلق أم أبوا، ولا وسيلة ولا حيلة لرد اللعن عنه، أو تخفيفه عليه، كما أراد رواة قريش لزعمائهم!

ففي الكافي: ٢ / ١٨٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعدا إلا حضر من الملائكة مثلهم، فإن دعوا بخير أمنوا، وإن استعاذوا من شر

دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاها.
وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلموا تكلم الشيطان بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم! فمن ابتلي من المؤمنين بهم، فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله عز وجل لا يقوم له شئ، ولعنته لا يردها شئ، ثم قال صلوات الله عليه: فإن لم يستطع فلينكر ولو بقلبه وليقم، ولو حلب شاة أو فواق ناقة). انتهى.
بل ورد أن اللعنة قد تسري إلى البطن السابع من الذرية، فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام: إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية. وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الورى)! (الكافي: ٢ / ٢٧٥).
بل قد تسري في ذرية الملعون إلى يوم القيامة، فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لسدير عندما اقترح عليه امرأة ليتزوجها فقال عليه السلام: (يا سدير، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن قوما فجرت اللعنة في أعقابهم إلى يوم القيامة، وأنا أكره أن يصيب جسدي جسد أحد من أهل النار). (الكافي: ٥ / ٥٦٩).
المفهوم القرشي للعن كالمفهوم اليهودي!
١ - نجد في ثقافة اليهود والنصارى أن الله سبحانه لعن قابيل لقتله هابيل: (١. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك). (العهد القديم / ٨) وهذا يشبه ما في القرآن، ولا يتناقض معه.
٢ - ونجد لعنة نوح عليه السلام لحام وذريته وتبريكه لسام! فقد اتهمت توراتهم نوحا عليه السلام بأنه شرب خمرا! ونام فانكشفت عورته فلم يسترها كنعان، فلعنه

وجعل ذريته عبيدا للساميين! قالت: (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. ٢١. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. ٢٢. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. ٢٣. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. ٢٤. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. ٢٥. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. ٢٦. وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم. ٢٧. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم). (العهد القديم / ١٥). وهذا من أساطيرهم في تفضيل الساميين وذم الحاميين!

٣ – ونجد أن اللعنة عندهم تشمل حتى الأنبياء عليهم السلام!

(٢٧. أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا علي. ٢٨. فدنست رؤساء القدس، ودفعت يعقوب إلى اللعن، وإسرائيل إلى الشتائم). (العهد القديم / ١٠٤٥).

وهذا من افتراء اليهود على أنبياء الله عليهم السلام!

٤ – وأن اللعنة قد تتحول إلى بركة كما زعم القرشيون لزعمائهم: (لأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء، بل استأجروا عليهم بلعام لكي يلعنهم وحول إلهنا اللعنة إلى بركة). (العهد القديم / ٧٧٦).

ومن هنا تعلم القرشيون فرية أن النبي صلى الله عليه وآله طلب من ربه تحويل لعنته إلى بركة!

٥ – وأن البركة كاللعنة تقع على المبارك عليه حتى بالحيلة: (أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة.... (العهد القديم / ٢٩٨). وقد أطالت التوراة / ٤٢ وما بعدها في رواية قصة يعقوب، كيف احتال على أبيه إسحاق وكذب عليه فأوهمه أنه أخوه عيسو وسرق بركته! قالت: (٢٦. فقال له إسحق أبوه تقدم وقبلني يا ابني. ٢٧. فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال أنظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب

. ٢٨. فليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر. ٢٩. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيدا لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين.
ومباركوك مباركين... ٣٤. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا وقال لأبيه باركني أنا أيضا يا أبي. ٣٥. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك)! انتهى. ومنه أخذ
القرشيون مقولة أن اللعنة تؤثر (أتوماتيكيا) من أي شخص صدرت، وبدون أي قانون للاستحقاق!
٦ – وأن اللعنة وقعت على اليهود، فلا ترتفع حتى اليوم الموعود لخروج الرب!
(١٠. وتتحول الأرض كلها كالعربة من جبع إلى رمون جنوب أورشليم.
وترتفع وتعمر في مكانها من باب بنيامين إلى مكان الباب الأول إلى باب الزوايا ومن برج حننئيل إلى معاصر الملك. ١١. فيسكنون فيها ولا يكون بعد لعن، فتعمر أورشليم بالأمن). (العهد القديم / ١٣٥٣). (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الانسان، لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت). (العهد القديم / ١٤).
ولعنة اليهود على لسان الأنبياء عليهم السلام حقيقة ثابتة عندنا وعندهم، بل تحولت إلى عقدة في حياتهم، فكلما أصابتهم مصيبة قالوا إنها بسبب لعنة أنبيائهم! ويسمون يوم هزيمتهم على يد النبي صلى الله عليه وآله في خيبر (يوم الغفران) زاعمين أن هزيمتهم غفران لذنوبهم! ويزعم هذا النص أن لعنتهم سترتفع عنهم في آخر الزمان عندما يقيمون دولتهم، ويأتي نبيهم المنتظر!
أما نحن فنعتقد أن تشكيل دولتهم ليس نهاية لعنتهم، بل هو حشرهم تمهيدا لظهور الإمام المهدي ونزول المسيح عليهما السلام! قال الله تعالى: (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا). (الاسراء: ١٠٤).

٧ – ونجد عند النصارى أن كل من يصلب ملعون حتى لو كان صالحا!
(١٣. المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا! لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة. ١٤ لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع، لننال بالإيمان موعد الروح). (العهد الجديد / ٣٠٧).
وقد أخذوا هذه العقيدة من اليهود، وأن بعض الأعمال أو الحالات تؤثر على الشخص فتجعله ملعونا بشكل (أوتوماتيكي) ولو لم يكن مستحقا، ومنها الصلب! وأن المسيح عليه السلام تحمل أن تقع عليه اللعنة ليفدي بها المؤمنين به!
* *

محاولة أتباع معاوية المتأخرين إنكار جريمته!
نورد هنا ما كتبه الحافظ الشيخ حسن السقاف في موقعه التنزيه: WWW. ALTANZIH. ORG
(ثبت في الصحاح والسنن أن معاوية كان يأمر الناس بسب سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه: روى مسلم في الصحيح (٢٤٠٤) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟! فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه! لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليا فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين. دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي (٥). وقد روى ابن ماجة (١٢١) بسند صحيح (٦) عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه سعد فذكروا عليا فنال منه! فغضب سعد؛ وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه وسمعته يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله.
فهذه رواية صريحة في أن معاوية نال من سيدنا علي: أي سبه وشتمه! وقد أمر معاوية ولاته أن يشتموا ويسبوا سيدنا عليا ويأمروا الناس بذلك ومن ذلك: ما رواه

مسلم في الصحيح (٢٤٠٩) عن الصحابي الجليل سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان؛ قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا! قال فأبى سهل فقال له: أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها.... فبهذا ثبت أن معاوية كان يسب سيدنا عليا رضي الله عنه ويأمر الناس بسبه وقد صح أن النبي (ص) قال: من سب عليا فقد سبني. فقد روى أحمد في المسند (٦ / ٣٢٣) عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله (ص) فيكم؟! قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها! قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول
: من سب عليا فقد سبني) (٧). أقول: ورواه الحاكم (٣ / ١٢١) وزاد: ومن سبني فقد سب الله. وسب معاوية وشيعته لسيدنا علي عليه السلام والرضوان مشهور بل متواتر، ويحتاج هذا لجمع مصنف خاص فيه، (٨).

فالآن ملخص الأمر هو أن معاوية سب سيدنا عليا وأمر بالسب! والنبي الأعظم (ص) يقول: من سب عليا فقد سبني! فهل أنتم مع رسول الله (ص) وسيدنا أم مع من يسب سيدنا عليا ويسب سيدنا رسول الله (ص)؟! وهل يجوز أن نحب وندافع عمن يسب سيدنا عليا رضي الله عنه ومن يسب سيدنا رسول الله (ص)؟!

أين التقوى وأين الإيمان، وأين الخوف من الله تعالى؟!!

هامش: (٥) ذكرنا أن هذا الحديث رواه مسلم (٢٤٠٤) وكذا الترمذي (٣٧٢٤) وغيرهما.

(٦) وهذا قد صححه متناقض عصرنا الألباني في صحيح ابن ماجة (١ / ٢٦).

(٧) ورواه النسائي في الكبرى (٥ / ١٣٣) وله روايات عديدة ذكرها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (/ ١٣٠) وله ألفاظ أخرى وروايات عديدة منها ما رواه ابن أبي شيبة (١٢ / ٧٦ - ٧٧)، والطبراني في الكبير (٢٣ / ٣٢٢) وأبو يعلى (١٢ / ٤٤٤) وغيرهم. وصححه الشيخ شعيب الأرنأوط في تعليقه على المسند (٤٤ / ٣٢٩) والألباني في صحيحته (٣٣٣٢).

(٨) منه ما في مسند أحمد (١ / ١٨٧) وسنن أبي داود (٤٦٤٩ و ٤٦٥٠) وغيرهما بإسناد صحيح إنكار الصحابي سعيد بن زيد على المغيرة بن شعبة أنه يسب في مجلسه سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام والرضوان حيث يقول سعيد بن زيد: (يا مغيرة بن شعبة! ألا تسمع أصحاب رسول الله (ص) يسبون عندك ولا تنكر ولا تغير؟! وقد صحح هذا متناقض عصرنا الألباني في (صحيح أبي داود) (٣ / ٨٨٠ / ٣٨٨٧). ومنه ما رواه ابن أبي عاصم في سنته (١٣٥٠) عن عبد الرحمن بن البيلماني قال: كنا عند معاوية فقام رجل فسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسب وسب فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: يا معاوية ألا أرى يسب علي بين يديك ولا تغير! فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: (هو مني بمنزلة هارون من موسى). انتهى. أقول: ولو لم يكن عندهم إلا هذا الحديث الصحيح على شرط الشيخين لكفى). انتهى.

وهذه خلاصة ما كتبه الدكتور حسن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي / ١٧: (يا أصحاب الحديث: أنقذوا التاريخ الإسلامي! لا تنقذوه من تلفيقات المستشرقين وأذنابهم من المستغربين بل من بعض المؤرخين الإسلاميين... الذين يتلاعبون بتاريخنا الإسلامي، فيصححون الضعيف، ويضعفون المتواتر!! منهجهم (يعقل، ولا يعقل) و (ممكن، ولا أظن)! وسأبدأ بالحوار مع الدكتور عبد الحليم عويس، يقول في كتابه (بنو أمية): خذ مثالا واحدا فقط وهو ما ذكره في مرآة الجامعة، العدد السابق نفسه عندما قال بالحرف الواحد: (فلا يعقل قبول ما يشاع عن بني أمية من أنهم كانوا يسبون عليا كرم الله وجهه على المنابر لأن ذلك يتنافى مع طبيعة البيئة الإسلامية... الخ. فتعال معي أخي القارئ لنفتش في الكتب الستة وبعض كتب المحدثين والفقهاء!:

١ - صحيح البخاري، وأظنه من الكتب الستة! مع شرح فتح الباري (٧ / ٧٠) نجد فيه حديثا (عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلا دعا سهل بن سعد فقال: هذا فلان أمير المدينة يدعو عليا عند المنبر) الحديث.. وفسر ابن حجر

هذا القول برواية أخرى عند الطبراني من وجه آخر عن عبد العزيز نفسه، وهي (يدعوك لتسب عليا! وهذا السبب صريح في حديث مسلم الآتي:
٢ - صحيح مسلم (٧ / ١٢٤) وهو من الكتب الستة! (عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال (أبو حازم): فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال: فأبى سهل فقال له (الأمير) أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا التراب! فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وما سماه إلا النبي صلى الله عليه وسلم... الحديث. أقول: فهذا صحيح مسلم يفسر رواية البخاري وكلاهما من الكتب الستة). انتهى.
* *

مواقف وأحداث حول سياسة الأمويين في لعن علي عليه السلام
موقف سعد بن وقاص ضد قرار معاوية بلعن علي عليه السلام!
وقف سعد بن وقاص في وجه معاوية بحزم ضد قراره بلعن أمير المؤمنين عليه السلام!
وحاول معه معاوية بالترغيب والدهاء ثم بالترهيب، أن يسب عليا عليه السلام فأبى!
ومضافا إلى ما ذكره السقاف والمالكي، فقد روى الخطيب في الإكمال / ٧٩، بسند حسن عن أبي نجيح، قال: (لما حج معاوية أخذ بيده سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو (!) عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لأن يكون لي ما قال له حين غزا تبوكا: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، لأحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ما له، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس! لا أدخل عليك دارا بعد هذا اليوم! ثم نفض رداءه ثم خرج)!
ثم حاول معاوية أن يسكت سعد على لعن علي عليه السلام فلم يقبل! وله قصص في

ذلك! وقد رووا بأسانيد صحيحة رفضه تهديد معاوية وولاته وجوابه لهم: (معاذ الله والذي نفس سعد بيده، لقد سمعت من رسول الله (ص) يقول في علي شيئا لو وضع المنشار على مفرقي ما سبته أبدا)! (أبو يعلى: ١ / ٣٦٣، وفي طبعة ٧٧٣، ومجمع الزوائد: ٩ / ١٢٩، وحسنه، وسنن النسائي: ٥ / ١٣٤، والسنة لابن عاصم: ٢ / ٦٠٤، و ٥٩٠، وخصائص النسائي / ١١٢، والمختارة: ٣ / ٢٧٣، و ٢٧٥، وحسنه، ومسند سعد / ١٨٩).

وفي تاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٤٨، أن مروان جاء ليعوده فوبخه سعد لشتمه عليا عليه السلام وقال ويلك يا مروان! وأرعد بوجهه فخرج مروان مغضبا!

السبب الظاهر لموقف سعد

ذكر سعد أن السبب ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله في مقام علي عليه السلام، وذكر سببا آخر هو أن النبي صلى الله عليه وآله غضب عليه ذات يوم غضبا شديدا وعلى اثنين من الصحابة كانوا معه يسبون عليا عليه السلام! ولم يسمهما سعد. ففي مجمع الزوائد: ٩ / ١٢٩: (عن سعد بن أبي وقاص قال: كنت جالسا في المسجد أنا ورجلين معي فنلنا من علي! فأقبل رسول الله (ص) غضبان يعرف في وجهه الغضب! فتعوذت بالله من غضبه فقال: مالكم ومالي؟! من آذى عليا فقد آذاني! رواه أبو يعلى والبزار باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير محمود بن خداش وقنان، وهما ثقتان).

السبب الواقعي هو معارضة سعد لمعاوية

فلو كان سعد صادقا في اعتقاده بمقام علي عليه السلام العظيم الذي شهد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله لبايعه عندما بايعه المسلمون! لكنه تخلف عن بيعته فتركه الإمام عليه السلام!

وقد حجه معاوية بذلك، ففي تاريخ دمشق: ٢٠ / ٣٦٠: عن المديني قال: (حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا

عباس إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، فكنت علينا ولم تكن معنا، وأنا ابن عم المقتول ظلما يعني عثمان بن عفان، وكنت أحق بهذا الأمر من غيري! فقال ابن عباس: اللهم إن كان هكذا فهذا وأومأ إلى ابن عمر أحق بها منك لأن أباه قتل قبل ابن عمك! فقال معاوية: ولا سواء، إن أبا هذا قتله المشركون وابن عمي قتله المسلمون. فقال ابن عباس: هذا والله أبعد لك وأدحض لحجتك! فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم تكن معنا ولا علينا! قال فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتى انكشفت، قال فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ! قال فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله يقول لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار! قال فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة! قال فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله. فقاموا جميعا فدخلوا على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله، وهذا سعد يذكر عن النبي ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله لعلي! قال فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألومك الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله وجلست عن علي! لو سمعت هذا من رسول الله لكنت خادما لعلي حتى أموت)!

وفي مروج الذهب / ٦٧٣، أن سعدا روى لمعاوية الأحاديث الثلاثة المتقدمة في فضل علي عليه السلام: (ونهض ليقوم، ضرط له معاوية وقال له: أقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قط الأم منك الآن، فهلا نصرته! فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك منك، فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة، وكان سعد فيما

يقال لرجل من بني عذرة). انتهى.
ورواه محمد بن سليمان في المناقب: ١ / ٥٠٧، عن أبي رافع، وجعل الحديث الذي استشهدوا به أم سلمة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).
وأورده ابن كثير في النهاية: ٨ / ٨٤، وضعفه على تردد بدون ذكر السبب! إلا ما تربى عليه من بغض علي عليه السلام قال: (وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم)!
أما قول سعد إنه أحق بالخلافة، وجواب معاوية له بالطعن في نسبه، فقد تكرر ذلك من معاوية، ورووا أن أبا سعد رجل من قبيلة عذرة اليمانية كان عشيقا لأم سعد زوجة أبي وقاص الزهري القرشي!
وفي إلزام النواصب لمفلح بن راشد / ١٧١: (وقد نسبوا أباه سعدا إلى غير أبيه، وأنه من رجل من بني عذرة كان خدنا لأمه، ويشهد بذلك قول معاوية له حين قال سعد لمعاوية: أنا أحق بذلك الأمر منك، فقال له معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة، وضرط له! روى ذلك النوفل بن سلمان).
وكانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيرا لأن عمر جعله أحد أعضاء الشورى الستة الذين يصلحون للخلافة! ومع أنه كان يرى أن عليا عليه السلام أولاهم بها، لكنه قرر أن لا يبايعه ويعتزل وينتظر لعل الفرصة تأتيه، وكذلك لم يبايع معاوية ولم يعترف به خليفة، ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك، كما تقدم!
وقد كتب له معاوية في زمن علي ليكون إلى صفه، فأجابه: (أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه، ألا إن عليا كان فيه ما فينا، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر قد كرهت أوله، وكرهت آخره، فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما، والله يغفر لام المؤمنين ما أتت والسلام). (شرح النهج: ٣ /

١١٤، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٧، وصفين لابن مزاحم / ٧٤، وأورد شعرا في رسالة معاوية وجواب سعد له. والإمامة والسياسة: ١ / ٩٠، وفيه: غير أن عليا كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه، فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه.
وجواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢ / ٣٦، وفيه: غير أن عليا كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه، ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو بأقصى اليمن).
ولا يغرك ما يرويه سعد في فضل أمير المؤمنين عليه السلام وما يشهد على نفسه في حقه كقوله: (قال أما بعد فإن عليا لم يسبقه أحد من هذه الأمة من أولها بعد نبيها ولن يلحق به أحد من الآخرين منهم). (تاريخ دمشق: ١٣ / ٢٧٥). فقد كان مع ذلك يبغض عليا عليه السلام ويريد الخلافة لنفسه! فاعتزله ولم يبايعه ولم ينصره، ولم ينتفع بتحذير أمير المؤمنين عليه السلام له ولابنه عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام! فقد (كان عليه السلام يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما تسألوني عن شئ مضى ولا شئ يكون إلا نبأتكم به، قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلا يقتل الحسين ابني! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه)! (كامل الزيارات / ١٥٥، وأمالي الصدوق / ١٩٦، وخصائص الأئمة / ٦٢، والاحتجاج: ١ / ٣٨٩، والمناقب: ٢ / ١٠٥).
ولم ينتفع سعد بن وقاص لدنياه أيضا باعتزاله عن علي عليه السلام، فقد قتله معاوية بالسم بعد قتله الإمام الحسن عليه السلام بقليل! ولله في خلقه شؤون.
* *

مشاكل اجتماعية وقبلية سببها مرسوم معاوية!
روى المؤرخون والمحدثون أنواعا من النتائج السيئة لتنفيذ مرسوم معاوية في البلاد المختلفة، وأنه كان بلاء عظيما على المسلمين!
ففي تاريخ الطبري: ٤ / ١٩٨: (وجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد فقال له: إن امرءا منا من بني همام يقال له صيفي بن فسيل من رؤس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك، فبعث إليه زياد فأتي به فقال له زياد: يا عدو الله ما تقول في أبى تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب! قال: ما أعرفك به، قال: ما أعرفه! قال: أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب! قال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين! فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا؟! قال: وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد! قال له زياد: وهذا أيضا مع ذنبك! علي بالعصا، فأتي بها فقال: ما قولك؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين! قال: اضربوا عنقه بالعصا حتى يلصق بالأرض! فضرب حتى لزم الأرض، ثم قال: أقلعوا عنه، فقال: إيه ما قولك في علي؟ قال: والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعت مني! قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك! قال: إذا تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت! قال: ادفعوا في رقبته، ثم قال: أوقروه حديدا وألقوه في السجن!! (خاف زياد من مضاعفات قتله قبليا)!
ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائي وكان شهد مع حجر (عندما ذهبوا لاعتقاله) وقاتلهم قتالا شديدا، فبعث إليه زياد بكير بن حمران الأحمري وكان تبيع

العمال فبعثه في أناس من أصحابه، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عدي بن حاتم (الطائي) فأخرجوه، فلما أرادوا أن يذهبوا به وكان عزيز النفس امتنع منهم، فحاربهم وقاتلهم فشجروه ورموه بالحجارة حتى سقط! فنادت ميثاء أخته: يا معشر طئ أتسلمون ابن خليفة لسانكم وسنانكم! فلما سمع الأحمري نداءها خشي أن تجتمع طئ فيهلك، فهرب!

وخرج نسوة من طئ فأدخلنه دارا، وينطلق الأحمري حتى أن زيادا فقال إن طيئا اجتمعت إلي فلم أطقهم أفأتيتك! فبعث زياد إلى عدي وكان في المسجد فحبسه، وقال جئني به! وقد أخبر عدي بخبر عبد الله فقال عدي: كيف آتيك برجل قد قتله القوم! قال: جئني حتى أرى أن قد قتلوه! فاعتل له وقال: لا أدرى أين هو ولا ما فعل! فحبسه فلم يبق رجل من أهل المصر من أهل اليمن وربيعة ومصر إلا فزع لعدي، فأتوا زيادا فكلموه فيه! وأخرج عبد الله فتغيب في بحتر، فأرسل إلى عدي إن شئت أن أخرج حتى أضع يدي في يدك فعلت! فبعث إليه عدي: والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتهما عنك! فدعا زياد عديا فقال له: إني أخلس سبيلك على أن تجعل لي لتنفيه من الكوفة ولتسير به إلى الجبلين، قال: نعم). انتهى. ويقصد جبلي طئ: أجأ وسلمى، واسمهما الآن جبال شمر. (معجم قبائل العرب: ٢ / ٦٨٨).

بعض المناطق رفضت تنفيذ مرسوم معاوية!

قال الحموي في معجم البلدان: ٣ / ١٩١: (قال الرهني: وأجل من هذا كله أنه لعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على منابر الشرق والغرب ولم يلعن على منبرها إلا مرة، وامتنعوا على بنى أمية حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد ولا يصطادوا في بلدهم قنفذا ولا سلحفاة، وأي شرف أعظم من

امتناعهم من لعن أخي رسول الله، (ص)، على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة)؟. انتهى. (والأربعين البلدانية لابن عساكر: ٣ / ١٩١).
ومن المسموع أن منطقة طبرستان أيضا لم تقبل بمرسوم معاوية، وأنهم منعوا الناس لعن أمير المؤمنين عليه السلام على منبرهم ولم أجد مصدره في حدود مراجعتي.
حتى في الشام كان الناس يكرهون لعن علي عليه السلام
في تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٣: (وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس (كانوا) إذا صلوا انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي، فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكا لمروان بن الحكم، ليغيظ بذلك آل رسول الله).
هدف معاوية أن يطمس شخصية علي عليه السلام ويجعل لعنه (سنة)!
قال المسعودي في مروج الذهب: ٣ / ٣٩، وفي طبعة: ٢ / ٧٢: (ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته (معاوية) إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير! وذكر بعضهم أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصا من لصوص العرب)! (ورواه العصامي في سمت النجوم العوالي / ٨٨٣).
وفي كتاب العثمانية للجاحظ / ٢٨٥، بسنده عن الزهري قال: (قال ابن عباس لمعاوية: ألا تكف عن شتم هذا الرجل؟ قال: ما كنت لافعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير. فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه، فقال الناس: ترك السنة! قال: وقد روى عن ابن مسعود إما موقوفا عليه أو مرفوعا: كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجرى عليها

الناس فيتخذونها سنة، فإذا غير منها شئ قيل: غيرت السنة! قال أبو جعفر: وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا أو دينا لهوى. فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره)! (ورواه شرح النهج: ١٣ / ٢٢٢).

وفي الغدير: ٢ / ١٠٢: (قال الجاحظ في كتاب الرد على الإمامية: إن معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك، وصد عن سبيك، فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما! وكتب ذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر، إلى أيام عمر بن عبد العزيز.

وإن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن هذا الرجل! فقال: لا والله، حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا).

تملق الولاة لمعاوية

في العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل للسيد محمد بن عقيل / ٩٤: (وذكر المبرد أن خالدا هذا لما كان أمير العراق كان يلعن عليا فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وأبا الحسن والحسين! ثم يقبل على الناس ويقول: هل كنيت). (وهو في كامل المبرد / ٣٩٩، ونثر الدرر للآبي / ٧٩٨، والأغاني: ٢٢ / ٢٥).

وقد تعلم خالد القسري التملق من زياد بن أبيه، الذي قتل وعذب وسجن وهدم بيوت كل من لم يلعن عليا عليه السلام في الكوفة والبصرة لمدة خمس سنوات! ثم اتخذ قرارا أن يحشر من بقي وبدأ بشخصيات الكوفة وعلمائها فأهلكه الله!

(وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه، وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويخرب منزله، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون

فمات لا رحمه الله بعد ثلاثة أيام، وذلك في خلافة معاوية). (شرح النهج: ٤ / ٥٨).
الوالي يكذب ويطلب شهادة المسلمين بصدقه!
في الفتوح لابن الأعثم: ٤ / ٢٩٦: (دخل عمرو بن أبي أرطاة البصرة مغضبا وأقبل حتى نزل دار الإمارة، فلما كان من الغد دخل المسجد الأعظم ثم صعد المنبر، ثم إنه شتم علي بن أبي طالب وولده ثم قال: يا أهل البصرة! نشدت الله رجلا علم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني.
قال: فوثب إليه رجل يكنى أبا بكرة فقال له: كذبت يا عدو الله! قد كان علي بن أبي طالب خير منك ومن صاحبك الذي ولاك علينا! فقال عمرو: خذوه! فبادرت إليه الجلاوزة ووثب رجل من بن ضبة فألقى نفسه عليه، ثم خلصه الناس وغيبوه، فلم يقدر عليه). (ونحوه المنتظم: ٥ / ١٨٦، وكامل ابن الأثير: ٣ / ٢٧٨).
تملق الناس للولاة ومعاوية
في الغارات للثقفي: ٢ / ٨٤٢: (قال هشام بن الكلبي قال: إني أدركت بني أود وهم يعلمون أبناءهم وحرمهم سب علي بن أبي طالب عليه السلام! وفيهم رجل دخل على الحجاج فكلمه بكلام فأغلظ عليه الحجاج في الجواب، فقال: لا تقل هذا أيها الأمير! فما لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدون بها إلا ونحن نعتد بمثلها! قال: وما مناقبكم؟ قال: ما ينقص عثمان ولا يذكر بسوء في نادينا قط! قال: هذه منقبة. قال: ولا رؤي منا خارجي قط! قال: منقبة. قال: وما شهد منا مع أبي تراب مشاهده إلا رجل فأسقطه ذلك عندنا. قال: منقبة. قال: وما أراد رجل منا قط أن يتزوج امرأة إلا سأل عنها هل تحب أبا تراب أو تذكره بخير؟ فإن قيل: إنها تفعل اجتنبها. قال: منقبة. قال: ولا ولد فينا ذكر فسمي عليا ولا حسنا حسينا، ولا ولدت فينا جارية فسميت فاطمة. قال: منقبة. قال: ونذرت امرأة منا إن قتل

الحسين أن تنحر عشر جزور، فلما قتل وفت بنذرها. قال: منقبة. قال: ودعي رجل منا إلى البراءة من علي ولعنه، فقال: نعم وأزيدكم حسنا وحسينا، قال، منقبة والله). وفي الصراط المستقيم: ٣ / ٢٤٥: (محمد بن سيرين: كان مؤدبا للحجاج على ولده، وكان يسمعه يلعن عليا عليه السلام فلا ينكر عليه! فلما لعن الناس الحجاج خرج من المسجد وقال: لا أطيق أسمع شتمه).

وفي الإشتقاق لابن دريد / ١٦٥: (وكان علي بن أصمع على البارجاه، ولاه علي بن أبي طالب فظهرت له منه خيانة فقطع أصابع يده، ثم عاش حتى أدرك الحجاج فاعترضه يوما فقال: أيها الأمير، إن أهلي عقوني، قال: وبم ذاك؟ قال: سموني عليا. قال: ما أحسن ما لطفت. فولاه ولاية ثم قال: والله لئن بلغتني عنك خيانة لأقطعن ما أبقى علي من يدك. وكان جرير مر بعلي بن أصمع فسلم فلم يرد عليه فقال جرير: ألا قل لباغي ألأم الناس واحدا عليك علي الباهلي بن أصمعا)!

وفي مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني / ٥٧: (وكان عنده يوما إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن سب عليا فأطرق الناس فتكلم الأحنف مخاطبا لمعاوية فقال: إن هذا القائل ما قال لو يعلم أن رضاك في لعن الأنبياء والمرسلين، لما توقف في لعنهم! فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه بأحسن ما عمل عامل... الخ.). انتهى.

ومن طريف الاستطراد هنا: أن شخصا عرف أن عند معاوية بنتا مشلولة مقعدة لا تصلح للزواج فخطبها منه! قال في الفائق: ٢ / ٣٤٨: (خطب إليه رجل بنتا له عرجاء فقال: إنها ضميلة فقال: إني أردت أن أتشرف بمصاهرتك ولا أريد بها السباق في الحلبة! فزوجه إياها)! انتهى. وأصلها صميلة بالصاد أي يابسة!

(ونهاية ابن الأثير: ٣ / ١٠١، و ٥٣، ولسان العرب: ١١ / ٣٨٥ و ٣٩٦، وتاج العروس: ٧ / ٤٠٧ و ٤١٤).

بهت اللاعنين لعلي عليه السلام: نظر التيوس إلى شفار الجازر!
في أمالي الصدوق / ١٥٧: (عن ابن عباس أنه مر بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لقائده: ما يقول هؤلاء؟ قال: يسبون عليا! قال: قربني إليهم، فلما أن أوقف عليهم، قال: أيكم الساب الله؟ قالوا: سبحان الله! من يسب الله فقد أشرك بالله. قال: فأيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: من يسب رسول الله فقد كفر. قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: قد كان ذلك. قال: فأشهد بالله وأشهد لله، لقد سمعت رسول الله يقول: من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل، ثم مضى. فقال لقائده: فهل قالوا شيئا حين قلت لهم ما قلت؟ قال: ما قالوا شيئا. قال: كيف رأيت وجوههم؟ قال:
نظروا إليك بأعين محمرة * نظر التيوس إلى شفار الجازر
قال: زدني فداك أبوك. قال:
خزر الحواجب ناكسو أذقانهم * نظر الذليل إلى العزيز القاهر
قال: زدني فداك أبوك. قال: ما عندي غير هذا. قال: لكن عندي:
أحياؤهم خزي على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر)
(ورواه كثير من مصادر الحديث والأدب، كالرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري / ٣٩٤، وسمط النجوم العوالي: ٣ / ٣٣، والمستقصى للزمخشري: ٢ / ٣٦٨ ومروج الذهب / ٦٥٤، والنصائح الكافية / ١٠٢، ومناقب محمد بن سليمان: ٢ / ٥٩٨، وشرح الأخبار: ١ / ١٥٦، و ٤٣٩، والأربعون حديثا لمنتجب الدين / ٩٧، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢١، والغدير: ٢ / ٣٠٠، وفهرست منتجب الدين / ٣٥٢، ومناقب الخوارزمي / ١٣٧، والأغاني: ١٥ / ١١٤). ومن طريف ما رأيت تحريف الفخر الرازي لمناسبته، حيث قال تفسيره: ٣٠ / ٨٨: (وأنشد ابن عباس لما مر بأقوام حددوا النظر إليه: نظروا إلي بأعين محمرة * نظر التيوس إلى شفار الجازر).

تشدد المروانيين في تطبيق سياسة معاوية!
في المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٣٢٨: (قطع عبد الملك ذكر فضائل علي عليه السلام، وأخذ على أيدي المحدثين: أن لا يذكروا شيئا منها ولا يظهروا كتابا فيها، وأمر من استماله منهم بدنياه وأناله منها وأرضاه، أن وضع له أخبارا في فضائل بني أمية، وأظهر لعن علي عليه السلام على المنابر، وتتبع من ينتحل فضله ويقول بإمامته بالقتل والتشريد.
ومن معارفه في التهيب عند الناس وتخويفهم نفسه: أنه خطب فيما روي عنه فقال: إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف، ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المأبون. يعني بالمستضعف عثمان، وبالمداهن معاوية، وبالمأبون يزيد).
خليفة أموي لا يجيد العربية ولا الأخلاق!
في شرح النهج: ٤ / ٥٨: (وروى أهل السير أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا عليه السلام فقال: لعنه الله كان لص ابن لص. بالجر، فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته عليا عليه السلام إلى اللصوصية وقالوا: ما ندري أيهما أعجب؟! وكان الوليد لحانا). (ونثر الدرر للآبي / ٣٨٩، والتذكرة الحمدونية / ٦٣٣).
وفي البيان والتبيين للجاحظ: ١ / ٣١٧، وفي طبعة / ٢٧٨، أنه صعد المنبر فقال: علي بن أبي طالب لص ابن لص، صب عليه شؤبوب عذاب! فقال أعرابي كان تحت المنبر: ما يقول أميركم هذا... الخ). (ونسبه في الغارات: ٢ / ٨٤٣، إلى خالد بن عبد الله القسري، والي معاوية على العراق).

عمرو بن سعيد الأشدق جبار من بني أمية!
في الغدير: ١٠ / ٢٦٤: (استناب معاوية على المدينة عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي المعروف بالأشدق الذي جاء فيه في مسند أحمد: ٢ / ٥٢٢ من طريق أبي هريرة مرفوعا: ليرعفن على منبري جبار من جبابرة بني أمية يسيل رعافه. قال: فحدثني من رأى عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله حتى سال رعافه. سمي عمرو بالأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي فأصابته لقوة أي داء في وجهه). (وتقدم ذلك من معجم الشعراء للمرزباني / ٣١).
من محاولات الشيعة الذكية للتخلص من سب علي عليه السلام!
في الأذكياء لابن الجوزي / ٨٨: (قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلم، فقال المغيرة: أرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليا! فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب، فأخبره بذلك فقال: أقسم بالله لتقيدنه، فخرج فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله. فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه).
وقد تقدم من مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني / ٥٧، قول الأحنف بن قيس لمعاوية، عندما رأى بعضهم يتملق له بلعن علي عليه السلام: (إن هذا القائل ما قال، لو يعلم أن رضاك في لعن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لما توقف في لعنهم! فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه بأحسن ما عمل عامل، هو والله المبرز في سبقه، الطاهر في خلقه الميمون النقيبة، العظيم المصيبة، أعلم العلماء، وأحلم الحلماء، وأفضل الفضلاء، ووصي خير الأنبياء! فقال معاوية: لقد أغضيت العين على القذى، وقلت بما لا ترى، وأيم الله لتصعدن المنبر فتلعنه طوعا أو كرها. فقال:

إن تعفني فهو خير وإن تجبرني على ذلك فوالله لا يجري به لساني أبدا! فقال: لابد أن تركب المنبر وتلعن عليا. قال: إذا والله لأنصفنك وأنصفن عليا، قال: تفعل ماذا؟ قال: أحمد الله وأثني عليه وأصلي على نبيه صلى الله عليه وآله وأقول: أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن عليا وإن عليا ومعاوية اقتتلا، وأذعن كل واحد منهما أنه كان مبغيا على الآخر وعلى فئة، فإذا دعوت فأمنوا على دعائي ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك، الباغي منهما على صاحبه، والعن اللهم الفئة الباغية على الفئة المبغي عليها، آمين رب العلمين، اللهم العنهم لعنا وبيلا وجدد العذاب عليهم بكرة وأصيلا. قال: بل قد أعفيناك يا أبا بحر)!!

(ونحوه في المستطرف: ١ / ١٠٠، وفي طبعة ٦٩، ونهاية الإرب / ١٦٩١، والعقد الفريد / ٨٣٤، وتذكرة ابن حمدون / ٥٩٩، وجمهرة خطب العرب: ٢ / ٣٥٧).

شيعي يبيع فرسه باستثناء بلده من مرسوم معاوية!

في ربيع الأبرار: ١٠٢٨: (أن يزيد بن عبد الملك وهو يزيد الناقص مدر بالخيل فبلغه عن فرس لرجل من عبد القيس فراهة واستيلاء في الحلب على القضب، فوجه إليه من يشتريه له فقال: لا أبيعه إلا بحكمي فبذلوا له عشرة آلاف دينار. فقال: لو أعطيتموني بوزن الفرس مائة مرة دنانير ما بعته إلا بحكمي. قالوا: فما حكمك؟ قال: ترك لعن علي بن أبي طالب. فكتب يزيد إلى الآفاق بذلك، وأخذ الفرس. فترك لعنه إلى اليوم).

(والمستطرف: ١ / ١٠١).

إلغاء عمر بن عبد العزيز مرسوم اللعن الخلافي

قال في شرح النهج: ٤ / ٥٨: (فأما عمر بن عبد العزيز فإنه قال: كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود فمر بي يوما وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن عليا، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه

وردي، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بنى، أنت اللاعن عليا منذ اليوم؟ قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم! فقلت: يا أبت، وهل كان علي من أهل بدر! فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلا له! فقلت: لا أعود، فقال: الله أنك لا تعود! قلت: نعم فلم ألعنه بعدها ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة، وأبى يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوما: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن عييا! فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد! فوقرت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغرى، فأعطيت الله عهدا لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون). وكتب به إلى الآفاق فصار سنة). ومدحه الشعراء لذلك، فقال كثير عزة:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تقبل إساءة مجرم
وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي * أتيت فأضحى راضيا كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه * من الأود البادي ثقاف المقوم

وقال الشريف الرضي من قصيدة:

يا بن عبد العزيز لو بكت العين * فتى من أمية لبكيتك
غير أني أقول إنك قد طبت * وإن لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والشتم * فلو أمكن الجزاء جزيتك
دير سمعان لا أغبك غيث * خير ميت من آل مروان ميتك
فلو اني ملكت دفعا لما * نابك من طارق الردى لفديتك
(شرح النهج: ٤ / ٥٨، ومختصر أخبار شعراء الشيعة / ٦٩، والحماسة / ١٥٠)
وفي الطبقات: ٥ / ٣٩٣: (كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون عليا رحمه الله فلما ولي عمر أمسك عن ذلك، فقال كثير عزة الخزاعي...).
وقال الذهبي في سيره: ٥ / ١٤٧: (كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون رجلا رضي الله عنه، فلما ولي هو أمسك عن ذلك فقال كثير عزة...)
وفي تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٠٥: (ونكث عمر أعمال أهل بيته وسماها مظالم، وكتب إلى عماله جميعا: أما بعد، فإن الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء، قلما قصدوا قصد الحق والرفق والإحسان، ومن أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه، ولا تحدثوا حدثا في قطع وصلب حتى تؤامروني.
وترك لعن علي بن أبي طالب على المنبر، وكتب بذلك إلى الآفاق... وأعطى بني هاشم الخمس، ورد فدكا، وكان معاوية أقطعها مروان فوهبها لابنه عبد العزيز، فورثها عمر منه، فردها على ولد فاطمة. فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك، فقبضها).
* *

سياسة معاوية ما زالت فعالة في مصادر الحديث!
عطية لم يقبل أن يلعن عليا عليه السلام وهو ضعيف الحديث!
(عطية بن سعد بن جنادة العوفي، من جديل قيس، ويكنى أبا الحسن، قال: لما ولدت أتى بي أبي عليا عليه السلام فأخبره ففرض لي في مائة ثم أعطى أبي عطاء، فاشترى أبي منها سمنا وعسلا.... فقال يا أمير المؤمنين إنه ولد لي غلام فسمه قال: هذا عطية الله فسمي عطية.... هرب عطية إلى فارس فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فاضربه أربعمائة سوط واحلق رأسه ولحيته فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل فضربه أربعمائة وحلق رأسه ولحيته).
(الطبقات: ٦ / ٣٠٤، وقال الذهبي في العبر ص ٦٨: (روى عن أبي هريرة وطائفة، وقد ضربه الحجاج أربع مئة سوط على أن يشتم عليا فلم يفعل، وهو ضعيف الحديث).
وحريز مدمن على لعن علي عليه السلام وهو من ثقات البخاري!
في كشف الحقائق للشيخ علي آل محسن / ٢٠٣: (حريز بن عثمان الحافظ أبو عثمان الرحبي: عده الذهبي والسيوطي وابن العماد الحنبلي من حفاظ الحديث، وهو ناصبي معروف، روى له البخاري والأربعة، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال: ثقة ثقة. وقال: ليس بالشام أثبت من حريز. ووثقه ابن معين ودحيم، وأحمد، وابن يحيى، والمفضل بن غسان، والعجلي، وأبو حاتم، وابن عدي والقطان. قال ابن المديني: لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه... قال ابن حبان: كان يلعن عليا بالغداة سبعين مرة، وبالعشي سبعين مرة)!

وفي أنساب السمعاني: ٩٠٧: (حريز بن عثمان الرحبي الحمصي يروي عن عبد الله بن بسر وراشد بن سعد وأهل الشام، روى عنه بقية. ولد سنة ثمانين ومات سنة ثلاث وستين ومائة، وكان يلعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة! فقيل له في ذلك فقال: هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي).
وفي شرح النهج: ٤ / ٦٩: (قال (أبو جعفر الإسكافي): وقد كان في المحدثين من يبغضه وروى فيه الأحاديث المنكرة، منهم حريز بن عثمان، كان يبغضه وينتقصه ويروي فيه أخبارا مكذوبة.... عن محفوظ (بن المفضل بن عمر): (قلت ليحيى بن صالح الوحاظي: قد رويت عن مشايخ من نظراء حريز، فما بالك لم تحمل عن حريز! قال: إني أتيته فناولني كتابا، فإذا فيه: حدثني فلان عن فلان أن النبي (ص) لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد علي بن أبي طالب! فرددت الكتاب ولم أستحل أن أكتب عنه شيئا! قال أبو بكر: وحدثني أبو جعفر قال: حدثني إبراهيم، قال: حدثني محمد بن عاصم صاحب الخانات قال: قال لنا حريز بن عثمان: أنتم يا أهل العراق تحبون علي بن أبي طالب ونحن نبغضه! قالوا: لم؟ قال: لأنه قتل أجدادي. قال محمد بن عاصم: وكان حريز بن عثمان نازلا علينا). (وتاريخ دمشق: ١٢ / ٣٤٧، و ٢٤٩، و: ١٢ / ٣٥٠).
* *

حكم من سب النبي صلى الله عليه وآله
قال المفيد رحمه الله في المقنعة / ٧٤٣: (ومن سب رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحدا من الأئمة عليهم السلام فهو مرتد عن الإسلام، ودمه هدر، يتولى ذلك منه إمام المسلمين. فإن سمعه منه غير الإمام، فبدر إلى قتله غضبا لله، لم يكن عليه قود ولا دية، لاستحقاقه القتل على ما ذكرناه، لكنه يكون مخطئا بتقدمه على السلطان).
وقال الشريف المرتضى رحمه الله في الإنتصار / ٤٨٠: (ومما كانت الإمامية منفردة به: القول بأن من سب النبي صلى الله عليه وآله مسلما كان أو ذميا قتل في الحال.
وخالف باقي الفقهاء في ذلك، فقال أبو حنيفة وأصحابه: من سب النبي أو عابه، وكان مسلما فقد صار مرتدا، وإن كان ذميا عزر ولم يقتل. وقال ابن القسم عن مالك: من شتم النبي (ص) من المسلمين قتل ولم يستتب، ومن شتم النبي من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم. وهذا القول من مالك مضاه لقول الإمامية.
وقال الثوري: الذمي يعزر، وذكر عن ابن عمر أنه يقتل. وروى الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ومالك فيمن سب رسول الله (ص) قالا: هي ردة يستتاب، فإن تاب نكل به، وإن لم يتب قتل قالا يضرب مائة ثم يترك، حتى إذا هو برئ ضرب مائة. ولم يذكرا فرقا بين المسلم والذمي. وقال الليث في المسلم يسب النبي: إنه لا يناظر ولا يستتاب ويقتل مكانه، وكذلك اليهودي والنصراني وهذه موافقة للإمامية... الخ.).
وقال المحقق الحلي رحمه الله في شرائع الإسلام: ٤ / ٩٤٨: (من سب النبي صلى الله عليه وآله جاز لسامعه قتله، ما لم يخف الضرر على نفسه أو ماله، أو غيره من أهل الإيمان. وكذا من سب أحد الأئمة عليهم السلام). (والدر المختار: ٤ / ٤٢٠، والشرح الكبير لابن قدامه: ١٠ / ٩٠،

والمحلى: ١١ / ٤٠٨، والخلاف: ٥ / ٣٤٠، وشرح اللمعة للشهيد الثاني: ٩ / ١٩٤، وجواهر الكلام: ٤١ / ٤٣٥، ومباني تكملة المنهاج: ١ / ٢٦٤، وصراط النجاة: ٢ / ٤١٣، ووسائل الشيعة: ٢٨ / ٢١٥).

حكم من سب عليا عليه السلام

اتفق علماء المسلمين كافة على صحة حديث: (من سب عليا فقد سبني)!

فقد رواه أحمد: ٦ / ٣٢٣، والحاكم: ٣ / ١٢١، مع تكملته. وفي مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة. ثم روى: (عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله أيسب رسول الله (ص) فيكم؟! قلت: أنى يسب رسول الله (ص)؟! قالت: أليس يسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله (ص) يحبه. رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عبد الله وهو ثقة). ورواه النسائي في السنن الكبرى: ٥ / ١٣٣، كما صحح الألباني في صحيحته برقم (٣٣٣٢) رواية أحمد).

ومعنى ذلك أن الله تعالى جعل لعلي عليه السلام حصانة النبي صلى الله عليه وآله، فيكون حكم من يسبه نفس حكم من يسب النبي صلى الله عليه وآله! ولذا رواه النسائي في خصائص علي عليه السلام / ٩٩، بعدة ألفاظ. لكن أنظر إلى عملهم، حيث حاولوا أولا تكذيب الحديث النبوية المتفق على صحته، وحصر الحكم بالنبي صلى الله عليه وآله!

ففي معرفة علوم الحديث للحاكم / ١٤٢: (عن أبي برزة أن رجلا أغلظ لأبي بكر فقال عمر: يا خليفة رسول الله دعني فأضرب عنقه، فقال: مه يا عمر ما كانت لأحد بعد رسول الله (ص). (والمحلى: ١١ / ٤٠٨ ولم يسم عمر). وقال ابن تيمية في فتاويه: ٤ / ٢٧٠: (ولهذا اتفق الأئمة على أن من سب نبيا قتل، ومن سب غير النبي لا يقتل بكل سب سبه بل يفصل في ذلك).

ثم حاولوا ثانيا، إدخال كل الصحابة مع علي عليه السلام وإلغاء تخصيص النبي صلى الله عليه وآله!

ثم حاولوا ثالثا، أن يجعلوا سب علي عليه السلام أخف جرما من سب بقية الصحابة لأنهم أفضل منه فسبهم أشد حكما من سبه! قال ابن تيمية في منهاجه: ٤ / ٤٦٨: (ولا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة لا علي ولا عثمان ولا غيرهما. ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان فهو أعظم إثما ممن سب عليا، وإن كان متأولا فتأويله أفسد من تأويل من سب عليا. وإن كان المتأول في سبهم ليس بمذموم لم يكن أصحاب معاوية مذمومين، وإن كان مذموما كان ذم الشيعة الذين سبوا الثلاثة أعظم من سب الناصبة الذين سبوا عليا وحده، فعلى كل تقدير هؤلاء أبعد عن الحق). انتهى.

ثم حاولوا رابعا، أن يجعلوا الحكم خاصا بالصحابة، ويستثنوا منه عليا عليه السلام! قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه: الصحبة والصحابة / ٦٠: (حديث ابن عمر: أنه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين.... وكل آثار ابن عمر في النهي عن سب أصحاب النبي (ص) إنما تنزل على من سب أمثال عثمان وعلي، فإن ابن عمر يعرف الصحبة الشرعية تماما، فنحن أخذنا نصوصه في النهي عن سب عثمان وعلي وجعلناها في النهي عن سب الطلقاء! فليت شعري لو سئل النبي (ص) هل سيقول إن هؤلاء مأجورون أجرا واحدا!؟ أم سيقول: من سب عليا فقد سبني! اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)!!

وقال في / ١٢١: (والغريب أن بعضهم كابن تيمية سامحه الله يورد مثل هذه النصوص العامة، ويعتبرون القادح في الصحابة قادح في الكتاب والسنة، ويقصدون ب (الصحابة) غالبا المتأخرين منهم كمعاوية وعمرو وأمثالهم، بينما يسكتون عن طعن النواصب في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولعنهم له، والدليل على ذلك أنهم يذمون الرافضة ولا يذمون النواصب عند إيراد هذه

الأحاديث! وهذا سطو على فضائل السابقين وجعلها في اللاحقين!
ثم لم يكتفوا بهذا الظلم حتى عدوا الطعن في اللاحقين أو في أحد منهم هو علامة الطعن في الكتاب والسنة! بينما طعن معاوية ومروان وبسر وأمثالهم في السابقين كعلي وعمار وعائشة رضي الله عنهم يسكتون عليه ولا يذكرونه، وكأنه لم يكن! مع أن لعن علي كبيرة تهون عنها العظائم لقول النبي (ص): من آذى عليا فقد آذاني. وقوله: من سب عليا فقد سبني، وقد استمر تسعين سنة على سائر منابر بني أمية! وقال في هامشه: (سب بني أمية لعلي من عهد معاوية ثابت في الصحيحين فكيف بغيرهما، ولذلك يجب إنكار هذا إنكارا عظيما، مثلما أنكر أقل منه رسول الله (ص) عندما فعله مرة واحدة خالد بن الوليد). انتهى.
وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في نظرية عدالة الصحابة / ٥٥، بعد حديث: من سب عليا فقد سبني: (عرض ولي الله بالنص، وأخو رسول الله بالنص، وعميد آل البيت بالنص، وباب مدينة العلم اللدني بالنص! هو على الأقل صحابي يحمل هذا اللقب كما يحمله غيره، فما حكم من يسبه ويفرض سب علي والإنتقاص منه في جميع المقاطعات التي كانت تخضع لحكم معاوية؟
وما حكم الذين أطاعوا معاوية بسبه؟ هل يشملهم هذا الحديث الآنف؟
وعند ما نصحه بعض خلصائه للتوقف عن سب علي وشيعته قال: والله لا أدع سبه وشتمه حتى يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير)!!
وقال في مساحة للحوار / ٢٧٣: (أما معاوية فقد اشترك مع أبيه في مقاومة الرسول وفي التآمر عليه، واشترك مع أبيه في حرب الرسول وقيادة البطون والأحزاب، ولم يترك وسيلة من وسائل المقاومة، ولا فنا من فنون الحرب، إلا استعمله ضد الرسول حتى إذا تم فتح مكة، وأحيط بمعاوية اضطر لإعلان إسلامه مكرها،

فصار كأبيه طليقا، ومن المؤلفة قلوبهم وصحب الرسول سنة وهو على حاله! ومات الرسول وهو على حاله! وبقدرة إعلام دولة البطون، وحسب تقديم خلفائها، صار معاوية المؤهل الوحيد لولاية بلاد الشام كلها، والوالي الوحيد الذي لا يسأل عما يفعل بولايته طوال عشرين عاما، وصار الصحابي الجليل، وكاتب الوحي الأمين وأمير المؤمنين، حبه دين، والخروج عليه فسوق وكفر، وموالاته إيمان وكرهه عصيان. وصار علي بن أبي طالب حاشا له يستحق السب والشتم واللعن في العشي والإبكار تنفيذا لأمر معاوية وأركان دولة البطون!

واقتنعت الأكثرية الساحقة من المسلمين بأن سب علي ولعنه وشتمه، تنفيذا لأمر معاوية، أمور تقربها من الله زلفى فلعنته بالفعل في جميع الأوقات، وصار ذلك جزءا من العقيدة الدينية للأكثرية الساحقة من أبناء الأمة الإسلامية!

فتعجب لا أراك الدهر عجبا، ولكن عجبك يزول إذا عرفت قدرة إعلام البطون تلك القدرة القادرة على تحويل الأسود إلى أبيض فاقعا والأبيض إلى أسود قاتما! وبقدرة قادر صار الذي يحب معاوية ويتشيع له، ثقة مؤتمنا على نقل أحاديث الرسول والمشاركة في إدارة دولة المسلمين، وصار عاشقا لوحدة المسلمين ومشفقا عليها! أما الذي يحب عليا بن أبي طالب ويتشيع له فهو ليس بثقة، ولا يؤتمن على نقل أحاديث الرسول، وينبغي أن يجرد من حقوقه المدنية، فلا تقبل له شهادة! ومن باب سد الذرائع يجب أن يقتل كل أولئك الذين يوالون عليا وأهل بيت النبوة حتى لا يفرقوا الأمة بعد اجتماع كلمتها على أمير المؤمنين معاوية! ليس في الدنيا كلها عاقل واحد يمكن أن يقبل هذا المنطق أو يستسيغه، أو يرتاح ضميره إلى تلك الأحكام الجائرة! فتعالى الله عما يصفون.

* *

لماذا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله بلعن بني أمية قاطبة؟
ثبت عندنا أنه صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام لعن بني أمية قاطبة، فقد ورد في زيارة عاشوراء وغيرها، وأفتى به فقهاؤنا. ففي كامل الزيارات / ٣٢٩، في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (يا أبا عبد الله إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة، فلعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمرا، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالك).
وفي / ٣٣٢: (اللهم خص أنت أول ظالم ظلم آل نبيك باللعن، ثم العن أعداء آل محمد من الأولين والآخرين، اللهم العن يزيد وأباه والعن عبيد الله بن زياد وآل مروان وبني أمية قاطبة إلى يوم القيامة). (ومصباح المتهجد / ٧٧٤، ومزار الشهيد الأول / ١٨٠، ومزار ابن المشهدي / ٤٨١، ومصباح الكفعمي / ٤٨٣).
وقال الكركي في رسائله: ٢ / ٢٢٧: (والحاصل أن بني أمية قاطبة ملعونون مطرودون، وبذلك وردت النصوص عن أهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: والشجرة الملعونة في القرآن.. المراد بها: شجرة بني أمية). انتهى.
وقد بحث فقهاؤنا هنا إشكالية أنه يوجد في بني أمية مؤمنون بشهادة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، والمؤمن لا يجوز لعنه، فكيف يأمرنا النبي وآله صلى الله عليه وآله بتعميم اللعن لهم قاطبة؟! وقد تركز بحثهم في أصول الفقه على جواز التمسك بعموم النص في موارد الشك في المصداق، وهل يصح إثبات عدم إيمان من يشك في إيمانه من بني أمية بعموم نص لعنهم. قال صاحب كفاية الأصول / ٢٢٣: (بل يمكن أن يقال: إن قضية عمومه للمشكوك، أنه ليس فردا لما علم بخروجه من حكمه

بمفهومه، فيقال في مثل: لعن الله بني أمية قاطبة: إن فلانا وإن شك في إيمانه يجوز لعنه لمكان العموم، وكل من جاز لعنه لا يكون مؤمنا، فينتج أنه ليس بمؤمن، فتأمل جيدا). (وكفاية الأصول / ٢٢١ ونهاية النهاية: ١ / ٢٨٩، ومحاضرات في أصول الفقه: ٥ / ٢٠٢، وأجود التقريرات: ١ / ٤٧٦، والمحكم في أصول الفقه: ٢ / ٩٨، ونهاية الأفكار: ٣ / ٣٤٦، وفوائد الأصول: ١ / ٥٣٧، و: ٤ / ٦٢، ومنتهى الأصول: ١ / ٣١٧، وحقائق الأصول: ١ / ٥٠٢، وتهذيب الأصول: ٢ / ٢١).

أما إشكالية التعميم فقد أجيب عنها بأجوبة عديدة لا تخلو من ضعف، كالذي أجاب به السيد الأصفهاني في مكيال المكارم: ٢ / ٣٩١، قال قدس سره: (مقتضى ما عرفت مما ذكرنا، وما لم نذكر كقوله عليه السلام: ولعن الله بني أمية قاطبة، عموم اللعن على جميع بني أمية، مع أن علماءنا ذكروا في أولياء أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وخواصهم جماعة ينتهي نسبهم إليهم، ولا ريب في حرمة اللعن على المؤمنين الموالين للأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد قال الله عز وجل: ولا تزر وازرة وزر أخرى. وقال تبارك وتعالى: كل امرئ بما كسب رهين.

وقد قيل في توجيه ذلك والجمع بين الدليلين وجوه غير نقية عن المناقشة. والأظهر عندي في هذا المقام أن يقال: إن المراد من بني أمية من يسلك مسلكهم ويحذو حذوهم في معاداة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأوليائهم، سواء كان من هذا الحي، أم سائر الأحياء. فإن من سلك مسلكهم يعد منهم وطينته من طينتهم وإن لم يكن في النسب الظاهري معدودا منهم، ومن كان مواليا لأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام فهو منهم من أي حي كان.

والدليل على ما ذكرناه قوله عز وجل: ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك. والنبوي: سلمان منا أهل البيت. وقولهم عليهم السلام: شيعتنا منا وإلينا. وفي البرهان وغيره

عن عمر بن يزيد الثقفي قال قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن يزيد أنت والله منا أهل البيت. قلت: جعلت فداك من آل محمد؟ قال عليه السلام: إي والله، قلت: من أنفسهم جعلت فداك، قال: أي والله من أنفسهم يا عمر، أما تقرأ كتاب الله عز وجل: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين
. أوما تقرأ قول الله عز اسمه: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وفي هذا المعنى روايات كثيرة).

أقول: إن التعميم في لعن بني أمية قاطبة طريقي، ولا يعني أنهم جميعا غير مؤمنين، ولا يتنافى مع وجود مؤمنين منهم، فلا عموم له من هذه الجهة، بل يعني أن على الأمة أن تلعنهم جميعا وتحذر وتتبرأ منهم، لأنهم كأسرة خطرون على الإسلام حتى يفنوا أو تقوم القيامة! فالحذر اللازم منهم والحصانة المطلوبة لا تتحقق إلا بتعميم لعنهم، وأي استثناء منهم سيكون بابا ينفذ منه بنو أمية للفساد في الأمة! فيجب أن يترك الاستثناء لله تعالى، فيستثني هو من لا يستحق اللعن!

وعليه فلا يقال: ما ذنب المؤمنين منهم حتى يشملهم اللعن؟! لأن استثنائهم حاصل بفعل الله تعالى وحكمه بأن اللعنة لا تصيب مؤمنا حسب تعبير النبي صلى الله عليه وآله.

أما استثناء المؤمنين في الحكم الموجه إلى الأمة في الحياة الدنيا فلا يصح، لأن فيه مفسدة وخطر نفوذ شرارهم بادعائهم الإيمان وغش الأمة وتضليلها!

وهذا يشبه تحذير النبي صلى الله عليه وآله من اليهود، مع أنه كان منهم مؤمنون أبرار! وقد صرح النبي صلى الله عليه وآله بصحة هذا التعميم عندما لعن كل قادة الأحزاب وكل أتباعهم إلى يوم القيامة. ففي الإحتجاج: ١ / ٤٠١: (يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عينية بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة. فقيل: يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تصيب

اللعنة مؤمنا من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب، ولا ناج).
(والخصال / ٣٩٨، وشرح الأخبار: ٢ / ٥٣٥، والاحتجاج: ١ / ٤٠٩، وشرح النهج: ٦ / ٢٩٠، والغدير: ١٠ / ٨٢، وجمهرة خطب العرب: ٢ / ٢٥ وتفسير الطبري: ١ / ١٦٩). والحديث في بعض هذه المصادر صحيح كالخصال، وذكر عدد منها أن ذلك وقع في غزوة الحديبية.
وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان / ٢٣٣: (وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أشرف يوم أحد على عسكر المشركين فقال: اللهم العن القادة والأتباع، فأما الأتباع فإن الله يتوب على من يشاء منهم، وأما القادة والرؤوس فليس منهم نجيب ولا ناج ومن القادة يومئذ أبو سفيان ومعاوية). ويبدو أنه تكرر منه صلى الله عليه وآله.
وفي المحتضر للحلي / ٧١: (وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه لعن يوما آل فلان فقيل: يا رسول الله! إن فيهم فلانا وهو مؤمن. فقال: إن اللعنة لا تصيب مؤمنا).
وفي الخرائج والجرائح: ٢ / ٥٧٤: (فقام (الإمام الحسن عليه السلام) خطيبا وقال: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي! مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا فرقا من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجا! وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله). (والهداية الكبرى / ١٨٩، والبحار: ٤٤ / ٤٣، ومستدرك سفينة البحار: ١ / ٢٢٨، ومدينة المعاجز: ٣ / ٤٠٣، وشرح النهج: ٦ / ٢٩١، وكتاب الأربعين في حب علي عليه السلام: ٢ / ٨٨).
كل هذا يدل على أن الحذر من هذه الشجرة الملعونة ضروري للأمة، وأن عليها أن تتحصن منها بلعنها قاطبة، أما الطيب النادر فيها، فالله يتولى استثناءه!
* *

هل نجحت خطة معاوية في اللعن أم خطة النبي صلى الله عليه وآله؟
قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١ / ٣٠٩: (ومن آياته عليه السلام وبيناته التي انفرد بها ممن عداه، ظهور مناقبه في الخاصة والعامة، وتسخير الجمهور لنقل فضائله وما خصه الله به من كرائمه، وتسليم العدو من ذلك بما فيه الحجة عليه، هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له، وتوفر أسباب دواعيهم إلى كتمان فضله وجحد حقه، وكون الدنيا في يد خصومه وانحرافها عن أوليائه، وما اتفق لأضداده من سلطان الدنيا، وحمل الجمهور على إطفاء نوره ودحض أمره، فخرق الله العادة بنشر فضائله، وظهور مناقبه، وتسخير الكل للاعتراف بذلك والاقرار بصحته، واندحاض ما احتال به أعداؤه في كتمان مناقبه وجحد حقوقه، حتى تمت الحجة له وظهر البرهان لحقه. ولما كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه فيمن اتفق له من أسباب خمول أمره ما اتفق لأمير المؤمنين عليه السلام فانخرقت العادة فيه، دل ذلك على بينونته من الكافة بباهر الآية على ما وصفناه. وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبي أنه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على منابرهم، فكأنما يشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم فكأنما يكشفون عن جيفة! وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوما: يا بني عليكم بالدين فإني لم أر الدين بنى شيئا فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنيانا هدمه الدين. ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبون علي بن أبي طالب ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه، فلا يزيده ذلك من القلوب إلا قربا! ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك إلا بعدا! وفيما انتهى إليه الأمر في دفن

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والحيلولة بين العلماء ونشرها، ما لا شبهة فيه على عاقل، حتى كان الرجل إذا أراد أن يروي عن أمير المؤمنين رواية لم يستطع أن يضيفها إليه بذكر اسمه ونسبه، فتدعوه الضرورة إلى أن يقول: حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله! أو يقول: حدثني رجل من قريش، ومنهم من يقول: حدثني أبو زينب. وروى عكرمة عن عائشة في حديثها له بمرض رسول الله صلى الله عليه وآله ووفاته فقالت في جملة ذلك: فخرج رسول الله متوكئا على رجلين من أهل بيته، أحدهما الفضل بن العباس! فلما حكى عنها ذلك لعبد الله بن عباس رحمه الله قال له: أتعرف الرجل الآخر؟ قال: لا، لم تسمه لي، قال: ذلك
علي بن أبي طالب، وما كانت أمنا تذكره بخير وهي تستطيع! وكانت الولاة الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير، بل تضرب الرقاب على ذلك، وتعترض الناس بالبراءة منه! والعادة جارية فيمن اتفق له ذلك ألا يذكر على وجه بخير، فضلا عن أن تذكر له فضائل أو تروى له مناقب، أو تثبت له حجة بحق. وإذا كان ظهور فضائله عليه السلام وانتشار مناقبه على ما قدمنا ذكره من شياع ذلك في الخاصة والعامة، وتسخير العدو والولي لنقله، ثبت خرق العادة فيه، وبأن وجه البرهان في معناه، بالآية الباهرة على ما قدمناه). انتهى.
أقول: نعم، هذا من زاوية فشل خطة معاوية في تحقيق هدفها النهائي! أما من الزوايا الأخرى، فقد نجحت خطته في أمور:
الأول: نجح معاوية ومن بعده من بني أمية في فرض جو سياسي وثقافي مضاد لعلي وأهل بيته عليهم السلام طوال ستين سنة وأكثر! وأوقع بذلك خسارات كبيرة على الإسلام وخطه النبوي، وحرم الأمة من ثقافته الأصيلة، والتعرف على القدوات الحقيقية التي تمثله، من المعصومين عليهم السلام وكبار العلماء والأبرار. فقد تم قتل

الأئمة المعصومين عليهم السلام والشخصيات الفاعلة وقمعها، وتغييب المصادر الثقافية والإعلامية لهذا الخط، وتشريد من بقي منهم وتشويه سمعتهم وتخويفهم، وإسكات صوتهم! ففي تفسير القمي: ٢ / ١٣٤: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لقي المنهال بن عمرو علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فقال له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك ان تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا! وأصبح خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وآله يلعن على المنابر، وأصبح عدونا يعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقورا منقوصا حقه، وكذلك لم يزل المؤمنون! وأصبحت العجم تعرف للعرب حقها بأن محمدا صلى الله عليه وآله كان منها، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمدا صلى الله عليه وآله كان منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأن محمدا صلى الله عليه وآله كان منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمدا صلى الله عليه وآله كان منها! وأصبحنا أهل البيت لا يعرف لنا حق فهكذا أصبحنا يا منهال)! (ومجمع البيان: ٦ / ٢٦٦).

الثاني: أن معاوية قد ضخ في حملته التزويرية في الثقافة المسلمين ومصادرهم سيلا من الأكاذيب والتحريفات وقلب الحقائق، أخذت طريقها من المنابر والرواة وعلماء السلطة ومؤلفاتهم، واستقرت في مصادر المسلمين، وتلقتها أجيالهم أو أكثرها بالقبول، وتربى عليها أولادهم في الكتاتيب والمساجد!

وما زال هذا المرض في ثقافة الأمة! فلو درست تأثير معاوية في صحيح البخاري وحده لرأيت العجب، وقد قدمنا نماذج منه تكشف هيمنة المنهج الأموي على مصادر الثقافة، في كل المذاهب العقائدية والفقهية، فهي وإن ولدت على يد العباسيين لكنها تغذت بغذاء الفكري الأموي!

الثالث: أن معاوية وبعده بنو مروان استطاعوا أن يشكلوا في الأمة حزبا أمويا متطرفا، قام على ثلاثة أسس هي: النصب، والتجسيم، والقدرية! ونشط دعاته في بث سمومه، وبالغوا في العداء لمن خالفهم، وخاصة لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم! وما زال ورثتهم ينجمون في بلاد المسلمين، ويلاقون منهم أشد مما لاقوه من الخوارج القدامى.

ومع كل هذه النجاحات والتحريفات، يصح كلام المفيد رحمه الله بأن نور علي عليه السلام قد شق طريقه من هذه الظلمات والعواصف، وبقي مشعا على الأمة!

واضطرت الدول والحكومات التي جاءت بعد بني أمية أن تدين سياسة بني أمية في سب علي عليه السلام، كما تمسك أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بالتشريع النبوي وخلاصته:

١ - أن اللعن لا يثبت ولا يتحقق إلا بنص من القرآن أو السنة، وأنه حكم يصدر من العليم الحكيم عز وجل، ومن نبيه صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله، ومن عترة النبي المعصومين الذين عندهم علم الكتاب عليهم السلام. أما من غيرهم فلا يتحقق اللعن إلا للملعونين الشرعيين، أما لغيرهم فلا يكون أكثر من سب وشتم.

٢ - أن يجب الإيمان بآيات اللعن واعتقاد لعن الملعونين في القرآن، ولعن من صدرت عليه لعنة من رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين عليهم السلام.

٣ - يجب الإعتقاد بلعن كل من انطبق عليه نص عام في اللعن من آية أو حديث صحيح، كظالمي آل محمد صلى الله عليه وآله

٤ - الإعتقاد بلعن الملعونين فريضة كما تقدم، أما فعل اللعن، أي لعن الملعونين فتجري عليه الأحكام الخمسة: الوجوب أو الاستحباب أو الحرمة أو الكراهة أو الإباحة، حسب ما يطرأ عليه من عنوان، ويتبع فتوى مرجع التقليد.

٥ - اللعن والبراءة قبل الولاية ومقدم عليها رتبة، لأن الولاية لا تصح إلا بالبراءة،

وتخلية القلب تسبق التحلية في السلوك، ولذا كانت البراءة في شهادة التوحيد قبل الولاية، والنفي متقدما على الإثبات: (أشهد ألا إله إلا الله).
٦ – بناء على ما تقدم، فإن لعن أعداء محمد وآله أفضل من الصلاة عليهم صلى الله عليه وآله، لأنه مقدمة لولايتهم ومودتهم، والدعاء لهم والصلاة عليهم.
٧ – من الأغلاط الشائعة تصور أن اللعن والبراءة يتنافى مع التسامح والحرية والمحبة للناس. مع أن معاني الخير لا يمكن أن تتحقق في نفس الإنسان إلا ببغض الشر والأشرار والبراءة منهم، واعتقاد أنهم ملعونون مطرودون من رحمة الله تعالى.
فالإنسان لا تتحقق إنسانيته إلا بتوازن قوة الحب والبغض في شخصيته، وتوجيه كل منهما إلى مجالها الصحيح، فالذي يحب الخير لا تكون شخصيته متوازنة حتى يبغض الشر، بل لا تحصل له الحصانة المطلوبة من الشر إلا ببغضه وبغض الأشرار.
* * *

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: جذور الأمبراطورية الأموية
جذور الفتنة من قابيل وهابيل.. إلى أمية وهاشم... ٩
سنة الانقسام في أبناء إبراهيم وأبناء إسماعيل عليهما السلام واحدة.... ١١
أبو سفيان صاحب المشروع الأموي لمواجهة الإسلام!... ١٦
كان أبو سفيان قصيرا دميما ملحدا!..... ١٧
أبو سفيان قائد أئمة الكفر بنص القرآن.... ١٧
علاقة أبي سفيان الوطيدة باليهود... ١٩
دور الحاخامات في التخطيط لأبي سفيان!..... ٢١
أبو سفيان ينقض العهد مع النبي صلى الله عليه وآله ويأتي إلى المدينة لتجديده!... ٢٤
أبو سفيان أسير حرب، عبدا للنبي صلى الله عليه وآله!..... ٢٦
النبي صلى الله عليه وآله يعفو عن أبي سفيان ويأخذه معه إلى حرب حنين!... ٢٨
شخصية أبي سفيان مسكونة بالمادية!... ٣٠
عزل قريش أبا سفيان من قيادتها!... ٣١
أبو سفيان يقف مع العترة النبوية ضد أبي بكر وعمر!.... ٣٢
أبو سفيان يستقوي بعمر على أبي بكر..... ٣٥

وأخيرا.. قرت عيون أبي سفيان بسيطرته على خلافة محمد صلى الله عليه وآله..... ٣٨
إذا امتلأ القلب بالكفر فاض على اللسان!..... ٤٠
أبو سفيان منتصرا.. ينفث كفره ويركل قبر حمزة رحمه الله برجله!.... ٤٢
حكم النبي صلى الله عليه وآله في أبي سفيان ومعاوية وبني أمية... ٤٣
من تحذيرات الله ورسوله صلى الله عليه وآله من بني أمية!... ٤٤
الفصل الثاني: الهوية الشخصية لمعاوية
كان يأكل في اليوم سبع مرات، ويقعد بطنه على فخذيه!..... ٥٧
جعلوا دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليه أن لا يشبع فضيلة ومنقبة!..... ٥٨
وكانت عجيزة معاوية كبطنه.. مضرب المثل!... ٦٠
وكان معاوية يشرب الخمر ويقدمها لضيوفه الصحابة!... ٦٢
وكان يصدر خمور الشام وفلسطين إلى العراق والجزيرة!..... ٦٣
وكان معاوية شهوانيا خليعا!... ٦٥
وكانت جواريه في قصره متبرجات!.... ٦٦
وكانت جواري عمر في دار الخلافة متبرجات!..... ٦٧
هل جمع معاوية بين الأختين؟!.... ٦٨
وكان يلبس الذهب والحرير ويحرف الحديث في ذلك!..... ٦٩
وكان معاوية في شبابه صعلوكا لامال له!..... ٧١
ضبطه النبي صلى الله عليه وآله مع ابن العاص في مجلس كفر، فلعنهما!..... ٧٥

أم معاوية هند آكلة الأكباد!... ٧٧
رأي أمير المؤمنين عليه السلام في نسب معاوية وبني أمية!..... ٨١
صار فم معاوية تحت عينيه وسقطت أسنانه.. فأخذ يبكي!..... ٨٢
وأصابت اللقوة عددا من منتقصي علي عليه السلام!... ٨٣
هل يصاب خليفة الله باللقوة؟!..... ٨٤
وزعم الكذابون أن اللقوة داء الأنبياء عليهم السلام!..... ٨٦
وأصيب معاوية بالزمهريرة والبردية فعجزوا عن تدفئته!.... ٨٨
وخرجت في ظهره قرحة عميقة واسترخى لحمه!... ٨٨
وأصيب بالنفاثات والهلوسة باسم علي عليه السلام وحجر وعمرو!..... ٨٩
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن معاوية يموت على غير الإسلام!... ٩٠
كم سنة عاش معاوية؟.... ٩٢
الفصل الثالث: الطلقاء والعتقاء وذرياتهم.. مسلمون درجة ثانية!
فتوى عمر في الطلقاء بأن حكم الأمة محرم عليهم!..... ٩٥
حكم النبي صلى الله عليه وآله المغيب على الطلقاء والعتقاء بأنهم ليسوا من أمته!... ٩٥
نعم الأمة الإسلامية مكونة من: درجة أولى وثانية... ٩٩
واعترفوا بأن معاوية من المؤلفة قلوبهم وزعموا أنه إمام!..... ١٠٢
رفض أمير المؤمنين عليه السلام أن يشهد بإسلام معاوية!..... ١٠٩
شهادة الإمام الحسن عليه السلام بأن معاوية ظالم كافر.... ١١٠

الفصل الرابع: غارة أتباع الأمويين على الأحاديث النبوية!
إمام الدعاة إلى النار صار إماما شرعيا!..... ١١٦
صححوا حديث: الملك العضوض وقالوا: معاوية عضوض وخليفة!.... ١١٥
صححوا حديث أن معاوية يحرف السنة وسموه إمام أهل السنة!... ١١٦
حرموا التأويل ثم حملوا معاوله لخدمة بني أمية!... ١١٧
كل الصحابة عندهم يحتاجون إلى عباءة معاوية!..... ١٢٠
الفصل الخامس: خال المؤمنين وكاتب الوحي.. وكذبات أخرى!
لقب نفسه (خال المؤمنين) فوبخه أمير المؤمنين عليه السلام!... ١٢٥
وضع المتعصبون لخالهم معاوية أثرا مكذوبا عن ابن عباس!... ١٢٩
كتب للنبي صلى الله عليه وآله رسالتين أو ثلاثة فأشاع أنه كاتب الوحي!... ١٣٣
وضع المتعصبون حديثا يزعم أن معاوية كاتب الوحي!..... ١٣٨
من الذي كذب حديث أبي سفيان الذي رواه مسلم؟... ١٤١
زرعوا مكذوباتهم في مصادر المسلمين وربوا عليها أطفالهم!..... ١٤٩
غيبوا شهادة علمائهم بأن كل أحاديث فضائل معاوية مكذوبة!... ١٥٠
ولم يكتفوا بالكذب حتى قتلوا النسائي لأنه لم يكذب لهم!... ١٥٣
الفصل السادس: مواجهة كبار الصحابة لمعاوية
معاوية لم يجالس النبي صلى الله عليه وآله ولا الصحابة!... ١٥٧
كبار الصحابة الذين واجهوا معاوية!.... ١٥٩

مواجهة أبي ذر رحمه الله لمعاوية وبني أمية..... ١٦٥
أبو ذر رحمه الله يواجه جبرية معاوية وأعداءه العصمة..... ١٧٠
معاوية يدعي أنه معصوم حتى في سفك الدماء وقتل الأطفال!.... ١٧٢
الطبري يعترف بأنه سجل رأي السلطة وغيب رأي أبي ذر!... ١٧٣
أبو ذر يواجه معاوية بقول النبي صلى الله عليه وآله له إنه من فراعنة هذه الأمة!... ١٧٨
أبو ذر يواجه بني أمية بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في التحذير منهم!..... ١٨٣
أبو ذر يصدع بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في فضل العترة عليهم السلام وإمامتهم.... ١٨٧
أبو ذر ينادي عند الكعبة ويخطب في المسلمين!..... ١٨٨
تعاظم تأثير أبي ذر رحمه الله في بلاد الشام.... ١٩٠
أبو ذر رحمه الله لم يستعمل القوة، لكن لم يسكت عن بيان الحق!..... ١٩٧
ولم يخضع أبو ذر رحمه الله للإغراء.. ولا التخويف!.... ٢٠٠
الفصل السابع: محاولتهم إثبات شرعية معاوية بصلح الإمام الحسن عليه السلام تمحلوا لإثبات شرعية بني أمية فعجزوا!..... ٢٠٥
الفصل الثامن: خطط معاوية لتعظيم نفسه ومن يتصل به
١ – معاوية: نحن معدن الحق فمن يكون!..... ٢١٣
٢ – لا مستند حقوقيا لمعاوية في زعمه؟..... ٢١٦
٣ – معاوية: يصرح بأن عمر شق عصا الأمة وسفك دماءها!... ٢١٧
٤ – معاوية: أنا خليفة الله بقانون الغلبة وعقيدة الجبرية!... ٢١٩

٥ – من أجل لقب " خليفة الله " اخترع الجبرية وألبسها ثوبا دينيا؟.... ٢٢٦
٦ – وتبنى معاوية عقيدة " الإرجاء " تكميلا للجبرية!.... ٢٢٨
٧ – ترسيخ معاوية والأمويين للجبرية والإرجاء كدين!..... ٢٣٠
٨ – شك عمر في نفسه.. خير من غرور معاوية!.... ٢٣١
٩ – أفتى علماؤهم بأن معاوية ملك وعمر خليفة!... ٢٣٢
١٠ – وقتل معاوية من لم يشهد له بإمرة المؤمنين!..... ٢٣٤
١١ – ونجح مشروع معاوية وصار الحاكم الأموي خليفة الله!..... ٢٣٥
١٢ – تعظيم معاوية لأبي سفيان من أجل تعظيم نفسه!.... ٢٤٢
١٣ – تعظيم معاوية لأبي بكر وعمر وعثمان لتعظيم نفسه!..... ٢٤٥
١٤ – تعظيم معاوية للشيخين وعثمان.. وقتله أولادهم!.... ٢٤٨
١٥ – تعظيم معاوية لقريش.. إلا بني هاشم!... ٢٤٩
١٦ – تعظيم معاوية لجهازه الإداري وإعطائه الحصانة!... ٢٥٦
١٧ – تصريحات لمعاوية تكشف عن إفراطه في الغرور!..... ٢٥٧
الفصل التاسع: حسد معاوية للنبي صلى الله عليه وآله وتنقيصه من مقامه
١ – لا والله.. إلا دفنا دفنا!!... ٢٦٣
٢ – أنظروا أخي بني هاشم أين وضع اسمه؟!..... ٢٦٤
٣ – قال رسول الله.. وأنا أقول!.... ٢٦٥

٤ – استهزاء معاوية بقول النبي صلى الله عليه وآله للأنصار: ستلقون بعدي أثرة!.. ٢٦٧
٥ – سكوت معاوية عن حاخام اتهم النبي صلى الله عليه وآله بالغدر!... ٢٧١
٦ – التنقيص من شخصية النبي صلى الله عليه وآله بتسمية معاوية رسول الله!.... ٢٧٨
٧ – ألا فخمته كما فخمه الله تعالى؟!.... ٢٧٩
٨ – معاوية يجعل دوره في الوحي أساسيا كدور النبي صلى الله عليه وآله!... ٢٨٠
٩ – تعظيم معاوية لنفسه بادعائه أنه كان مقربا للنبي صلى الله عليه وآله..... ٢٨١
١ – بعد قتله الإمام الحسن عليه السلام أراد نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله إلى الشام!... ٢٨١
٢ – معاوية على منبر النبي صلى الله عليه وآله.. أجمل من ملكة جمال المدينة!... ٢٨٣
٣ – أراد أن يثبت لأهل المدينة أنه يعتقد بالنبي صلى الله عليه وآله... ٢٨٤
الفصل العاشر: دين معاوية التزوير والتحريف
نماذج من تزويرات معاوية وكذبه!... ٢٨٧
١ – ابن قائد المشركين يدعي أنه أحق بخلافة النبي صلى الله عليه وآله!... ٢٨٧
٢ – تزويره معنى قاتل عمار في حديث النبي صلى الله عليه وآله!... ٢٨٨
٣ – تزويره معنى " الفئة الباغية " في حديث النبي صلى الله عليه وآله!... ٢٩٠
٤ – تزويره في قتله مالك الأشتر!.... ٢٩١
٥ – تزويره في قتله حجر بن عدي وأصحابه!... ٢٩١
٦ – تزويره رسالة من قيس بن سعد!..... ٢٩٢

٧ – كذبه على الإمام الحسن عليه السلام وهو حاضر في المجلس!..... ٢٩٣
٨ – قبوله شروط الإمام الحسن عليه السلام ثم إعلانه عدم الوفاء بها..... ٢٩٣
٩ – نقضه لتعهده بأن لا يسب أمير المؤمنين عليه السلام!.... ٢٩٤
١٠ – كذبه على الله تعالى بنسبته أفعاله اليه!..... ٢٩٤
١١ – تعظيمه الظاهر لعمر ووصفه بأنه مفرق الأمة وسافك دمائها!..... ٢٩٤
١٢ – استلحاقه زيادا وجعله أخاه، ثم قتله!..... ٢٩٤
الفصل الحادي عشر: الذين قتلهم معاوية
شعار معاوية: أجمل ما في الحياة قتل المعارضين!..... ٢٩٩
ثقافة القتل اليهودية الأموية!..... ٣٠٠
كم عدد الذين قتلهم معاوية؟!... ٣٠٣
١ – بلغ عددهم في حرب صفين وحدها أكثر من سبعين ألفا!..... ٣٠٣
٢ – ثلاثين ألفا في غارة بسر بن أرطاة على الحرمين واليمن!..... ٣٠٣
٣ – قتل الألوف المؤلفة من أولياء الله، وزعماء العرب وشخصياتهم!... ٣٠٤
النوعية في قتلى معاوية أخطر من الكمية!... ٣٠٩
١ – قتله الصحابي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد!..... ٣١٠
٢ – قتله الصحابي عبد الرحمن بن أبي بكر!..... ٣١٣
٣ – هل قتل معاوية عائشة بنت أبي بكر؟!... ٣١٥

٤ – قتله الصحابي سعد بن أبي وقاص!..... ٣٢٠
٥ – هلك زياد بن أبيه بدعاء الإمام الحسين عليه السلام وسم معاوية!..... ٣٣٢
٦ – قتله ابن خاله الصحابي محمد بن أبي حذيفة!..... ٣٣٠
٧ – قتله الصحابي سعيد بن عثمان بن عفان!..... ٣٣٤
٨ – قتله محمد بن أبي بكر رحمه الله... ٣٤٢
٩ – قتله الصحابي البطل مالك الأشتر رحمه الله..... ٣٤٧
طمسوا دوره في معركة القادسية واليرموك!..... ٣٤٩
مالك الأشتر بطل معركة اليرموك..... ٣٥٨
جهاد مالك الأشتر بعد اليرموك!..... ٣٥٧
دور مالك الأشتر في فتح مصر... ٣٦١
نفي عثمان للأشتر وزعماء الكوفة..... ٣٦٢
قتل معاوية مالك الأشتر بالسم.... ٣٧٠
شخصية معاوية الخاوية أمام مناقبية مالك!... ٣٧٢
ألم علي عليه السلام على قتل مالك الأشتر رحمه الله!..... ٣٧٤
مشهد مالك الأشتر رحمه الله في القاهرة..... ٣٧٥
١٠ – قتله الصحابي حجر بن عدي الكندي رحمه الله.... ٣٧٦
١١ – قتله الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي رحمه الله..... ٣٨٥

عاش ثمانين سنة ولم تشب منه شعرة!..... ٣٩٠
رووا عنه قليلا وأبهموا ما رووه؟!..... ٣٩٠
لم يقبل رواة السلطة حديثه في مدح مصر!..... ٣٩٠
أسروه وقتلوه، ثم قالوا لدغته حية ومات!... ٣٩٤
بعث زياد برأسه إلى معاوية فصلبه وطاف به في الشام وقراها!..... ٣٩٨
زاهر صاحب عمرو بن الحمق من شهداء كربلاء. ٣٩٩
١٢ - قتله الصحابية المجاهدة زوجة عمرو بن الحمق..... ٤٠١
١٣ - قتله الصحابي رشيد بن عقبة الهجري. ٤٠٦
رشيد الهجري صحابي من فرسان أحد..... ٤٠٦
استهزاء رشيد رحمه الله بابن العاص وإسرائيلياته!..... ٤١٥
علم علي عليه السلام رشيد الهجري علم المنايا والبلايا!.... ٤١٦
عشرات الشخصيات من كل نوع قتلهم معاوية!!.... ٤٢٣
هدم البيوت والاضطهاد والتشريد.. لا يقل عن القتل!.. ٤٢٣
الفصل الثاني عشر: القتل المعنوي لا يقل عن القتل الجسدي
خطة معاوية في إجبار الناس على سب علي عليه السلام ولعنه!.... ٤٢٩
هدف معاوية: رد اللعن على بني هاشم!.... ٤٣١
اختار معاوية اللعن بالذات لأنه سلاح ديني؟..... ٤٣٥

مفهوم معاوية وقريش للعن يختلف عن المفهوم الإسلامي..... ٤٣٨
المفهوم الإسلامي للعن في مذهب أهل البيت عليهم السلام..... ٤٤٢
المفهوم القرشي للعن كالمفهوم اليهودي!... ٤٤٤
محاولة أتباع معاوية المتأخرين إنكار جريمته!... ٤٤٨
مواقف وأحداث حول سياسة الأمويين في لعن علي عليه السلام... ٤٥٢
موقف سعد بن وقاص ضد قرار معاوية بلعن علي عليه السلام!..... ٤٥٢
مشاكل اجتماعية وقبلية سببها مرسوم معاوية!..... ٤٥٧
بعض المناطق رفضت تنفيذ مرسوم معاوية!..... ٤٥٨
حتى في الشام كان الناس يكرهون لعن علي عليه السلام..... ٤٥٩
هدف معاوية أن يطمس شخصية علي عليه السلام ويجعل لعنه (سنة)!..... ٤٥٩
تملق الولاة لمعاوية... ٤٦٠
الوالي يطلب شهادة المسلمين على كذبه!. ٤٦١
تملق الناس للولاة ومعاوية..... ٤٦١
بهت اللاعنين لعلي عليه السلام: نظر التيوس إلى شفار الجازر!..... ٤٦٣
تشدد المروانيين في تطبيق سياسة معاوية!... ٤٦٤
خليفة أموي لا يجيد العربية ولا الأخلاق!... ٤٦٤
عمرو بن سعيد الأشدق جبار من بني أمية!..... ٤٦٥

من محاولات الشيعة الذكية للتخلص من سب علي عليه السلام!... ٤٦٥
شيعي يبيع فرسه باستثناء بلده من مرسوم معاوية!... ٤٦٦
إلغاء عمر بن عبد العزيز مرسوم اللعن الخلافي... ٤٦٦
سياسة معاوية ما زالت فعالة في مصادر الحديث!... ٤٦٩
عطية لم يقبل أن يلعن عليا عليه السلام وهو ضعيف الحديث!... ٤٦٩
وحريز مدمن على لعن علي عليه السلام وهو من ثقات البخاري!... ٤٦٩
حكم من سب النبي صلى الله عليه وآله... ٤٧١
حكم من سب عليا عليه السلام... ٤٧٢
لماذا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله بلعن بني أمية قاطبة؟... ٤٧٦
هل نجحت خطة معاوية في اللعن أم خطة النبي صلى الله عليه وآله؟.. ٤٨٠
تم المجلد الثاني من كتاب: جواهر التاريخ
ويليه المجلد الثالث إن شاء الله تعالى
* *